

أمامة المسلم

مكتبة ٢٩٣

خوف  
ظهور

مكتبة | 293

**خوف**  
رواية

© أسامة المسلم، ١٤٣٦هـ  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المسلم، أسامة  
خوف. / أسامة المسلم - الرياض، ١٤٣٢هـ  
... ص ٢٢ × ١٥٤ سم  
ردمك: ٦-٦٧٦١-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١ - القصص العربية - السعودية  
أ- العنوان  
ديوي ٨١٣، ٠٣٩٥٣١  
١٤٣٦/٤٢٢

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٤٢٢  
ردمك: ٦-٦٧٦١-٠١-٦٠٣-٩٧٨

مكتبة أحمد  
٢٠١٨١١٤

مصمم الغلاف: @ahmedmss

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :

www.daapd.com

مركز الأدب العربي

@Services\_Book

@Services\_Book

مركز الأدب العربي

adabarabic7

services\_book@outlook.sa



للتواصل:

0597777444

لجنة النشر :

المملكة العربية السعودية- الدمام

التجهيز الفني للكتاب

مركز خدمة المؤلفين

تصميم، تسويق، طباعة، توزيع

للتواصل واتس:

مصر - 00201120102172



# خوف

رواية

telegram @ktabpdf

مكتبة أحمد

أسامة السلم

 @osamahslamuslim

 @osamahalmuslim

 Komontage

مكتبة | 293

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

لماذا تأخرت..؟



تذكر قبل أن تدخل..



أنك لن تخرج ..



## مقدمة

هذه الرواية أو السيرة الذاتية أو كما ستتفق لاحقًا على تصنيفها ليست لتصنيف فئة من المجتمع أو عزل فئة دون غيرها بالرغم من أن التصنيف مهم في مجتمعي وإحدى أهم أوراق الاعتماد المبدئية قبل قبول رأيك أو حتى قبول سماعه، فلا بد أن يكون لك تصنيف أو رتبة يتم على أساسها تقويم عقلك أو فكرك أو تجاربك.

ولدت في المملكة العربية السعودية في منتصف السبعينيات بعد زواج أمي وأبي بسبع سنوات، كنت مصدر فرح وبهجة لهما ولجميع العائلة وكما أخبرتني أمي أنني ولدت مبتسماً ولم أبلِك عند ولادتي.

قبل أن أكمل سنتي الأولى سافرت معها للولايات المتحدة الأمريكية عندما قرر أبي إكمال دراسته للحصول على درجة الماجستير، فنشأت في بيئة تختلف كلياً عن البيئة التي سوف أعود إليها لاحقاً بعد انتهاء أبي من الدراسة.

نشأت في بيئة غربية وتعلمت اللغة الإنجليزية قبل العربية وأصبحت لغتي الأولى وعشت مثل أي طفل غربي يمارس حياته اليومية تحت ظل

أكبر دولة رأسمالية في العالم وبدأت بمرحلة الحضانة مرورًا برياض الأطفال وكنت أتناول الوجبات السريعة من ماكدونالدز وغيره من المطاعم الأمريكية الشهيرة وحظيت بزيارة لعالم ديزني الساحر وأنا ما زلت طفلًا في الرابعة من عمري ولم أدرك إلا فيما بعد أنني كنت أتسلح بأدوات فكرية ستكون لي لاحقًا في حياتي أكبر نافذة أطل بها على عالم لا يزال البعض حتى يومنا هذا يسميه عالم الكفر والفسق البغيض.

بعد مرور ما يقارب الخمسة الأعوام عدنا مع أبي إلى مسقط رأسه بعد ما أنهى دراسته وحصل على درجة الماجستير، وتوافق ذلك مع ولادة أخي الوحيد والذي حمل الجنسية الأمريكية لأنه ولد هناك.

عدت لعالم وثقافة لا أعرف عنهما شيئًا، عدت وأنا لا أجد حتى كلمة واحدة من اللغة التي يتحدث بها من حولي، كنت كالغريب الذي أتى من كوكب آخر. كان يزوج بي في المجالس للتحدث مع الناس بتلك اللغة الغريبة التي لم يسمعوها إلا من التلفاز في الأفلام والمسلسلات الغريبة والتي لا يجيدها الكثير من الكبار فكان من الغريب أن يشاهدوا طفلًا في الخامسة يتحدث بها بطلاقة وكنت أتذكر بوضوح أنه كلما تحدثت كان الضحك يعم المكان ولم أكن أعرف السبب، لا أذكر ذلك تكبرًا أو غرورًا لكنه كان إحساسًا ملاصقًا لي بعدم الانتماء خاصة في الأيام الأولى من عودتي للبلاد.

كان أكثر سؤال يوجه إليّ هو:

what is your name?

وكانت هناك نظرات استياء من بعض مرتادي تلك المجالس لأنني

كنت أتحدث بلغة الكفار حسب وجهة نظرهم ولم يكونوا يخفون ذلك الاستياء بتنبيه أبي وكأني على وشك الانحراف والخروج عن الطريق المستقيم، لكن والله الحمد أبي لم يكن من الناس الذين يجاربون ما يجهلون أو في مبادئهم يجاملون، وقد رباني على ذلك لذلك تجاهل تلك التعليقات ولم يُلق لها بالاً.

في غضون أشهر تعلمت العربية من خلال الممارسة والاستماع لكنني لم أنس لغتي الأولى وكنت مشتاقاً جداً لسماع وممارسة تلك اللغة التي عشت معها ومن خلالها أيام طفولتي الجميلة. كانت أولى وسائل عودتي لذلك العالم الذي اشتقت إليه هي من خلال مشاهدة قناة أرامكو والتي كانت مخصصة لموظفي شركة الزيت العربية الأمريكية والتي سميت فيما بعد بشركة الزيت السعودية ARAMCO فقد كانت تُبث من الظهران في المنطقة الشرقية وموجهة للأمريكان والأجانب كنوع من العلاج لحينهم للوطن.. كنت من ضمن من حنوا وتابعوا تلك القناة.

كانت تلك القناة نافذة أطل منها كل يوم على عالمي الذي خرجت منه دون سابق إنذار، كنت أتابعها حتى تغلق في الليل.. وكان بعودتي من الخارج لـ «وطني» توقفت عملية تثبيت تلك الثقافة في عقلي وتم استئناف التثبيت بعد متابعتي للقناة وبرامجها المتمحورة حول ثقافتي الأولى.

لم أنجذب يوماً للثقافة المحلية ليس كرهاً لها أو تكبراً عليها لكن كان

الأمر أشبه بالغريزة الملحة تجاه الثقافة الأخرى، تمامًا مثل الطفل الذي اكتشف بعد ما عاش وتربى عند أمه حتى وصل للخامسة من عمره أنه متبنى وأن أمه الحقيقية التي أنجبته قادمة لأخذه من أحضان أمه الأولى فبدأ بالبكاء لفراق من ربته في الصغر ليس كرهاً لأمه الحقيقية أو البيولوجية بل ارتباطاً بأمه التي ربته واحتضنته وكانت معه في خطواته الأولى في هذه الدنيا.

كانت برامج قناة أرامكو مثل ألبوم الصور لتلك الأم التي ربنتني والتي انتزعت من صدرها بعد ما ألفتها وارتبطت بها عاطفياً وعقلياً. كنت أتصفح ذلك الألبوم كل يوم وأنا أشتاق لرؤياها حتى وإن كانت تلك الأم غير مسلمة وترتدي الصليب، لذلك لا يفهمني الكثير من الناس اليوم عندما أدافع عن أمي الأولى أو ثقافتها الأولى إن صح التعبير والتي يصفونها دائماً بالفسق والفجور في كل مناسبة.. فمن منا يرضى أن تسب أمه أمامه ويقف ساكتاً وساكتاً وهو يسمع من يتهمها بأبشع التهم والأوصاف وإن كان بعضها صحيحاً؟ لذلك كنت أدافع عنها في الكثير من النقاشات بالرغم من الأوصاف التي ألصقت بي لقيامي بذلك.

## اليوم الذي اكتشفت فيه القراءة

تعطل التلفاز.. كنت في العاشرة من عمري تقريبًا وفي تلك اللحظة الحاسمة من حياتي أحسست بالضياح وشعرت أن بصري قد سلب مني لأنني لم أكن مثل بقية الأطفال الذين يلعبون الكرة بشغف في الشارع أو يركبون دراجاتهم متنقلين من زقاق لآخر يجمعون من الحياة خبراتهم عن طريق الممارسة والاحتكاك المباشر مع أقرانهم فقد كان لي عالمي الخاص الذي تشوش وتعكر صفوه بتعطل ذلك التلفاز.

ذهبت لأبي أرجوه أن يصلح التلفاز لإعادة نافذتي الوحيدة على العالم لسابق عهدها لأنني كنت في أول يومي وقد كان التلفاز بعد نهاية يومي الدراسي بمثابة الصندوق السحري الذي يقدم لي جرعات من التشويق والإثارة، والتي كنت أتوق لها دائمًا لأنني لم أكن في ذلك الوقت أملك هواية أتسلى بها أو أقتل فيها وقت فراغي الذي كان وما زال إناء يفرغ بسرعة وهاجسي على الدوام ملؤه.

على الرغم من سرعة استجابته، إلا أن ظني خاب عندما علمت بعد عودة أبي في المساء أن الجهاز سيبقى ثلاثة أيام حتى يتم إصلاحه.

نما عندي فضول قوي ذلك اليوم لأشغل وقتي بشيء بديل حتى تعود نافذتي لسابق عهدها. بدأت أبحث في أرجاء المنزل لعلي أجد شيئاً يسليني خلال تلك الثلاثة الأيام الموحشة فقادني البحث للطابق العلوي من منزلنا ومن هناك توجهت إلى غرفة لم أفكر بدخولها يوماً من الأيام.. مكتبة أبي.

لا أستطيع أن أصف شعوري ذلك اليوم عندما فتحت باب المكتبة لكنه كان أقرب لمن اكتشف كنزاً مدفوناً في فناء منزله. لقد كان الكنز مجموعة من الكتب والمجلات والأشرطة والوثائق التي جمعها أبي خلال سنوات دراسته في أمريكا وكانت كلها مصفوفة في دولا ب زجاجي ضخمة ومرتبطة بعناية شديدة وكانت طاولة القراءة مثل التي تجدها في غرف الاجتماعات يتربع فوقها مجسم للكرة الأرضية وفي مركزها كرسي متحرك من الجلد الطبيعي.

أحسستُ أن العالم بين يدي وبالرغم من أن الكتب والمجلات والأشرطة كانت كلها باللغة الإنجليزية إلا أنني نهلت منها بشغف وعشقت من خلالها القراءة والاستماع لأغاني مغني الستينيات والسبعينيات مثل The Beatles و the Bee Gees و Boney M وأنا أتصفح أول نسخة لي من مجلة Time .. كنت هناك وأنا هنا.

وجدت في تلك المكتبة البساط السحري الذي لف بي العالم بواسطة صفحات من الورق ومن خلال بعض الألحان الموسيقية التي كانت

تأخذني لثقافتي الأولى في ثوانٍ. كنت أشعر بأني محظوظ لأن معظم الأطفال في سني لم يكونوا ليستفيدوا من هذا الكنز العظيم دون اللغة التي كنت أملكها والتهيئة الثقافية والفكرية التي غرست بي والحرية التي منحت لي في تصفح تلك المكتبة.

أنهيت قراءة أول موسوعة لي في أيام وقد كنت مجرد طفل في العاشرة وأبحرت في علوم لم أكن أفهمها في ذلك الوقت لأن أبي كان يحب اقتناء الكتب في كل المجالات وكانت لديه مجموعة خاصة مقفل عليها في حقيبة دبلوماسية سوداء تمكنت من فتحها لاحقاً بعد عدة أشهر.

عاد التلفاز للمنزل بعد مضي الأيام الثلاثة ولم أعره أي انتباه كالسابق فقد وجدت ما هو أثيري وأغنى لذا أبحرت في محيطات تلك المكتبة دون توقف حتى تخرجت من المرحلة الابتدائية وفي ذلك الوقت لم أكن أجد في المناهج الدراسية جاذبية مما كان له أثر عكسي على مستوى تحصيلي العلمي.. لم أكن غيباً لكنني لم أكن مهتماً.

## مكتبة أحمد

لم تكن لي صداقات كثيرة في تلك المرحلة من حياتي ليس لأنني منطوي لكنني لم أنجذب للأطفال في عمري فموضوعاتهم كانت بعيدة بمراحل عن الموضوعات التي قد تحرك أدنى اهتمامي وكنت أرى في اهتماماتهم سطحية شديدة بالرغم من محاولاتي المتكررة للاندماج معهم، في تلك المرحلة بدأت بقراءة المؤلفات المحلية لكنها أيضاً لم تجذبني لفارق الأسلوب والقوة في الطرح عن مثيلاتها في الطرف الغربي لكن شدني

الأدب وقرأت لشوقي كثيرًا لا أعرف لماذا لكنه أكثر شاعر لفت انتباهي  
وجذبني لما يكتب.

مضت الأيام وعشت بعقل مختلف عن من هم حولي ليس بالضرورة  
أذكي لكن بالتأكيد مختلف. كانت قراءتي اليومية والمستمرة لتلك الكتب  
في مكتبة أبي عاملاً رئيسًا في تبلور شخصيتي وحدث ما يشبه البلوغ  
المبكر لعقلي. كنت أحب تحليل الشخصيات لأن العينات كانت كثيرة  
ومتنوعة من حولي. أذكر عندما كنت في الثانية عشرة من عمري تقريبًا  
كنت أعاني مشكلة في المعدة وكان هذا الألم متكررًا ولم يجد معه علاج  
كل الأطباء والاستشاريين الذين أخذني إليهم أبي وبسبب قلق أمي علي  
وعدم تقديم الطب الحديث حلًا لحالتي الزمنة قررت أمي الذهاب إلى  
«شيخ» متخصص في القراءة على الناس وبالرغم من أن أمي لم تكن  
لتطرق هذا الباب المجهول أو تفكر به ليس جحدًا بالقرآن وقدرته بإذن  
الله على شفاء الناس لكن شكًا وعدم ثقة في ممارسي القراءة. لكنها في  
النهاية خضعت لضغوط أقاربها وإصرارهم وتوصياتهم العالية بحق هذا  
الشيخ «الفاضل».

خرجنا مع أبي بعد إلحاح أمي وتوجهنا لشخص كان يلعب بـ  
«الشيخ العماني» لبدء جلسات العلاج معه. كان أبي يوصلنا إلى منطقة  
بيوتها من طين لنقطع أنا وأمي بقية المسافة على الأقدام عبر بيوت قديمة  
متهاكة وقد كانت بيئة جديدة علي في ذلك الوقت. كانت شوارعها ذات

رائحة مميزة. لم أكن أعني في الزيارة الأولى وجهتنا لكن مع تكرار الزيارات كنت أتحمس للذهاب لأن تلك المنازل الطينية كانت تعجبني لسبب ما. كنا ننتظر الشيخ في غرفة صغيرة ممتلئة بالنساء والأطفال ونادراً ما نرى رجلاً بينهم وكان هذا الانتظار يمتد لفترات طويلة في زيارتنا الأولى قبل أن تدرك أمي الآلية التي يعمل بها هذا المكان وهي «المال» فحصلنا على تصاريح مرور VIP في كل زيارة بعد إدراك أمي لهذه الآلية. كانت الأموال تندفق في يد كل من يوصلنا إلى «الشيخ» بسرعة وفي نهاية المطاف وبعد عدة نقاط جمركية لا أجلس أمامه إلا خمس دقائق تحاول فيها أمي شرح حالتي بسرعة والقلق على وجهها وهو مغمض العينين واضعٌ يده على رأسي ويتمتم ببعض الكلمات غير المسموعة بوضوح وأنا أنظر إليه بخليط من الخوف والاستغراب وينتهي اللقاء في العادة بالبصق في وجهي وفي قارورة من الزيت أو الماء وخروجنا بسرعة وعلى عجلة وكأننا نهرب من مسرح جريمة.

استمرت زيارات أمي لـ «الشيخ» واستمرت جلسات البصق في وجهي حتى توقفت أمي فجأة عن الذهاب إليه. بصراحة لقد اعتدت على تلك الزيارات التي كانت تخرجني من المنزل. لم أكن من الأولاد الذين يسمح لهم بالخروج كثيراً لذلك كانت تلك المواعيد «العلاجية» تغييراً جميلاً.

بعد عدة أسابيع انقطعت زيارتنا لـ «الشيخ» فسألت أمي قائلاً:

«لماذا لم نعد نذهب للشيخ يا أمي؟»

فردت أمي برد لم أضحك عليه إلا بعد سنوات عندما كبرت

واستوعبت كلامها فقد قالت بحسرة:

«قبضت عليه الشرطة».

لم أتصور يوماً أن أُمي التي كانت متعلمة وزارت أكثر من عشرين دولة حول العالم سينتهي بها المطاف إلى أخذ ابنها لرجل كي يبصق في وجهه وتدفع له مبلغاً مجزياً مقابل ذلك.

دفعني هذا الموقف عندما استرجعته بذاكرتي يوماً للتفكير وأثار ذلك في عقلي المتحرك سؤالاً:

لماذا..؟

لماذا فعلت أُمي ذلك؟

لماذا ذهبت لذلك الدجال الذي أغرقني بزبوته وبصاقه..؟

لم أجد إلا جواباً واحداً.. «الخوف»..

نعم إنه الخوف.. الخوف جردها من عقلها ومنطقها وجردها من كل وسائل الدفاع عن النفس. الخوف الذي كان سلاح ذلك الرجل كي يبتز الناس في أموالهم وأحياناً أعراضهم ولم يقدر أحد على مناقشته لأنه كان يلبس عباءة أعطته كل الصلاحيات والحصانة التي يحتاجها.. الدين.

بقي هذا الموضوع في ذهني حتى بلغت العشرين من العمر وأصبح مركزاً لاهتمامي وشاغلاً لبالي وأصبحت أراقب أفراد المجتمع حولي ووضعت نظرية «الخوف» للقياس والتجربة أكثر من مرة ولم تخيب هذه

النظرية ظني قط. حاولت أن أوضح للناس بالنقاش المنطقي أن الثقة العمياء التي يهبونها لبعض المتكرين بعباءة الدين تخالف غريزة الحذر والخوف التي هي من أساسيات البقاء عندهم لكن تأثير اللحية والثوب القصير ورائحة دهن العود كان أقوى مني ومن منطقي. مع ذلك كان لدي أمل أن أحقق تغييراً في نمط التفكير السائد تجاه «التمشيعين» لكن عند وصولي للمرحلة الجامعية اكتشفت أن مجتمعي يعاني من سوء فهم لمعنى الفهم.

بمعنى آخر أن هناك تقويماً سابقاً لعقل الشخص قبل أن يفتح فمه، وتقويماً لأخلاقه قبل أن يتعامل معك. لم أفهم هذا النظام ولم أقرأ عنه من قبل في أي كتاب.

تكيفت مع مجتمعي بالتمسك بمفاهيمي ومبادئتي وأتقنت تجاهل من اختار أن يكون جاهلاً.

كان البعض ينتقد استشهادي بأينشتاين لأنه يهودي ويتهمني بالغباء لأنني معجب بعقلية هتلر النازي وكان العرف المفروض هنا هو أن كل شيء خارج حدود جغرافية وطني لا يجوز التعامل معه إلا بازدراء وحسرة، فهم الضالون ونحن الناجون.

حتى صداقاتي مع معتنقي بعض الديانات الأخرى وأصحاب المذاهب المختلفة كان ينظر لها البعض على أنها خيانة عظمى للمنظمة التي ستدخل اللجنة من أوسع أبوابها.

لا أنكر أني حاولت تبني هذا الفكر في فترة من فترات حياتي من باب التكيف وتجربة الجديد لكن لم أستطع لأن متطلبات عقلي كانت أكبر، اهتمت بالزندقة وازدراء الدين أكثر من مرة من قبل عدد من المتعلمين لأسباب ليست دينية من الأساس.

بدأت بعدها أفكر حتى توصلت لقناعة خاصة بي وهي أن الأحق مثل العاري أمام الناس وسوف يغطي ويستر نفسه بأي شيء وبأي طريقة حتى يداري حماقته فهناك من يختار الصمت وأنا أحترم هذا النوع وهناك من يختار الهجوم على شخصك كي يلتفت الناس إليك ويديروا أنظارهم عن عورته المكشوفة وهذا للأسف حال الكثير من أبناء مجتمعي الأغبياء.

البعض يخلط بين الجهل والغباء فيعتقد أن الجهل مذمة مثل الغباء ولا يدرك أننا كلنا جاهلون بشيءٍ ما بطريقة أو بأخرى ولا يعلم العلم كله إلا الله، فكلمة جاهل صفة لنقص المعرفة لكن الغباء صفة لنقص القدرة على استيعاب المعرفة وهذا أخطر.

في تلك المرحلة من عمري وفي أوج عطش عقلي للمعرفة تغير مجرى حياتي وإلى الأبد. لم أحك ما حدث معي لأحد لأنني لم أجد تفسيراً لتلك الأحداث يقبله أي عقل في هذا الزمن.

ولكي أكون واضحاً منذ البداية فأنا لا أنتظر القبول أو الرفض من أحد، وسوف أسرد ما مررت به لمجرد التوثيق الزمني لعل يوماً من

الأيام بعد ما أموت ينظر لما كتبته مثل ما نظر لمؤلفات من قال أول مرة إن الأرض كروية فأحرق هو ومؤلفاته ولم تظهر حقيقة ما كتب إلا بعد قرون طويلة.

ما سأذكره في الصفحات التالية من أحداث وقصص وروايات لن أطلب من أحد تصديقها ولن أدعي أنها حقيقة حفاظاً على نفسي من سوط النقد الجاهل وكذلك لن أقول إنها رواية من نسج خيالي كي لا أظلم جزءاً مهماً من حياتي غيرها إلى الأبد لكن سأكتفي بالقول إنها مجرد... إسرائيليّات.



## اليوم الذي غير حياتي

كنا في زيارة لأحد الأقارب وكان المجلس مكتظًا بالرجال من جميع الأعمار وكعادي كنت أناقش الموضوعات الجدلية بحرارة وأصطدم مع أي رأي لا يعجبني أو يدخل عقلي وكنت أحب أن أسمع عبارات الشناء من من هم حولي عندما أفحم أحد المتغطرسين الذين يدعون العلم والمعرفة أمام أفراد المجلس فقط لكونهم يحظون بمكانة اجتماعية أو اقتصادية توهمهم بأنهم مخولون بالحديث في أي مجال أو موضوع.

كنت أرتوي بنظرات الفخر والإعجاب من أبي خاصة وبعض أقاربي ورواد المجلس عامة وكانت عبارات مثل «أنت سابق سنك» أو «ما شاء الله عليك أفحمتهم» هي التتويج المحبب لقلبي في كل معركة نقاشية أنتصر فيها.

لا شك أن هناك بعض العقول المتحجرة التي كانت تعشش في تلك المجالس كالغربان المسنة التي ترفض وتحرم على الطيور الصغيرة الجلوس على غصن هزيل على تلك الشجرة وتنشق في كل من يحاول الاقتراب منها والتي مهما طرفتها بسندان المنطق ومطرقة الدليل القاطع لن تنفلق

أبدأ وتعترف بجهلها لكنها تكتفي بردود وعبارات استفزازية مضحكة مثل «الحمد لله على نعمة الإسلام» أو «إحنا ما نعرف غير القرآن والسنة» وكأن الذي يتحدث معهم قد جاء للتو من حائط المبكى.

كنت متعوداً على هذا الأسلوب البائد للهروب من الحوار والنقاش العقلاني لكنني كنت أستاذ من نظرات التأييد والقبول من بعض الذين كنت أحسبهم ضمن العقلاء في المجلس وكأنهم بهذا التأييد يشتركون راحتهم وينجون بأنفسهم من تصنيف حتمي سوف يعزلهم عن تلك الفئة المسيطرة على مجلسنا الموقر ويجعلهم في قائمة تعرف في يومنا الحاضر «بالليبرالية» وهذا المسمى وللأسف تم استخدامه مع من ينطبق عليه ومع من لا ينطبق ناهيك عن عبارات مثل «هل ترضاها لأختك» وغيرها من الوسائل المعتادة للهروب من أي نقاش منطقي.

أكاد أجزم أن بعضكم سيتوقف عن القراءة الآن لأنه قد أصدر علي حكماً بأني أحتقر من حولي وأنظر لهم بدونية وأحمل شعلة التحرر والانفتاح لأقود بها الناس أو على أقل تقدير فاسق أو مزدرٍ للأديان من مجرد بعض السطور مع أنني لم أتطرق للدين نهائياً لكن تطرقت لأشخاص وهنا تكمن المشكلة الحقيقية التي أواجهها بعقلي الذي لا يريد التوقف عن التفكير فليس من طبعي تقديس الأشخاص أو وضعهم في فئة المعصومين المنزهين عن الخطأ، فأقصى ما يمكن أن يحظوا به مني هو الاحترام المتبادل والنقاش الراقي وهذا بحد ذاته حلم بعيد

النال مع بعض المحسوبين علينا بالمفكرين والعقلاء والذين لم يتزهدوا  
أو يترفعوا إلا عن أبسط أبجديات أدب الحوار. ما تسمعه مني هو ليس  
صوت «الأنا» بل صوت «من أنتم» لتحددوا كيف أكون؟

لنعد للمجلس الذي امتلأ بدخان البخور معلناً نهاية الجلسة ونظرة  
غضب من عمي عندما قلت إن إشعال البخور هو من أهم المكونات  
التي يستخدمها الهندوس في الكثير من مراسمهم وطقوسهم.. يجب أن  
أتعلم ألا أتكلم في الثوابت في المستقبل.

هممنا بالخروج وقبل وصولي لباب المجلس نادى عليّ أحد أقربائي  
والذي كان كبيراً في السن وقد ناهز السبعين صيفاً من عمره. أشار لي  
بيده فذهبت له لأني بصراحة أفضل الحديث مع كبار السن لأن فيهم من  
الحكمة المعتقدة التي أحب أن أحتسبها منهم قبل فراقهم لهذه الدنيا.

قال لي قريبي المسن: هل ترغب في الحديث؟

السؤال كان غريباً لكن الإجابة كانت: نعم بالتأكيد!

فقال: ابقَ معي قليلاً حتى يخرج الناس.

جلست معه حتى رحل الناس بمن فيهم أبي الذي اصطحبه أخي  
بسيارته التي بدأ للتو تعلم قيادتها، لأن المنزل كان منزل ابن الرجل الذي  
طلب الحديث معي وهو مقيم معه منذ فترة.

خلا المكان من الناس واستأذن ابن الرجل للصعود للطابق العلوي  
وقال لي:

المكان مكانك خذ راحتك..

نظرت لقريبي الكهل بنظرة «هات ما عندك» فباغتني بسؤال وقال:

هل تؤمن بالعالم الآخر..؟

تفاجأت من سؤاله وسألته عن سبب السؤال من الأساس..

فقال سمعتك في المجلس وأنت تناقش عبد الرحمن وتقول:

«تعلقكم بالخرافات هو الذي جعلكم تفكرون بهذه الطريقة»

فقلت: نعم خرافات.. فقد كنا نناقش قصة ذلك الساحر الذي أتى

للقراءة على تلك المرأة المسكينة بعد ما أقنعها بأنها ممسوسة وفي النهاية

تحرش بها.

سألني وقال: وما هي الخرافة في الموضوع؟ السحر أم القراءة أم ماذا؟

فسكت.. ومن النادر أن أسكت وينعقد لساني لعجزي عن الرد..

فقلت له: كنت أقصد أمورًا أخرى..

فقال: مثل ماذا؟

فسكت مرة أخرى وأنا أحرق في عينيه اللتين تنتظران إجابتي ولم

أحب الحصار الذي كنت فيه فقلت بلا تفكير:

عالم الجن والشياطين والمس فهذا الكلام تحديدًا لم يدخل عقلي..!

فقال: هل تعرف الآية المذكورة في سورة النمل والتي تقول:

﴿ قَالَ عِفْرِيثٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ ؕ  
أَمِينٌ ﴿٣٦﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ  
فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرٌ أَمْ أَكْفُرٌ وَمَن شَكَرَ  
فَأِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النمل: 39 - 40]

فقلت: نعم أعرفها.. ما بها؟

فقال: من هما الشخصان اللذان يتنافسان على إحضار عرش بلقيس  
لنبي الله سليمان في الآية؟

فقلت: اثنان من الجن بالطبع.

فقال: هل أنت متفقه في الدين أو علم التفسير؟

فقلت له: بصراحة لا ولا رغبة لي في ذلك..

فقال: ولماذا؟

فقلت: ليس كرهًا في الدين والعباد بالله لكن نادرًا ما أرى أو أجد من  
يناقشني في الموضوعات العادية بهدوء فما بالك بالدين؟  
وضربت له مثالًا على ذلك وقلت:

كنت مرة أصلي العشاء في شهر رمضان المبارك وخرجت دون أن  
أصلي التراويح وعدت للمنزل لإحساسي بالتعب وبعد انتهاء الناس من  
الصلاة اجتمعت مع بعض الأصدقاء وكان أحدهم قد رأني وأنا أخرج

من المسجد قبل التراويح، وأثار ذلك الشخص الموضوع أمام الجميع بقوله:

«هداك الله على ما فعلته الليلة»

فقلت له: وما الذي فعلته؟

فقال: ارتكبت إثماً عظيماً!

فقلت مصدقاً لطرحة الواصل: خيراً إن شاء الله؟

فقال: تركت صلاة الجماعة..

فقلت له: لقد صليت العشاء مع الجماعة.

فقال: أنا لا أقصد صلاة العشاء بل أقصد صلاة التراويح

فضحكت بلا شعور..

فصرخ في قائلاً: أتضحك على شرع الله؟!!

فقلت: لا بل أضحك على غبائك.

فغضب وقال كلاماً لا أجرؤ على إعادته وعندما حاولت إفهامه أن

التراويح سنة ولا يَأثم تاركها ارتفع صوته وقال:

هذا ليس بعذر!!

وبدأ بالهجوم علي والحديث معي وكأني قد خرجت من الإسلام للتو

ولا أريد العودة. بصراحة لا أخفي عليك أن النقاش معه كان مرهقاً جداً

لأنه كالحديث مع أعمى أصم. حتى عندما قلت له إن صلاة التراويح

في المنزل لا تقل أجراً عن صلاتها في المسجد عند بعض الفقهاء، اتهمني بالزندقة ولم يبقَ على تكفيري إلا كلمة أراها قادمة في نهاية الحديث.

والمضحك المبكي في الأمر هي تلك المجموعة التي تجمهرت حوله والتي كانت تحاول تهدئته بقولها:

«اهدأ يا شيخ!»

كنت أرى نفسي في صراع فكري مع شخص لا يملك فكراً من الأساس ومع تكرار مثل هذه الأمثلة والمصادمات العقيمة عندما يكون النقاش متعلقاً بالدين اخترت ألا أنفقه أو أتعلم فيه أكثر من حاجتي كمسلم عادي لأن حريتي في قول رأيي مسلوحة منذ البداية ولن أستطيع الكلام دون أن أمر في حقلٍ من الألغام ما أنزل الله به من سلطان.

فسكت الرجل لثوانٍ وهو يحدق فيّ ثم قال:

هل أفهم من ذلك أنك تنكر وجود الجن؟

فقلت له: لا تتذاك علي فلو أنكرت الجن ستقول إني أنكرت القرآن وسينتهي النقاش بتكفيري.

فقال: لا لن أفعل ذلك..

فقلت: ثم إني ذكرت لك أن من كانا يتنافسان على إحضار عرش بلقيس لنبي الله سليمان هما من الجن فكيف أنكرهم؟

فرد علي بكلامٍ حوّل محور الحديث معه وغير حياتي للأبد..

قال: لكن الشخص الذي قال لنبي الله سليمان: «أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك» لم يكن من الجن..

فسكتُ باستغراب.. ثم قلت:

كيف لا يكون من الجن؟ ماذا يكون إذاً؟

قال: رجل مثلي ومثلك لكنه أوتي علم الكتاب.

فقلت له: وما هو علم الكتاب هذا الذي أعطى بشراً القدرة على التفوق على الجن وإحضار عرش بلقيس قبل أن يرتد طرف نبي الله سليمان إليه؟

قال: اختلف المفسرون في تفسير المعنى لكنهم اتفقوا أنه رجل ذو قدرة وعلم يفوق الجن والبشر ومصدر قدرته كان علم الكتاب. و البعض الآخر فسرها على أن الرجل هو نفسه نبي الله سليمان وكان الحوار بينه وبين ذلك الجنى.

نظرت له وقلت: هل هذا التفسير من عندك أم متفق عليه؟

فقال: أغلب المفسرين فسرها بذلك.

فقلت: ماذا تحاول أن تقول؟

فقال وهو يبتسم: هناك عالم آخر.. عالم لا يعرف عنه الكثير من الناس عالم غامض من الجن والشياطين والسحرة وأبعاد أخرى تعيش حولنا وبيننا وأمور كثيرة ينكرها الناس إما خوفاً منها أو جهلاً بها أو كليهما.

فقلت له: لكنني لا أصدقك وأنا نادراً ما أنفي شيئاً قبل التقصي عنه  
لكن ما تقوله جنون.

فقال: هل تريد إثباتاً؟

فقلت وأنا أبتسم: وماذا ستفعل؟

قال: سأجعلك تراهم بعينك وتسمعهم بأذنك.

فضحكت وقلت: وأخيراً شخص يعرض عليّ دليلاً ملموساً تفضل  
هات ما عندك.

فقال: هل أنت واثق من كلامك؟.. هل تريد فعلاً أن تدخل إلى هذا  
العالم؟

فقلت باستهزاء: بل أتوق لذلك!

فنهض وقال: حسناً.. انتظري هنا.

ذهب قريبي الكهل لغرفته ثم عاد وفي يده كتاب ووضعته في يدي  
وقال:

تذكر أن هذا كان قرارك..

أخذت الكتاب وودعت قريبي وشكرته على حسن ضيافته وخلال  
مصافحتي له وقبل أن أترك يده شد على يدي بقوة وقال:

تذكر أنك أنت من اختار..

فتبسمت في وجهه ابتسامة خالطها القلق لأن وجهه كان مقلقاً وكأنه  
نادمٌ على إعطائي الكتاب. ركبت سيارتي متوجّهاً للمنزل وأنا أفكر في

كلام قريبي العجوز وفي كلمة (علم الكتاب) تحديداً وكنت أقول في نفسي:

«هل يمكن لقراءة كتاب أو كتابين أو حتى بضعة كتب أن تجعل أحد البشر متفوقاً على أحد أبناء الجن؟»

وخلال هذا التفكير والعصف الذهني بدأت أسترجع بعض ذكرياتي المحدودة عن قريبي العجوز، تذكرت أنه كان رجلاً منطويًا وغير اجتماعي وقليل الكلام ونادرًا ما يناقش ويشارك في الحوارات التي ترمى في المجلس من وقت لآخر لكنه إذا تكلم وقرر المشاركة أفحم وأسكت الحضور وتذكرت أيضًا أنه فقد أحد أبنائه في حادث مروري وأنه أيضًا كان يتعالج لفترة طويلة في الداخل والخارج، لم أتذكر المرض الذي كان يعاني منه وقتها لكنه انتقل بعدها للعيش مع ابنه الأكبر بعد ما توفيت زوجته قبل سنوات قليلة ماضية.

دخلت المنزل وتوجهت لغرفتي مباشرةً وكنت مرهقًا جدًا من يومي الطويل فرميت الكتاب على الطاولة وجسدي على السرير وغصت في نوم عميق، استيقظت في الصباح ودخلت في الروتين اليومي من استعداد للذهاب للجامعة وممارسة كل ما اعتدت القيام به من زيارات مسائية لأصحابي وبعض المناسبات العارضة ونسيت أمر الكتاب الذي أعطاني إياه قريبي العجوز لمدة تجاوزت الشهر.

## الليلة المشؤومة

عدت ذات ليلة متأخرًا للمنزل بعد سهرة مطولة مع أصحابي لكن النوم قد جافاني تلك الليلة ولم أستطع النوم بالرغم من محاولاتي العديدة، لمحت الكتاب الملقى على الطاولة منذ أكثر من شهر وقد جمع على غلافه غير المعنون بعض الغبار توجهت للكتاب وقربته من شفطيّ ونفخت عنه أثر نسياني له. استلقيت على سريري وبدأت بتصفحه بدافع الملل لا الاهتمام، لم يكن للكتاب اسم مؤلف أو فهرس أو دار نشر أو حتى ترقيم للصفحات كان الكتاب غريبًا بلا عنوان على غلافه أو داخله ومحتواه كان يبدو كالمدونة وكان الورق مائلًا للصفرة وأطرافه مهترئة.

فتحت الكتاب من المنتصف وبدأت أتصفحه ولم أفهم شيئًا مما كان مكتوبًا فيه. لم يكن للكلام المدون على صفحاته معنىّ يشد انتباهي، حاولت القراءة بتمعن وتركيز أكثر، لكن الكتاب بدا لي عاديًا جدًا فقد كان يتكلم عن الروحانيات والعالم الآخر وأمور كنت أراها في ذلك الوقت سخيفة ومجرد خيال لا أكثر فلم أكمل الكتاب ورميته على المنضدة التي كانت بجانبني وذهبت للنوم مباشرة. حلمت في تلك الليلة بشخص

ذي لحية بيضاء يلبس ثوبًا أبيضَ قصيرًا بلا جيوب وطاقيّةً بيضاءَ صغيرةً بالكاد تغطي رأسه وكان يقول لي:

«أكمل ما بدأت!!»

وأخذ يكررها حتى استيقظت من النوم بأنفاس ثقيلة ومتسارعة بالرغم من أني لم أجزع لتلك الدرجة وكان ذلك حوالي الساعة الثانية صباحًا. لا أذكر لماذا لكن عيني وقعت على الكتاب وبالرغم من أن الكتاب لم يكن يحتوي على صور شعرت بحاجة ورغبة ملحّة للبحث فيه عن ذلك الرجل الذي عكر صفو منامي ففتحت الكتاب ولم أقرأ كل الصفحات بل تصفحت فيها كالمجلة حتى غلبني النعاس ولم أعد أستطيع تمييز الكلمات وعدت للفراش ونمت مرة أخرى. زارني الشخص نفسه في المنام بعد أن غفوت بدقائق لكنه هذه المرة بدا غاضبًا ووجهه كان متجهًا وأقرب لوجهي من ذي قبل وصرخ بي قائلاً:

«أكمل!»

استيقظت مفزوعًا هذه المرة وتوجهت لباب الغرفة ومنها نزولًا للطابق السفلي بسرعة متوجهًا للخارج نحو سيارتي وحاولت تشغيلها بسرعة كي أبتعد عن المنزل لإضاعة الوقت حتى الصباح لكن السيارة لم تعمل ولم أربط بينها وبين ما حدث في الحلم في ذلك الوقت وعدت لغرفتي بتردد.

صعدت السلام ببطء ونظري موجه نحو باب غرفتي وبدأت أشكك

في ما إذا كان باب غرفتي مفتوحًا عندما رحلت أو أغلقته، بدأت بالقلق والتفكير بأمور جانبية، كان تركيزي مشتتًا بسبب الخوف الذي اعتراني، دخلت الغرفة مرة أخرى ووجهت نظري للكتاب وقلت في نفسي:

«سأقرأه كاملاً هذه المرة..»

أمسكت الكتاب وقرأته من الغلاف للغلاف وبعد ما انتهيت من الكتاب وضعتة جانبًا وأخذت نفسًا عميقًا وقلت في نفسي:

«لم أفهم شيئًا.»

كان الكتاب مكتوبًا بلغة مبسطة وأحيانًا بلغة أقرب للقصائد المتبورة لكن آخر سطر فيه كان السطر الوحيد الذي لفت انتباهي وحيرني قليلًا، كان السطر الأخير يقول:

«لن ترى العالم الذي تعيش فيه بعد اليوم كالسابق لأنني سأكون معك..»

لم تعن لي تلك العبارة شيئًا في ذلك الوقت لكنها كانت أوضح من غيرها مما ذكر في الكتاب وأحسست بعد قراءتها بمشاعر متناقضة لا أستطيع وصفها، كانت أشبه بخليط من القلق والضيق من المجهول، وضعت الكتاب جانبًا وعدت للنوم وحاولت نسيان ما حدث.

استيقظت على صوت أذان الفجر الذي كان مريحًا ومهدئًا لي فنهضت من فراشي وذهبت لدورة المياه للوضوء كي أدرك الصلاة، لم أكن في

العادة محافظًا على صلاة الفجر لكن سماعي للأذان بعد ما مررت به تلك الليلة أزال الخوف من صدري وجعلني راغبًا بالذهاب للمسجد. كانت عيناى شبه مغلقتين تبحثان عن مقبض باب الحمام وكنت لا أزال أسمع صوت الأذان بوضوح لكن بعد دخولي للحمام وإغلاقى للباب بقليل وفى منتصف الوضوء تحديدًا انتبهت أن الصوت الذى كنت أسمعهُ لم يكن آتياً من الخارج بل كان من داخل غرفتى فنظرت للساعة ووجدت أن صلاة الفجر قد انتهت منذ ١٠ دقائق، قطعت وضوئى ووقفت فى دورة المياه مفزوعًا حتى انتهى الأذان القادم من غرفتى وقبل أن أفكر بمسك المقبض لفتح الباب سمعت صوتًا آخر يقول:

«أقم الصلاة!»

كبر صاحب الصوت وبدأ بالقراءة بصوت جهورى خالٍ من الجمال، جلست على طرف المرحاض وأنا أسمع صلاة الفجر تقام فى غرفتى وزاد فزعى عندما وصل القارئ لـ: «ولا الضالين..» فرد بعدها معه صوت مجموعة بقول: «آمين».

أكمل من كان أو كانوا فى غرفتى صلاتهم ولم أقوَ على الخروج من دورة المياه وبقيت فيها قرابة الساعة، خرجت من دورة المياه بعد ما تمكنت الشمس من السماء واقترب موعد محاضرتى الأولى، ذهبت وتجهزت مثل أى صباح وخرجت بعدها من المنزل متوجهًا للجامعة، ركبت سيارتى ودار المحرك بسلاسة ولم يخطر ببالي أن العطل الذى أصابها البارحة كان

مصادفة أو غيرها فقد كنت مشوش الذهن وتوجهت مباشرة للجامعة حتى نهاية اليوم.

عدت قبل المغرب بقليل لأنني لم أرجع مباشرة ذلك اليوم للمنزل وعندما دخلت غرفتي تذكرت ما حدث معي بالأمس وضاق صدري قليلاً ولكنني تجاهلت الأمر.

عندما أصبحت الساعة التاسعة قررت الخروج من المنزل كعادتي اليومية فتوجهت لدورة المياه للاستحمام وبعد دخولي للحمام بلحظات سمعت صوتاً لن أنساه، سمعت صوت طفل صغير يبكي والصوت كان قادمًا من غرفتي وفي هذه اللحظة فقط أيقنت أن ذلك الكتاب قد فتح لي باب شر والمسألة ليست مجرد أوهام. توقف صوت البكاء بعد دقيقة أو أكثر بقليل وخرجت مسرعاً من دورة المياه ومن الغرفة متوجهًا لسيارتي وأدرت المحرك وأنا أقول في نفسي:

## مكتبة أحمد

«ما الذي يحدث..؟»

كنت في طريقي لأصدقائي الذين اعتدت أن ألقاهم كل ليلة لكنني وجدت نفسي أتوجه لمنزل قريبي الذي أعطاني الكتاب.

طرقت الباب ففتح لي ابنه فسألت عن والده فقال لي:

«إنه نائم..»

فأخبرته أن يوقظه لأمرٍ طارئٍ ويجب عليّ مقابلته. وافق الابن على مضض ودعاني لدخول المجلس وطلب مني الانتظار حتى يوقظ أباه.

دخل علي قريبي والنوم ما زال في عينيه وقال لي:

«ماذا تريد؟!»

حكيت له ما حدث لي من أول يوم حتى لحظة قدومي عنده فرد عليّ

ببرود غريب وقال:

«لكن ما تقوله مجرد خرافات..»

فأقسمت له أن هذا ما حدث معي.

فقال: وما الذي تريده مني الآن؟

فأخبرته أنني أريد تفسيراً لما يحدث لأن هذه الأمور لم تحدث إلا بعد

قراءتي للكتاب الذي قدمه لي.

فقال: أنا لم أتم في مثل هذا الوقت منذ ٤٠ عامًا واليوم ولأول مرة

أنام كالحجر أنا أسف يا ابني لكنك الآن ستعيش مع من عاشوا معي كل

تلك السنين.

فصرخت في وجهه وقلت: من تقصد؟!.

فقال: لا أقصد أحدًا.

ثم قام وتركني وحدي في المجلس..

خرجت وأنا مشوش ومرتبك وخائف من العودة للمنزل فاتصلت

بأهلي وقلت لهم:

«أنا لن أعود الليلة وسأقضي الليلة عند أحد أصدقائي.»

توجهت لأقرب فندق وبت تلك الليلة هناك. وفي الصباح عدت

للمنزل لأخذ مذكراتي والذهاب للجامعة فوجدت غرفتي مقلوبة رأسًا

على عقب وفي فوضى عارمة وعندما سألت أهلي عن سبب تلك الفوضى قالوا:

«لم يدخلها أحد منذ رحيلك بالأمس»

وقفت أشاهد فوضى الغرفة وأنا أتذكر كلام الكهل ليلة البارحة وأتذكر نظرة الراحة في عينيه للتخلص من هم ومعاناة عانى منها سنين طويلة.

بقيت أرتب الغرفة ولم أذهب للجامعة ذلك اليوم لم ينكسر شيء لكن أغلب حاجياتي كانت مقلوبة أو ملقاة على الأرض وعندما انتهيت لمحت ذلك الكتاب على الأرض فأخذته وبدأت أقلب صفحاته لكن هذه المرة ولسبب لا أعرفه بدأت أفهم الكلمات وأفهم المعاني وأربطها بعضها ببعض فجلست أقرأ فيه بشغف حتى الظهر وبعد انتهائي من القراءة أدركت وقتها فقط ما الذي حدث لي فقد كان ذلك مذكورًا في إحدى صفحات الكتاب.

ذكرت إحدى الصفحات أن من يقرأ هذا الكتاب سيرتبط ولم يذكر بماذا لكنه ذكر أن الرابط لن يفك إلا عندما يقرأ شخص آخر الكتاب وهو يريد ذلك بقناعة تامة. فأدركت أن الشيء الذي ارتبط بي هو الذي جعل ذلك العجوز لا ينام طيلة تلك السنين. قلبت في الكتاب بحثًا عن وسيلة أخرى لفك الرابط لكنني لم أجد شيئًا بين تلك الصفحات المهترئة. عدت في تلك الليلة لتقريبي العجوز وجلست معه بالرغم من رفضه في

البداية مقابلتي لكنني أصررت على ابنه بأن يقنعه بمقابلتي وعندما خضع  
لإصراري وجلست للحديث معه أكد لي كل استنتاجاتي فقلت له:

لماذا فعلت بي ذلك؟

قال: الخيار كان لك وأنا لم أجبرك على شيء.

فسألته عن ما إذا كان هناك طريقة للتخلص منهم دون أن ألقى بهم  
على غيري.

فقال: لقد بحثت سنين طويلة ولم أجد حلاً لتلك المشكلة..

فاقترحت عليه الرقية كحل لهذه المشكلة.

فقال: جرب فالله قادر على كل شيء.

سكتنا لدقائق ثم استأذنت بالخروج وقبل أن أخرج قال لي:

«جرب القرين..»

فقلت: وما القرين؟

فقال لي: شيطان ملازم لك منذ ولادتك وليس له قوة عليك أو  
سلطان غير الوسوسة لكن لو أطلقته فقد يطرد كل من حولك من الجن.

فقلت له بسخرية: ولم لم تجرب أنت؟

فقال: قرأت في أكثر من كتاب عنه وعن وحشيته عندما يطلق ويتحرر  
من صاحبه ففضلت أن أبقى مع من معي خاصة وأني في وقتها بدأت  
أعتاد وجودهم.

فقلت له: كيف أحرره؟

قال لي: هل أنت واثق من طلبك؟

قلت له: وهل لدي خيار آخر؟

فقال: انتظر هنا قليلاً وسأعود لك.

غاب الكهل مدة ليست بالقليلة وجلست أنتظره وأنا أقلب ذلك الكتاب الذي فتح عليّ أبواب جهنم ثم عاد بعدها وأعطاني كتاباً آخر وقال لي:

«لا أنصحك بقراءته فأنا لم أجرؤ على ذلك لكن أنت حر في ما تفعل»

فأخذت الكتاب منه وقلت: حسبي الله ونعم الوكيل..

توجهت للمنزل وأنا أفكر في كلامه وفي الكتاب الأول والكتاب الثاني حتى وصلت. ذهبت لغرفتي ولم أفتح الكتاب الثاني وتوجهت للفراش مباشرة وبعد ما غفوت بقليل استيقظت على صوت يشبه الصفير الخافت في أذني فقمتم مفزوعاً وانقطع الصوت مباشرة. حاولت أن أعود للنوم بعدها ولم أستطع وبعد ساعة من المحاولات المتكررة تمكنت من العودة للنوم واستيقظت على صوت آخر يشبه فحيح الأفعى قادم من تحت سريري وبالطريقة نفسها انقطع الصوت عندما استيقظت. عدت للنوم مرة أخرى ومرة أخرى استيقظت على صوت لم أعد بعده للنوم. كان صوت ضحكات عالية آتية من الحمام ولم ينقطع الصوت

حتى بعد استيقاظي ولأني كنت شاباً في بداية العشرينيات من عمري لم أكن حافظاً للأذكار كلها ولم أكن أقرأ القرآن بكثرة فلم يخطر هذا الشيء ببالي في ذلك الوقت فبقيت في الفراش أحتضن وسادتي مفزوعاً وعيناي تراقبان باب الحمام حتى توقف الضحك.

خرجت من الغرفة بعد توقف الضحك مباشرةً وتوجهت للطابق السفلي فوجدت أخي الأصغر واقفاً في منتصف المطبخ ينظر لي وهو يتسم فكلمته ولم يرد علي فاقتربت منه ووضعت يدي على كتفه فصعقت بشيء أشبه بالكهرباء وسقطت على الأرض ولم أستيقظ إلا على صوت والدي في الصباح وهو يقول: «قم!»

توجهت مسرعاً لغرفتي فلحقني والدي وفي عينيه خوف من الوضع الذي وجدني عليه وأنا أقول له:

«لا تهتم لا تهتم..»

أخذت الكتاب الثاني وخرجت لفناء المنزل وجلست في الحديقة وفتحت الكتاب وقبل أن أقرأ حرفاً منه نادتنني أمي وقالت:

ألن تذهب للجامعة اليوم؟

فقلت لها بصوت عالٍ: لا!!

وهذه المرة الأولى التي أكلمها فيها بهذه الطريقة فأنا لست حاد المزاج بطبعي وأمي كانت الشخص الوحيد في حياتي الذي لا أستطيع أن أعارض لها كلاماً مهما طلبت أو أرفع صوتي عليها لكن هذه المرة

كان عقلي ليس في مكانه بسبب الخوف الذي اعتراني. ذهبت أُمي ولم ترد علي وبالرغم من تأنيب ضميري وندمي في اللحظة نفسها إلا أني لم أستطع اللحاق بها والاعتذار منها لأن ذهني كان مشغولاً بالبحث عن حل لما كنت فيه كنت أشبه بالمدمن الذي يبحث عن جرعة تُوقف ألمه الذي يقطع أوصاله.

فتحت الكتاب على عجالة وكان كسابقه بلا فهرس أو أرقام صفحات أو دار نشر وغيرها لكن عدد صفحاته كان أقل وغلافه أسود كان الكتاب مكتوباً بصيغة غريبة كان يخاطبني وكأنه يعرفني وكان يتحدث عن قريني وكأنه أخ لي والصاحب الذي يتوق للقاءني وعندما وصلت لصفحة التحضير وجدت في أعلى الصفحة كلمة شذت عن بقية كلمات الكتاب. كانت تلك الكلمة هي الوحيدة في الكتاب المكتوبة بخط اليد وكانت تقول: (دجن)

لم أعرفها في ذلك الوقت أي انتباه بالرغم من أنها لفتت نظري وأكملت القراءة وكانت الطريقة المذكورة في الكتاب لتحضير قريني تستلزم غياب الشمس كأحد عناصر التحضير فانتظرت حتى غابت الشمس وتوجهت بعدها مباشرة لغرفتي ثم لدورة المياه وأغلقت الباب لأنني كنت أحتاج المرأة أيضاً كأحد عناصر التحضير كما قال الكتاب ونفذت بالحرف ما كان مكتوباً في صفحة التحضير وكانت العملية متعبة ومرهقة لكن بعد الانتهاء منها لم يحدث شيء.

خرجتُ من الحمام وكان الهدوء يعم الغرفة بشكل غير مسبوق  
فشعرت بالخوف لأن الهدوء كان على غير العادة حتى صوت الشارع  
الذي اعتدت أن أسمع من خلاله أصوات الجيران والمارة والسيارات  
لم أكن أسمعه. لم أسمع سوى أنفاسي وضربات قلبي وصوت ريقى  
الذي ابتلعتة من التوتر. ذهبت للفراش بعدها ونمت بلا إزعاج  
تلك الليلة. في الليلة التالية توقعت أنني سوف أواجه ذلك الإزعاج  
والتحرش الذي كان يبدأ بمجرد خلودي للفراش لكن وللمرة الثانية  
لم يحدث شيء. كان الجو هادئًا والسكينة تعم المكان وتكرر ذلك في  
الليلة الثالثة أيضًا واستمر الحال على ذلك لمدة شهر حتى نسيت  
الموضوع من الأساس.

تذكرت الأحداث في لحظة عندما بلغنا خبر وفاة قريبى المسن الذي  
أعطاني الكتابين.. بصراحة لم أحزن عليه كثيرًا..

ذهبنا للمقبرة لدفنه وكنت حاقداً عليه كثيرًا لما فعله بي لدرجة أنني  
لم أدعُ له بالمغفرة خلال صلاة الميت. لكنى ساعته ودعوت له بالمغفرة  
عندما رأيت جثمانه ينزل إلى الأرض ملفوفًا بقطعة من القماش الأبيض.  
عندما بدأنا نواريه الثرى اصطدم كتفى بكتف رجل غريب الشكل  
نظر لي نظرة غريبة وابتسم لي ابتسامة أغرب.

بدأ الناس بالرحيل وكان الوقت عصرًا فتوجهت مع والدي للسيارة  
وقبل أن أركب سمعت نداء خلفي يقول: «انتظر.. انتظر»

فنظرت باتجاه الصوت فإذا به ذلك الغريب الذي صادفته عند القبر. كان يلوح بيده لي بالانتظار وهو يهرول باتجاهي وعلى وجهه تلك الابتسامة الغريبة.. أتذكر بوضوح ابتسامته الصفراء وعينيه الواسعتين وشماغه الذي لم أر مثله من قبل في حياتي فقد كانت تبدو عليه علامات زمن آخر غير الذي نعيش فيه وعلامات أخرى لم أستطع تفسيرها. عندما وصل الرجل عندي ووقف أمامي وضع يده التي ما زالت تحمل بعض تراب القبر على كتفي ونظر في عيني مبتسماً وقال:

«عظم الله أجرك في المرحوم!»

نظرت له باستغراب ولم أرد عليه وظللت أنظر إليه وأحدق في عينيه اللتين امتلأتا بالعروق الحمراء المتشعبة في بياض عينه المصفر ولم أستطع التوقف عن التمعن في شكله الغريب. لقد كان أسمر البشرة بدرجة حالكة لكن ملامحه لم تكن كبقية من يملكون تلك الدرجة من السمار فقد كان أنفه مسلولاً كالسيف وشفته صغيرتين ولم يكن يملك شارباً أو لحية وكانت رائحة عطره خانقة. أتذكر أن رائحته كانت نفاذة كالخل لكنها كانت أشبه برائحة الريحان. ظللت أحدق في ذلك الرجل حتى أنزل يده من على كتفي الذي تلوث بتراب القبر وابتسم وقال:

«أشوفك الليلة!».

ثم أدار ظهره ورحل..

وقفت بجانب السيارة والباب نصف مفتوح وإحدى قدمي في السيارة والأخرى ارتكزت في الشارع كي أرفع رأسي لأنظر إلى ذلك

الرجل وهو راحل. لاحظت أنه عاد للمقبرة ولم يتجه للشارع أو لسيارة  
وخلال نظري له صرخ أبي وقال: «يلا»

ركبت السيارة وسألت أبي عن ذلك الشخص وقلت له:

من هذا الرجل يا أبي؟

فقال لي إنه لا يعرفه ولم يره من قبل لكنه قد يكون صديقاً للمرحوم  
فقد كان يسافر كثيراً لبلدان كثيرة وبعيدة عندما كان يبحث عن علاج  
للمرض الذي أصابه.

فقلت لأبي: من ماذا كان يعاني قريبنا قبل وفاته؟

قال أبي: هل سنبقى تحت حر الشمس كثيراً؟ شغل السيارة وتحرك  
وسأحكي لك في الطريق.

أدرت محرك السيارة وعيني على بوابة المقبرة رغبةً مني بإلقاء نظرة  
على ذلك الرجل الغريب لكنني لم أجد له أثراً عند مروري من أمامها.  
فتحت الحوار مع أبي بسؤاله:

«ما الذي كان يعاني منه قريبنا؟»

قال أبي: بصراحة لم تربطني به علاقة وثيقة لكن كل ما أعرفه عنه أنه  
كان رجلاً عصامياً بنى نفسه بنفسه وكان متفوقاً في دراسته وكان يعمل  
في وظيفة حكومية حتى زواجه ثم قرر فجأة تقديم اسقالته والخوض في  
التجارة.

فقاطعت أبي وقلت: وهل فشل فيها؟

أبي: بالعكس تمامًا.. لقد نجحت تجارته في وقت قياسي وأصبح من  
الميسورين، وكان في وقت من الأوقات أثري أثرياء الأسرة.

فقلت: لكن منزلهم الحالي لا يدل على ثرائهم.. بل إنه مقيم مع ابنه  
ولا يملك منزله الخاص.

أبي: دعني أكمل ولا تقاطعني..

فقلت: عذرًا.. تفضل يا أبي

قال أبي إن قرينا في قمة نجاحه و ثروته قرر فتح فروع لتجارته في  
بعض البلدان الخليجية وبدأ بالفعل في تأسيس تلك الفروع والإشراف  
عليها من وقت لآخر بالسفر وحده أو بصحبة زوجته وأطفاله أحيانًا.  
وفي إحدى تلك السفرات التي كان فيها وحده وحسب ما أخبرت به  
زوجته فيما بعد أنه عاد متغير الطباع وأصبح متوترًا وحاد المزاج وبدأ  
يهمل تجارته ولم يعد يخرج من المنزل كالسابق ومع مرور الوقت بدأت  
أعماله التجارية بالانهيار لولا أن زوجته حصلت على توكيل منه وقامت  
ببيع كل أصول ثروته ولحقت ما استطاعت من الأموال.

توقفنا في تلك اللحظة عند إشارة ضوئية فالتفت نحو أبي وقلت:

«وماذا حدث بعد ذلك؟»

قال أبي: بقي على حاله بل زادت حالته سوءًا وكان يَحْتَفِي لفترات  
طويلة ويعود فجأة ولا يذكر لأحد عن المكان الذي كان فيه أو ما حدث  
له. كبر أبنائه وتقبلوا فكرة أن أباهم قد فقد عقله وخلال تلك السنوات  
صرفت زوجته أموالًا كثيرة في محاولة منها لعلاجها لكنها لم تجن سوى

الإفلاس والديون. ولم تخرج من تلك الثروة إلا بذلك المنزل الذي تزوج فيه ابنه.

اشتعل ضوء الإشارة الخضراء ولم أنتبه إلا من أصوات منبهات السيارات التي خلفي فتحركت بسرعة وقلت لأبي:

«وما قصة موت أحد أبنائه؟»

قال أبي: في إحدى المرات التي غاب فيها قريينا عن المنزل جاء اتصال لمنزهم وأخبرهم المتصل أن أباهم موجود في دولة خليجية ويريدون منهم الحضور لاستلامه فخرج ابنه الكبير وحجز تذكرة لتلك الدولة وبعد سفره بساعات دخل أبوهم عليهم في المنزل وكعادته كان سارحاً وفي حالة يرثى لها وأنكر وجوده في تلك الدولة وذهب لغرفته بكل برود وأغلق على نفسه الباب. فقلت لأبي:

«وماذا عن ابنه؟»

قال: اتصل من تلك الدولة وقال لهم إنه لم يجد أباه وإن الذين اتصلوا بهم قالوا إنه رحل فجأة فأخبرته أمه بأن أباه موجود في المنزل منذ البارحة. أخبرهم الابن بعدم السماح له بالخروج حتى يعود لأنه يريد إخبارهم بشيء مهم. فقلت لأبي:

«وماذا قال لهم عندما عاد؟»

قال أبي: لم يلحق لأنه مات في حادث مروري وهو قادم من المطار.

فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله.. وماذا حدث بعد ذلك؟

قال أبي: لا شيء.. بقي الرجل مع زوجته وابنه الثاني في ذلك المنزل حتى كبر الابن وتزوج وتوفيت الأم بعد زواج ابنها ببضعة أعوام.

عدت للمنزل وأنا أفكر في كلام أبي عن قريتنا وفي صورة ذلك الرجل الغريب التي لم تفارق خيالي ولا أعرف لماذا، لكنني وبمجرد وصولنا ودخولنا للمنزل بحثت عن كتاب القرين وعندما وجدته فتحتة وقرأته مرة أخرى وانتبهت لكلمة (دجن) المكتوبة في صفحة التحضير بخط مختلف ولم تقديني لشيء فوضعت الكتاب وخرجت كعادتي في التاسعة مساءً للقاء أصحابي.

في منتصف الطريق تعطلت السيارة وتوقفت ولم أعرف ما بها فنزلت وفتحت الغطاء لأتفحصها لعلي أجد سبباً لذلك العطل وإذا بصوت يأتي من خلفي ويقول:

«سلامات.. سلامات.. عسى ما شر؟!»

فنظرت خلفي وإذا به ذلك الشخص الغريب الذي رأيته في المقبرة فجف ريقى وبدأ قلبي بالخفقان وقال لي وهو يتسم:

«تبي أساعدك في شيء؟»

فقلت بصوت منخفض:

لا، وشكرًا.. يمكنك الرحيل..

فذهبت الابتسامة من على وجهه وبدا عليه الغضب وقال لي بنبرة حادة:

«من هو أنت عشان تأمرني؟!»

ف نظرت له باستغراب وتعجب وقال بالنبرة نفسها:

«رح لربعك ولا تتأخر عليهم!!»

رحل الرجل ماشيًا على قدميه ووقفت بعدها متسمرا لفترة من الزمن أنظر له وهو يرحل حتى غاب عن ناظري. جلست في السيارة وأمسكت المقود ولم أتحرك لفترة ليست بالقصيرة. كنت خائفًا من تشغيل السيارة ولم أعرف لماذا لكنني في النهاية جربت إدارة المحرك كمحاولة أخيرة والذي دار فجأة.

دخلت على أصدقائي قبل اكتمال الساعة العاشرة مساءً بخمس دقائق وعلى غير عادتي كنت هادئًا وقليل الكلام والمشاركة في الحديث وكان بعض أصحابي يلعبون الورق وخلال لعبهم التفت إليّ أحدهم وقال:

«في واحد سأل عنك قبل ما تجي..»

فقلت له: مَنْ؟

سألته وأنا قلبي يخبرني بأنه ذلك الشخص الغريب الذي صادفته في المقبرة وعند تعطل سيارتي وكان ظني في محله فقد أخبرني أصدقائي بأن شخصًا غريب الشكل والثياب طرق عليهم الباب وعندما فتحوا له سألت عني بالاسم فأخبروه أنني في الطريق وطلبوا منه الدخول لانتظاري لكنه رفض دعوتهم ورحل وهو يقول:

«أنا أصلاً بشوفه الليلة..»

كان أصدقائي يخبرونني بذلك وهم يضحكون عليه ويستهزئون  
بشكله ولبسه ويسألونني قائلين:

«من وين تعرف هالأشكال؟!»

وكنت أبتسم مجاملة لهم وأنا في قلبي خوف من هذا الرجل وظهوره  
المفاجئ في حياتي وسؤاله عني بهذا الشكل الغريب وهو يعلم أنني كنت  
بجانب سيارتي المعطلة.

في نهاية الليلة وكالعادة توجهت للمنزل وعدت لغرفتي واستلقيت  
على فراشي وقبل أن أغفو سمعت صوتًا قريبًا مني. كان الصوت أشبه  
بصوت شيء يتحرك على الأرض ومع أن المكان كان مظلمًا لكنني  
أحسست أن هناك من يراقبني أو يجلس أمامي.

أغلقت عيني في محاولة مني لتجاهل ذلك الإحساس لكن بعدها  
بقليل بدأت أشم رائحةً مثل الدخان في الغرفة فتجاهلت الرائحة ولم  
أفتح عيني لكن الرائحة ازدادت في القوة ففتحت عيني لأجد الكتاب  
الثاني يحترق أمامي على الطاولة فقممت مسرعًا أحاول إخماده لكنني لم  
أستطع اللحاق به ولم يتبق منه شيء سوى بعض الرماد وقصاصات  
الورق المحترقة.

استيقظت في اليوم التالي وأنا أفكر في الأحداث التي حدثت منذ  
أن قرأت الكتاب الأول فقررت سؤال بعض المشايخ لعلي أجد حلاً أو  
على أقل تقدير تفسيرًا لما يحدث لي عندهم، فبدأت بإمام الجامع القريب

من بيتنا فلم أجد عنده الحل أو الجواب الشافي واكتفى بتذكيري ببعض الأذكار فقررت تجربة مسجد آخر ولم أجد شيئاً حاسماً لمشكلتي أيضاً.

استمررت بالبحث في أغلب المساجد التي أعرفها ودب اليأس في صدري وعدت ذلك اليوم للمنزل مرهقاً أبحث عن السرير لأنام عليه وأنسى عناء ذلك اليوم لكنني لم أنم تلك الليلة لحظة واحدة.

فبمجرد أن وضعت رأسي على الوسادة أحسست بيد قوية تحكم إغلاقها على عنقي وتمنع الأنفاس عني.

بدأت أنفاسي بالتناقص وبدأت عياني تغرقان بالدموع وكنت أسمع طقطقة فقرات عنقي الذي كاد ينكسر من القوة التي أحكمت عليه وأيقنت وقتها أنني هالك لا محالة.

وفي لحظة اختفى الضغط عن عنقي فجأة فنهضت من فراشي أبحث عن الهواء كالغريق الذي خرج للتو من الماء وكنت أبحث بعيني الدامعتين حولي عن مصدر هذا الاختناق لكنني لم أر شيئاً.

بعد أن هدأت والتقطت أنفاسي حاولت النوم مرة أخرى لكن الضغط عاد على عنقي وبشكل أقوى من السابق وظللت في هذا الصراع فترة تجاوزت في مدتها الهجمة الأولى وكنت أرفس الهواء بقدمي عدة مرات طالباً للنفس حتى ظننت أن هذا الشيء لا يريدني أن أعيش وعازم على قتلي.

تكررت الهجمات طيلة الليل وخاصة عندما أحاول أن أنام وقبل

الفجر بدقائق حدثت الهجمة الأخيرة لكن هذه المرة وخلال عملية الخنق وقبل ترك عنقي بثوانٍ سمعت صوتًا يهمس في أذني ويقول:  
«لا تذهب للمساجد فأنت لست بعباد»

وانتهت بذلك الهجمة الأخيرة ونمت مباشرة من شدة الإرهاق والتعب.

استيقظت قبل المغرب بقليل وكان على عنقي وأكتافي آثار الهجمات في الليلة السابقة وجلست على طرف السرير حزينًا على حالي أفكر في صمت. بعد مدة من التفكير توجهت للحمام واغتسلت ثم خرجت من المنزل وذهبت لأجلس أمام البحر أفكر حتى أصبحت الساعة الحادية عشرة ليلاً تقريبًا.

لم أكن أريد العودة للمنزل لأن ما حدث معي البارحة لم يكن بالشيء اليسير ولا تزال آثاره النفسية والجسدية يانعة في ذاكرتي ومرسومة على جسدي فقررت في لحظة يأسٍ أن أذهب لمنزل قريبي العجوز الذي توفي. وصلت لمنزله عند منتصف الليل تقريبًا وترددت في طرق الباب في تلك الساعة المتأخرة لكن خوفي من العودة لغرفتي دفعني لطرق الباب حتى فتح لي ابنه وعندما قابلته افتعلت قصة لأدخل غرفة أبيه وقلت له إن أباه كان قد استعار مني بعض الكتب وأريد استعادتها فسمح لي بالدخول على مضض.

توجهت لغرفة قريبي العجوز وبدأت أبحث فيها كالمجنون، بحثت

في كل مكان وفي كل زاوية ولم أكن أعرف عن ماذا أبحث لكن لم يكن بيدي شيء آخر أفعله فواصلت البحث حتى وقعت عيني على صندوق تحت كومة من الملابس فسحبته لمتتصف الغرفة ورأيت أنه لم يكن مقفلاً ففتحته. وجدت فيه مجموعة من الكتب وبعض الأوراق والرسومات الغريبة وكانت الكتب الموجودة داخل الصندوق كلها على نفس هيئة الكتب التي أعطاني إياها قريبي العجوز.

كنت أريد أن آخذ منها لكني لم أكن أعرف أي منها سينفعني وأي منها سيضرني فقررت الرحيل دون أخذ شيء منها. وقبل خروجي من منزل ابن الرجل العجوز قال لي ابنه:

لماذا لا تحصل على غيرها من المكان نفسه الذي اشتراها أبي منه؟

قلت له: أتمنى معرفة ذلك المكان.

فرد باستغراب وقال:

كنت أظنك تعرف مصدر هذه الكتب.

فقلت له بتوتر:

أخبرني بسرعة أرجوك من أين لأبيك بهذه الكتب؟

فأخذ ورقة وكتب عليها اسم بلد خليجي ثم مزق الورقة..

فقلت له: لماذا فعلت ذلك؟

فقال: أنا لست أحق كي أدخل عالمكم.

فقلت له: أي عالم؟

.. فتركني ورحل وقبل رحيله قال:

تثبت من إغلاق الباب عند خروجك..

خرجت من منزله وتوجهت للمطار مباشرة وحجزت أول طائرة متجهة لتلك البلد التي كتبها ابن الرجل العجوز في تلك الورقة قبل تمزيقها أمامي. عدت للمنزل وأبلغت أهلي بأني سأسافر لفترة قصيرة وبالرغم من محاولات أمي لمنعي من السفر إلا أنني لم أستجب لها ولتوسلاتها ولم أurd عليها لكنها استطاعت في النهاية إجباري على قطع وعد لها بأني لن أتأخر وسأعود بسرعة.

ذهبت لغرفتي وأخذت معي الكتاب الأول وبعض الملابس البسيطة وخرجت فوراً باتجاه المطار.

لم يعلم أبي بخروجي لأنه كان نائماً وكذلك أخي ولولا أن أمي كانت مستيقظة بالمصادفة لما قلت لها فلم أكن أنوي إخبار أحد برحيلي لأنني كنت عاقد العزم على الذهاب والعودة بسرعة في فترة لا تتجاوز الثلاثة الأيام. وصلت لمطار العاصمة بعد أقل من ساعتين في الجو، نزلت في المطار وأنهيت كل الإجراءات الأمنية وبعد دقائق من خروجي من باب المطار أدركت أنني لا أملك عنواناً أو دليلاً أو أي شيء يقودني لمصدر الكتاب فلم أكن أملك سوى الكتاب الأول فقط فتوجهت لأقرب فندق وبت فيه حتى الصباح.

لم أنم كثيراً وخرجت أتجول في تلك المدينة والكتاب معي ولا فكرة لدي عن الخطوة التالية التي يجب أن أتخذها.

بعد مدة من التجوال خطرت ببالي فكرة وهي التوجه لأي مكتبة لعلها تعرف دار النشر التي نشرت الكتاب أو أن يكون لديها فكرة عن المؤلف الذي قام بتأليفه.

وفعلاً بحثت عن أكبر مكتبة هناك وتوجهت إليها وقدمت الكتاب لأحد المسؤولين في المكتبة الذي نظر بدوره للكتاب وتصفحه قليلاً ثم نظر إليّ وقال:

«من أين لك بهذا الكتاب؟»

فحكيت له معظم قصتي..

سكت مسؤول المكتبة قليلاً وتغيرت ملامح وجهه ثم خرج عن سكوته وقال:

«لن تجد لهذا الكتاب مؤلفاً أو ناشراً.. لكن يمكنني أن أدلك على من قد يساعدك في مسعاك»

فأعطاني وصفاً لمكتبة بعيدة عن العاصمة في مدينة أخرى يمكن أن أجد فيها ضالتي فقممت باستئجار سيارة كي أذهب إلى هناك لكنني كنت أسأل طيلة الطريق لجهلي بالمنطقة. غطت الشمس في الأفق وتغير لون السماء للاحمرار وبدأ الليل بسط عباءته فلقد أضعت الكثير من الوقت بسبب كثرة سؤالني المستمر خلال الطريق ولم أكن قد وصلت بعد، لكنني في النهاية وبعد عناء انتهى بي المطاف في تلك المدينة الصغيرة وفيها وجدت من دلني على تلك المكتبة، وبعد دخولي إليها وجدت على رفوفها

كتبًا مشابهة للكتب التي وجدتها في صندوق قريبي العجوز لكن صاحب المكتبة كان عجوزًا ضيق الخلق ورفض الحديث معي بخصوص الكتاب الذي كان معي واكتفى بإرشادي لمنزل شخص قال إنه قد يفيدني بهذا الخصوص، وبالرغم من التعب والإرهاق قررت إكمال المشوار وعدم التوقف، فسألت أحد المارة عن الطريق فأرشدني وقال:

«الطريق الذي يجب أن تسلكه جبليٌّ ووعرٌ وخطرٌ في مثل هذا الوقت من الليل».

وحذرنى كذلك من شيء لم أفهمه..

قال: «خلال الطريق ستجد أناسًا قامتهم طويلة أو قامتهم قصيرة وسيلوحون لك للوقوف إياك أن تقف لهم.. إياك»

أكملت طريقي باتجاه المكان الذي وصفه لي صاحب المكتبة ولم أشاهد أحدًا في طريقي تلك الليلة.

وصلت للمكان المنشود في الفجر ولم أجد سوى منزل بسيط على سفح جبل مغطى بالخضرة وكان المنزل بلا جيران وكان أقرب للكوخ منه إلى المنزل انتظرت في السيارة حتى أشرقت الشمس ثم نزلت وطرقت الباب ففتح لي شخص يناهز الستين من العمر ذو لحية حمراء يخالطها بعض الشيب ويلبس على رأسه عمامة ملونة ونظر إليّ بتجهم. ثم وجه نظره وكأنه يشاهد شيئًا خلفي وقال:

«ادخل أنت فقط أما هو فليبق بالخارج..»

دخل الرجل بيته وترك الباب مفتوحًا. نظرت خلفي ولم أرَ أحدًا  
فدخلت لمنزله وأنا مرتبك لأن منزله كان غريبًا. كان أغلب أثاث المنزل  
من الخشب وكان السقف عاليًا بعض الشيء ورائحة المكان غريبة، كانت  
تشبه التفاح المتعفن جميلة ومقيدة في الوقت نفسه.

جلست أمامه وقبل أن أتكلم تكلم قبلي وقال:

لن تتخلص منه بسهولة.. لماذا استدعيته؟

صمتُ وأنا أنظر له ولم أعرف ماذا أقول..

فسألني بغضب: أين مخطوطته؟!

فأعطيته الكتاب الأول فرماه في وجهي بغضبٍ وقال:

ما هذا؟! أين مخطوطته؟!

فغضبت وقلت له:

لا أريد منك شيئًا!!

وتوجهت للباب وأمسكت المقبض بقوة وفتحته ووضعت قدمي

على عتبه للخروج فقال الرجل وهو يضحك بهدوء:

يا الله.. أنت لا تعرف شيئًا عن عالمنا أليس كذلك؟

فصرخت فيه وقلت:

ولا أريد أن أعرف!!

فقال لي بهدوء وهو يتصفح الكتاب الأول:

أبعد قدمك عن عتبة الباب يا فتى فلو خرجت الآن من الباب دون

معرفة اسمه سوف يفصل رأسك عن جسدك في لحظة.

فقلت له: من تقصد؟

قال: الشيطان الذي استدعيته ينتظرك بالخارج ويعرف الآن بعد منعي له من الدخول معك أنك تبحث عن طريقة للتخلص منه وهو لن يبرح مكانه حتى يقتلك.

فقلت له: ولماذا يقتلني؟

قال: لأنك أتيت للمكان الذي يمكن أن يجعلك تسيطر عليه وتخلص منه.

فقلت: أخبرني إذا عن الطريقة التي يمكنني أن أتخلص بها منه !

قال: لا أستطيع دون المخطوطة التي استخدمتها لاستدعائه ومهما حاولت فلن تستطيع الخروج من هنا دون معرفة الطريقة الرادعة لذلك الشيطان لأنه سيبقى في الخارج ينتظرك دون أن ينعس أو يغلبه التعب.. صيفاً وشتاءً.. حتى لو استغرق الأمر منه أن ينتظرك مائة عام فلن يبارح مكانه حتى يقتلك.

بلعت ريقى وأنا أنظر للخارج من خلال الباب المفتوح وبدأت بالتراجع للوراء مبتعداً عن الباب الذي كنت أبعد عنه خطوة واحدة فقط وقلت للرجل وأنا أحرق للخارج بصوت خافت يعتريه الخوف:

وما العمل الآن..؟

قال لي: تعال هنا يا فتى واجلس بجانبى.

جلست مع الرجل لعدة ساعات أحكي له حكايتي وكيف انتهى بي المطاف لعتبة بابه.. فسكت قليلاً ثم قال:

ليس أمامك إلا حل واحد..

فقلت له: ما هو؟

فقام من مكانه وأشار بيده نحوِي للحاق به فذهبت خلفه لغرفة كبيرة كلها كتب ومجلدات ضخمة كانت أشبه بالمكتبة العامة وكانت رفوفها مرتفعة وبعضها يستلزم سلماً قصيراً للوصول إليه فقال لي وأنا أحدق بتلك المكتبة الضخمة بعم مفتوح وأعين متسعة:

هل تحب القراءة..؟

فقلت له وفي ما زال مفتوحاً وعيناي تحدقان بتلك الرفوف العالية: أحبها لكن ليس للدرجة التي تحبها أنت.. فضحك الرجل وقال:

ابحث عنه بين هذه الكتب وستجده وتجد اسمه وعندها ستعرف كيف تتخلص منه.

أغلقت فمي ووجهت نظري إليه وقلت له:

لكن.. من أين أبدأ؟

قال وهو يسحب كرسيًا ويضعه خلفي:

لا يهم من أي كتاب تبدأ فلن يشكل ذلك فرقاً لأننا لا نعرف عنه شيئاً فأنت كما يقال تبحث عن إبرة في كومة قش.

جلست على الكرسي أحدق بتلك المكتبة الضخمة وخلال تحديقي بها وضع الرجل يديه على أكتافي وقال:

لا تضيع الوقت فالأمر قد يستغرق زمنًا طويلًا..

فابتسمت وقلت له:

لقد وعدت أُمِّي بأنِّي لن أتأخر ولا أنوي ذلك..

فرجع كفيه عن أكتافي وهم بالخروج من المكتبة وقال:

فلتبدأ إذا!

بدأت بالقراءة وكنت أظن أن الأمر سيستغرق ساعات أو على أكثر تقدير بضعة أيام لكن الأمر استغرق ٣ سنوات كاملة لم ينقص منها إلا بضعة أسابيع وفي كل مرة كنت أحاول الخروج فيها عندما أصاب بحالة من اليأس كي أطمئن أهلي وأمي بالذات كان يحذرني الرجل من الخروج ومما قد يفعله بي ذلك الشيء الواقف في الخارج إذا خطوت خطوة واحدة خارج الباب.

عشت بين تلك الكتب اللعينة التي تحدثت عن كل شيء يخص العالم الآخر. أصبحت ملماً بالكثير من علومهم لكن لم أعرف شيئاً عن شيطاني الذي يقف عند الباب.

نمت بيني وبين الرجل علاقة صداقة على مر تلك السنوات وبدأ يشفق على حالي وكان دائماً يردد كلمة لن أنساها ما حييت كان يقول:

«اصبر على ذنبك..»

لم أكن أعرف معناها.. لكن كنت أحب سماعها منه وأرتاح عندما يقولها. خلال تلك السنوات الثلاث قرأت أكثر من ثلثي المكتبة التي

كانت عبارة عن مجموعة من الكتب والمدونات والأوراق المنفردة بالإضافة إلى بعض الرموز الغريبة التي كانت تحمل معاني مجهولة لم أفهم معناها إلا بشرح من ذلك الرجل. وفي يوم لا أنساه كان المطر يهطل فيه بغزارة على سفوح الجبل الأخضر قرأت هذا السطر:

«تسلط من سواد ضاحك الثغر «دجن»

ينهض من تراب وسيده يبكي في عدن»

تذكرت كلمة «دجن» التي كانت مكتوبة في الكتاب الأسود بخط يدٍ مختلفة وبدأت بالبكاء بلا شعور حاملاً الكتاب للرجل لأضعه بين يديه مشيراً لذلك الاسم اللعين بإصبعي وأنا أبكي كالطفل وكأني مسجون استلمم للتو صك براءته.

نظر لي الرجل والكتاب مفتوح أمامه وقال:

«هل هذا هو شيطانك يا فتى؟»

فأشرت برأسي ب «نعم» لأن صوتي سرق مني من شدة البكاء.

أجلسني الرجل بجانبه وحكى لي قصة (دجن) القرين المتمرد بالتفصيل. بعد ما فرغ الرجل من رواية قصة (دجن) قال لي إن الكتاب الذي قرأته لم يكن عن القرين بل كان خدعة لاستحضار (دجن) وهذه حيلة يستخدمها بعض السحرة والمشعوذين لإطلاق شياطينهم وتمكينهم من الوصول لعامة الناس لإيذائهم.

فقلت له وأنا أبتسم:

أعرف هذه المعلومة فقد قرأت عن هذا الموضوع في أحد كتبك منذ عدة أشهر.

وقف الرجل وأغلق الكتاب وقال لي:

هل أنت جاهز للرحيل؟

فقلت له: منذ أول يوم دخلت فيه منزلك..

وقبل أن أخرج قال لي الرجل ردد اسم (دجن) كي تحبسه في مكانه إلى الأبد ويجب أن تنطقها قبل أن تخرج لأنه قد يقتلك قبل أن تنطقها بشوان.

فخرجت وأنا أردد: «دجن» .. «دجن» .. «دجن» .. وتوقفت عن ترديدها عندما ابتعدت عن البيت أمتارًا قليلةً ولم يحدث شيء.

فأدرت نظري نحو باب المنزل لأجد الرجل واقفًا عند بابه مبتسمًا. عدت للرجل وودعته وشكرته بحرارة على حلمه وصبره معي تلك السنوات وعلى مساعدته لي في التخلص من ذلك الشيطان الذي عكر صفو حياتي وتوجهت مسرعًا باتجاه السيارة التي ظلت مركونةً لثلاث سنوات وكل ما يدور في بالي هو:

«هل ستعمل؟»

ركبت السيارة وقبل أن أدير المحرك قال لي الرجل بصوت عالٍ من أمام شرفة منزله:

«عندما تعود في المرة القادمة أحضر لي بعض التين من بلدك!»

فضحكت وقلت له بصوت أعلى:

لن أعود أبدًا أيها الرجل الطيب!

فقال ضاحكًا: ستعود.. صدقني ستعود!

و قد كان معه حق..

## قصة (دجن) كما رواها لي الرجل

عندما رأيت اسم (دجن) في ذلك الكتاب وأخبرت الرجل بأنه الشيطان الذي يطاردني أخبرني هو بدوره عن قصة الشيطان (دجن) القرين المتمرد. قال لي إن (دجن) كان قريناً للساحر (نجد) فتذكرت أنني قرأت في أحد كتبه أن اسم القرين يكون عكس الاسم الأول لصاحبه نطقاً وليس بالكتابة ولو غير صاحب الاسم اسمه سيقى اسم قرينه عكس اسمه الذي ولد به.

وهذا الساحر كان يعيش في عدن قبل مئات السنين وكان دائماً يعبث بالناس بتجريب السحر والطلاسم عليهم وقد تأذى منه الكثير ولم يكن هناك أحد يردعه عن أفعاله. وفي يوم حاول فيه إيذاء أحد المارة في السوق وجد نفسه مشلولاً لا يستطيع التحرك وأحس معها بألم شديد في صدره سقط على إثرها أرضاً وهو يصارع الألم وعدم القدرة على التحرك. وعندما كان الساحر (نجد) في هذه الحالة اقترب منه الرجل الذي كان يريد إيذائه وقال له:

«اخترت الشخص الخطأ لتؤذيه هذه المرة يا (نجد)»

ثم قام الرجل بقراءة بعض الطلاسم التي حررت قرين الساحر (نجد) وأمر الرجل القرين بتعذيب (نجد) حتى يموت ثم يأتي إليه. وفعلاً قام (دجن) بتعذيب الساحر بشكل وحشي حتى فارق الحياة. ذهب (دجن) للرجل كما أمره بعد ما انتهى من قتل وتعذيب صاحبه (نجد)، واتضح أن الرجل كان ساحراً قوياً ومعروفاً بين السحرة الكبار وكان يفوق بقوته (نجد) بمراحل فأخبر الساحر (دجن) بأنه حر ليفعل ما يشاء بشرط ألا يقتل أحداً من الإنس إلا من يتعامل بالتحضير والشعوذة وقال له أيضاً:

«سوف أكتب لك كتاباً.. كل من يقرؤه يحق لك قتله بعد ما تتسلى به لفترة لكن احذر أن يعرف أحد اسمك فلو نطق به ستحبس في مكانك حتى يحضرك غيره»

بعدها افترق الاثنان واستمر كتاب (دجن) يلف من الغرب إلى الشرق يقتل كل من يقرؤه حتى وقع في يد امرأة من أهل الحجاز كانت تريد أن تعرف عن تحضير القرين وقرأت الكتاب فخرج لها (دجن) ليقتلها لكنه منذ أن رأى شعرها الأسود وقامتها القصيرة وهي من الصفات الفاتنة للشياطين وقع في حبها ولم يؤذها وظل يزورها كل ليلة متشكلاً بصورة بشر كي تقبل وجوده حولها.

وبعدما فرغ (دجن) من رواية إحدى قصصه ذات ليلة فتح (دجن) قلبه لها وظل يتحدث عن ماضيه مع الساحر (نجد) والساحر الذي

حرره وعن الذين حضروه قبلها وقتله لهم جميعًا وأخبرها كذلك بأن  
نطق اسمه هو الطريقة الوحيدة لإيقافه وتجميده.

فسأته: وما اسمك؟

فقال ضاحكًا: وماذا تريدني باسمي؟

قالت: بما أن حبي لك عظيم ولن أقدر على نطقه كي لا أفارقك أريد

سماعه

فقال وهو مخمور بحبها: (دجن).. اسمي (دجن)

فوضعت ظهر يدها على خده وقالت:

«وداعًا (دجن)..»

وينطق اسمه حبسته مرة أخرى، وبسبب محاولاتها المتكررة والفاشلة  
في التخلص من الكتاب بحرقه وتمزيقه قررت كتابة اسمه في صفحة  
تحضيره بخط يدها كي يعرف الناس سر التخلص منه.

هنا قاطعت الرجل وقلت له:

لماذا لم تستطع المرأة أن تتخلص من الكتاب بتمزيقه أو إحراقه؟

فرد علي وقال:

هل حاولت أنت فعل ذلك من قبل؟

فقلت له: لا

فقال: حتى وإن حاولت كان الكتاب سيعود كما كان.

فقلت له: لكن الكتاب احترق في غرفتي وأمام عيني.

فقال: هذا بفعل (دجن) لأنه علم بما صنعه المرأة ولا يريد لأحد أن يجبسه. كان يريد أن يبقى حرًا إلى الأبد وأحرق الكتاب ليمنع أحدًا من تجميده مرة أخرى وعندما قمت أنت بتحضيره كانت تلك فرصته لفعل ذلك وتحرير نفسه إلى الأبد.

بعد ما انتهى الرجل من سرد حكاية (دجن) سألته:

كيف عرفت كل هذا؟..

سكت قليلاً ثم قال:

نحن السحرة نتعامل مع الكثير من الجن والشياطين وأخبارهم تصلنا دائماً منهم بسرعة البرق فنقوم نحن بتدوينها في كتب ومدونات وهذا جزء من اتفاقنا معهم لكن أخبار (دجن) انقطعت منذ فترة ولم يسمع عنه أحد حتى قمت أنت بتحضيره وإطلاق سراحه.

فقلت له: لماذا إذا قلت لي إنك لا تعرف اسم شيطاني؟

فقال وهو يتسهم: هناك المئات بل الآلاف من الشياطين الذين يذكرون في المدونات يوماً هل تظن أنك الوحيد أو أن (دجن) هو الوحيد الذي تم تناقل أخباره؟ ثم إن الأخبار كانت عنه وليست عنك.

سكت قليلاً ثم سألته بعدها سؤالاً أخيراً وقلت:

هل سيبقى (دجن) محبوساً إلى الأبد إذا نطقت اسمه؟

قال: نعم.. فكتاب تحضيره أحرق والشخص الوحيد الذي يعرف  
طريقة تحضيره وتجميده وما زال على قيد الحياة هو أنت وأنا فقط وبموتك  
يموت (دجن) لأنه لن يجد أحدًا ليحرره.

فابتسمت وودعت الرجل وخرجت لأحبس (دجن) إلى الأبد..



## رحلة العودة لبلادي

لن أدخل في تفاصيل ما حدث معي في المطار وصعوبة العودة لبلادي حيث لم يكن معي مال وكان هناك بلاغ مسجل باسمي للبحث عني في تلك الدولة بسبب البلاغ المقدم من أهلي كشخص مفقود وتسليمي أمنياً إلى دولتي والتحقيق معي لفترة فهذه أمور يطول شرحها لذلك سأبدأ من لحظة وصولي للمنزل ودخولي الباب بعد ٣ سنوات من الغياب.

كان استقبال أهلي خليطاً من الفرح لعودتي والحزن والغضب من رحيلي، كان أخي وقتها قد بلغ العشرين من عمره وأنا قد ناهزت الثلاث والعشرين وأمي قد بدا عليها التعب والمرض. أمي كانت تبكي وهي تقبلني وأبي كان يدعو لي وعلي في الوقت نفسه وأخي يبتسم ودموعه في عينيه وأنا بينهم أبتسم مرتاحاً لأن كل شيء قد انتهى وفي تلك اللحظة قررت أن أنسى الماضي وأستعيد زمام حياتي.

فصلت من الجامعة لكن بلدي بلد الواسطات فعدت إلى مقعد الدراسة خلال أيام وبدأت أدرس مثل أي طالب آخر وعادت حياتي لطبيعتها حتى دخل علي أخي في غرفتي في أحد الأيام وكان الوقت بين

المغرب والعشاء وأخذ بيكي بخوف ويقول:

«ساعدني يا أخي لم أعد أستطيع التحمل!»

فقلت له: ما بك؟!!

فقال: بعد رحيلك واختفائك المفاجئ بحثنا عنك في كل مكان ولم نجد لك أثرًا وسألنا عنك جميع أقربائنا ولم نخبرنا أحد بشيء يد لنا عليك إلا قريبننا ابن الرجل العجوز (كان يقصد ابن الرجل الذي أعطاني الكتابين) فقد قال لي إنك أتيت إلى منزله في الليلة التي اختفيت فيها وبحثت في غرفة أبيه وقرأت بعض كتبه وخرجت منها مسرعًا.. فطلبت منه أن يعطيني تلك الكتب.

وقبل أن يكمل جملته صرخت فيه وقلت:

هل أخذت تلك الكتب؟!!

رد وهو بيكي:

«نعم وقرأت كتابًا واحدًا فقط ومن ذلك الوقت لا أستطيع النوم

أرجوك ساعدني يا أخي!»

قلت له: أحضر جميع الكتب بما فيها الكتاب الذي قرأته.

أحضر أخي جميع الكتب وبسبب خبرتي وعلمي الواسع الذي

اكتسبته من مكتبة الرجل فرزت الكتب إلى ثلاث فئات:

كتب تحضير حقيقية..

كتب تحضير وهمية..

كتب سحر وربط..

وطلبت من أخي أن يشير إلى الكتاب الذي قرأه وقلبي يتمنى أن يكون من كتب التحضير الوهمية، لكن للأسف فقد خاب ظني فالكتاب الذي اختاره كان كتاب تحضير حقيقياً مسؤولاً عن تحضير شيطان اسمه (يعرم) وهو شيطانٌ علويٌّ قويٌّ جدًّا يعذب من يحضره بالكوابيس والعبث في جسده حتى يمل منه ويقتله. (يعرم) هذا ليس بشيطانٍ سهلٍ فقد قرأت عنه من قبل أنه يملك قوة غير اعتيادية وينحدر من قبيلة «الأباطحة» وابنٌ لأحد ساداتها.

طلبت من أخي الرحيل وطمأنته أن كل شيء سيكون على ما يرام ثم قمت بتصفح الكتب المتبقية وبواسطة خبرتي كنت أقرأ الطلاسم بذهني لا بشفتي لأن بعضها لا يكون له تأثير إذا لم تنطقه بشكلٍ مسموع، وخلال تقليبي للكتب وجدت بينها كتاباً لتحضير القرين وقد كان حقيقياً ولم يكن فخاً كما كان مع كتاب (دجن)، وحسب ما قرأت فيه فإن القرين المحرر يمكن السيطرة عليه وتسخيره ببعض الطلاسم التي حفظتها من المكتبة، والقرين المحرر يكون أقوى من الكثير من الشياطين بما فيها (يعرم) نفسه لذلك قررت تحضيره ولو كنت أعرف ما سيحدث بعدها لما حضرته لكن نظراً لصغر سني في تلك الفترة وضعف وازعي الديني وجهلي بالحلال والحرام فيما يخص هذا العالم وما مررت به في السنوات

الثلاث الماضية كان لذلك كله تأثير على قراراتي لذلك لم أفكر في وقتها عن الأضرار التي قد تنجم عن العبث في مثل هذا العالم.

نفذت كل ما ذكر في صفحة التحضير بالحرف وظهر قريني أمامي متشكلاً بشكلي لكنه كان مختلفاً قليلاً وكان دون إحدى عينيه.

قال لي:

«شكرًا يا أخي سأخلص من (يعرم) لأجلك الآن»

ثم اختفى..

وبعد قليل سمعت صوت صراخ قوي يأتي من غرفة أخي فذهبت له مسرعًا ودخلت عليه في غرفته لأجده على سريريه غارقًا في بركة من الدماء وهو يبكي وسطها ولم يكن يعاني من أي جروح فقلت له وأنا أتفحص جسمه بسرعة:

ماذا حدث؟!!

قال: لا أعرف أنت من دخل علي وطلبت مني أن أغمض عيني ففعلت ثم أحسست بهذه الدماء تغطي جسدي دفعة واحدة. فعانقت أخي مدركًا أن (يعرم) قد مات على يد قريني وهذه الدماء التي تغطي أخي ما هي إلا دماء ابن سيد «الأباطحة» (يعرم). انتهت مشكلة أخي مع (يعرم) وعادت حياته طبيعية وفي تلك الفترة عادت حياتي أنا كذلك لطبيعتها مع أصدقائي وأهلي وزملائي في الدراسة وبعد سنة تقريبًا من

هذه الحادثة زارني قريني في المنام وقال لي:

«دينك اليوم يا أخي ينقضي..»

استيقظت وأنا أفكر في تلك الجملة لكنني لم أستطع فهم معناها وفي اليوم التالي وبعد ذهابي للنوم بوضع ساعات استيقظت مفزوعاً بصرخة كانت قريبة جداً من أذني وبعد ما استيقظت سمعت صوتاً يشبه صوتي قادمًا من داخل غرفتي لكنني لم أستطع أن أرى وجه المتكلم وكان الصوت يردد اسم مكان معروف في مدينتنا.

بعد انقطاع الصوت قررت التوجه لتلك المنطقة وكانت الساعة قرابة الواحدة صباحًا فركبت سيارتي وتوجهت للمنطقة وبدأت أتجول فيها وبين بيوتها ومحلاتها حتى رأيت شخصًا يشير لي بيده لأقف. في السابق لم أكن لأقف لمثل هذا الشخص الغريب وفي مثل هذه الساعة في هذا المكان المجهول نسبيًا بالنسبة لي لكن يبدو أن قلبي قد مات خلال السنوات الأربع الماضية.

توقفت وفتحت النافذة وسألت عن ما يريد الرجل مني فعاتبني لأنني تأخرت وطلب مني الدخول لمنزله. نزلت من السيارة وأنا محتار بين الدخول والانصراف فقررت الدخول. دخلت إلى مكان ضيق أشبه بالمنزل الصغير وشممت رائحة تشبه الرائحة التي شممتها في بيت الرجل الذي مكثت عنده ثلاث سنوات. دخلت وسمعت صوتًا ينادي ويقول: «من هنا»

توجهت باتجاه الصوت ووجدت شخصًا جالسًا على الأرض يشبه في لبسه وهيبته صاحبي الذي مكثت عنده في الجبل الأخضر وكان الشخص الذي فتح لي الباب يقف خلفه وفي يده كأسٌ لم أستطع رؤية محتواه لأنه لم يكن شفافًا. طلب مني الرجل الواقف الجلوس أمام الرجل الآخر وقال:

هل أنت جاهز؟

فقلت له: جاهز لماذا بالضبط؟

قال: للمرحلة الأخيرة من تنصيبك؟

قلت: تنصيب ماذا؟.. عن ماذا تتحدث؟

فغضب الرجل الجالس وصرخ بي قائلاً:

هل أتيت هنا لتسخر مني؟

فصرخت في وجهه وقلت:

هل أنت مجنون؟!!

فوضع الرجل الذي كان واقفًا الكأس على الأرض وأنهضني بسرعة

وخرج بي للخارج وهو يقول:

ماذا بك؟ ما الذي فعله؟

فصرخت فيه وقلت: ماذا بك أنت؟!!

فرد بغضب واستغراب وقال:

تنهي جميع الشروط الصعبة وعندما تصل للمرحلة السهلة تقف؟!!

لم أفهم منه شيئاً وقلت له:

أنا سوف أرحل يبدو أنني أتيت للمكان الخطأ.

وقبل أن أخرج أمسك الرجل بذراعي وقال:

لن يسمحوا لك بالهروب منهم بهذه السهولة أنت واحد منهم الآن  
ويجب أن تتم مراسم التنصيب.

تفكّرتُ منه وخرجت وركبت سيارتي وعدت للمنزل لأجد أخي في  
حالة من الخوف وهو يقول لي إن أمي صرخت فجأة ثم سقطت على  
الأرض وأخذوها للمستشفى. ذهبت مسرعاً للمستشفى وأخبرني  
الطبيب أنها في غيبوبة وصارحني بأنه لا يعرف سبب الحالة. دخلت  
عليها مسرعاً ورأيت عليها علامات لم يرها الطبيب وكنت قد قرأت عنها  
في أحد الكتب في تلك المكتبة اللعينة وكانت كلها تشير إلى أنها تعرضت  
لمس شيطاني مرسل وليس مختاراً أي إن هناك من أرسل لها شيطاناً ليعبث  
بها فلم يخطر ببالي إلا ذلك الرجل المجنون ومساعدته فركبت سيارتي  
وترجتها لمنزله بنية الانتقام. توجهت للمنزل وكان الفجر قد اقترب.  
طرقت الباب بقوة ففتح لي رجل لم أره من قبل وقلت له:

أين الذي يسكن هنا!؟

فقال: أنا من يسكن هنا

فقلت له: أنت كاذب!

وتشاجرت معه واجتمع علينا الناس الذاهبون لصلاة الفجر ورفقوا  
بيننا فركبت سيارتي ورحلت. في طريقي للمنزل كنت أقود سيارتي  
بسرعة وفي لمح البصر ظهر قريني معي في السيارة وكان جالسًا في المقعد  
المجاور للسائق وقال بصوت مرتفع:

«دَيْنُكَ اليوم ينقضي !!»

ففزعت منه وفقدت التحكم بالمقود ووقع لي حادث شنيع نقلت على  
أثره إلى المستشفى. لم أعانٍ من أي كسور أو جروح بالرغم من أن السيارة  
قد تحطمت تمامًا، دخل علي الطبيب وكانت الساعة قرابة السادسة  
صباحًا وقال نجوت بأعجوبة وستخرج من هنا غدًا بإذن الله. زارني  
أخي في المستشفى وأوصيته أن يشغل سورة البقرة بجانب أمي وأن ينام  
معها تلك الليلة ويمسح على جبينها من ماء زمزم.

رحل أخي ونمت قليلًا حتى العصر وعندما استيقظت أحسست  
ببرودة شديدة فطلبت من الممرضة إطفاء التكييف لكن لم يتغير شيء  
طلبت منها غطاءً إضافيًا لكن لم يجد ذلك نفعًا فحاولت النهوض من  
السريр لكنني لم أستطع لأنني أحسست بشيء ثقيل على صدري، شيء كاد  
يحطم أضلعي وأخذ الثقل يزداد تدريجيًا حتى ثبتني تمامًا على السريр.

حاولت الصراخ لكن شيئًا ما كمن فمي عرفت وقتها أنه قريني الذي  
حررته وأنه عاد ليحصل ذلك الدين الذي يتحدث عنه. عندما خف  
الضغط عن فمي بعد خمس دقائق تقريبًا استطعت تحريك لساني وقلت:

«ماذا تريد؟!»..

لم يرد علي أحد فكررت العبارة وكنت أرفع صوتي في كل مرة حتى عاد الضغط على فمي مرة أخرى وسمعت همسًا بصوتي في أذني يقول:  
«أريد أن أتواصل معك أريد أن تستجيب لهم أريد أن تراني»  
لم أفهم كلامه وظل مطبقًا على صدري وبدأ يضربني ضربًا مبرحًا حتى أغمي علي. استيقظت صباحًا على صوت الطبيب وهو يقول لي:  
«ماذا فعلت بنفسك؟!»

لم أعرف قصده حتى رأيت الضمادات تغطي صدري وذراعي ولفافة ملفوفة على رأسي. نهضت ببطء من الفراش والطبيب يحاول إمساكي وأنا أتفلت منه وفي النهاية نجحت بالخروج من المستشفى وخرجت متوجهًا للمنزل. قابلت أخي وأخبرته أنني يجب أن أسافر فأمسكني وقال:

«لن تسافر مرة أخرى!!»

فقلت له: يجب أن أسافر وإلا فلن أسامح نفسي لو أصاب أمي مكروه!

فقال: وما علاقة سفرك بها؟

قلت له: لا عليك فقط انتظروني.

توجهت للباب وأخي يتذمر مني ومن الذي سيحدث لأبي بسبب غيابي للمرة الثانية فلم أرد عليه إلا بسؤال واحد عندما أمسكت مقبض الباب في طريقي للخروج من المنزل وقلت له:

«هل نحن في موسم التين؟..»



## ال ٣ سنوات التي قضيتها

### محبوساً في المكتبة

الرجل الذي قضيت معه ثلاث سنوات من عمري رغماً عني ودون اختياري كان اسمه (عمار) كما حكى لي فيما بعد. منذ أول يوم قضيته معه كنت نائراً وساخطاً على حالي خاصة عندما طال البحث عن (دجن) في كتبه. كنت حبيساً للمكان وكان هو يخرج من وقت لآخر لإحضار الطعام وكان بيته معزولاً عن المدينة وسط تلال خضراء وكنت أشعر بالملل والقلق دائماً على حال أهلي بعد رحيلي وغضبت منه كثيراً لأنه رفض التواصل معهم وطمأنتهم عليّ وعلى حالي لكنني تفهمت سبب خوفه فيما بعد.

الفترة التي قضيتها مع (عمار) لم تكن بسيطة وأثرت على شخصيتي وسلوكياتي كثيراً وفي مرحلة متأخرة أبعثتني عن ديني وخلقت مني إنساناً مختلفاً.

الدقيقة الأولى في بيت (عمار):

كانت تلك الدقيقة مليئة بالانبهار والاستغراب من شكله وشكل

بيته الذي كان بسيطاً ومكوناً من دور واحد فقط وليس به غرف كثيرة وسقفه المغطى بالأخشاب بالرغم من أن المنزل كان من الطوب.

لم أتحدث في هذه الدقيقة لكنني أدركت أنني دخلت لعالم مختلف.. عالم يختلف كلياً عن العالم الذي أتيت منه، ومنذ تلك الدقيقة ورغبة الخروج من منزله تراودني.

### الساعة الأولى في بيت (عمار):

هي الساعة التي قدم فيها لي (عمار) مفتاح خلاصي وفي اللحظة نفسها رماه في بحر عميق وقال لي اذهب وابحث عنه وأنا لم أكن أجيد السباحة. قضيت ساعتني الأولى في بيته وأنا أقرأ على عجلة كي أدرك طائرتي قبل إقلاعها.. لم أكن أعرف وقتها أن الرحلة سوف تؤجل قليلاً. عندما أعطاني (عمار) الخيار لأبدأ من أي كتاب لم أفكر في الاختيار بشكل محدد بل مددت يدي على أول كتاب رأيته وفتحته وبدأت القراءة فيه بلا هوادة أو تركيز. كنت أبحث عن شيء لا أعرفه لذلك لم أجده. قلبت الصفحات وفي معظم الوقت لم أفهم شيئاً لأن تلك الكتب كانت تتحدث مع القارئ وكأنه يعرف المقصود من الكلام والرموز لذلك ذهبت ل(عمار) بعد نصف ساعة من القراءة وقلت له:

لا أفهم شيئاً مما هو مكتوب.. ولا أظنني أستطيع الإكمال

قال: لن تفهم شيئاً في البداية لكن استمر وأعدك أنك ستفهم

أغلقت الكتاب ووضعت على المنضدة التي كانت بجانب (عمار)

وأخذت نفسًا عميقًا وقلت له:

لا أستطيع..

فقال: هل تنوي البقاء هنا للأبد؟

سكت وأنا أنظر في عينيه اللتين كانتا تحدقان بي بجدية ثم قلت له: لا

أستطيع..

نهض (عمار) من مكانه ويده اليسرى حمل الكتاب ويده اليمنى

أمسك بكتفي وهزني وقال بنبرة صارمة:

لقد استطعت قراءة كتاب تحضير ذلك الشيطان وسوف تستطيع

إيجاد الكتاب الذي يخلصك منه!

مددت يدي وأخذت الكتاب بشمالي وأنا أقول:

«ليتني لم أقرأ ذلك الكتاب..»

بعد ذلك نهضت من مكاني وعدت للمكتبة وأكملت قراءة الكتاب..

اليوم الأول مع (عمار):

بقيت أقرأ في المكتبة حتى غابت الشمس ولم أشعر بالوقت حتى دخل

عليّ (عمار) بعد غروبها تمامًا بمصباح في يده وقال: هل وجدت شيئًا؟

فقلت له: لا.. ولم أفهم شيئًا أيضًا..

فضحك وقال: توقف عن القراءة الآن وتعال لتأكل

فقلت له: لا أستطيع يجب أن أجد ما أبحث عنه

فقال لي: لا أريدك أن تقرأ وقت الغروب

فقلت له: ولماذا؟

فقال: لا تسألني الآن سوف أخبرك عن السبب يوماً ما.

نهضت من مكاني وتوجهت لغرفة المعيشة لأجد (عمار) جالساً ومعه إناء واحد وفيه خليط غريب أشبه بالهريسة وقال لي:

تفضل تناول معي طعام العشاء..

لم أرغب في البداية بتناول ذلك الطعام فقد كان الأكل الذي أحضره (عمار) غريباً لا يشبه الأكل الذي تعودت عليه وعندما سألته عن نوع الطعام ومصدره قال لي:

«كل ولا تسأل»..

ترددت في البداية لكن جوعي أرغمني على التذوق. لاحظت أن (عمار) لم يسمِّ وكان يأكل بيده اليسرى لكنني لم أعلق على ما لاحظته. بعد الانتهاء من الطعام سألتني (عمار) وقال: كيف وجدت الطعام؟

فقلت له: لقد كان جيداً..

قلت ذلك من باب الذوق لكن الطعام كان بلا طعم تقريباً ولم يكن به ملح أو أي مصدر للتذوق لكنني لم أرد أن أكون فظاً مع من فتح لي باب منزله.

عدت للقراءة بعد تناول الطعام مباشرةً بالرغم من أن (عمار) حاول إقناعي بتأجيل ذلك للغد لكنني لم أكن أريد أن أضيع الوقت فرحلتني في

المطار كانت بعد يوم. دخلت المكتبة وكانت مظلمة فبحثت عن مصدر للكهرباء كي أشعل الإضاءة لكنني لم أجد بالرغم من تذكري وجود إضاءة في غرفة المعيشة عندما كنا نتناول الطعام. عدت لغرفة المعيشة ووجدت (عمار) جالسًا يكتب في إحدى مدوناته ورفعت نظري لأبحث عن مصدر النور في الغرفة فوجدته مصباحًا يعمل على الزيت فتعجبت وسألت (عمار):

ألا تملك كهرباء في هذا المنزل؟

لم يرد (عمار) على سؤالي واستمر بالكتابة.

كررت السؤال عليه أكثر من مرة لكنه كان يكتب بتركيز وكأنه لا يعي شيئًا مما حوله. عدت للمكتبة وبدأت أبحث عن مصدر الضوء فيها وخلال بحثي دخل علي (عمار) وفي يده مصباح غير المعلق في غرفة المعيشة وقال:

خذ.. استخدم هذا المصباح

فقلت له: ما الذي حدث قبل قليل.. لماذا لم ترد علي؟

تجاهل (عمار) سؤالي ودخل المكتبة وهو يحمل المصباح في يده ويقول:  
تعال سأريك شيئًا..

لحقت به ونسيت أمر سؤالي. جلس (عمار) على الطاولة التي كانت تتوسط المكتبة ووضع المصباح في المنتصف ثم أحضر كتابين ووضعهما بجانب بعضهما بعضًا وقال: افتح الكتابين..

جلست بجانب (عمار) وفتحت الكتاب الأول فوجدته شبيهًا

بالكتب التي قرأتها ذلك اليوم ثم فتحت الكتاب الثاني فوجدته مختلفاً  
فقد كان مكتوباً بخط اليد فقلت له:

ما الذي تريد قوله لي؟

قال: هناك نوعان من الكتب.. الكتب المطبوعة وهي كتب جيدة  
لكنها ليست نادرة ويوجد منها عدة نسخ لكن الكتب المكتوبة بخط اليد  
لا يوجد منها إلا نسخة واحدة أو على أكثر تقدير نسختان في هذا العالم  
وأنا أملك منها خمسة.

فقلت له: ولماذا تخبرني ذلك؟

فقال: لا تقرأ الكتب المكتوبة بخط اليد

فقلت: لماذا؟

فقال: لست مستعداً لها بعد.

فقلت: لكن ربما خلاصي موجود بين طياتها.

فقال: لا تقلق أنا أدرى بمحتواها وهي لا تحتوي على شيء يفيدك.

لم أجادل (عمار) كثيراً لأنني لم أكن حريصاً على قراءة المزيد من كتبه  
بل في الواقع كنت سعيداً لأن الكتب التي يتوجب عليّ قراءتها الآن قد  
نقصت خمسة كتب.

بعد ساعات من القراءة تحت ضوء المصباح دخل عليّ (عمار) قبل

الفجر وقال:

يجب أن تنام الآن

فقلت له: لا أستطيع.. يجب أن أجد ضالتي

فقال: هذا ليس طلباً بل أمر

فقلت: أنا متعب على أي حال.. أين سأنام؟

عاد (عمار) لغرفة المعيشة ثم عاد ومعه لحاف متين وأعطاني إياه وقال:  
سوف تنام بالمكتبة على الأرض.

فقلت له: ألا تملك وسادة؟

فقال: لا تحتاج لها

ثم خرج وأغلق عليّ الباب..

الأسبوع الأول مع (عمار):

الأيام الأولى في منزل (عمار) كانت الأصعب فقد كنت مثل السجين الذي يريد أن يخرج من سجنه وينهي معاناته وكنت في حالة نفسية غير مستقرة. كنت شديد العصبية خاصة بعد فوات رحلتي التي كانت ستأخذني لبلادي. كنت أقرأ بسرعة وعلى عجلة بين الكتب كي أصل لهدفي المجهول بأسرع وقت ممكن وتجاهلت نصائح (عمار) بالتروي والتدبر في الكلمات المكتوبة وعدم المرور عليها مرور الكرام. لم أستمع لكلامه واستمررت أقرأ بطريقتي لكن دون جدوى. فلم أكن أفهم ما أقرأ ولم أكن أعرف عن ماذا أبحث فقد كنت في دوامة ناهيك عن بعض الكلام المقرز المكتوب في تلك الكتب من تمجيد للشياطين. لقد كانت هذه الكتب أشبه بتلك الهريسة المقرفة التي تناولتها مع (عمار) في أول يوم والتي اتضح لي فيما بعد أنها طعامه اليومي ولا يأكل غيرها ولم يكن أمامي خيار غير أكلها معه.

لقد فرض عليّ نظام حياة جديد ومختلف عن نظام حياتي. كان (عمار)

يقفل الباب علي في المكتبة من المغرب وحتى شروق الشمس ولا يترك معي إلا المصباح وقليلًا من الزيت يكفي لساعتين من القراءة ولم أكن أعرف السبب لفعله ذلك.. قلت في نفسي وقتها «لعله لا يريد تحمل نفقات الزيت المكلفة».

واجهت (عمار) في اليوم الرابع تقريبًا وسألته عن سبب إغلاقه باب المكتبة علي في المساء فقال:

ولماذا تريد الخروج؟

فقلت له: لا أريد الخروج لكني لا أريد الإحساس بأني سجين فيها.

فقال: أنت بالفعل سجين فيها وعندما تدرك ذلك سترتاح

صرخت في وجهه وقلت: الموت أهون مما أنا فيه

فقال: الموت ينتظرك في الخارج وأنا لم أمنعك من معانقته

سكت وأنزلت بصري إلى الأرض وعدت للمكتبة لإكمال القراءة..

الشهر الأول مع (عمار):

قد تكون هذه الفترة أصعب فترة قضيتها مع (عمار) فقد كنت فيها

مستاءً جدًا وبدأت أمل من القراءة ومن الطعام ومن كل شيء. مرضت

في هذه الفترة مرتين وكان (عمار) يسقيني شرابًا غريبًا خلال مرضي

وبالرغم من أن مرضي في المرتين كان مختلفًا إلا أنه كان يسقيني الشراب

نفسه. لم أمانع طعمه المر لأنه كان تغييرًا لطيفًا عن تلك الهريسة المقرفة. خلال ذلك الشهر بدأت التعرف أكثر على روتين (عمار) اليومي وبدأت أنتبه لغرابة نمط الحياة التي كان يعيشها فقد كان قليل الخروج من المنزل ويكتب أكثر مما يقرأ وكان يتمم أحيانًا بينه وبين نفسه بعض الكلمات التي لم أفهمها ناهيك عن التحدث مع نفسه أحيانًا. ومع ذلك لم يكن (عمار) حريصًا على إخفاء أسلوب حياته الغريب عني فقد كان يتعامل معي وكأني غير موجود أو معتاد على هذه الأمور. وبالفعل مع الوقت بدأت أعود على ما أراه.

المنزل الذي كنت فيه مكون من غرفة للمعيشة وغرفة نوم صغيرة جدًا كان (عمار) يأوي إليها في المساء بالإضافة للمكتبة التي احتلت أكبر مساحة من المنزل ولم أكتشف عدم وجود دورة للمياه إلا بعد اليوم الأول عندما احتجتها فقال لي (عمار):

أنا أقضي حاجتي في الخارج..

فقلت له: وما العمل.. أنا لا أستطيع الخروج من هنا

فضحك (عمار) بقوة فقلت له:

هل هذا وقت الضحك؟

فقال: عذرًا لكن حالتك الآن مضحكة!

فقلت له: أعطني الحل واضحك كما تشاء.

فخرج (عمار) للخارج وعاد ومعه دلو معدني وقال:

ستكون هذه دورة المياه الخاصة بك طيلة فترتك هنا.

لم أجادله ودخلت المكتبة وقضيت حاجتي ثم عدت وقلت له:

أحتاج للماء كي أغتسل.

فقال: الماء شحيح هنا والبئر الذي أحضر منه الماء ليس بالقرب.

فقلت له: أرجوك لا أستطيع البقاء دون الاغتسال.

فتعاطف معي أول مرة وأحضر لي الماء.

كانت تلك الفترة صعبة وشاقة فقد سلبت مني الكثير من وسائل الحياة التي كنت أعتبرها من المسلمات فقد كان الاستحمام مرة في الشهر وشيئاً فشيئاً أقنعت (عمار) بتوفير ماء الاستحمام لي مرة في الأسبوع لكن عندما حل الشتاء القارس وكان الماء شبه متجمد لم أستحم لأكثر من شهرين.

لم أشرب غير الماء و(عمار) كان يحتسي مشروباً ساخناً من وقت لآخر وكنت أسأله:

هل هذا شاي أم قهوة؟

وكان يجيب: هل تريد بعضه؟

وكنت أقول: أريد أن أعرف محتواه أولاً

وكان يرد وهو يأخذ رشفة أخرى: صدقني لا تريد أن تعرف

في هذه الفترة كنا في الشتاء وعلى مشارف الربيع وكنت أستمتع بالطبيعة الخلابة التي استرقت النظر إليها من وقت لآخر من خلال نافذة غرفة المعيشة فالغرف الأخرى لم يكن بها نوافذ.

سألت (عمار) يوماً عما إذا كان بمقدوري فتح النافذة لاستنشاق الهواء فقال:

لا بأس فالشيطان بالخارج لن يستطيع الدخول منها للمنزل لكن كن حريصاً ألا تطل برأسك.. (قالها وهو يضحك)

فتحت النافذة واستنشقت بكل قوتي عقب الحرية الذي افتقدته، كانت رائحة زهور الربيع الياضعة زكية ونسيم الجبل بارداً وعليلاً. أحسست بالسعادة لأول مرة منذ دخولي لهذا المنزل. لكن خلال استنشاقني لهذا العبير الزكي صدمت برائحة كريهة جداً أشبه بالبيض المتعفن المختلط برائحة الدخان فكتمت أنفاسي وأغلقت النافذة وسألني (عمار) وقال: ماذا بك؟!!

فقلت: لقد شممت رائحة كريهة جداً كالجيفة المحترقة.. هل قمت بحرق شيء بالخارج؟

ضحك (عمار) وقال: الرائحة التي وصفتها هي رائحة شيطانك.. يبدو أنه اقترب من النافذة جداً على أمل أن تخرج.

سكت وأنا أنظر للخارج من خلال النافذة وأقول في نفسي:

«سأجذك بين تلك الكتب»..

## السنة الأولى مع (عمار):

استمررت بالقراءة واستمرت نوبات غضبي بالازدياد لكن (عمار) كان صبورًا وحليماً بشكل غريب. كان يؤمن بي أكثر من إيماني بنفسي ولم أعرف السبب وراء ذلك. لكن مع مرور الأيام بدأت أعود شيئاً فشيئاً على نظام (عمار) الغذائي والحياتي. قلت الأوقات التي كنا نتحاور فيها لأنني لم أعد أسأل كما كنت في السابق فالكتب أصبحت مألوفة وبعضها بدأ يترابط مع الآخر في ذهني ولم أكن أستعين ب(عمار) إلا في الأمور المستعصية. كنت أتوقف عن القراءة في موعد الوجبة الوحيدة ذلك اليوم وهي تلك الهريسة التي كان يصر (عمار) على تناولها يوميًا بالرغم من محاولاتي المتكررة لإقناعه بالتغيير ولو لفترة بسيطة لكنه كان يرفض بشدة.

بعد عدة شهور من البحث في الكتب بدأ (عمار) يتحدث معي ويهازحني ونمت بيننا علاقة جيدة دفعته لمساعدتي في البحث من وقت لآخر، تعلمت منه أشياء كثيرة غير المكتوبة في الكتب كان رجلاً طيباً بالرغم من أنه كان ساحراً خبيثاً.

أذكر مرة أني قلت له:

ألا تدرك يا عمار أن الساحر كافر؟!

فضحك وقال: وماذا عن من يأتيه؟

فسكت ولم أفتح معه الموضوع مرة أخرى..

طلبت منه يوماً أن يحضر لي أدوات حلاقة لأن شعر رأسي وذقني وجسمي بدأ يزعجني فرفض وقال كثرة الشعر على الساحر مصدر قوة له.

فقلت له: أنا لست بساحرٍ يا (عمار) ولا أريد أن أكون ساحرًا!  
فقال: الأمر لم يعد خيارًا أنت منا وستبقى كذلك.  
قلت له: أنا هنا مجبر وبمجرد أن أنتهي من شيطاني هذا سأتحلى عن هذا العالم اللعين.

قال لي وهو يضحك:

«هذا العالم له باب واحد وهو للدخول فقط»

لم يعجبني كلامه وقاطعته أسبوعًا كاملاً، بعدها جاء ليصالحني وقال لي: لقد أرسلت رسالةً لمنام أمك ليطمئنها عليك.  
فقلت له بلهفة: كيف؟!

فوضع في يدي كتابًا وقال: اقرأ وتعلم.

فرفضت وقلت له: لن أقرأ كتابًا من كتبكم لغير حاجة وأمي مؤمنة وستصبر على بعدي حتى أعود.

كنت في أول سنة من بقائي معه أصلي ولم يكن (عمار) يرفض لكنه كان يخرج من المكان عندما كنت أفعل ذلك لكن وللأسف في السنتين الأخيرتين أهملت الصلاة بسبب ما كنت أقرؤه في تلك الكتب اللعينة.

حل شهر رمضان خلال السنة الأولى وهي المرة الأولى التي بدأت

فيها ملاحظة بعض التغيرات في الروتين اليومي. فقبل الشهر المبارك  
بأيام أحضر (عمار) كمية كبيرة من الأرز وبعض المؤن وقال:

«سوف نغير نوعية الأكل في رمضان لأجلك»

فرحت في البداية لكنني لم أكن متيقناً من صدق كلامه عندما قال إن  
التغيير كان لأجلي وما زادني يقيناً التغيرات الأخرى التي حدثت مثل  
تخزين كمية كبيرة من الماء داخل المنزل في براميل وكأنه يستعد لغارة  
جوية سوف تنزل عليه من السماء. عندما انتهى (عمار) من استعداداته  
جلست بجانبه والعرق يتصبب من جبينه بعد حمل تلك البراميل الثقيلة  
وقلت له:

ما الذي يحدث؟.. ولا تخبرني بأنك تفعل ذلك من أجلي.

(عمار): لا يمكننا الخروج خلال رمضان..

قلت له: أنا محبوس هنا طيلة السنة على أية حال فما الفرق؟

(عمار): الفرق أنني سأكون محبوساً معك ولن نحصل على الطعام

أو الماء.

فقلت له: أخبرني لماذا؟

فنهض (عمار) ولم يرد على سؤالتي..

رمضان كان شهراً قاسياً على (عمار) وكنت أحس فيه أن قواه تضعف

أو تزول ولم أنتبه إلا في السنة الثانية أنه كان يحضر طعاماً يكفيننا شهر

رمضان بأكمله كي لا يخرج وفي السنة الثالثة فهمت أن قدرته تضعف

بسبب ربط شياطينه خلال الشهر الكريم لذلك سألته مرة:

لماذا لا أخرج في رمضان فالشياطين تربط في السماء بمن فيها ذلك

الشیطان الذي ينتظرنی؟ فقال لی:

« اذهب وجرب فأنا لن أمنعك »

لم يكن إيماني قويًا في تلك الفترة لذلك لم أجرب لكنني أعرف اليوم أن قول الله حق وأن ذلك الشيطان كان يربط معهم طيلة شهر رمضان المبارك ولو كنت قد خرجت لما أصبت بأذى لكن وجودي مع (عمار) وكتبه جعلني أفقد إيماني وجعلني أسيرًا لهم.

كان (عمار) يقفل الباب علي عند المغرب ولا يفتحه إلا مع الشروق لكن خلال شهر رمضان لم يقم بذلك بل كان يطلب مني ترك المكتبة والجلوس معه للحديث دائمًا خلال الليل. ومن تلك الأحاديث المطولة كل ليلة أخذت علمًا كثيرًا منه لم أجده في تلك الكتب بل في الواقع أجنبي على تساؤلات كثيرة لم أجدها تفسيرًا خلال القراءة. كان (عمار) مختلفًا خلال رمضان كان متعبًا ويبدو مريضًا أو مخمورًا. لم أسأله كثيرًا عن حالته لأنني كنت أعرف أنه لن يجيب. أخرج (عمار) في إحدى الليالي علبة سجائر وبدأ بالتدخين وهذه كانت المرة الأولى التي أراه فيها يدخن. مد لي سيجارة وقال: خذ واحدة..

فقلت له: أنا لا أدخن.. ثم ألم تختر غير هذا الشهر الفضيل كي تبدأ

بالتدخين؟

فقال: ومن قال لك إنني لا أدخن من قبل؟

فقلت: لم أرك تدخن من قبل..

فقال: أنا لا أدخن إلا في الليل عندما تكون محبوساً في المكتبة.

فقلت له: لم تخبرني يا (عمار) عن سبب حبسك لي داخل المكتبة من

الغروب للشروق من قبل.. لماذا؟ هل تظن أنني سأهرب؟

فضحك (عمار) بقوة ورفع رأسه ونفخ سحابة من الدخان وقال:

إلى أين ستهرب وذلك الشيطان بالخارج؟

فقلت له: لماذا إذًا.. لماذا تغلق الباب؟

فقال: هناك أحداث تحدث في الليل لا أريد منك أن تراها.

فقلت له: مثل ماذا؟

فقال: ما زال الوقت مبكراً كي تعرف

قلت له: ولماذا لا تدخن إلا ليلاً؟

فقال: التدخين في النهار يضرب (الهالة).

وكانت هذه أول مرة أسمع بمصطلح (الهالة) فقلت له: وما هي

(الهالة)؟

فقال: أحد مصادر قوتي التي جعلتني أوقف ذلك الشيطان بالخارج..

كل إنسان يملكها لكن قوتها تختلف من شخص لآخر.

فقلت له: وكيف تعرف ما إذا كانت هالتك قوية أم لا؟

فقال: بفحصها من قبل شخص ب(هالة) مفعلة.

فقلت: مفعلة؟

قال: نعم مفعلة.. كل الهالات سواء قوية أو ضعيفة تكون في طور الحمول ويستلزم عليك تفعيلها كي تستفيد منها.

فقلت له: هل تستطيع فحص هالتي؟

فقال: هالتك قوية جدًا ولا أحتاج لفحصها.

فقلت له: كيف عرفت؟

فقال: عندما تفعل هالتك تستطيع الإحساس بالهالات الأخرى

بسهولة.. هل ترغب مني أن أفعل هالتك؟

فقلت: لا أعرف.. ماذا سأستفيد؟

فقال: سترى العالم بشكل مختلف.. ستتضاعف قدراتك الحسية والذهنية والجسدية.. ستصبح قادرًا على القيام بأمر لم تكن تستطيع القيام بها من قبل. سكت ولم أرد عليه..

أكمل كلامه وقال:

وفوق كل ذلك سوف تجد سهولة أكبر في قراءة تلك الكتب وفهمها ولن تصاب بالإرهاق والرغبة في النوم كثيرًا حتى أنك مع قليل من التدريب ستتحكم بأحلامك وفي مراحل متقدمة أحلام غيرك.

فقلت: لهذه الدرجة؟

فقال: وأكثر من ذلك بكثير.

فقلت له: وما المطلوب مني القيام به.

فقال: هالتك قوية وتفعيلها لن يستلزم الطرق المعقدة التي نستخدمها مع الهالات الضعيفة لذلك لا أحتاج منك سوى القبول.

فقلت: قبول ماذا؟

قال: قبولك بأن أفعل هالتك

فقلت: أقبل ذلك..

فنهض (عمار) من مكانه ووضع كفه على جبينه وأنا أقول في نفسي: يبدو أن هذا الرجل يتسلى بي ويريد أن يضيع الوقت قليلاً.

ولكن خلال وضع يده على رأسي سمعت صوتاً لن أنساه جعلني ألتفت يميناً ويساراً مما دفع (عمار) لسؤالي وقول:

ماذا بك.. هل سمعت شيئاً؟

فقلت له: نعم طنيناً قوياً وكأنه طنين ذبابة تطير.

فضحك (عمار) ورفع يده من على رأسي وجلس وأشعل سيجارة وقال:

«مبارك لقد فعلت هالتك والذبابة هي الدليل».

فقلت له: أعتقد أن الذباب دليل فقط على أننا لم نستحم لفترة؟

فضحك (عمار) بقوة وأخذ يسعل ويكح من شدة الضحك ثم قال: الصوت الذي سمعته هو ذبابة تطير في آخر الغرفة.

فسكت بتعجب ثم قلت:

ما هذه الذبابة العجيبة التي تطن بهذه القوة؟

فقال: الذبابة طبيعية لكن أنت الآن لم تعد طبيعيًا وحواسك كذلك.

فقلت له: هل هذا من فعل الهالة؟

فقال: نعم.. وسوف تبدأ من الآن ملاحظة أشياء غريبة فلا تجزع وتذكر أن قدراتك الآن اختلفت.

لم أفهم معنى كلامه حتى حان وقت السحور ووضع (عمار) أمامي الطبق اليومي المعتاد وهو حساء مع قليل من الأرز لا أعرف محتواه. لكنه كان تغييرًا إيجابيًا عن تلك الهريسة. لكن هذه المرة عندما تذوقت الحساء كان طعمه مختلفًا. كان ألد وكانت النكهات واضحة ويمكنني تمييزها  
فقلت له:

ماذا وضعت في الحساء اليوم.. طعمه ألد بكثير من السابق؟

فقال: لم أضع شيئًا وهو الحساء نفسه الذي نتناوله منذ بداية رمضان.  
فقلت له: مستحيل.. الطعم مختلف تمامًا.

فقال: أخبرتك أن تفعيل هالتك سيغير أمورًا كثيرة في حياتك وهذا الحساء أبسطها.

أخذت رشفة ثانية من طبق الحساء ثم قلت:

بصل.. ملح.. قليل من الفلفل.. وعنصر غريب لا أعرفه

فقال (عمار): صحيح.. هذه مكونات الحساء.

فقلت: كيف يمكنني معرفة ذلك الآن؟

فقال: يبدو أنك لا تدرك معنى تفعيل الهالة.. انس الموضوع الآن ولنذهب للنوم.

لم أنم مباشرة تلك الليلة وعدت للمكتبة للقراءة وكانت المفاجأة عندما بدأت بإكمال كتاب قد بدأت بقراءته منذ أيام. فقد وجدت أن فهمي للكلمات والمعاني قد أصبح أعمق وقدراتي على القراءة تطورت وأصبحت أنني صفحات أكثر في وقت أقصر بكثير. وكنت أحفظ وأستوعب كل كلمة بطريقة أخافتي في البداية لكن مع الوقت بدأت أعتاد على قدراتي الجديدة وأستمتع بها. أخبرني (عمار) مرة في إحدى ليالي رمضان أنني يجب أن أخفي اسمي واسم أمي على أي ساحر كي لا يؤذيني فقلت له أنا أعرف اسمك فقال (عمار) ليس باسمي إنه الاسم الذي اخترته ليمثلني أمام بقية السحرة وأنت يجب أن يكون لك اسم غير اسمك كي لا يصلوا إليك عندما تصبح منا.

فصرخت فيه بقوة وقلت: لن أصبح ساحرًا!!

فرد بهدوء وقال: اختر اسمًا حتى إن كنت لا تريد أن تصبح ساحرًا..

سكت.. ثم قلت: كيف أختار لي اسمًا؟

قال: ما هو شعورك الآن؟

قلت له: أشعر بالخوف..

فقال: اسمك من الآن فصاعدًا هو (خوف) ولن أناديك بغيره.

ومنذ ذلك الحين وأنا في عالمهم معروف باسم (خوف).

لكنني اكتشفت لاحقاً أن (عمار) هو اسمه الحقيقي بالفعل ولم يكن يخفيه على أحد وما زلت إلى هذا اليوم لا أعرف لماذا أخبرني بأن اسمه الحقيقي ليس ب(عمار).

انتهاء شهر رمضان المبارك كان عيداً حقيقياً ل(عمار) فقد خرج من الباب صباح العيد وهو مسرور جداً وكأنه قد خرج للتو من السجن. كنت أراقبه من النافذة وأحسده على تلك الحرية. عاد (عمار) للمنزل وغير ملبسه ليخرج فقلت له:

إلى أين؟

فقال وهو يلبس عباءة بيضاء جديدة:

هذه أول مرة تسألني مثل هذا السؤال.. هل أصبحت ولي أمري

الآن؟

فقلت له: لا تراوغ يا(عمار) أين ستذهب؟

فخرج من الباب وهو يضع عمامته ويقول:

لن أتأخر.. عد وأكمل القراءة حتى أعود.

خرج (عمار) من المنزل وتركني في صباح العيد الأول ولم أكن أريد القراءة في ذلك الوقت لكنني لم أعرف بماذا يمكنني أن أقضي وقتي. لاحظت أن (عمار) خرج ولم يغلق الباب ولم أستطع إغلاقه لأن المقبض

كان خارج المنزل ولم أقدر على الإمساك به دون الخروج عن حدود المنزل  
فتركت الباب مفتوحًا. بعد عدة ساعات دخل علي رجل أسمر البشرة  
طويل القامة وقال:

أين (عمار)؟!

فقلت له: خرج

فقال: إلى أين؟

فقلت: لا أعرف..

فغضب وقال: أخبره أن (فاطمة) تبحث عنه!

فقلت له: حسنًا

وخرج الرجل وأغلق الباب في طريقه..

عاد (عمار) بعد خروج الرجل بساعة تقريبًا. وعندما دخل أخبرته بما  
قاله لي ذلك الرجل ولم يكن مهتمًا. وضع (عمار) أمامي قدرًا مغلقًا وقال:  
افتح القدر ففيه مفاجأة..

تبسمت ومددت يدي نحو غطاء القدر ورفعته وأنا أبتسم لكن  
سرعان ما تبدلت ابتسامتي لحزن عندما رأيت تلك الهريسة المقرفة مرة  
أخرى وقلت بغضب:

ما هذا يا (عمار)؟!

فقال وهو يبتسم: طعامنا المفضل.. يمكننا العودة الآن لتناوله بعد  
انتهاء رمضان.

فقلت له بعد ما رميت الغطاء على الأرض ونهضت من أمامه:

الطعام المفضل لك أنت وليس لي !!

دخلت المكتبة وبدأت القراءة بغضب وبعد دقائق دخل (عمار) المكتبة

وقال:

المغرب اقرب.. هل أنت واثق أنك تريد البقاء الليلة دون طعام؟

فقلت له دون الالتفات إليه: لن أكل من هذه الهريسة مرة أخرى لقد

سئمت منها.

لم يرد (عمار) علي وخرج وأغلق الباب..

مضت الأيام والشهور وانقضت سنة أخرى مع (عمار) وأصبح

يومي روتينياً ولا يوجد فيه غير الكتب وبعض الحوارات الجانبية مع

(عمار) بالإضافة لتلك الهريسة المقيئة التي خضعت لها عندما فتك الجوع

بأحشائي بالرغم من تحسن طعمها قليلاً بعد تفعيل هالتي.

السنة الأخيرة مع (عمار):

السنة الثالثة والأخيرة مع (عمار) كانت الأجل بين تلك السنين فقد

اعتدت كثيراً على نظام حياته وكنت قد بدأت خلالها بالاستمتاع بالقراءة

لأن علمي قد تعمق وأصبح غزيراً فيها مما كان يدفعني لتعلم المزيد

والمزيد حتى أني بدأت أستسيغ تلك الهريسة والتي بعد تفعيل هالتي لم

تكن بذلك السوء.

خلت السنة الأخيرة مع (عمار) من الأحداث المميزة لكن أذكر أنه

في إحدى الليالي وخلال سهري على أحد الكتب سمعت أو توهمت أني سمعت أحدًا يتكلم مع (عمار) فنهضت من على الكرسي ووضعت أذني على باب المكتبة لأسمع بوضوح أكثر فتوقف الحوار بين (عمار) والصوت الآخر والذي بدا لي وكأنه صوت امرأة لكنني لم أكن متيقنًا من أنها كانت امرأة في ذلك الوقت ولم أكن متيقنًا من أني سمعت حوارًا من الأساس لذلك عدت وأكملت قراءتي للكتاب الذي كان بين يدي.

في الليلة التالية تكرر ما حدث معي في الليلة السابقة لكن هذه المرة تيقنت من أن (عمار) كان يتحدث مع امرأة لكن حديثهما لم يكن واضحًا. حاولت الإنصات قدر استطاعتي لكنني لم أستطع فاستغربت كثيرًا فبعد تفعيل هالتي كنت أسمع أدق الأصوات لكنني لم أستطع سماع ذلك الحوار الذي يدور بينهما. قررت في اليوم التالي مواجهة (عمار) وسؤاله عن ما سمعت فأنكر وقال:

يبدو أنك تتوهم.. أخبرتك أن تفعيل هالتك سيجعلك تسمع أشياء غريبة لكن هذه المرة أنت تتوهم.

فقلت له: أنا لا أتوهم وأنت كنت تتحدث مع امرأة.. لماذا تخفي علي هذه المعلومة ماذا تظن أني سأفعل؟ فقال: لا يوجد امرأة وافعل ما شئت.

خرج (عمار) من المنزل بعد هذه الجملة غاضبًا لكنني لم أكرث وبدأت أبحث في أرجاء المنزل عن آلة حادة. كنت أريد أن أحدث ثقبًا في الباب كي أرى بعيني مع من كان يتحدث. بعد بحث طويل وجدت مسمارًا

صغيراً لكن رأسه حادٌ وبدأت بحفر الباب. عاد (عمار) قبل أن أنتهي من إحداث الثقب اللازم فخبأت المسمار في جيبي وقررت أن أقوم بالحفر كل يوم عندما يخرج. تكرر الحوار تلك الليلة لكن هذه المرة لم أنهض كي أسترق السمع وبقيت مكاني أقرأ. سمعت هذه المرة ضحكات المرأة مع (عمار) وجاءني إحساس أنها يضحكان علي.. لا أعرف لماذا لكن كان ذلك إحساسي في تلك اللحظة.

استمررت بالحفر لعدة أيام حتى أحدثت الثقب اللازم في الباب وكنت متشوقاً لكشف (عمار) ومواجهته بالحقيقة. عند حلول المساء بدأت بالقراءة لكن قلبي كان معلقاً بمعرفة من هي تلك المرأة التي كان (عمار) يقضي معها الليلة بطولها. انتظرت وطلال انتظاري ولم أسمع شيئاً. توقعت أنها كانت مشغولة تلك الليلة وسوف تحضر في الليلة التالية لكنها لم تحضر ولم أسمع صوتها مرة أخرى.

الشهر الأخير مع عمار:

لم أكن أدرك أن أيامي مع (عمار) قد شارفت على الانتهاء وكنت في تلك المرحلة قد تمكنت كثيراً من علومهم حتى أن (عمار) عرض علي أن أكون مساعداً له في حال ما إذا وجدت ما أبحث عنه في كتبه لكنني رفضت بشدة وقلت:

لقد أخبرتك من قبل بأني لست بساحر يا (عمار) ولن أكون في يوم

كذلك!

فقال لي: ولكنك تملك الآن من علومهم ما يجعلك أستاذًا عليهم جميعًا.

فقلت له: لكن هذا لا يكفي كي أبيع نفسي وديني.

فقال متهكمًا: أي دين، أنا لم أشاهدك تصلي منذ سنة؟!!

فقلت له: أعترف بتقصيري لكن هذا ليس سببًا يجعلني أندفع نحو الهاوية.

أنهى (عمار) الحديث بابتسامة عندما أدرك أنني لن أسلك طريقه باختياري أبدًا.

قرر (عمار) الخروج بعد هذا الحوار من المنزل لإحضار الطعام فقلت له:

كيف تستطيع أن تخرج وذلك الشيطان بالخارج ألا تخشى أن يؤذيك؟

فضحك وقال: هل تستطيع النملة أن تؤذيك؟!!

فقلت له: لا

فقال: شيطانك هذا بالنسبة لي أقل من نملة.

فقلت له ساخرًا: ومن أين لك كل هذه الثقة؟!!

فرد علي وقال: هل تريد إثباتًا؟

فقلت له: وكيف ستثبت لي ذلك؟!!

قال وهو يبتسم: سأسمح له بالدخول عليك الآن.

فسكت وبدأ قلبي بالخفقان وقلت له: لا تتأخر على مشوارك.

فضحك بصوت مرتفع وخرج..

الأسبوع الأخير مع عمار:

لم يكن هذا الأسبوع خارجًا عن المؤلف لكن حدث فيه أحداث غريبة لم أشهدها من قبل كان أبرزها أن (عمار) تركني لمدة ثلاثة أيام وحدي ولم يخبرني قبلها بأنه سيغيب كل تلك المدة لذلك عندما عاد قلت له بغضب:

لماذا لم تخبرني أنك ستغيب كل هذه المدة!!! لقد كدت أموت من الجوع!

فقال بكل برود: لكنك لم تمت.. ولقد تركت لك ما يكفيك من الماء. فقلت له بغضب: لماذا لم تخبرني؟!.. ماذا كنت ستخسر؟

فضحك وقال: هل تريد بعض الهريسة؟

مكتبة أحمد

اليوم الأخير مع (عمار):

قد أكون واهما لكني أحسست بطريقة ما أنني سأرحل عن هذا المكان في أي لحظة. حتى (عمار) كان يتعامل معي في تلك الآونة بطريقة مختلفة وكأننا سنفترق قريبًا. لكنني لم أعرف أن ذلك اليوم هو اليوم الذي سأجد فيه مفتاح خلاصي. مددت يدي إلى أحد الرفوف كعادتي في صباح ذلك اليوم وسحبت كتابًا كبيرًا مغلفًا بطبقة جلدية سوداء نصحني (عمار) بقراءته ووضعتة على الطاولة وفتحته وبدأت بالقراءة. كان (عمار) يجلس في غرفة المعيشة يدخن في النهار على غير عادته فبدأت بالقراءة كالمعتاد.

الساعة الأخيرة مع عمار:

كنت أقرأ وأنا أتوسد يدي وأنظر في تلك الصفحات الكبيرة. بدأ المطر بالهطول بغزارة وهذا لم يكن غريبًا في تلك المنطقة. عم الهدوء المكان ولم أكن أسمع سوى نفخات (عمار) لسيجارته وكنت أقول في نفسي:

«لماذا يدخن الآن.. لم أره من قبل يفعل ذلك في وضوح النهار؟»

أكملت قراءتي ولم أفكر كثيرًا في سبب تدخين (عمار) كان الكتاب يتكلم عن تاريخ السحر في جنوب الجزيرة ولم يكن يحمل الكثير من المعلومات العملية لذلك شعرت بالملل خلال القراءة وفكرت أكثر من مرة في إغلاقه والبحث عن كتاب آخر لكنني تذكرت كلمة قالها لي أبي عندما بدأت القراءة أول مرة في صغري:

«لا تغلق كتابًا أبدًا إذا بدأت بقراءته حتى تنتهيه»

أكملت القراءة حتى وقعت عيني على ذلك النص:

«تسلط من سواد ضاحك الثغر «دجن»

ينهض من تراب وسيده يبكي في عدن»

الدقيقة الأخيرة مع عمار:

لم يكن (عمار) شخصًا عاطفيًا بطبعه كما هو الحال مع معظم الرجال

لكن الدقيقة الأخيرة التي قضيتها معه كانت في عناق طويل لم نتحدث خلالها لم يقل غير جملة واحدة عندما أنهى عناقه لي:

«سأفقدك يا (خوف)..»

توجهت بعدها لتلك السيارة التي ظلت مركونة لثلاث سنوات..



## رحلة العودة ل(عمار)

توجهت للمطار بعد ما اشترت بعض التين المجفف لأنني لم أجد تيناً في ذلك الوقت فهو لم يكن موسمه، ركبت أول طائرة باتجاه بلد (عمار) وخلال الرحلة أحسست بضيق في التنفس أكثر من مرة. الأولى كانت عندما كنت في طريقي للمطار والثانية كانت عندما ركبت الطائرة والأخيرة عندما خرجت من بوابة المطار بعد وصولي لمسقط رأس (عمار).

بحثت عن سيارة للأجرة لتأخذني مباشرة لمكان إقامة (عمار) لكن السائق رفض وقال لن أوصلك إلا للمدينة المجاورة لهذا العنوان، فوافقت على مريض وسار بي إلى المكان الذي اتفقنا عليه ومن هناك قررت أن أستأجر سيارة من تلك البلدة الصغيرة لكن بعد رحيل سائق الأجرة اكتشفت أن تلك المدينة لا يوجد بها سيارات للأجرة فهي أقرب للقرية من المدينة. تجولت فيها بحثاً عن أحد يمكنه إيصالني لوجهتي لكنني لم أجد من لديه الاستعداد للقيام بذلك، بدأت أسأل الناس عن إمكانية توصيلي لكن بعضهم رفض وبعضهم وافق لكنه غير رأيه عندما عرف وجهتي. لم يبقَ على المغرب الكثير عندما بدأت أشعر أنني في ورطة حقيقية.

ذهبت للمسجد وصليت المغرب وبقيت في المسجد أفكر في مخرج  
من هذا المكان فاقترب مني رجل وجلس أمامي وقال لي:

«هل تبحث عن شيء؟ تبدو غريباً ولست من هنا»

فأخبرته عن رغبتني بالذهاب لمنزل (عمار) دون ذكر اسم (عمار) لأنه  
حذرني من نطق اسمه لأحد فقال لي الرجل:

هل تعرف أحداً هناك؟

فترددت في الإجابة وقلت:

نوعاً ما..

فقال: هل تبحث عن (عمار)؟

فسكت..

قال لي: يا بني (عمار) هذا إنسان سيئ ولا أنصحك بالذهاب إليه.

فحكيت له حكايتي فقال لي: أين إيمانك بالله؟!

فقلت: ونعم بالله لكن..

فقاطعني وقال: لا يوجد «لكن» مع الإيمان بالله.. راجع نفسك يا  
بني فهذا الطريق آخره هلاك.

فسكت ولم أستطع الإجابة..

مضى الرجل في طريقه وخرجت من المسجد وأنا أنتظر الفرج  
لكنني لم أجد حلاً، رُفع أذان العشاء وصليت وشاهدت الرجل الذي

كلمني ينظر لي بعين ثاقبة من بين جموع المصلين الذين بدؤوا بالخروج من المسجد لم أحب تلك النظرة. خرجنا من المسجد فرأيت شخصاً يركب سيارته فذهبت إليه مسرعاً وعرضت عليه استئجارها منه فرفض وعندما ألححت عليه قال:

لا أريد منك مالاً!

فقلت: وماذا تريد إذًا؟!

قال: أن ترحل من هنا فإذا أردت أن أعود بك للعاصمة فقط فسوف آخذك إلى هناك.

فرفضت وغادر الرجل وأصبح الشارع خاليًا من الناس وعم الهدوء المكان وكان الظلام شبه دامس عدا إنارة المسجد الخفيفة التي كانت معكرة بسبب بعض الحشرات الطائرة التي التصقت بنورها وكان صوت جنادب الليل هو الصوت الوحيد حولي وعندها أحسست بضيق في التنفس يصاحبه صداد شديد جعلني أنزل من شدة الألم على ركبتي وبعددها سمعت ضحكات تأتي من الظلام المحيط بي.

زاد الألم حتى أُغمي علي، استيقظت في الصباح في منزل لا أعرفه فخرجت دون أن أعرف من حملني إليه وقررت الذهاب لمنزل (عمار) مشيًا على الأقدام فالمسافة لا تزيد على عشرة كيلومترات فبدأت بالتوجه نحو منزله لكن كان الطريق شاقًا لأنه كان يتحرك ارتفاعًا ولم يكن مستقيمًا. عندما انتصف بي الطريق سمعت صوتًا يقترب من خلفي

فالتفت فوجدت خيال رجل يقترب مني وعندما وصل ذلك الخيال عندي رأيت أنه كان من حدثني بالمسجد.

قال لي: سوف أمشي معك حتى تصل.

فقلت له: لا، وشكرًا لا أريد العودة.

فقال: لا تقلق سوف أوصلك إلى حيث تريد فأنا لا أريد أن تموت هنا

في هذا الطريق الموحش بسببي.

صاحبني الرجل في وجهتي وتحديث معي في الطريق وحاول إقناعي بالعودة لكنني لم أستجب له وعرفت أنه من أخذني لبيته البارحة فشكرته على ذلك. عندما وصلنا لبيت (عمار) ضاق صدري قليلًا لأنني تذكرت تلك السنوات التي كنت فيها حبيس مكتبته وتذكرت (دجن) الواقف خارج داره مشلولًا لا يقوى على الحراك منذ أكثر من سنة. ودعت الرجل وسألني إذا كنت أريده أن ينتظر فقلت له:

شكرًا لقد كنت عونًا كبيرًا ولا أريدك أن تغيب عن منزلك أكثر.

قبل أن يرحل الرجل نظر لبيت (عمار) بطريقة غريبة وكأنه يرى كومة من القمامة المكشوفة وقال:

«سيأتي يوم ونقتص فيه منك أيها المشعوذ»

توجهت لباب بيت (عمار) وقبل أن أطرق سمعت صوته من وراء

الباب يقول:

هل أحضرت التين؟!!

فابتسمت ودخلت لمنزله..

دخلت لمنزل (عمار) ومددت يدي لمصافحته لكنه قابلني بعناق وترحيب حار دفعني للابتسام رغم ضيقي. مددت له التين فضحك وقال:

ألم تنسَ؟!!

جلست معه وحكيت له ما حدث معي ومع أخي وأمي.. فتجهم وقال:

القرين المحرر من أقوى الشياطين فهو ضعيف عندما يكون مقيدًا بصاحبه لكن عندما يتحرر يصبح أقوى وأشرس من أي شيطان آخر. فقلت له: ألا تستطيع إيقافه؟

فقال: قرينك لم يأت معك وهذا دليل على أنه يريد أن يلحق الأذى بأهلك.

فقلت له: وما العمل يا (عمار)؟

سكت (عمار) لفترة ثم قال:

الحل الوحيد الذي أراه لن يعجبك.

فقلت له: سأقبل بأي شيء يا (عمار) أمي في خطر وكل دقيقة أتأخر فيها أعرض حياتها لخطر أكبر.

قال لي: لا يمكنك قتل قرينك لأنك ستموت معه.

قلت له: لا يهم المهم أن أنقذ أُمي منه.

قال: إذا كنت تريد فعلاً المخاطرة فجرب الحل الذي أراه.

قلت: وما هو حلك؟

قال: لا يوقف القرين المحرر إلا قرين محرر آخر يكبره في العمر.

فقلت له: ومن أين لي بقرين محرر وعمره أكبر من قريني؟

فأشار برأسه إلى الخارج وهو صامت

فصرخت فيه: (دجن)؟!!

قال: ليس أمامك إلا هذا الحل

قلت: مستحيل.. كيف يساعدني بعد ما حبسته؟!!

قال: تكلم معه فهو يستطيع سماعك وحاول أن تعرض عليه صفقة

لا يستطيع رفضها. فالشياطين تؤمن بالعتاء بمقابل

فقلت: وأي نوع من الصفقات يمكن أن يعقده الإنسان مع

الشياطين؟

قال: لا تقلل من شأنها فهي ليست غبية ومصالحتها تهمها بالدرجة

الأولى و(دجن) الآن مكسور ومحطم وعلى يقين أنه هالك ستكون أنت

بالنسبة له طوق النجاة وليس جبل المشنقة..

فقلت له: وكيف أعرف بأنه وافق على عرضي أو لا قبل أن أحرره؟

قال لي: لن تعرف يجب أن تخاطر

فجلست أفكر مدة تجاوزت الساعة و(عمار) بالسُّ أمامي يأكل

التين الذي أحضرته له.

قلت لـ(عمار) بعد سكوت طويل:

وماذا سيحدث لو رفض وحررته؟

فرد (عمار) وفي فمه قطعة من التين وبكل برود وقال:

سيقتلك طبعًا..

نظرت إليه بتعجب ثم قال:

ماذا.. هل تريد مني أن أكذب عليك؟

قلت له:.. سأخرج

فقال (عمار): هل أنت واثق؟

فقلت له: لا لكن ليس أمامي خيار آخر.

خرجت بعد أن طلبت من (عمار) أن يعيد جثتي لأهلي ولا يدفني

هنا إذا أصابني مكروه فقال:

تفكيرك غريب يا(خوف)

فقلت له: هل تعدني بذلك؟

فقال: لا تقلق لن أدفئك هنا

خرجت وبدأت التحدث في الهواء وقلت:

(دجن).. أنا (خوف) الذي حبسك وأنا فقط من يستطيع أن يحرك

هل توافق أن تكون تحت أمري إذا حررتك؟

لم أعرف ماذا أقول بعد هذا الكلام لكن هذا ما خطر في بالي تلك اللحظة، ثم أضفت وقلت:

لكن قبل أن أحرك أريدك أن تعيد تقييد قريني وهذا ثمن حررتك والآن سوف أقوم بتحريرك..

أحضر (عمار) لي مرآة ووضعها لي بالخارج ودخل المنزل فانتظرت وقمت بتنفيذ طريقة التحضير عندما غابت الشمس وبعد انتهائي بلحظة وجدت نفسي ملتصقًا بالجدار وعنقي يكاد يتحطم من الضغط وصوت أنفاس غاضبة تفح في أذني وبعد ثوانٍ قليلة من هذا الحصار الخانق سمعت صوتًا في أذني يقول:

«مطاع!»

وسقطت بعدها على الأرض مباشرة.

خرج (عمار) وهو يضحك وفي فمه آخر حبة من التين الذي أحضرته له وهو يقول:

«مبارك..»

رمى (عمار) كيس التين الفارغ علي وقال:

رافقتك السلامة!

توجهت للقريّة مشيًا على الأقدام وحرصت على المرور بمنزل ذلك الرجل الذي رافقني لمنزل (عمار) لأشكره وأودعه لأن استقباله كان لطيفًا جدًا وقد ساعدني أكثر من مرة. وجهني الرجل بعد وداعي له لمنزل شخص قام بإيصالي للمطار ومن هناك عدت لبلادي على أول رحلة.

## عودة (دجن)

وصلت لمطار مدينتي عند منتصف الليل.. المطار كان هادئًا.. ركبت سيارة أجرة.. توجهت للمنزل.. دخلت.. ذهبت مباشرة لغرفتي ونمت ولم أقابل أحدًا ذلك اليوم. استيقظت ظهر اليوم التالي وكنت مرهقًا جدًا وفتحت عينيّ ورأيت أمامي منظرًا مزعجًا، رأيت دجن جالسًا أمامي وكان متشكلاً بهيئة ذلك الرجل الغريب. نهضت وتوجهت لدورة المياه وحاولت ألا أدير له بالاً لأنني أذكر أن (عمار) أخبرني من قبل أن الشياطين تضعف أمام من لا يخاف منها أو يجزع لرؤيتها، دخلت الحمام ولم أكرث لوجود (دجن) بالرغم من أن رؤية وجهه بعد هذه المدة أعادت علي ذكريات لم أكن أريد تذكرها. (دجن) من الشياطين القليلة التي تملك الجرأة للتشكل بكل راحة لمحادثة إنسان بلا تكلف في وضوح النهار، لغته عربية لكن لهجته كانت خليطًا غريبًا من اللهجات المحلية.

بعد ما خرجت من الحمام قال لي (دجن): نعيماً!

في تلك اللحظة نسيت أو تناسيت أنه شيطان وقلت له:

ماذا تريد؟.. ومن سمح لك بالدخول؟

قال: إحنا بينا اتفاق..

فقلت له وأنا أغير ملابسي:

وما هو المطلوب مني الآن؟

قال: اعتبر موضوع قرينك منتهي والموضوع ما راح يأخذ مني ثواني

وراح أربطه لك لكن ما تكلمنا عن الاتفاق الجديد؟

فقلت: أي اتفاق؟

فقال (دجن): باقي شيطان ثاني.. ما تبي أخلصك منه؟

فقلت له: عن أي شيطان تتحدث؟

قال: اللي جالس فوق رأس أمك المسكينة وجالس يأكل من صحتها

كل يوم وينتظر بس إشارة من الساحر عشان يقتلها..

سكت قليلاً ثم قلت:

أليس قريني هو من يهدد حياة أمي؟

فقال: لا يا حبيبي أمك مرسل لها شيطان ثاني وقرينك عنده مشاغل

ثانية وما هو فاضي لك أنت وأمك.

فقلت له: تخلص منه أيضاً..

فقال وهو يبتسم: آسف الاتفاق كان على واحد بس!

أدركت وقتها أن (دجن) ينوي البقاء معي بأي شكل وسيفتعل

المشكلات كي يضمن بقاءه حولي وعدم تجميدي له بعد ما ينتهي من

مهمته وكان يبدو أنه يريد تعليق مصيره بمصيري لأن ذلك هو الضمان الوحيد لديه للبقاء حرًا طليقًا. حاولت أن أراوغه كما كان يراوغني فقلت له:

ماذا تقصد... واحد فقط؟

فقال: اختر شيطانًا واحدًا بس.. قرينك أو المرسل لأمك..

لم أفكر كثيرًا وأعطيته الأمر بالتعامل مع الشيطان الذي يهدد أمني حين تفكيري بحل أتعامل فيه معه ومع قريني المحرر. اختفى (دجن) في ثانية بعد ما أعطيته الإذن بالتخلص من شيطان أمني بدل قريني، وبعد دقائق عاد وعلى وجهه تلك الابتسامة اللعينة وقال:

خلاص تم!

وقبل أن أسأله عن ما قام به بالتفصيل انقض عليه شيء ما وبدأ (دجن) بالعراك معه بشراسة، أحدث هذا الصراع فوضى عارمة في غرفتي مما دفعني للجوء إلى دورة المياه هربًا من تلك الفوضى التي دبت في غرفتي. أقفلت علي باب الحمام وجلست أسمع الصراخ والعيويل العالي الذي كان يأتي من الغرفة وبعد دقائق توقف الصوت وعم الهدوء أرجاء المكان وفجأة بدأ باب الحمام بالاهتزاز بسبب ضرب قوي وارتطام متكرر على الباب ثم انقطع الضرب وعاد الصراخ والعيويل داخل الغرفة بصورة أشد. لحسن الحظ أن أبي وأخي لم يكونا موجودين في المنزل ذلك الوقت. عندما توقف الصوت نهائيًا خرجت وأنا أسحب خطواتي عبر

هدوء عم الغرفة التي انقلبت رأسًا على عقب. نظرت حولي فلم أجد أثرًا ل(دجن) لكن بعدها بقليل سمعت صوت (دجن) المرهق يقول بأنفاس متقطعة:

«قرينك هذا لعين وأنا ربطته لك على حسابي هذه المرة.. ومن اليوم ورايح أنت لي وإلى الأبد».

بقيت مع (دجن) بعد حادثة القرين لفترة نلتقي وقتها يشاء هو وكان يحاول في كل مرة إثارة الرعب في قلبي لكنني لم أعد أهتم أو أتأثر لحركاته لأنني بدأت أعتاد عليها، فقال لي (دجن) في أحد الأيام:

ما تخاف إني أموتك في أي لحظة؟

فرددت عليه وقلت:

وأنت؟.. ألا تخشى أن أنطق اسمك وأشلك في أي لحظة؟

فغضب (دجن) وصرخ صرخة كانت تشبه صرخة الحيوان وقال:

أنت عبدي!

فقلت له: أنا عبد الله وحده وأنت لست سوى خلق من خلقه.

فدفع بي إلى أقصى الغرفة وارتطمت بالجدار وفقدت وعيي. قد يتساءل البعض عن سبب عدم نطقي لاسمه في تلك اللحظة. بصراحة.. كنت أريد اختبار نفسي معه لأنني في ذلك الوقت قد سئمت الخوف سئمت الاختباء كنت أريد أن أكسر خوفي معه ومع غيره وهذا ما حصل لي لاحقًا.

لم أكن مستغربًا لعدم قتل (دجن) لي فهو كان يريد أحدًا من الإنس ليخدمه بالرغم من أني لم أكن ساحرًا لأن هذا في الغالب دور السحرة مع الشياطين لذلك كان يريد أن يستعبدني كبقية السحرة لينتقم مني لما فعلته به في السابق ويسخرني لتسهيل رغباته في المستقبل. استمر ترويع (دجن) لي وأذاه لفترة تجاوزت الشهر. كنت صابرًا نفسيًا لكنني بدأت أتعب جسديًا. وبعد مدة تجاوزت الشهر منذ ظهوره الأول لي بعد عودتي من عند (عمار) ظهر لي في إحدى الليالي وقال:

والنهاية معك؟!!

فأجبت بغفوية لأنني كنت نائمًا وقلت:

أهلاً دجن؟!!

فلم أسمع صوتًا أو ردًا فعدت للنوم مباشرة.

عندما استيقظت في الصباح تذكرت ما حدث البارحة وأدركت أني قد جمدته مرة أخرى، انتظرت المساء بكل هدوء وأحضرت المرآة وحضرته مرة أخرى. لم يهاجمني (دجن) بعد التحضير ولم أسمع منه لعدة أيام حتى ظننت أن التحضير لم ينجح فأحضرت المرآة وهممت بتحضيره مرة أخرى لكنني سمعت صوتًا يأتي من خلفي يقول:

وقف.. أنا هنا موجود

فقلت ببرود: جيد..

بدأت أستعد للنوم عندما تيقنت أني قد حررتة مرة أخرى فبدأ  
يكلمني باستغراب ويقول:

ليه رجعتني؟! .. وش تبي مني!؟

فقلت له: لا أريد شيئاً منك..

فقال: ليه حررتني!؟

فقلت له: لأنني لست خائفاً منك.

فقال: وش الهدف من اللي أنت قاعد تسويه؟

فقلت له: كي أثبت لك أني لست عبداً لك أو لخوفي. فسكت ورحل..

أصبح (دجن) بعدها يعود ضاحكاً متشكلاً بشكل ذلك الرجل  
الغريب وكان يتكلم معي كثيراً حتى لو كنت أتكلم مع غيره، أحسست  
أنه يريد أن يتواصل معي بشكل أكبر وأكثر ولم أكن أعرف سبب هذا  
التقرب المفاجئ، لكنني لم أكن أتفاعل معه كثيراً وكنت أتجاهله في أغلب  
الأحيان. عندما أحسست أنه لم يعد يخيفني بل على العكس بدأ يزعجني  
قررت تجميده إلى الأبد. في اليوم الذي قررت فيه تجميد (دجن) كان  
كعادته يتحدث عن أشياء كثيرة في الوقت نفسه وأنا أيضاً كعادتي معه  
لم أكن أركز في كلامه أو أنصت له وخلال كلامه المتطاير في الهواء بلا  
أذن صاغية قررت في نفسي نطق اسمه لأنني أحسست أن وجوده لم يعد  
يخدمني وأن حاجتي له انتهت بعودة قريني وموت الشيطان الذي كان

يهدد أُمِّي وكذلك تفاديًا لأي تهور منه فهو يبقى في النهاية شيطانًا مجهول النوايا. قررت ألا أمهد الموضوع وأن أنطق اسمه وهو يتكلم معي فجأة. اقتربت منه وهو يتكلم في موضوع لم أكن منصتًا له في بدايته لكني سمعت في كلامه عندما اقتربت منه شيئًا جعلني أقول له:

أعد ما قلته قبل قليل..

قال: كنت أقول لك (عمار) كان مرسل شيطان قوي لأمك هذيك الأيام لكن كان صغير وما أخذ معي وقت..

فقلت بنبرة غضب: (عمار)؟!

قال: إي (عمار).. وش فيك؟

فقلت بغضب يخالطه الهدوء:

هل أنت متيقن من أن (عمار) هو من أرسل الشيطان لأُمِّي وهو من

طلب منه إيذاءها؟

فقال: إي متأكد

فقلت له: هل صحيح أن الشياطين تنقل الإنس إلى أي مكان في لمح

البصر؟

فقال وهو يبتسم: وين تبي تروح؟

قلت له: بيت الخبيث (عمار)..



## الشيطان الذي حمل غصن الزيتون

في لمح البصر وجدت نفسي أمام منزل (عمار) وكان (دجن) قد تشكل بهيئته البشرية عندما وقفنا أمام مدخل البيت وقبل أن أتوجه للباب أمسكني (دجن) من ذراعي وقال لي بصوت خافت:

وش ناوي عليه؟

قلت له: لا أعرف

فقال: أنا عندي فكرة

فقلت: ما هي فكرتك؟

قال: (عمار) ما هو ساحر عادي وأنا وأنت مجتمعين ما راح نقدر عليه

فقلت: أنا أريد التحدث معه فقط

فقال: لو دخلت معك راح يشك فينا (عمار) ولو ما دخلت معك راح

يسألك عني وأنت بترتبك وبتفضحنا!

فقلت: وما هو الحل برأيك؟

قال: جمدي

فقلت: ماذا؟

قال: مثل ما قلت لك.. جمدي

فقلت: ولماذا أفعل ذلك؟

قال: لو جمدتني راح يشوفني وأنا متجمد قدامه وراح يثق إنك ما زلت عدوي.

فكررت عليه السؤال: وما الهدف من ذلك؟

فقال: حررتني في الليل وهو نايم وقبل كذا حط عند رأسه غصن زيتون.

فقلت: ومن أين لي بغصن زيتون؟

وفي لحظة مديده وأعطاني الغصن وقال:

رح ووعدنا الليلة..

دخلت على (عمار) بعد ما جمدت (دجن) فضمني ورحب بي وسأل

عن حالي وقال وهو يضحك:

أرى أن قرينك عاد بجانبك!

فقلت: نعم

فقال وهو مبتسم: هل كان هذا من صنع (دجن)؟

فقلت: نعم

فضحك وقال: وأين هو الآن؟

فقلت له: جمده قبل أن أدخل عليك.

فضحك بقوة وقال: يا لك من خبيث بدأت تفهم أصول السحر!

فسكت واكتفيت بالابتسام وعيني على الشمس أنتظر الغروب.

دعاني (عمار) لمنزله وقال مبتسماً:

أنت محظوظ فلقد انتهيت للتو من إعداد هريستك المفضلة.

فقلت له: هل ما زلت تعد تلك الهريسة المقرفة يا (عمار)؟

فقال وهو يضحك: لا أستطيع الاستغناء عنها أبداً!

تناولت العشاء معه وانتظرته حتى ينام لأضع غصن الزيتون الذي

أعطاني إياه (دجن) عند رأسه لكنه أطال الحديث والسمر معي حتى

غلبني أنا النوم.

تنبهت قبل الفجر وقمت مسرعاً لأجد (عمار) قد غلبه النوم أيضاً

فوضعت غصن الزيتون عند رأسه وأسرعت للمرأة وحضرت (دجن)

وفي لحظة انتهائي من التحضير طار رأس (عمار) أمامي وتناثر دمه في

أرجاء الغرفة لطح جزء من تلك الدماء ملاسبي وخرج (دجن) بهيئته

البشرية وهو مبتسم ويقول:

«سقط (عمار) ساحر السلطان وسقط مع رأسه هيبة السحار»

لم أفهم كلام (دجن) الذي كان ينظر بابتسامة مخيفة لجثة (عمار) الملقاة

على الأرض والدماء ما زالت تنبع من عنقه المفصول حديثاً عن رأسه

فصرخت فيه بقوة وقلت:

لماذا قتلته؟!!

فرد وقال: إحنا جاين نلعب؟

فقلت له: لم أكن أريد قتله!!

فقال: لو ما قتلناه كان قتلنا هو!

سكت من هول الموقف ولم أتكلم.. حزنت على (عمار) لكن كلما تذكرت ما فعله بأمي خف حزني عليه.

بعد مضي دقائق قال (دجن): مشينا بس؟

قلت له: انتظر أريد أن أزور أحدًا قبل أن نرحل.

فقال: وهذا وقته؟.. مين طيب؟

فقلت: لا عليك.. انتظر هنا حتى أعود.

فقال وهو يضحك: لا تتأخر ترا أنا ما أعرف أطير بالليل

ذهبت لمنزل ذلك الرجل الذي أوصلني لمنزل (عمار) في زيارتي الأخيرة وسلكت الطريق نزولاً عبر المعبر الذي يقودني للقرية. وصلت لبيته مشياً على الأقدام وكان الصباح وقتها قد أشرق، طرقت بابه ففتحت لي ابنته الصغيرة وقلت لها:

أين أبوك؟

فسكنت ودخلت مسرعة وبعد دقائق من الوقوف أمام الباب المفتوح

خرج لي شخص غير الرجل الذي أوصلني فسألته عن الرجل وقال:

لا يوجد رجل في هذا المنزل غيري.

فقلت: مستحيل أنا واثق من أن هذا المنزل هو منزله.

فقال: تفضل فتش المنزل..

فقلت له: لا أبدًا العفو لكني واثق أن ذلك الرجل يعيش هنا.

فقال لي: ما هو اسمه؟

فقلت له: لا أعرف

فقال لي: صف لي شكله

فوصفت له ملامح الرجل فقال باستغراب:

هذا أبي..

فقلت له: ألم أقل لك إني كنت محققًا؟.. يبدو أنه في تلك الفترة كان

يزورك.. أخبرني عن مكان منزله وسوف أذهب له بنفسي.

قال الرجل: اتبعني..

مشيت مع ابن الرجل الذي أبحث عنه لفترة حتى توقف عن المشي

عندما بلغنا مكانًا بسور كبير وممتد وقال لي قبل أن يرحل:

أبي موجود خلف هذا السور اذهب وتحدث إليه.

فقلت: وكيف سأعرفه؟

فقال لي: اسأل عن (سالم)

لم أجد للسور بابًا فمشيت حتى وصلت لبوابة كبيرة عليها حارس  
منعني من الدخول فقلت له:

أريد أن أقابل (سالم)..

فقال: تفضل بالدخول إنه موجود بالداخل

فدخلت وصدمت من المنظر.. فقد رأيت مجموعة من القبور.. وكان  
قبر الرجل بينها.. لقد كنت في مقبرة القرية والرجل ميت منذ عشرة  
أعوام. سألت حارس المقبرة عن الرجل الذي رأيته وسألته كيف مات  
فحكى لي قصته.

قال حارس المقبرة:

(سالم) كان رجلًا تقيًا وصالحًا وكان كل أهل القرية يحبونه، وعندما  
كان في شبابه كان هو وأخوه الأكبر مسؤولين عن مسجد القرية  
ويتناوبان على الأذان والإمامة فيه وكان الناس يثقون بهما جدًا حتى ذلك  
اليوم الذي جاء فيه للقرية رجل غريب واشترى أحد المنازل التي كانت  
معروضة للبيع وسكن فيه. في البداية لم يعرف الناس أنه ساحر فقد كان  
يدعي الصلاح والورع وكان يعرض على الناس خدماته كعلاج السحر  
والربط والقراءة على المرضى والممسوسين لكن لم يكن أحدًا في القرية  
يعاني من تلك الأمور لذلك لم يكن أحد يزوره أو يطلب خدماته.

وبعد مضي عدة أشهر بدأت تظهر على بعض الناس أعراض لأعراض غريبة ومشكلات نفسية لم يجد الطب لها حلاً وبعد بأسهم وقلة حيلتهم بدأ البعض يذهب لذلك الرجل وكلما ذهب إليه أحد خرج معافى ومع مرور الوقت ذاع صيته بين أهل القرية. لم يعجب ذلك الوضع (سالم) وأخاه الأكبر لأن ذلك الرجل كان يستغل ويستنزف من الناس أموالهم دون وجه حق فقرروا الذهاب لمنزله والتفاهم معه.

طرق (سالم) الباب ففتح لها الساحر وقال:

ماذا تريدان؟

فرد عليه (سالم) بغضب:

اخرج أنت وخزعبلاتك من القرية!

فضحك الساحر وقال: ومن أنت لتطردني؟

فقال (سالم): أنا شيخ القرية وأنت ترتكب إثماً عظيماً بحق نفسك

وبحق أهل القرية ولن أسمح لك بالاستمرار في هذا الفجور!

فقال الساحر: أنا وأهل القرية أدرى بشؤوننا فلا تتدخل فيما لا

يعنيك.

أغلق الساحر الباب بعد كلامه في وجه (سالم) فغضب أخوه الأكبر

وطرق الباب بقوة فلم يفتح الساحر فكسر أخو (سالم) الباب ودخل

على الساحر عنوة فلحقه (سالم) ليجدا الساحر بين مجموعة من الطلاسم

وكانت رائحة المكان كريهة فصرخ فيهما الساحر وقال:

«اخرجا من هنا قبل أن تندما!»

فهجما عليه وضرباه حتى كاد يموت وسحباه لوسط القرية والدماء تسيل من وجهه وثيابه ممزقة واجتمع الناس حولهم وقال (سالم) بصوت مرتفع:

إن هذا الرجل ساحر ويخدعكم وهو الذي تسبب في مرضكم كي تلجؤوا إليه..

فغضب الناس وطرده من القرية وأحرقوا المنزل الذي كان يقطن فيه. بعد طرد الساحر بأيام بدأت فتيات القرية بالاختفاء بمعدل فتاة أو اثنتين في الأسبوع، كنّ يختفين فقط في منتصف الليل ومهما حاول أهلهن إغلاق الأبواب وحمايتهن كنّ ما زلن يختفين وفي بعض الحالات يسمع الأهل صراخ ابنتهم قبل اختفائها. مع تكرار حالات الاختفاء اجتمع (سالم) وأخوه الأكبر مع كبار أهل القرية ليلبحثوا في الأمر ويجدوا حلًا لهذه المشكلة التي بدأت تؤرقهم.

بعد اجتماع مطول في بيت (سالم) استنتج كبار أهل القرية أن هذا قد يكون من عمل الساحر الذي طرده انتقامًا لما فعلوه به فاقترح أحدهم أن يذهب (سالم) إلى العاصمة بحثًا عن مساعدة فوافق (سالم) لكن أخاه رفض وقال:

«أنا من سيذهب.. القرية وأهلها يحتاجونك..»

فشد أخو (سالم) رحاله للعاصمة وعاد بعد أسبوع، عاد ومعه رجل غريب يلبس عباءة سوداء ويغطي رأسه بخرقه حمراء ولحيته طويلة ويده

مغطاة بالخواتم والحلي. طلب أخو (سالم) الاجتماع بأهل القرية وقال:

لقد اكتشفنا الفاعل وهذا الرجل الطيب سيخلصنا منه

فسأل الناس: ومن هو الفاعل؟

فرد الرجل الغريب بصوت هادئ وقال:

إنه (جسار)..

فسكت الجميع.. وبدؤوا يتهامسون فيما بينهم ثم قال (سالم):

ومن (جسار) هذا ولماذا يهاجم قريتنا؟

فحكى لهم الرجل قصة الشيطان (جسار) وكيف قام الساحر الذي

طرده أهل القرية بتسليطه عليهم. بعد ما سمع الناس حكاية (جسار)

دب الرعب في قلوبهم لكن أخا (سالم) طمأنهم وقال:

لا تخافوا فهذا الرجل سيخلصكم منه لكنه يحتاج منكم بعض

المساعدة..

فقالوا: ليطلب ما يشاء لكن المهم أن ينقذ بناتنا..!

فطلب منهم الرجل قطعة من لباس كل شخص في القرية وإحضارها

للمسجد قبل صلاة المغرب ففرق الناس لتلبية طلبه.

عندما خلا المكان من الناس ولم يبقَ إلا (سالم) وأخوه والرجل

الغريب أخذ (سالم) أخاه الأكبر جانبًا وقال:

من هذا الرجل وأين وجدته!؟

فقال أخوه:

كنت أسأل إمام أحد المساجد أعرض عليه المشكلة التي كنا نواجهها فجاء هذا الرجل وأخبرني أن لديه حلاً لمشكلتنا.

فقال (سالم) بصوت غاضب منخفض:

وكيف تثق بشخص لا تعرف عنه شيئاً؟!

فرد أخوه وقال: لقد أثبت لي أنه يعرف الحل.

فقال (سالم): وكيف عرفت ذلك؟!

قال أخوه: لقد ذكر لي أسماء الفتيات المختفيات كلهن وكذلك أعمارهن ووصف أشكالهن

فرد (سالم) بغضب وصوته قد بدأ بالارتفاع قليلاً وقال:

هذا شيء يثير الشك وليس الثقة!!

فقال أخوه: ماذا تقصد؟

فقاطع الرجل الغريب حوارهما وقال:

هل هناك مشكلة؟

فقال (سالم) بغضب: نعم!.. هناك مشكلة!

فرد الرجل: وما هي؟

فقال (سالم): كيف عرفت كل هذه المعلومات عن فتيات القرية؟

فرد الرجل بهدوء: لأنني ساحر..

فصدم (سالم) وأخوه الأكبر وقالوا: ساحر؟!

قال: نعم ساحر.. وسوف أخلصكم من (جسار) وسيده بمبلغ من المال وإذا كنتم لا تريدون ذلك فسوف أرحل.

وهم الرجل بالرحيل فأمسكه أخو (سالم) من يده وقال:  
«اهدأ يا شيخ!»

فصرخ (سالم) في وجه أخيه وقال:

أي شيخ هذا؟! هذا ساحر كافر!

فقال الساحر: احفظ لسانك!

فصرخ (سالم) وقال:

لن نتعامل مع ساحر حتى لو اختفت بنات القرية كلهن!  
فقال الرجل: كما تشاء..

وخرج الساحر من بيت (سالم)..

فقال أخوه الأكبر: ماذا فعلت يا (سالم)!!؟

فقال (سالم): فليذهب إلى الجحيم لن نكفر كي ننجو فالله هو الحافظ!

خرج أخو (سالم) وراء الرجل يستجديه ويطلب منه البقاء ويحاول أن

يبرر لأخيه ما قاله لكن الرجل رفض ورحل. جاء المغرب وأحضر الناس

ما طلب الرجل منهم لكنهم لم يجدوه فقال (سالم) للناس المجتمعين عند

بابه:

«لنصل المغرب ثم لتحدث في الأمر في المسجد».

بعد الصلاة اعتلى (سالم) المنبر وشرح لأهل القرية الموقف وكانت ردود فعل الناس متفاوتة بين مؤيد ومعارض وصرخ رجل من بين الحشود الغاضبة وقال:

أنت لا تهتم لأن ابنتك ما زالت في أحضانك!

فقال (سالم): «والله لو استطعت لقدمتها فداء لبناتكن»

فقال بعض الناس بصوت واحد: «آمين»

خرج بعدها الناس من المسجد وبعضهم يتذمر من موقف (سالم) وتفردة برأيه. بقي (سالم) وأخوه في المسجد وهما يفكران في حل لهذه المشكلة ولم يخرجوا حتى اقترب وقت صلاة العشاء، وقبل الأذان بقليل دخل عليهما أحد أهل القرية وهو يصرخ بفرح:

«عادت ابنتي يا (سالم) لقد عادت!»

وتكرر المشهد مع شخص آخر ثم آخر حتى اجتمع كل أهل القرية في المسجد وهم يهللون ويكبرون فرحين، فرح (سالم) كثيراً وبين تهليل وتكبير الناس أذن أخو (سالم) لصلاة العشاء وصلّى الناس جماعة وبعضهم بكى في الصلاة من شدة الفرح. بعد انقضاء الصلاة تفرق الناس، وذهب (سالم) وأخوه للمنزل وكان (سالم) متزوجاً لكن أخاه الأكبر كان أعزب وكانا يسكنان في المنزل نفسه مع والدتهما وزوجة (سالم) وأطفاله الأربعة.

دخل سالم وأخوه وسمعا بكاء أمهما وزوجة (سالم) فسألها (سالم):

ما بكما؟!!

فردت زوجته وهي تبكي بشدة:

ابنتك اختفت يا (سالم)!!

سقط (سالم) على الأرض من شدة الصدمة وهول الموقف، التقطه أخوه وأخذه للسريـر وكان (سالم) يصرخ: أنا السبب في اختفائها!

ذهب أخو (سالم) إلى زوجة أخيه مسرعًا وقال لها:

«سأخرج للبحث عن مساعدة ابقي معه..»

ذهب أخو (سالم) إلى العاصمة ليلاً وبحث عن ذلك الرجل الذي طرده (سالم) من بيته حتى وجده وحكى له القصة التي حدثت بعد رحيله فقال الرجل وهو يبتسم بسخرية:

«لقد أخذ (جسار) ابنة أخيك وأعاد البقية لأن أباهـا دعا عليها ولعلها كانت ساعة استجابة فليتحمل ما أصابه».

نزل أخو (سالم) على ركبتيه وتوسل الرجل كي يساعده لكنه رفض وقال:

أخوك أهانني ولن أساعده حتى لو خر ساجدًا عند قدميَّ..

فقال أخو (سالم): اطلب ما تريد لكن.. أعد ابنة أخي له. فصمت الرجل قليلاً ثم قال:

سأفعل.. لكن بشرط واحد فقط

فقال أخو (سالم): اطلب ما تشاء!

فقال الرجل: أن تكون خادمًا عندي إلى أن يموت أحدنا.

فوافق أخو (سالم) بلا تردد وقال:

أعد ابنة أخي لأهلها وسأكون خادمك إلى الأبد.

فابتسم الرجل وقال: لقد عادت الفتاة قبل أن تنهي حديثك.

شكر أخو (سالم) الرجل وطلب منه أن يودع أهله للمرة الأخيرة قبل أن يقضي بقية حياته خادماً له، فوافق الرجل وأمهله يوماً واحداً فقط.

عاد أخو (سالم) مسرعاً لأهله ووجد ابنة أخيه بين أحضان أبيها فسعد بذلك وفرح وودعهم وقال لهم إنه وجد عملاً في العاصمة وسيغيب

لفترة من الزمن. عانق (سالم) أخاه فبدأ أخوه بالبكاء بحرارة لأنه كان يعرف أنها آخر مرة سيرى فيها وجه (سالم) فكان عناقه له قوياً وعناقه

لأمه أقوى. سأل (سالم) أخاه عندما رآه بهذه الحالة وقال: ماذا بك؟!!

فقال أخو (سالم): لا شيء.. لكنني سأشتاق لكم..

فقال له (سالم): كيف تقول لا شيء وأنت تودعنا بقوة وكأنك لن

ترانا مرة أخرى. لا تذهب لهذا العمل إذا كنت لا تقوى على فراقنا.

فقال أخو (سالم) وقد مسح دموعه:

لا عليك يا أخي فأنا لم أعتد على فراقكم أكثر من أسبوع من قبل.

حمل أخو (سالم) أمتعته وسار نحو الباب في طريقه نحو العاصمة.

فلحق به (سالم) وأمسك بكتفيه والدمع في عينه وقال:

«لا تغب طويلاً يا (عمار) فالمسجد يحتاجك..»

## قصة الشيطان (جسار)

### كما رواها الرجل الغريب

(جسار) هو الابن الأصغر للقرين المتمرد (مازع) وهو من أكبر الشياطين المتمردة وراح ضحيته الكثير من السحرة الذين حاولوا تحضيره. (مازع) خرج عن سيطرة صاحبه عندما حاول تحضيره لرؤيته وبمجرد تحرره قام (مازع) بقتل صاحبه وكل أسرته ومنذ ذلك الوقت وهو يتسلط على الناس ولم يستطع أحد إيقافه. انضم (مازع) لقبيلة «الكثبان» وتمكن من تولي قيادة العشيرة بعد وقت قصير بزواجه من ابنة زعيم القبيلة وأنجب من الأولاد سبعة أكبرهم قدرًا وأحبهم لقلبه كان (جسار) لأنه كان يشبه أمه التي رفعت من شأن (مازع) بين معشر الشياطين وبدوره كذلك رفع (جسار) اسم أبيه عاليًا بين أسياد الشياطين بقوته وشجاعته التي أظهرها في حروب القبيلة مع القبائل الأخرى. بقي (جسار) قرّة عين أبيه (مازع) حتى ذلك اليوم الذي عشق فيه (جسار) فتاة من الإنس وكان هذا محرّمًا في معشر الشياطين لكنه كان مسموحًا للأسياد ومع هذا كان الأسياد والذي يعتبر (جسار) وأهله من بينهم

يترفعون ويتجنبون عشق البشر أكثر من غيرهم لأنهم يرون في ذلك تدنيسًا لعرقهم وهبوطًا في مستواهم القبلي.

منع (مازع) ابنه (جسار) من زيارتها لكن (جسار) خالف أمر أبيه وعاد لزيارة تلك الفتاة لكن أمره انكشف وحوكم بالنفي مدى الحياة وسلبت منه حصانته ضد السحرة الصغار والمبتدئين كي يتحكموا به ويجعلوا منه خادمًا لأغراضهم ويقال إنه أصيب بضرب من الجنون بعد نفيه. بقي (جسار) خادمًا ذليلاً يتنقل من ساحر لآخر لقضاء حوائجهم ولم يكن يستطيع أن يفعل شيئًا لمنعهم بسبب الربط الذي ربطه أحد كبار الشياطين عليه، وفي يوم قام شاب صغير لم يتجاوز العشرين من عمره وكان في بدايته بتعلم السحر وحضر (جسار) بهدف البحث عن الثراء بواسطة السحر. عندما ظهر له (جسار) قال له الساحر الصغير أريدك أن تحضر لي أموالًا كثيرة.

فقال (جسار): أنت لا تفهم الغرض مني

فقال الساحر الصغير: وما هو الغرض منك؟

فقال (جسار): أنا أسلط على الجسد وأذهب العقل وأسكن المنام فقط.

فسكت الساحر قليلاً ثم قال:

ولماذا لا تختار ما تريد أن تفعل؟

فحكى (جسار) للساحر قصته.

فقال له الساحر: وكيف تتحرر؟

قال (جسار): بموت الشيطان الذي ربطني

فقال الساحر: وكيف ذلك؟

قال (جسار): بأن تحضره مقيدًا وتحضر معه شيطانًا آخر وتأمره بقتله

فقال الساحر: وما فائدتي من ذلك؟

رد عليه (جسار) وقال:

أموال الدنيا وأكثر ستكون تحت تصرفك.. فقط حررني وسأحقق

لك كل ما تريد..

فبحث الساحر عن كتاب لتحضير الشيطان الذي ربط (جسار)

وعن كتاب لتحضير من يقتله.. لكنه لم يجد.. فقال لـ(جسار):

لم أجد ما تريد لذلك لن أستطيع..

فرد عليه (جسار) وقال: ستجدهما عند ساحر اسمه (نجد) يسكن

(عدن) اذهب إليه واطلب مساعدته.

بحث الساحر عن (نجد) فلم يجده وسمع خلال بحثه وسؤاله

عنه عن قصة موته وتحرر قرينه فبحث عن كتاب قرينه فوجده وعاد به

لـ(جسار) وحكى له ما حدث فقال له (جسار):

حضره واسأله عن مكان الكتب.

فقال الساحر: ولماذا لا تفعلها أنت بنفسك فأنت شيطان علوي؟

فرد عليه (جسار) بغضب:

لأني مقيد ولا أملك قوة لفعل ذلك !!

فخاف الساحر وقام بتحضير (دجن) وعندما حضر (دجن) هم بقتل

الساحر لكن (جسار) صرخ عليه ومنعه وقال له:

توقف يا قرين (نجد).. حررني ولك ما شئت

فقال (دجن): وإيش راح أستفيد لما أساعدك يا مربوط؟

فقال له (جسار): أنت تعرف ماذا يمكن أن أفعله لك.

غاب (دجن) لفترة بسيطة ثم عاد ورمى كتاب تحضير الشيطان الذي

قيد (جسار) في وجه الساحر الصغير وقال له:

يلا خلصنا حضره بسرعة.. وأول ما تحضره اربطه لا تورطنا لأن

شكلك توك في الشغلة.

نفذ الساحر ما أمره به (دجن) وخرج الشيطان الذي قيد (جسار)

وهو يصرخ بشدة وحدث ما كان يخشاه (دجن) فلم يلحق الساحر

الصغير قراءة طلسم تقييد الشيطان الذي ربط (جسار) وفي لمح البصر

قسم الشيطان الساحر إلى نصفين فباغته (دجن) من خلفه وقتله قبل أن

يتبته لوجوده فتحرر (جسار) من قيوده وبدأ يصرخ ويزأر منتشياً لتحرره

عندها قال له (دجن):

يلا يا سيد وين وعدك؟

فقال (جسار): إذا لم تبتعد عني فسأمزقك أيها القرين الحقير

فقال (دجن): أفا.. طلعت مش قد كلامك.

وقبل أن يرد (جسار) عليه هجم (دجن) على (جسار) لكن (جسار) كان أقوى منه بكثير فصرعه أرضاً في لمح البصر وأمسك بعنقه لكنه لم يقتله وقال له:

«سأعفو عنك فقط لأنك ساعدتني لذلك بمجرد أن أتركك اخرج بلا عودة وإلا فلن ترى النور أيها القرين»

خرج (جسار) من منزل الساحر وقتل كل ساحر استخدمه في السابق لقضاء حاجة له وقد قام بقتلهم جميعاً في يوم واحد حتى لا يحذروا بعضهم بعضاً لدرجة أن السحرة الآخرين أصابهم الذعر من أن يصيبهم المصير نفسه حتى وإن كانوا لم يتعاملوا مع (جسار) من قبل. قام (جسار) بعدها بالاختفاء ولم يسمع عنه أحد حتى استطاع ساحر متمكن من الحجاز تحضيره وتسخيره لخطف النساء واستمر (جسار) يخدم ذلك الساحر حتى مات الساحر لكن (جسار) لم يتوقف عن الخطف وأصبح معروفاً بهذه الصفة ولا يستطيع تحضيره إلا من بلغ من علم الشعوذة درجة كبيرة ويبدو أن الساحر الذي اعتديتم عليه كان ذا مقدرة عالية وقام بتسليط (جسار) عليكم.



## عمار) والصعود للهاوية

وصل (عمار) لمنزل الرجل الغريب الذي طلب منه العمل لديه مدى حياته والذي اتضح فيما بعد أنه ساحر كبير ومشهور بين السحرة وبدأ (عمار) فور وصوله في خدمته وتنظيم مواعيده مع زواره من كل البلدان. أمضى (عمار) مع الساحر سنوات طويلة جعلته يفقد إيمانه تدريجيًا وينخرط في عالم السحر والشعوذة الخبيث وكان الساحر يلقن (عمار) خلال تلك الفترة بعض أسرار المهنة حتى أصبح (عمار) أحد السحرة المشهورين في العاصمة.

وخلال تلك الفترة التي أتقن فيها (عمار) معظم أسرار المهنة جاء رجل يبكي عند باب الساحر وطلب الدخول عليه فاستأذن له (عمار) من الساحر ودخل وبدأ يبكي للساحر قصته و(عمار) يقف بجانب الساحر ويسمع ما يدور بينهما. قال الرجل إنه تزوج منذ أشهر من فتاة تصغره في السن بفارق كبير ومنذ أن تزوجها بدأت الكوابيس تطارده وكان يأتيه شكل مخيف محاط بالدخان يهدده بأنه إذا اقترب منها فسوف يقتله وكان يأمره بتطبيقها في كل كابوس.

رد عليه الساحر وقال: هل لديك ما يكفي من المال؟

فقال الرجل: أنا تاجر معروف وأملك ما يكفي من المال.

فطلب الساحر منه مبلغاً كبيراً ودفعه الرجل دون تردد وهو يقبل يد

الساحر ويقول له:

«أرجوك خلصني مما أنا فيه»

أمر الساحر (عمار) بتوصيل الرجل وقال للتاجر:

«لا تخف لن ترى شيئاً بعد اليوم»

عاد (عمار) بعد أن قام بتوصيل الرجل للباب فوجد الساحر يتكلم ويتمتم فاخْتَبَأ وراء الباب لسمع كلامه لأن (عمار) كان يستخدم هذه الطريقة لحفظ الطلاسم التي لم يكن الساحر يخبره بها كي لا يتفوق عليه (عمار) ويبقى أضعف منه وبحاجته دائماً. سمع عمار بعض الطلاسم التي لم يسمعها من قبل وبعد ما انتهى الساحر منها ظهر دخان كثيف في الغرفة وبدأ الساحر بالحديث مع ذلك الدخان قائلاً:

«توقف يا (جسار) عن مطاردة التاجر وتوجه الآن لأخت المسؤول

الكبير»

فاختفى الدخان بسرعة وسكت الساحر وأغمض عينيه فدخل عليه

(عمار) بعد ما انتظر قليلاً وقال:

هل تأمرني بشيء آخر يا سيدي؟!!

فقال له الساحر:

لا.. اتركني وحدي الآن يا (عمار).

خرج (عمار) وهو يفكر في تحذير أخت المسؤول الكبير لأنه عرف الآن أن الساحر هو من أرسل (جسار) للقرية وهو من أمر (جسار) بخطف ابنة أخيه، فعمد (عمار) العزم على تحذير أخت المسؤول الكبير لكن الأمر لم يكن سهلاً ولم يستطع (عمار) الوصول للمسؤول الكبير أو أخته لتحذيرهما. مضت الأيام ونسي (عمار) القصة حتى دخل شخص ومعه مجموعة من الأشخاص وسألوا عن الساحر بالاسم فرد عليهم (عمار) وأخبرهم بأنه مشغول فدفعوه ودخلوا على الساحر بالقوة وقالوا له:

أخت المسؤول الكبير تعاني منذ أسابيع من شيطان يعذب بها كل ليلة وقد جربنا كل شيء حتى أخبرنا أحدهم أنك تجيد التعامل مع هذه الأشياء فهل هذا صحيح؟

فقال الساحر: نعم لكنني أريد مقابلة المسؤول شخصياً.

فرد أحدهم وقال: ولماذا تريد مقابلته؟!

فقال الساحر: الأمر يحتاج بعض الفحص والاستفسار وأنتم لن تنفعوا لذلك.

فتشاور الرجال و(عمار) خلفهم يشاهد ويسمع ما يدور بينهم ثم قال أحد الرجال بعد ما تشاور مع البقية:

يجب أن نسأل المسؤول الكبير نفسه فالقرار ليس بأيدينا.

فرد عليهم الساحر وقال: كما تشاؤون..

خرج الرجال وطلب الساحر من (عمار) الخروج وإغلاق الباب خلفه. أغلق (عمار) الباب لكنه لم يخرج واختبأ في الغرفة فسمع الساحر يستخدم الطلاسم نفسها التي أتت بالدخان، وفعلاً ظهر الدخان وقال له الساحر:

«اجعل ليلتها جحيماً يا (جسار) أريد المسؤول الكبير أن يأتي راکعاً بنفسه تحت قدمي ليطلب مني المساعدة»

فاختفى الدخان بسرعة ولم يستطع (عمار) الخروج خوفاً من أن ينكشف لذلك بات (عمار) في الغرفة حتى الصباح إلى أن خرج الساحر فخرج بعده مسرعاً لبيت المسؤول الكبير ليحذره لكن الحراس منعه، فجلس عند باب بيت الساحر يفكر. بعد ساعة من جلوس (عمار) عند باب بيت الساحر أقبل عليه الرجال أنفسهم الذين جاؤوا للساحر بالأمس وعلى وجوههم علامات الخوف والقلق وقالوا ل(عمار):

أين سيدك!؟

فقال لهم (عمار): خرج

فصرخ رجل منهم وقال: ومتى سيعود!

فرد (عمار) وقال: لا أعرف لكن أنا يمكنني المساعدة

فنظر إليه الرجل بازدراء وقال:

ومن أنت؟

فقال: أنا (عمار) مساعده

فقال له الرجل:

ليس باليد حيلة.. تعال معنا

ذهب (عمار) لقصر المسؤول الكبير واستقبله المسؤول استقبالا جيدا  
وطلب منه الكشف على أخته.. ففعل.. ثم قال له المسؤول:

هل تستطيع أن تساعدها؟

فقال له (عمار): لا.. لا أستطيع

فغضب المسؤول غضبا شديدا وصرخ في (عمار) واتهمه بالدجل  
والكذب لكن (عمار) قال له:

لكني أعرف من يستطيع

فهذا المسؤول وقال:

أرجوك دلني عليه..!

فرفع (عمار) سبابته للسماء وقال:

«الله لا إله إلا هو الحي القيوم..» الآية

فبكى المسؤول واقترب منه (عمار) وقال له:

لن يخيب الله ظنك إذا دعوته.. ولا ترتكب الخطأ نفسه الذي ارتكبه  
أنا باللجوء لغيره..

خرج (عمار) من القصر وخلفه صوت المسؤول يبكي ويدعو. توجه

(عمار) للبيت ولم يكن الساحر قد عاد وجلس على كرسي الساحر وبدأ بقراءة طلاسـم استدعاء (جسار) وعندما حضر قال له (عمار):

أريدك أن تقلب حياة الساحر إلى جحيم هذه الليلة وبعدها أنت حر يا (جسار) لكن قبل رحيلك أحضر لي رأسه

بعد رحيل (جسار) توجه (عمار) لفراشه ونام دون أن ينتظر قدوم الساحر كما اعتاد أن يفعل. استيقظ (عمار) في الصباح التالي ليجد رأس الساحر بجانبه ينظر إليه بعيون مفتوحة يتطاير حولها الذباب وفمه مفتوح وقد تهشمت أسنانه ورموشه جفت عليها بعض قطرات الدماء. نهض (عمار) من فراشه بكل هدوء وأمسك رأس الساحر ورماه بعيداً عن مضجعه.

ومنذ ذلك اليوم قبل ثلاثة عقود لا يعرف أحد لماذا لم يرجع (عمار) لأهله في القرية واختار عوضاً عن ذلك أن ينتقل لسفح جبل قريب منها ونقل معه كل كتب الساحر وبقي هناك إلى اليوم.

## آخر أيام (سالم) كما أخبر حارس المقبرة

أكمل حارس المقبرة حديثه بالحديث عن ما حدث لـ(سالم) أخيه (عمار) في تلك الفترة وقال:

بعد رحيل (عمار) للعاصمة بقي (سالم) في القرية مع أسرته وعادات حياته لطبيعتها واستمرت حياتهم طبيعية حتى اشتاق (سالم) لرؤية أخيه (عمار) والذي قد مضى على رحيله أكثر من عامين فشاور أهله ثم قرر الذهاب إلى العاصمة لزيارته لكنه لم يكن يعرف أين يجده لذلك قرر أن يسأل في المساجد لعله عمل كمؤذن أو إمام لأن صوت (عمار) كان جميلاً جداً. عندما وصل (سالم) للعاصمة بدأ بالبحث عن أخيه في المساجد لكنه لم يجده وظل في العاصمة يبحث عنه لأكثر من أسبوع حتى يئس وقرر العودة للقرية لكن شاء الله أن يرى (سالم) أخاه (عمار) مصادفة في السوق وهو يشتري بعض الحاجيات ففرح (سالم) جداً وتوجه إليه مسرعاً ليعانقه لكن (عمار) تظاهر بأنه لا يعرفه خوفاً من أن يراه الساحر لأن الساحر هدده بأنه إذا رأى (سالم)

مرة أخرى فسيقتله فتهرب (عمار) من أخيه وأنكر معرفته به لكن (سالم) أصر على الحديث معه إلى أن دفعه (عمار) وهرب. لحق (سالم) بأخيه بعد ما دفعه في السوق وحرص (سالم) أن يلحق بـ(عمار) دون أن يشعر حتى دخل (عمار) بيت الساحر مما دفع (سالم) لسؤال أحد المارة بقوله:

بيت من هذا..؟

فرد عليه وقال:

شيخ يقرأ على الناس.

فابتسم (سالم) وقال: الحمد لله..

لكن ذلك لم يجاب على السؤال الذي كان يدور في رأس (سالم) وهو لماذا أنكره (عمار) ولم يرغب في الحديث معه؟

قرر (سالم) أن يبقى ليلة أخرى في العاصمة حتى يتحدث مع أخيه ويعرف الجواب لسؤاله، وفي الليل سمع (سالم) طرقة على باب غرفته التي استأجرها للمبيت تلك الليلة ودار بينه وبين شخص غريب حوار على الباب لمدة لم تتجاوز بضع دقائق ثم عاد (سالم) بعدها لغرفته ورحل من كان يجاذبه أطراف الحديث (نقل هذا الكلام صاحب السكن الذي استأجره (سالم) للجهات الأمنية التي جاءت في الصباح للتحقيق ولنقل (سالم) للمستشفى) فقد جن جنون (سالم) بعد رحيل زائره بدقائق وفقد عقله تلك الليلة وبدأ بالصراخ طيلة الليل حتى

اضطر صاحب السكن إلى إبلاغ الأمن. بقي (سالم) في المستشفى عدة أشهر وتم إبلاغ أهله الذين كانوا يزورونه بانتظام حتى آخر يوم قبل وفاته منذ عشر سنوات.

انتهى كلام حارس المقبرة..



## خطوات دامية للوراء

بدأت بالسير تجاه القرية عائداً من المقبرة بعد سماعي للقصة التي رواها لي الحارس وبدأت أظن أني ظلمت (عمار) وأن (دجن) خدعني كي أسهل له عملية قتله لأنه لم يكن ليستطيع ذلك دون غصن الزيتون الذي شارك (عمار) فراشه البارحة، لكن لم أعرف سبب قتل (دجن) لـ(عمار).

وصلت للقرية ولم أذهب لبيت (سالم) وأكملت طريقي لبيت (عمار) الذي لم ينتشر خبر موته بعد لأنه يعيش في عزلة على سفح الجبل بعيداً عن الناس وقبل وصولي لمنزل (عمار) بمسافة بسيطة ظهر لي (دجن) وبدأ مستاءً وقال لي:

ليه تأخرت؟!!

فلم أرد عليه وأكملت طريقي. وظل طيلة الطريق وأنا أمشي باتجاه بيت (عمار) يكلمني بعصبية ويقول:

ليه بترجع؟.. خلاص خلنا نمشي!

لم أرد عليه حتى وصلت لباب منزل (عمار) فسكت (دجن) ثم

حولت نظري باتجاهه وقلت:

أنا لا أعرف لماذا قتلته.. لكنني أعرف أنه لا يمكن أن يكون الشخص الذي أرسل الشيطان لأمي وقد نجحت في خداعي لمساعدتك ولو أردت أن ترد لي هذه المساعدة يوماً ما فأخبرني.. أما الآن فإكرام الميت دفنه.

دخلت المنزل وظل (دجن) بالخارج صامتاً. نظفت المنزل من الدماء على قدر استطاعتي ودفنت (عمار) تحت شجرة كان يجب أن يستظل بها دائماً ثم دعوت له وعدت باتجاه منزله. توجهت ل(دجن) وقلت له بنبرة حادة:

أعدني لموطني..

فقال: ما راح أرجعك!

فصرخت فيه وقلت: أعدني يا شيطان!!

ولأول مرة أسمع (دجن) يقول:

«حاضر سيدي..»

وفي لمح البصر كنت أمام منزلي. دخلت المنزل وطمأنت أهلي وذهبت لغرفتي ونمت لفترة طويلة ذلك اليوم. مضت الأيام وقل ظهور (دجن) أمامي وتناقص هذا الظهور حتى بدأت أنسى شيئاً اسمه (دجن). بعد مضي بضعة أشهر ظهر لي (دجن) قبل صلاة المغرب بقليل وقال:

كنت أبغى أتركك لهم لكن ما قدرت..

فقلت له: لا أفهم شيئاً من كلامك.. ماذا تقصد؟

فقال: قبيلة (يعرم) طالبين الثأر من قرينك اللي قتله وهم جاين الليلة  
عشان يقتلون قرينك وإذا مات قرينك بتموت معه.

فقلت له: ولماذا تهتم أنت؟

فابتسم وقال: تعودت عليك يا خي.

سكت قليلاً وفكرت في هذه القبيلة التي قرأت عنها في كتب  
(عمار) فهم كانوا يلقبون بقبيلة «الأباطحة» وهم من الشياطين العلوية  
والقبليّة تسري في عروقهم وحياتهم كلها حروب مع قبائل الإنس  
والجن ولا مجال للتفاهم معهم و(يعرم) لم يكن فرداً عادياً من أفراد  
تلك القبيلة بل كان من أبناء سادتها ولن يتركوا دمه دون ثأر. سألت  
(دجن) وقلت له:

وما الحل برأيك؟

قال: نشوف لنا قبيلة معادية لهم ونطلب حمايتهم

فقلت له: هل جننت؟ الحامي هو الله.

فقال: يا خي لا تقعد تتشنج علي وتهايط ترا ما عندك إلا لحد صلاة

المغرب وبعدها أنت وقرينك بتفطسون!!

استجبت لكلام (دجن) بسهولة خاصة وأنه قال إنهم لن يكتفوا بي

بل سيقتلون أهلي جميعاً وقد يمتد أذاهم لأقاربي ولم أكن أعلم هل كان

ذلك صدقًا أم حيلة أخرى من (دجن) كي أستجيب له لكنني لم أكن مستعدًا لاكتشاف ذلك والمخاطرة بحياة عائلتي لذلك قلت ل(دجن):

وما العمل الآن؟

قال: نرجع لبيت (عمار) لأن الشياطين ما راح تفكر تقرب من بيته.

وفي غمضة عين كنا هناك ودخلت للمنزل لكن (دجن) بقي بالخارج

فقلت له:

لماذا لا تدخل؟ الرجل الذي كان يمنعك مات؟

سكت (دجن) ولم يرد علي واكتفى بالنظر للسماء وبقي بالخارج. كان

القمر تلك الليلة مكتملاً والجو جميلاً فخرجت أستمتع بالطبيعة الخلابة

في ذلك المكان. رأيت (دجن) جالساً وهو ما زال يجرد في السماء. لم

أستطع لومه فالسماء تلك الليلة كانت صافية وخالية من الغيوم والقمر

بالرغم من اكتمال نوره إلا أن النجوم كانت حوله واضحة. جلست

بجانب (دجن) الذي كان بهيئته البشرية، سكتنا قليلاً ثم تكلم (دجن)

وقال:

(عمار) ما كان طيب زي ما تظن.. كل السحرة يظهرون لك الطيب

في الأول لكن لهم يوم ويستغلونك.

فقلت له: وما أدراك؟

قال: صدقني أنا أخبر منك.

تغير مجرى النقاش عندما سأله وقلت:

وما العمل الآن.. لقد قطعنا مسافة طويلة ويجب أن يكون لنا خطوة

تالية؟

قال (دجن): قبيلة «الأباطحة» قبيلة قوية ولا يوازيها في القوة إلا

قبيلة واحدة وهم قبيلة «الكثبان».

فقلت له: أليست هذه قبيلة (جسار)؟

قال: بلى صحيح؟

فقلت له: هل فقدت عقلك؟

قال: ليه؟.. أنا وش قلت؟

قلت: كيف لقبيلة مثلهم أن تقف في وجه «الأباطحة» لأجل شخص

مثلي؟

قال: خل الموضوع علي ولا تخاف

فقلت له: اشرح لي ماذا ستفعل.

فقال: ليه؟ مو واثق فيني؟

فقلت له: طبعًا لا

فضحك وقام من مكانه ثم اختفى..

مكثت فترة في الخارج أتمعن في لمعان النجوم فعلى الرغم من أني

أمضيت في هذا المكان ثلاث سنوات من عمري إلا أنني لم أستمتع

بالمناظر الخلابة التي كانت حولي إلا من خلال نافذة زجاجية. دخلت لمنزل (عمار) بعد ما غلبني النعاس لأنام، وضعت رأسي على فراشه الذي كانت عليه بعض قطرات من الدم لم أنتبه لتنظيفها فأدّرت رأسي بالاتجاه الآخر ورأيت غصن الزيتون وقد جف وانكمش لحجم صغير ولم يبقَ منه إلا فتات يسهل نفخه.. فنفخته.

هجر النوم عيني بعد ما رأيت غصن الزيتون الجاف يطير أمامي فجلست على طرف السرير أقاوم شعور الحزن على (عمار) وأقول في نفسي:

«إنهم مجرد سحرة لا يستحقون منا الرأفة أو الحزن»

وأنا في معركة إقناع نفسي بذلك دمعت عيني وخنقتني العبرات. نهضت من السرير بعد ما أيقنت أن النوم لن يزورني تلك الليلة وبدأت أتجول في منزل (عمار) الذي كان منزلي لثلاث سنوات وبدأت أتذكر أيامي معه وأتذكر مبتسماً تلك الكتب والطعام المقرف الذي كان يحضره لي كنت أتجول في أرجاء المنزل أسترجع ذكريات كانت في وقتها مؤلمة. دخلت المكتبة ولأول مرة كان لي الخيار في القراءة من عدمه، أحسست بشعور مريح لأنني لست مجبراً على قراءة شيء منها بعد اليوم. كنت أتفرج على الرفوف وأنا أبتسم لكن ابتسامتي اختفت عندما وقعت عيني على كتاب لم أره في المكتبة من قبل. قلت في نفسي:

«لعله كتاب كالكتب الأخرى ولم أنتبه له من قبل»

لكن كنت متيقناً أن كل كتاب في المكتبة تصفحته ولو مرة بالرغم من أني لم أقرأ إلا ثلثيها من الغلاف للغلاف وهذا الكتاب لم يكن بينها عندما كنت موجوداً هنا. بدأ الفضول ينهش بي ولم أعرف لماذا، بدأت أقاوم الرغبة في فتحه واستقر بي الحال لقرار مسكه فقط. ذهبت للكتاب وأمسكت به وجلست على الطاولة ووضعتة عليها وأنا أقول في نفسي:

«ماذا تفعل؟ ألم ننته من قراءة ما نجهل؟».

ظل الكتاب أمامي نصف ساعة تقريباً وأنا أحرق فيه، كان لون الكتاب أحمر بلا عنوان وكبير الحجم على غير عادة الكتب الموجودة في المكتبة مما زاد فضولي أكثر وأكثر لكنني في النهاية وبعد تفكير أدركت أني لو فتحت الكتاب دون حاجة مع معرفتي بأنه قد يضرني فسوف يلغي ذلك أي حجة تحججت بها في السابق لدخولي في هذا العالم وسأكون قد خسرت نفسي وللأبد. عدت للفراش واستعدت بالله ونمت تلك الليلة. لم يدم نومي طويلاً فقد استيقظت على صوت (دجن) وهو يناديني من الخارج ويقول:

قم بسك نوم!

فخرجت وأنا مرهق فقام (دجن) بمسك أكتافي بيديه وهزي بقوة وهو يقول:

الجماعة وافقوا!

فقلت: أي جماعة؟

فقال: «الكثبان» ما غيرهم!

فقلت: وافقوا على ماذا بالضبط؟

قال: أن يحموني أنا وياك من «الأباطحة»

فطار النوم الذي كان بعضه ما زال عالقًا في عيني وقلت له:

كيف أقنعتهم؟!

فقال: ما لك دخل المهم أن الحراس معنا الحين.

فقلت: أي حراس؟

فصوب (دجن) نظره إلى الأفق وقال:

خلوه يشوفكم يا شباب!

فتكونت أمامي سحابة كبيرة من الدخان وبعد ما انقشعت ظهر منها

ثلاثة أشخاص أحدهم امرأة لم يكونوا كالbشر تمامًا لكنهم كانوا أضخم

بقليل وملاحظهم أكثر حدة.

قلت لـ(دجن): من هؤلاء؟

فقال: حراسنا من القبيلة يعني زي الأخويا كذا.

فقلت: وما فائدتهم؟

فضحك وقال:

ما تعرف فائدة الأخويا؟.. يعني حراس شخصيين لك

فقلت: وما هو المقابل؟

فنطق أحدهم بغضب وكان أضخمهم وكلم (دجن) وقال:

ألا يعرف صاحبك بالاتفاق؟!!

فظهرت علامات الارتباك على (دجن) وقال:

أكيد يعرف بس هو لسه صاحي من النوم ومو مركز ممكن تعطونا

فرصة نتكلم شوي؟

فقال الرجل الضخم:

لك ذلك..

رحل الحراس من أمامنا فأدرت نظري ل(دجن) وقلت:

ما القصة أيها الشيطان؟

فقال لي (دجن):

شوف أنا راح أحكي لك بالضبط اللي صار لكن حط في بالك أن أنا

ما كان عندي حل ثاني عشان أساعدك

فقلت له: تكلم ولا تراوغ!

فقال: طيب اسمع..



## الاتفاق الذي عقده (دجن)

### مع قبيلة «الكتبان»

أجلسني (دجن) ثم قال لي:

شوف.. ما عمرك تساءلت في يوم ليه (عمار) كان بهذه القوة وليه أنا ما كنت أقدر أدخل بيته وليه لما قتلناه..

فقاطعته وقلت: أنت قتلته وليس أنا.. !!

فقال: مو مشكلة مو مشكلة خلني أكمل..

فقلت له: أكمل..

فقال: ولما مات (عمار) حاولت أنا أقنعك إننا نمشي بسرعة؟

فقلت: نعم وكنت مستغرباً من عجلتك.

فقال: لأن (عمار) مو ساحر عادي فهو ساحر تحت الحماية.

فقلت: تحت الحماية؟

قال: إي تحت الحماية.. يعني محمي من العالم السفلي عشان كذا

الشياطين كانت تخاف منه وتخاف تتعرض له.

فقلت: وكيف حصل على تلك الحماية؟

فقال: اسمع الحكاية كلها ولا تقاطع..

فقلت: تفضل..

أخبرني (دجن) أنه بعد عودة (عمار) من العاصمة واختياره الإقامة في هذا الجبل بدل العودة لأهله بدأ يقرأ في كتب الساحر الكبير والتي كان معظمها بعيداً عن متناول يد (عمار) خلال فترة خدمته لذلك الساحر وخلال قراءاته على مدى شهور وقعت عينه على كتاب نادر جداً وسبب ندرته هو احتواؤه على طرق تحضير أسياد الشياطين وطلاسم ربطهم وتسخيرهم وهذه العملية صعبة جداً وتتطلب إمكانيات عالية لكن (عمار) جرب ونجح، قام (عمار) بقراءة إحدى صفحات التحضير الموجودة في ذلك الكتاب واختياره للصفحة كان في ما يبدو عشوائياً لأن الصفحة تخص تحضير (شند) وهو زعيم قبيلة من قبائل الشياطين ويتجنب السحرة عموماً التواصل معه فما بالك بتحضيره وتسخيره؟

كان (شند) زعيماً لقبيلة «الصوارم» وهو الأول من نسله وقد أسس قبيلته منذ مئات السنين ولم يخلفه أحد منذ توليه الزعامة لأنه من الشياطين المعمرة ولم يترك زعامة القبيلة منذ تأسيسها بالرغم من عدد أبنائه وبناته الكبير جداً. قرأ (عمار) الطلسم الذي كان أمامه وفي لحظات حضر عنده زعيم قبيلة «الصوارم» (شند) مقيداً ومربوطاً تحت أقدام (عمار) وظل يصرخ ويتوعد (عمار) بالقتل والتنكيل فخاف

(عمار) من المنظر وبدأ يدرك أنه ارتكب خطأ جسيماً بالعبث في تلك  
الطلاسم المتقدمة. لم يعرف (عمار) كيف يحرر هذا الشيطان ولو حرره  
فهل سيغفر له تلك الإهانة؟

استمر (عمار) بالقراءة في ذلك الكتاب على أمل الوصول لحل يخلصه  
من ذلك الشيطان الذي يصرخ أمامه ويهز أرجاء منزله بذلك الصراخ  
والعويل. وقعت عين (عمار) على سطر في إحدى صفحات الكتاب  
وكان السطر يقول:

«من طرق باب (جند) وقدم لها رأس (شند) سيبقى لنا سيفاً  
وسنبقى له (غمداً)»

لم يفهم (عمار) شيئاً من هذا الكلام لكنه المكان الوحيد في الكتاب  
الذي ذكر فيه اسم (شند) مرة أخرى لذلك قرر قراءة الطلسم الذي تبع  
ذلك السطر. بعد قراءة الطلسم مباشرة ظهر أمام (عمار) شيطان ضخّم  
تصاحبه امرأة جميلة وبمجرد رؤية (شند) لهما ازداد صراخه ووعيده  
ل(عمار) وقال له:

«سنطاردك حتى نتزع روحك من جسدك أيها المشعوذ !!»

وقبل أن يكمل (شند) كلامه أخرج الرجل الضخم سيفاً فصل به  
رأس (شند) عن مكانه لتسقط جثته على الأرض بلا حراك. أعاد الرجل  
الضخم سيفه لغمده ثم أشار بيده فظهر مجموعة من الرجال وقاموا  
بحمل جسد (شند) وخرجوا به وبقي رأسه على الأرض و(عمار) يقف

متسمراً بفم مفتوح بين الرأس وفاصله. اقترب الرجل الضخم منه وقال له:

«من الآن وحتى أبدك ستكون لنا السيف وستكون لك الغمد»

مد الرجل الضخم يده ووضعها خلف ظهر تلك المرأة التي كانت معه ودفعها باتجاه (عمار) وقال له:

«هي لك ومهرها قد وصل»

اكتشف (عمار) بعد زواجه من هذه المرأة أنها كانت (جند) ابنة (مازع) زعيم قبيلة «الكثبان» الشيطان الذي قتل (شند) في منزله ومهرها كان رأس زعيم قبيلة «الصوارم» لأن الصراع والتناحر بين القبيلتين على السيادة كان قديماً ودموياً ولم تستطع إحداهما القضاء على الأخرى حتى تدخل (عمار) جهلاً منه في الصورة وقام بتحضير زعيم قبيلة «الصوارم».

فلم أتمالك نفسي وقاطعت (دجن) وصرخت في وجهه وقلت:

هل أنت أحمق؟! .. نحن نهرب من ثأر قبيلة (يعرم) لتسقطنا في ثأر مع قبيلة «الكثبان» بسبب (عمار)؟

فضحك (دجن) بقوة وقال:

«يا حبيبي الشياطين ما تأخذ ثأر للبشر فلا تخاف»

فقلت له: ما الحكاية إذا؟

قال: فشل «الكثبان» في حماية (عمار) مني كان بسبب غصن الزيتون

اللي أنت حطيته عند رأسه فهذا الغصن أعمى حراسه وعطاني الفرصة  
عشان أقتله عشان كذا هم ما يعرفون من قتله.. وعلى فكرة مسؤوليتهم  
تنتهي عند الحماية بس ولا يتبعونها لا بثأر ولا دم.

فقلت له: كيف جاؤوا معك إذا؟

وهنا سكت (دجن) فقلت بنبرة غاضبة: تكلم!!

فقال: عمار بزواجه من (جند) صار مدون القبيلة وكل مدون له  
وريث وهذا الوريث يرث مسؤوليات المدون اللي قبله والحماية اللي كان  
ينعم فيها.

فقلت: وما شأني بذلك؟

فقال: وش رايك بعد؟.. قلت لهم إنك وريث (عمار).

فقلت له: وكيف صدقوك بهذه البساطة؟!

فقال: بسيطة.. شهدت الحراس بأنك جلست عنده ثلاث سنين وهي  
المدة اللازمة لتأهيل الوريث.

فقلت له: لقد أمضيتها بحثًا عن طريقة لإيقافك..

فقال: لا تصير غبي وتطيح من عيني.. (عمار) يا حبيبي كان يقدر  
يوقفني وينقذك من اللحظة الأولى اللي شافني فيها وأنا معك عند باب  
لكنه اختارك عشان تكون وريثه وأجبرك تقرأ الكتب اللي في مكتبته  
بحيلة إنك لازم تدور اسمي وإلا بتموت ولما تأكد أنك مستعد وتشربت

الحرفة رمى الكتاب اللي فيه اسمي قدامك بدون ما تتبته وأوهمك بأنك لقيته بالصدفة. وما أستغرب إذا ما يكون هو اللي مقترح عليك الكتاب عشان تقراه هناك اليوم.

فسكت من الصدمة.. وخلال سكوتي قال (دجن):

ما قلت لك إن (عمار) إنسان خبيث؟ وعلى فكرة نسيت أقول لك شي ثاني بعد..

فقلت: نسيت ماذا؟ ألم تنته المصائب التي في جعبتك؟

فقال وهو يبتسم بخبث واضعاً يده على كتفي:

المصيبة الجاية أجمل.. نسيت أقول لك إن الوريث يرث الزوجة بعد فجهز نفسك الليلة يا عريس ولا تفشلنا.

ضحك (دجن) بعد هذا الكلام ثم اختفى..

بقيت في المنزل أضرب كفاً بكف أفكر في كلام (دجن) والكارثة التي حلت على رأسي وكيف تلاعب (عمار) بي طوال تلك السنين. بعد أكثر من ساعة غابت الشمس تماماً وعاد (دجن) وقال وهو يبتسم:

جهزت حالك حق الليلة؟

فنظرت له وقلت: لماذا فعلت بي ذلك؟

فقال: وأنا وش سويت لك!.. إيش كنت تبيني أسوي لك يعني قبيلة (يعرم) جاها خبر إنك هنا ومخططين يقتلون قرينك وأنت ما تقدر عليهم لو تتمغط من هنا لبكرة!

فقلت له: لو كنت أعرف ما ستفعله لكنت اخترت الموت.

فقال لي: بلا هياط ما كنت بتختار الموت ثم إني أنا معاك في الموضوع وجماعة (يعرم) ضمونى معك فى الثأر يعنى ما فى مهرب وأنا كنت أحتاج حماية مثلك وأنا بصراحة مو بايع نفسى!

فقلت له: وما دخلك أنت كى يحميك «الكثبان»؟

فقال: «الكثبان» يحمون المدون وممتلكاته فقلت لهم إني عبد عندك.

فابتسمت وقلت: لكنى كنت أظن أنك تريدني عبدًا عندك؟

فقال: لا خلاص الأمور اختلفت الحين.. وشف لما تكون (جند)

معاك لا تطيح الميانة معاي عشان ما ننكشف.

فقلت له: لا تقلق سوف أعاملك كما تستحق.

نهضت وسألت (دجن): كيف سأتزوج من شيطانة؟

فقال: لا تخاف ما فى اختلاف كثير بين حريمنا وحرىمكم بالعكس

يمكن حريمنا أهون..

فضحكت ولم أكن أريد أن أضحك لكن (دجن) الخبيث كلامه كان

ساحرًا. قلت له:

ولكن أنا لم أتزوج من قبل ولا أعرف نساء البشر كى تقارن لي بهن

فقال: لا تخاف يا بني آدم هي أصلاً ما راح تجيبك إلا متشكلة على هيئة

بشر فماراح تحس بفرق.

فقلت له: هذا ليس أكبر همى صدقنى..



## ليلة زفافي على (جند)

جاء الليل ولا أعرف هل كان شعوري بالخوف طبيعيًا أم غير مبرر وهل هو خوف كل رجل من ليلة زفاهه أم خوف من الشيطانة التي ستشاركني الفراش هذه الليلة؟ في منتصف تفكيري هذا قاطعني صوت قادم من الخارج وقال:

«اخرج أيها المدون!»

فخرجت ووجدت ثلاثة من الحراس ومعهم (دجن) ويرافقهم شيطان ضخم يمسك في يده مخطوطة وعلى وجهه (دجن) ارتسمت تلك الضحكة الصفراء الخبيثة التي رأيتها على وجهه عندما قابلته أول مرة في المقبرة. تقدم الرجل الضخم الذي كان يمسك بالمخطوطة ويكبرني حجماً بثلاث مرات وقال لي:

«نحن عشيرة «الكثبان» نقدم لك الأميرة (جند) رفيقة تلازمك حتى

مما تك»

سكت.. ونظرت بينهم فلم أجد إلا الذكور ولم أر تلك الأميرة التي

كان يتحدث عنها.. ثم أكمل الرجل الضخم كلامه بقول:

«ستكون تحت حماية العشيرة كما أمر سيدها (مازع) وستحاسب مثلنا على أي تقصير أو خيانة تجاه القبيلة ..»

فقاطعته صوت امرأة ظهرت من خلفه فجأة ووقفت أمامي وقالت:  
«كفى يا (جسار) سترعب الفتى..»

فرد الرجل الضخم الذي اتضح أنه (جسار) ابن (مازع) الذي كان يخطف فتيات قرية (سالم) و(عمار) وقال:

لكن يا(جند) هذه أوامر أبينا ويجب أن نلقيها على مسمع المدون.  
فابتسمت ووضعت أناملها خلف أذني وقالت:  
أنا سأخبره بالبقية الليلة..

أشار (جسار) بيده للحراس الذين كانوا معه بالانصراف ثم لحق بهم بعدها بثوانٍ و(جند) تحديق بوجهي الذي بدا عليه الارتباك. أدركت وقتها أنها لم تكن تريد أحدًا بالجوار. قرأت ذلك في عينيها الواسعتين. وخلال عبثها بأناملها التي وضعتها خلف رأسي قال (دجن):

«هل تأمرني يا سيدي بالانصراف؟»

فلطمته (جند) على وجهه لكمة قوية وقالت له بنبرة حادة:

«اذهب من هنا أيها الأمرد!!»

نظر (دجن) بغضب نحو (جند) وخشيت أن يقوم بشيء أحمق فقلت له:

يمكنك الانصراف الآن!

رحل (دجن) وعلى وجهه ارتسمت علامات الغضب ولم ينزل عينه

من على (جند) التي عادت تداعب شعري وهي تقول:

«هل سبقى في الخارج كثيراً؟»

دخلنا أنا و(جند) إلى المنزل وكانت تسير في أرجائه وكأنها تألفه  
وتعرف كل زاوية فيه. أمسكت (جند) بأحد الكتب على الطاولة في غرفة  
المعيشة وفتحته وبدأت تتصفح فيه وقالت وهي تنظر في الكتاب:

أنت صغير على أن تكون مدوناً..

فقلت لها وأنا أبتسم بتوتر: ربما لأنى محظوظ..

أغلقت (جند) الكتاب بقوة وتجهم وجهها ونظرت باتجاهي وقالت:

ماذا تقصد بمحظوظ؟!

فقلت بخليط من الرعب والتوتر تغطيه ابتسامه:

«لا شيء... لا شيء...»

ابتسمت.. فبلعت ريقى من الارتياح المؤقت ولم أتفوه بكلمة بل  
حدقت بها بينما كانت تقرب منى بخطوات بطيئة حتى وصلت عندي  
وقالت:

هل أنت خائف منى؟

فقلت لها: ... لا..

فقال: هل أنت متزوج في عالمك؟

فقلت لها: ... لا..

فقلت: لماذا؟

فقلت لها: ما زلت صغيراً على الزواج.. لا أعرف

فقلت: وما هو العمر المناسب للزواج عندكم؟

سكت ولم أجب على سؤالها..

توجهت (جند) لغرفة نوم (عمار) وجلست على فراش زوجها السابق وأشارت بأناملها لي للجلوس بجانبها. جلست في الطرف الآخر من الفراش فاقتربت مني ووضعت يدها على رأسي وبدأت بالعبث في شعري مرة أخرى بتلك الأنامل الطويلة وقالت:

هل أنت متوتر؟

فقلت لها: بعض الشيء..

فقلت: لا تخف لتحدث قليلاً فالوقت ما زال مبكراً على إتمام

الزفاف.

أحسست في تلك اللحظة أنني العروس وليس العريس فقد كانت ممسكة بزمام الأمور وتحكمت في كل شيء وأنا لم يكن همي ومصدر قلقي سوى كلمة أقولها بالخطأ تعكر مزاجها وتودي بحياتي.

لم أتحدث في البداية فلم أكن أعرف ما هي الموضوعات المناسبة التي يمكن مناقشتها مع شيطانة لكن الجمود بيننا انكسر عندما قالت:

هل تجدني جذابة؟

فقلت: ماذا؟.. ماذا تقصدين؟

قالت: يمكنني التشكل بشكل آخر لو أحببت

فقلت: لا أبدًا أنتِ جميلة بما يكفي

فقلت: ماذا تقصد بما يكفي؟

فقلت: لا أعرف.. لماذا تتربصين لكل كلمة أقولها؟

فضحكت (جند) بقوة وفي تلك اللحظة تذكرت ضحكتها. لقد كانت تلك المرأة التي سمعتها عندما كنت محبوبًا في المكتبة والتي أنكر (عمار) أنه كان يقضي معها تلك الليالي.

أجابت (جند) على سؤالتي وهي تضحك بقول:

أنا لا أتربص لكلامك لكنك مختلف.

قلت: مختلف.. كيف؟

قلت: لا أعرف.. لست كباقي البشر الذين قابلتهم في حياتي.

قلت: ربما لم تقابلي عددًا كافيًا لتحكمي.

قلت: ربما..

أمضينا ساعات في الحديث تحدثنا في أمور كثيرة حكيت هي عن عالمها وحكيت لها عن عالمي وكانت تضحك بقوة عندما كنت أحكي لها عن نظام الزواج عندنا وخاصة عندما أخبرتها عن المصاعب التي يواجهها الشباب في بلدي خصوصًا إذا عقد العزم على الزواج فقالت وهي تضحك:

نحن لا نفكر بهذه الطريقة أبدًا فالزواج عندنا يختلف وخاصة بنات

القبائل الكبيرة مثلنا.

فقلت لها: وكيف يختلف؟

قالت: بنات زعماء القبائل لا يحق لهن الاختيار لذلك تجد أن أغلبهن يخترن لهن عشاقاً من الشياطين وأحياناً من الإنس كي يمارسن حريرتهن التي سلبت منهن بسبب تلك العادات البائدة.

فقلت لها: وهل كان لك عشيق قبل (عمار)؟

فقالت: لا.. لأن أبي يشدد عليّ كثيراً ويغرقني بالحراس كي لا أغيب عن ناظره لذلك أحسد (جسار) على حريرته.

فسألتها سؤالاً وكنت وقتها أخشى ردة فعلها منه لكنني استجمعت شجاعتي خاصة بعد سماعي ضحكاتها وقلت لها:

قرأت في إحدى المدونات أن أباك نفى (جسار) وعاقبه بتقييده ليخدم السحرة وقد قام (جسار) بالتخلص من قيده بقتل الشيطان الذي قيده.. هل هذا صحيح؟

قالت: نعم لكن (جسار) لم يقتل ذلك الشيطان الذي قيده لم يكن ليستطيع لا بد أن شيطاناً آخر ساعده.

فقلت لها (وأنا على علم سابق أن (دجن) هو من ساعد (جسار) كما أخبرني حارس المقبرة):

ومن تعتقدين قام بمساعدة (جسار)؟

فقالت: ليتني كنت أعرف كي أقتله

فقلت بتوتر: ولماذا تريدن قتل من خلص أخاك من قيده؟

فقالت: لأن (جسار) عاد لأبي وكسب رضاه فأقنعه بأن يسامحه بشرط أن يقتل تلك الفتاة التي عشقها (جسار).

فقلت: وهل قتلها؟

فقالت: نعم.. قتلها هي وأهلها وكل من كان حولها في تلك الليلة الدموية المشؤومة.. ولم يكتفِ بذلك بل أحضر رأسها لأبي أيضًا فقط لكسب رضاه.

فقلت: وما علاقة رغبتك بقتل من ساعد (جسار) بما حدث؟

فقالت: لو لم يساعده لما ماتت تلك الفتاة المسكينة وأهلها ولا خسرت أنا حب واهتمام أبي الذي بدأ يراني بعد اختفاء ذلك المجنون من الصورة فمع وجود (جسار) في العشيرة أنا أختفي تمامًا وكأني ليس لي وجود.

فقلت لها: وهل يهملك أمر تلك الفتاة؟

فقالت: بصراحة لا لكنني لا أحب الظلم لأنني أعرف معنى الظلم وأتجرع من كأسه كل يوم.

فقلت: ماذا تقصدين؟

فقالت: هل تظن أنه من السهل أن يختار لك أحد شريك حياتك ويجبرك على الزواج منه وإرضاء رغباته رغماً عنك.. هل تظن أن من السهل أن أؤف على كهل مثل (عمار) رغماً عني؟

فقلت: ألم تستطيعي الرفض؟

فضحكت بصوت عالٍ وقالت: بدأت أشك أنك مدون!

فتوترت وخفت أن أنكشف فقلت لها ضاحكًا:

أنا أمازحك فقط!

فتوقفت عن الضحك ووضعت عينها بعيني ويدها خلف رأسي  
وقالت:

«ومتى سينتهي المزاح أيها المدون كي نتمم زواجنا؟»  
فنهضت من السرير وقلت لها:

إذا كنتِ لا تريدين ذلك يا (جند) فلن أجبرك فأنا لا أريد أن تكون  
علاقتي الأولى مع شخص مجبور على البقاء معي..

قلت تلك العبارة وأنا في قلبي أقول:

«أتمنى أن تكون مجبورة فعلاً وتنتهز الفرصة وترحل»  
لكنها أمسكت بيدي وقالت:

أنت لست مثل (عمار) وأنا لم أعد تلك الشيطانة التي تمنع معاشره  
المدونين.

باتت (جند) تلك الليلة عندي وأتمنا الزواج..

أمضينا معظم تلك الليلة مستيقظين ولم تغفُ عيني إلا قبل الفجر  
بقليل خلال مداعبة (جند) لشعري. لم أعرف سر اهتمامها الشديد  
بشعري لكنني لم أكن أمانع. استيقظت قبل شروق الشمس بدقائق على  
صوت (جند) وهي في طريقها للخروج فقلت لها:

إلى أين؟

قالت: سوف أرحل الآن قبل وصول (مسترقى السمع)

فقلت: مَنْ؟

قالت: هذه أول ليلة لك كمدون وسوف تسمع كل يوم قبل الشروق والغروب بعض الهمسات والأصوات عند أذنك ولن تتوقف هذه الأصوات حتى تدونها على الورق»

فقلت: كيف أدونها وأنا لم أجرب من قبل؟

قالت: أعرف لذلك نبهتك وحاول ألا تفكر في الكلام الذي تسمعه فقط دونه بلا تفكير في المدونة الخاصة بقبيلتنا

فقلت: أين هي؟

فأشارت لذلك الكتاب الأحمر الذي كنت أشاور نفسي على فتحه في السابق وعندما التفت لأسأها سؤالاً آخر اختفت.



## الريشة الثقيلة

بعد ما اختفت (جند) بدأت بارتداء ملابسني وخلال ذلك دخل علي  
(دجن) كعادته مبتسماً تلك الابتسامة الصفراء وهو يقول:

«ها وش سويت يا عريس؟»

فقلت له بسخرية: لماذا لم تسترق النظر؟

فقال: يا خي أنت معلوماتك محدودة عن عالمنا.

فقلت: كيف؟ اشرح لي.

قال: حنا ما نقدر نراقب الي النبي وبعض الشياطين عندها حصانة  
ضد الشياطين الثانية خاصة الي تقل عنها في المرتبة.. أقصد أن خلوتك  
البارحة مع (جند) ما يقدر شيطان أقل منها رتبة يكون حولها لأنها  
بتحس فيه وبتذبحه.

فقلت له: كيف تتحدث معي هكذا بحرية ألا تخاف أن يسمعنا أحد

الحراس؟

فقال: الحراس يا حبيبي ما يقدرن يسمعون الكلام إذا ما وجه لهم

وهذا جزء من عملهم.

لبست آخر قطعة من ملابسي وقلت له: ما هي قصتك مع (جسار)  
ولماذا لم يقتلك؟

قال: جسار شيطان مجنون ولا يذكر شيء من اللي صار بيني وبينه  
لدرجة أنني لما شفته يوم رحلت لمكان تجمع قبيلة «الكثبان» عشان أطلب  
منهم الحماية لي ولك قابلني وقال لي:

«من أنت ولماذا أتيت؟»

فعرفت أن عقله يفوت ولا يتذكر شيء من اللي صار بيننا لما حررته.

فقلت ل(دجن): هل تعلم أن (جند) تريد قتلك؟

فقال باستغراب: ليه بعد؟

فحكيت له القصة التي قالتها لي (جند) فقال:

بدينا بمشاكل الحريم؟! .. ما عليك منها بس وانتبه لنفسك.

هم (دجن) بالرحيل فقلت له:

انتظر لدي سؤال يدور في ذهني منذ مدة ولا أعرف أحدًا يمكنه  
الإجابة عليه غيرك.

فقال: قل وش عندك..

فقلت: من هو الرجل الذي قابلته في القرية في زيارتي الثانية لـ(عمار)

والذي أخذني لبيته وبعدها لحق بي ليوصلني لبيت (عمار)؟

فتغير وجه (دجن) وقال: وش دراني أنا؟!!

فقلت: لدي إحساس بأنك تعرفه.

فقال: وليه تسأل طيب؟

فقلت: مجرد سؤال..

فقال: انس الموضوع وحاول تنسى هذا الرجال

فقلت: كيف أنساه؟

فصرخ وقال: انساه وبس يا خي !!

ثم رحل واختفى..

بعد رحيل (دجن) بدقائق بدأت أسمع تلك الوسوس التي قالت لي (جند) إني سأسمعها وفعلاً كانت مزعجة جداً ولم أستطع إخراجها من رأسي.

كانت تلك الأصوات متواترة وكأن عشرة أشخاص بأصوات مختلفة يهمسون في أذني في الوقت نفسه، كنت سأصاب بالجنون فتذكرت ما قالته (جند) عن تدوين ما أسمعه على الورق كي تتوقف الأصوات فذهبت مسرعاً للكتاب أو المدونة الحمراء وفتحتها حتى وصلت لصفحة بيضاء وأمسكت بالقلم وحاولت الكتابة لكن لم يظهر شيء على الورق فجربت بالقلم نفسه على يدي وملابسي فكتب بسهولة. عدت وحاولت الكتابة في المدونة فلم يظهر شيء، كنت أحاول أن أكتب والوسوس تنخر في أذني وعقلي حتى بدأ الصداع يفكك رأسي ويفتك به فبدأت بالصراخ لكن لم

يسمع أو يستجب لي أحد وبعد قليل تذكرت أن (عمار) كان يكتب بريشة ومحبرة ولم أره يكتب يوماً بقلم عادي فذهبت للمكان الذي كان يحتفظ فيه بالريشة والمحبرة وأخرجتهما وبدأت بالكتابة وفعلاً ظهرت أمامي الحروف والكلمات وبقيت عاكفاً على الورق الأبيض أكتب وأكتب حتى توقفت الوسائس.

كنا في موسم شتاء والغيم يغطي السماء دائماً ولم أكن أعرف أنها أشرفت إلا من نورها لأن الغيم كان يغطيها معظم ساعات اليوم. المطر وصوت تساقطه كان لنا يعزف كل يوم على سطح البيت وعلى أطراف نوافذه. في الليل لم أكن أستخدم الكهرباء فقد كان (عمار) يعتمد على ضوء القناديل والشموع التي كان يتزود بها في كل مرة يخرج فيها. بعدما انتهيت من تدوين وساوس الفجر بدأت في تصفح تلك المدونة الضخمة وبدأت أقرأ فيها كي يكون لي معرفة أكثر بمن أتعامل معهم.

قرأت في المدونة الكثير من الأخبار والأحداث التي تخص قبيلة «الكشبان» وتعرفت على بعض أسرارهم وبعض الأحداث المؤثرة في تاريخهم على الرغم من أن ما كان مكتوباً لم يكن مكتوباً بالطريقة التقليدية للكتب لكنني في ذلك الوقت ألفت هذا النوع من الكتابة وتعودت عليه وأصبحت أستطيع أن أستخلص منه العلم والمعلومة التي أريد. قرأت في المدونة عن عودة (جسار) لأبيه وكيف ساعه أبوه عندما أحضر (جسار) رأس تلك الإنسية التي عشقها وكتب في المدونة

أن (جسار) فقد عقله بعد ما قتلها لكنه كان مضطراً لذلك كي يوقف مطاردة أبيه وعشيرته له ويستعيد احترامهم الذي خسره بسبب عشقه لتلك الفتاة. كذلك قرأت عن التاريخ الدموي بين قبيلة (يعرم) الملقبين بـ «الأباطحة» وقبيلة «الكثبان» وكذلك الصراع المرير والطويل بين «الكثبان» وقبيلة «الصوارم» وهي القبيلة التي كان يرأسها (شند) قبل أن يحضره (عمار) ويطيح برأسه (مازع) في بيته.

تكلمت المدونة كثيراً عن (مازع) أبي (جسار) و(جند) وزعيم عشيرة «الكثبان» فقد كانت أكثر الوسوس تأتي في وصف تحركاته وبطولاته أما الوسوس الباقية فكانت تتوزع على أحوال العشيرة. بحثت في المدونة عن معلومات أو روايات عن (جند) فلم أجد إلا القليل بالمقارنة مع ما يكتب عن (جسار) وصولاته وجولاته مع فتيات الإنس. ذكرت المدونة وتكلمت في بعض صفحاتها عن نائر قوي يبحث عن الانتقام من العشيرة وكان في المدونة دائماً وصف لتحركاته ومواجهاته مع أفراد القبيلة الذين كانوا يتحدثون عنه بخوف ورهبة لأن كل من واجهه قتل بوحشية. كان هذا النائر يلقب ب (ملاس) وقد راح ضحيته الكثير من أفراد قبيلة «الكثبان» لكن لم يتضح في المدونة سبب هجومه المنظم والمتكرر عليهم أو ماذا كان يريد منهم.

انقطع حبل أفكارى وأنا أقرأ المدونة الحمراء عندما دخل علي (دجن) عند الظهر تقريباً وقال:

شخبارك اليوم؟

فقلت له: رأسي يؤلمني وأحس بصداع رهيب.

فقال: عادي.. كل مدون أول مرة يصدع لكن بعدها بتتعود.

فقلت له: ما الذي جاء بك الآن؟

فقال: بصراحة عندي لك خبر ما راح يسعدك

فقلت بتوتر: ماذا.. قل ما عندك!

قال: قبيلة «الأباطحة» بعد ما عرفوا أنك تعينت مدون لقبيلة «الكثبان» وبالتالي حمايتهم لك كانت مؤكدة راحوا لقبيلة «الصوارم» قبيلة (شند) السابقة والتي تولى زعامتها الآن ابنته (إينار) وعقدوا معهم هدنة وتحالف ينتهي بموتك أو موت زعيم «الكثبان» (مازع).

فقلت له: وما المشكلة؟

فقال: شكلك تمزح صح؟.. قبيلة «الكثبان» صحيح إنها قوية وممكن تكون أقوى قبيلة موجودة الآن لكنها ما راح تتنفس لما تواجه تحالف مثل تحالف «الأباطحة» و«الصوارم» وما راح تدخل حرب خاسرة عشان سواد عيونك.

فقلت: ماذا يعني ذلك؟

فقال: يعني عظم الله أجرك في نفسك.

فقلت: وما العمل الآن؟! يجب أن تجد لي حلاً فأنت من وضعني في

هذا الموقف!!

بدأت عيني ترمش بقوة عندما بدأت بالصراخ على (دجن) فقال لي

وهو يبتسم:

الظاهر قرينك مو عاجبه الكلام.

فقلت له: دعك منه الآن.. يجب أن تجدي حلًا!!

قال: مالك إلا أنك تهرب..

فقلت: أهرب؟!.. أهرب إلى أين؟!.. هل تريد أن يكون رأسي

مطلوبًا لقبيلة «الكثبان» أيضًا؟

فقال: مالك إلا هذا الحل.

ازداد رمش عيني وأنا أتحدث بانفعال وكان (دجن) يعلق وهو

يضحك بتعليقات سخيفة كقول:

«قرينك شكله خايف أو معصب»

فقلت له: لا تضيع الوقت.. هل هناك حل آخر غير الهروب؟

فقال: ما أشوف في الوقت الحالي غير هالحل.

فقلت: لم أر من حلولك إلا المصائب.. اتركني الآن سوف أفكر أنا

في حل بنفسي. خرج (دجن) وتوقف رمش عيني وبدأت أفكر في حل

حتى غلبني النوم. استيقظت في المغرب على صوت وساوس الغروب

التي أفرغتني من نومي ولم تتوقف حتى دونتها وقرأت في طياتها عن

الاتفاق بين «الأباطحة» و«الصوارم» وتنامي قلق قبيلة «الكثبان» من

هذا التحالف خاصة مع تزايد هجمات الثائر (ملاس) والذي بدأ يطيح

ببعض الأسياد من القبيلة ولم يكن لديهم الوقت والقوة الكافية لمواجهة مثل هذا التحالف. أدركت وقتها أنني يجب أن أرحل. جلست في البيت أفكر حتى المساء وعندما انتصف الليل جاءت (جند) لقضاء الليلة معي وكانت هيئتها هذه المرة متغيرة ولون شعرها مختلفًا كانت (جند) لكنها لم تكن (جند) كانت أكثر فتنة من الليلة السابقة. اقتربت مني ورأت نظرات الانبهار والتعجب في عيني وقالت:

«(عمار) لم يرني بهذه الهيئة من قبل لكنني أريدك أنت أن تراني بها».

أمضيت معها بضع ساعات وقبل موعد رحيلها سألتها وقلت:

من هو (ملاس) هذا يا (جند)؟

فأدارت رأسها نحو الباب وقالت بهدوء:

«ولماذا تسأل؟»

فقلت لها: اسمه تكرر كثيرًا في المدونة لكنني لا أعرف الكثير عنه ولم أجد في الكتب الموجودة هنا شيئًا يتكلم عنه غير المدونة الخاصة بقبيلتكم.

فقلت: ولا نحن نعرف عنه الكثير.. كل ما نعرف عنه أنه قرين مؤمن وهذا النوع أشد أنواع الأقران قوة أقوى بكثير من أي قرين متمرّد.

فقلت: حتى أريك؟

فقلت: حتى أبي..

فقلت: ولماذا يطاردكم هذا القرين المؤمن لأنني قرأت في المدونة أنه

قتل الكثير منكم وبدأ مؤخرًا بقتل بعض الأسياد من قبيلتكم؟

فقلت: من النادر جدًّا أن يبحث قرين وبالذات مؤمن عن الثأر لصاحبه لكن (ملاس) كان مختلفًا.

فقلت لها: هل (ملاس) هذا قرين (سالم) أخي (عمار)؟

فقلت: نعم ومن حرره كان يريد منه قتل (سالم) لكن حدث العكس تمامًا.

فقلت لها: كيف.. لقد اختلطت الأمور علي؟

قالت: عندما ذهب (سالم) للعاصمة بحثًا عن (عمار) لم يجده إلا عندما لمح في السوق مصادفة وهرب منه (عمار) ذلك اليوم فلما قرر (سالم) البقاء في العاصمة حتى يجد أخاه قرر أن يبيت تلك الليلة في العاصمة، وفعلاً بات في أحد الأماكن المستأجرة لكنه لم يعلم أن خبر وصوله قد وصل للساحر الكبير الذي كان (عمار) يعمل عنده فأرسل الساحر (جسار) له ولم يأمره بقتله لكن قال له:

«حرر قرينه وقرينه سيقتله بالنيابة عنا.. لا نريد دمه على أيدينا»

وفعلاً زار (جسار) وهو متشكل (سالم) في مسكنه ليلاً وعندما فتح (سالم) الباب قرأ (جسار) عليه أحد طلاسم تحرير القرين ورحل.

فقلت: وماذا حدث بعد ذلك؟

قالت: اتضح أن قرين (سالم) قد أسلم منذ مدة متأثرًا ب (سالم) وهو يجب (سالم) جدًّا ولا نية له في أذيته.

فقلت: وما المشكلة إذا؟

قالت: قرين (سالم) ظهر ل(سالم) وحاول أن يعانق صاحبه من الفرع فطار عقل (سالم) من الخوف وبدأ بالصراخ طوال الليل.

فقلت: نعم صحيح.. لقد سمعت هذا الكلام من قبل.

أكملت (جند) حديثها وقالت:

هل تعرف أن قرين (سالم) جلس بجواره طيلة العشر السنوات التي كان فيها صاحبه مريضاً إلى ساعة وفاته وبعد وفاة (سالم) أقسم (ملاس) أن يأخذ بثأر صاحبه وأن يضع رأس (جسار) على قبره؟

فقلت: لذلك عاد (جسار) يتوسل لأبيك بأن يصفح عنه لأنه كان يحتاج الحماية.

قالت: بالضبط.. فبمجرد ما سمع (جسار) بقسم قرين (سالم) بأخذ الثأر من الذي حرره وتسبب في جنون ومرض (سالم) أدرك أنه هالك فهو لن يستطيع التفوق على قرين مؤمن مهما فعل وكان يحتاج حماية القبيلة لردع (ملاس).

فقلت: ولذلك كرهت من حرر (جسار)؟

فقالت: نعم فلقد كنا قد ارتحنا من (جسار) ومصائبه عندما كان مقيداً لكن بعد تحرره لم نر غير المشكلات التي تجر القبيلة للهاوية يوماً بعد يوم.

فقلت: ولماذا لا تقتلين (جسار) بنفسك إذا؟

فقالت: قتل من حرره لن يضرني فأنا أميرة ولي حصانة لكن قتل أخي وهو أمير مثلي سيرمي بي إلى التهلكة وسيجلب العار لأبي.

فقلت: وأين (ملاس) الآن؟

فقالت: لا نعرف لأن أكثر الشياطين الذين نرسلهم للبحث عنه لا يقومون بمهامهم خوفاً منه. لكن هناك وساوس تقول إنه عاد وسكن بيت (سالم) ليبقى مع أطفال وأحفاد سالم.

وفي تلك اللحظة تذكرت ذلك الرجل الذي نصحني في المسجد وأوصلني لبيت (عمار) وقلت في نفسي هل من الممكن أن يكون هو (ملاس)؟

سألت (جند) وقلت لها: لماذا لا تهجمون على بيت (سالم) بقوة كبيرة فمهما كانت قوة (ملاس) فهو لن يتفوق على أعدادكم الضخمة.

فابتسمت (جند) وقالت: ألا تظن أننا فكرنا في ذلك من قبل؟

فقلت: ولماذا لم تفعلوا إذا؟

(جند): هجمنا بقوة على منزل (سالم) أكثر من مرة ومن جنون (جسار) اقترح على أبي قتل عائلة (سالم) بأكملها كي نجبر (ملاس) على مواجعتنا لكن أبي رفض خاصة وأن حصانة المنزل قوية وكان هناك ملك يجرس المنزل كل ليلة. يبدو أن أحدهم يتحصن كل ليلة بالأذكار والآيات.

أنهت (جند) حوارها معي بقبلة مباغته وكأنها تريد إغلاق الموضوع وعدم التحدث فيه أكثر. بتنا تلك الليلة في هدوء ولم أفتح معها الموضوع مرة أخرى. خرجت (جند) كعادتها قبل الفجر وبعدها حضر شياطين الوسوس وبدأت أدون وسوسهم حتى الصباح. عدت لأقرأ ما كتبته لأنني في حالة الكتابة لا أستطيع استيعاب المكتوب لكوني في حالة أشبه بالهلوسة فلا أدرك ما خطته يميني.

بدأت بالقراءة وبصراحة كنت أبحث عن أي أخبار عن (ملاس) لكن لم أجد شيئاً لأن أغلب الأخبار كانت عن (مازع) وأولاده السبعة وقلقهم المتزايد من التحالف بين «الأباطحة» و«الصوارم» ومطالبات (جسار) المستمرة بتوجيه ضربة مباغته لهم لكن (مازع) كان يرفض دائماً ويطلب من حراسه الاستمرار في تقصي أثر (ملاس). فأغلقت المدونة وأكملت نومي.

## ليلة تحريك البيادق

مضت الأيام وأصبح يومي روتينيًا بين لقاءاتي مع (جند) في الليل وتدوين للوساوس عند الشروق والغروب والنوم أغلب النهار بالإضافة إلى زيارات متقطعة من (دجن) والتي كنت أتوق إليها لأنه الوحيد الذي كان يستطيع إضحاكي في تلك الفترة. بدأت أنسى موضوع الهروب خاصة وأن (دجن) طمأنني في إحدى زيارته أنه لا يوجد تحركات من جهة قبيلة «الصوارم» أو قبيلة «الأباطحة» بعد تحالفهم بل على العكس حدث نوع من الهدوء النسبي بين القبائل. بعد عدة أشهر وفي يوم ماطر وأنا أقرأ ما كتبته بعد تدوين وساوس المغرب لمحت اسم (ملاس) بين السطور ففتحت عيني أكثر وركزت انتباهي وقرأت ما كتب فوجدت أن (ملاس) قد تمكن من قتل أحد أبناء مازع وكان اسمه (صان) والعشيرة مقلوبة لهذا الخبر وبعد ساعات من قراءتي لهذا الخبر دخل علي أحد الحراس الموكلين بحراستي وقال:

«سيدي المدون الأميرة (جند) لن تتمكن من الحضور الليلة وأنا ومن معي من الحراس تم استدعاؤنا لحضور مراسم الجنائز لذلك لا تخرج الليلة من دارك كي لا تصاب بأي أذى»

قال الحارس هذه العبارات ثم اختفى..

لا أنكر أني شعرت بالخوف في البداية لكنني في الوقت نفسه شعرت بالارتياح لأنني استعدت الحرية التي سُلبت مني منذ فترة طويلة ولو كان ذلك لبضع ساعات. وبينما كنت في نشوة هذا الإحساس خرجت للخارج الدار أتنفس هواء الجبل الأخضر العليل وفي لمح البصر خرج (دجن) وقال:

يلا هذي فرصتنا الوحيدة يلا خلنا نروح!

فقلت له بتعجب: إلى أين؟

قال: ما عليك أنا مرتب كل شيء بس تعال!

مد (دجن) يده في إشارة لي كي أمسكها وفعلاً أمسكتها فوجدت نفسي أمام منزل (سالم) فأدرت نظري نحو (دجن) وقلت له:

ما الذي نفعله هنا؟

فقال: لا تخاف ادخل وما جاك بوجهي.

فقلت وأنا في طريقي للدخول:

وجهك لا يتحمل كل ما أصابني بسببك.

فضحك (دجن) وخف صوت ضحكه كلما تقدمت داخل منزل (سالم) أو في الحقيقة منزل ابن (سالم). جلست في مكان أشبه بالمجلس المخصص للضيوف وبعد دقائق ظهر لي ذلك الرجل الذي أوصلني لمنزل (عمار) في زيارتي الثانية فوقفت مفزوعاً فقال:

«اجلس يا بني فأنا لن أوذيك..»

جلست وعيني عليه لم تفارقه لثانية وبعد دقائق من الهدوء بيننا بدأ يتكلم الرجل معي وحكى لي أنه قرين (سالم) وحكى لي كذلك القصة التي أخبرتني بها (جند) لكنه أضاف بعض الإضافات التي كانت تجهلها (جند) مثل أنه حاول بعد موت (سالم) أن يذهب ل(مازع) ويقتله لكن الحراس حوله كانوا أكثر من أن يواجههم كلهم وحده فعقد العزم على تجنيد من يشاركه هدفه في قتل (مازع) من الأقران المتحررين والمنشقين من القبائل الثائرة على (مازع) وخلال تلك السنين جمع (ملاس) مجموعة لا بأس بها من الأقران والشياطين لكنهم ما زالوا أقل من أن يخوضوا معركة ضد (مازع) وقبيلته. سكت قليلاً بعد حديث (ملاس) معي ثم قلت:

وما علاقتي أنا و(دجن) بالموضوع؟

فقال: بعد مقتل (صان) على يدي سيكون اهتمام (مازع) الآن منصباً على الثأر لابنه وسوف تكون حمايتك آخر اهتماماته وقبيلة «الأباطحة» و«الصوارم» قد عقدوا العزم على قتلك خلال الأيام المقبلة و(مازع) وقبيلته لن يخوضوا حرباً خاسرة من أجلك وستقتل أنت و(دجن) في لحظات.

فقلت: وماذا تريد مني أن أفعل؟

قال: ساعدني في كسر شوكة (مازع)..

فقلت: كيف.. أنا مجرد إنسي ضعيف ولست بقوتكم؟

قال: مكني من قتل (جند) وبذلك سينهار (مازع) وستمكن من الهجوم عليه وهو مصدوم بمقتل ابنته بعد مقتل ابنه بيوم واحد فقط.

فقلت: مستحيل.. لن أساعدك على قتل (جند)!

فصرخ في وجهي وقال:

هل أصبحت تدافع عن الشياطين الآن.. أم أنك وقعت في حب ابنة (مازع)؟!!

فقلت: لا هذا ولا ذاك لكن لا أريد أن أشارك بقتل أحد حتى وإن كان شيطاناً.

فقال: لقد شاركت في قتل (عمار) بمساعدتك ل(دجن).

فقلت له بصوت مرتفع: (دجن) خدعني ولو كنت أعرف نيته لما ساعدته!!

فقال: لا ترفع صوتك في وجهي أيها المدون!!

فسكت..

بعد ثوانٍ استأنف (ملاس) الحديث معي وقال:

هل تعرف أن (دجن) قتل (عمار) بأمر مني؟

فقلت: ماذا؟!.. بأمر منك؟

فقال: نعم.. ف(دجن) قرين متمرّد مثلي ويريد الانتقام من (جسار)

لما حدث بينهما في الماضي لذلك كان من السهل تجنيده.

فقلت: وأنا أرفض أن تجندني وإذا كنت تريد قتلي فافعل.

سكت (ملاس) فترة بعد ما رأى أني مصر على عدم المشاركة في قتل (جند) ثم قال:

أنا لن أقتلك لكن قبيلة (يعرم) وحلفاءهم سيفعلون ذلك بدلًا عني.

فقلت: فليكن.. هذا ليس سببًا لأقتل (جند) أو غيرها.

سكت (ملاس) مرة أخرى ثم قال:

حسنًا.. لن نقتل (جند) لكن إذا أردت حماية مني ومن معي يجب أن تساهم معنا في المواجهة مع (مازع).

فقلت: وكيف أساهم في مواجهة بين شياطين؟

فقال: أعرنا قرينك..

فقلت: ماذا.. قريني؟

فقال: كما سمعت.. سوف أحرر قرينك ليشارك معنا في الهجمة على

(مازع) وبهذا تكون واحدًا منا ونتكفل بحمايتك.

فقلت له: وإذا رفضت؟

فقال بغضب: سنرميك عند قبيلة «الأباطحة» كي يمزقوك أنت

وقرينك ولا تظن للحظة أني لن أفعلها!

في تلك اللحظة بدأت عيني ترمش بقوة فوضعت يدي على عيني

فقال (ملاس) وهو يتسّم:

هذا قرينك يرجوك أن توافق فهو خائف على نفسه أكثر منك.

فقلت ويدي ما زالت على عيني:

سأوافق بشرط..

فقال (ملاس): ليس لك الحق في وضع شروط خاصة وأن حاجتك

لنا أكثر من حاجتنا لك.

فقلت له: دون هذا الشرط لن أوافق وأنا أعني ما أقوله.

نظر (ملاس) للأرض لدقائق وكأنه يفكر في كلامي ثم قال:

ما هو شرطك؟.. وتذكر أنني لست ملزماً بتنفيذه.

قلت له: شرطي هو أن تجيب على سؤال واحد بكل صدق دون

كذب.

فقال: سؤال؟.. ما هو سؤالك؟

فقلت: بما أن (دجن) تحت حمايتكم فهو لا يحتاج حماية من «الكثبان»

فلماذا قام بكل ما قام به كي يوفر لنفسه حماية من القبائل الأخرى ما دام

في حمايتك؟

سكت (ملاس) وكأنه لا يريد الإجابة ثم قال:

لأنه كان يريد حمايتك أنت.

فقلت: أنا؟ ولماذا يريد حمايتي فأنا مجرد إنسي جمده في الماضي؟

قال (ملاس) وهو يهم بالنهوض:

لا أعرف أسأله هو.. أعطني جوابك الآن أيها المدون هل أنت معنا؟

فوافقت على مضمض لأن خياراتي كانت معدومة وبدأ (ملاس) بقراءة  
طلاس ثم تحرير القرين علي فتحرر. ظهر قريني أمامي وكان نسخة مطابقة  
لي لكنه فاقد إحدى عينيه. ابتسم ثم اندفع نحوي وعانقني قريني وقال:

«شكرًا.. أعدك أن أكفر عن ذنبي في مقتل (يعرم)»

وضعت يدي وأنا مرتبك ومتعجب جدًا على كتفه وقلت:  
«لا بأس فقط حاول ألا تموت».

رحل (ملاس) وتبعه قريني وبعدها دخل علي (دجن) وقال:  
وأنا بعد لازم أروح معاهم..

فقلت: إلى أين؟

فقال: بعد ما انضم قرينك معانا خلاص صرنا مستعدين للهجوم  
على (مازع) وقبيلته.

فقلت له: كم عددكم؟

قال: مئة قرين متمرّد ثلثهم مؤمن والباقي شياطين»

فقلت: وقبيلة «الكثبان»؟

قال: خمسة آلاف شيطان نصفهم أقران متمرّدة والباقي شياطين  
سفلية بالإضافة ل(مازع) وأبنائه.

فقلت له: ألا تعتقد أن الكفة ليست في مصلحتكم؟

فقال: إحنا ما راح نواجه القبيلة كلها إحنا راح نهجم على (مازع)  
مباشرة ونضربه ضربة رجل واحد و(ملاس) حط خطة محكمة لهذه  
الهجمة.

فقلت: وماذا لو قتل قريني في هذه المعركة؟

فقال وهو يتسم:

لا تخاف وصينا ابن (سالم) أنه يرجع جثتك لأهلك..

وبعدها اختفى (دجن) للحاق بهم.

دخل علي ابن (سالم) بعد أن رحل (دجن) للحاق ب(ملاس) وجيشه ولم أحتج لسؤاله عن شيء لأنه كما يبدو كان يعرف كل شيء من اللحظة الأولى التي قابلني فيها أول مرة وأخذني للمقبرة.

جلست معه في صمت حتى اقترب الفجر وطلبت منه ريشة ومحبرة كي أدون الوسوس الفجرية فقال:

لا داعي لذلك الآن، فقبيلة «الكثبان» مشغولة بكل جنودها في محاولة لتخليص (مازع) من تقدم (ملاس) بمن في ذلك شياطينها المكلفة بالوسوسة.

فقلت له: ماذا تقصد..؟ هل بدأت المواجهة؟!

فقال: نعم منذ اللحظة التي لحق بها (دجن) المجموعة

فقلت: وماهي الأخبار؟

فقال: سقط منا الكثير لكن ضحاياهم أكثر.

فقلت: وماذا عن قريني هل مات؟

فضحك ابن (سالم) وقال:

كيف مات وأنت أمامي الآن؟

ثم سألته عن القماش الأبيض الذي كان بين يديه وعن سبب إحضاره معه فقال:

هذا كفنك في حال موت قرينك ستسقط هنا أمامي ويجب أن أدفنك فوراً حتى تتضح الصورة. فبلعت ريقى الذي جف من الخوف وبقيت أنتظر نتائج تلك المواجهة. أغمض ابن (سالم) عينيه ودخل في حالة من الكمون. بعد ساعة من الانتظار بصمت نطق ابن (سالم) وهو مغمض العينين وقال:

«المعركة تنقلب ضدنا.. خسرنا الكثير من الأتباع.. (جسار) و(جند) هما آخر أبناء (مازح) الذين لم يسقطوا حتى الآن و(مازح) محاط بألف شيطان و(ملاس) يأمر (دجن) وقرينك بالتقدم نحوه.»

جلست أسمع تلك الأخبار المتقطعة وأنا أرتجف وأرتعد أنتظر اللحظة التي يسقط فيها قريني لأسقط معه. استمر ابن (سالم) بالتمتمة بأخبار المعركة حتى قال:

«أصيب (ملاس) و(دجن) يقف بجانبه يذود عنه»

فكانت ردة فعلي الوحيدة هي بقول:

و قريني ماذا حل به!؟

لكن ابن (سالم) لم يكن في وعيه كي يرد علي. استمر ابن (سالم) في سرد الأحداث حتى قال كلمة هزتني وزادت الرعب الذي فاض به

صدري حيث قال:

«الأباطحة» وحلفاؤهم دخلوا المعركة عندما علموا أن قرينك  
مشارك فيها وأمروا شياطينهم باستهدافه»

هنا وفي تلك اللحظة بدأت بالتشهد والاستغفار وأنا أرتجف من  
الخوف لأنني أيقنت أن ساعة الرحيل عن هذه الدنيا قد حانت. وأنا في  
تلك الحالة أصبت بالإغماء وغبت عن الوعي. استيقظت عند الظهر  
في مجلس بيت ابن (سالم) وكان المكان هادئًا ولا أثر لابن (سالم) في  
المجلس ولم أر سوى كفني ملقى أمامي. بعد قليل دخلت علي حفيدة  
(سالم) الصغيرة ومعها بعض الطعام ووضعت أمامي وقالت وهي  
مبتسمة:

«كل».. ثم رحلت..

أخذت أبحث بنظري في الغرفة عن أحد ليخبرني بما حدث فلم أجد  
فنهضت ولم أتناول الطعام الذي أحضرته حفيدة (سالم) وخرجت خارج  
الدار لكنني لم أجد أحدًا كذلك، سمعت أذان الظهر الذي لم أسمعه منذ  
مدة طويلة فتوجهت للمسجد كي أصلي بحثًا عن الراحة. بعد انتهاء  
الصلاة بدأت أبحث بين المصلين بنظري عن ابن (سالم) ولم أجد له لكنني  
سمعت الإمام يقول:

«الصلاة على الميت يرحمكم الله»

فصليت معهم وتبعت الجنازة وسألت أحد المشيعين عن اسم المتوفى  
فقال:

«إنها (فاطمة) ابنة الشيخ (سالم) يرحمه الله»

فتوقفت عن السير في الجنازة حتى ابتعدت عني ولم أكن أعرف ماذا  
أفعل، كنت محتارًا بين العودة لمنزل (سالم) أو العودة لمنزل (عمار) أو  
العودة لبلدي. كنت مشتتًا وغير قادر على اتخاذ قرار. وأنا في حيرتي هذه  
في وسط الشارع ظهر لي (دجن) ولأول مرة أفرح لرؤيته وقال لي بتوتر  
واستغراب:

وش موقف كذا في وسط الشارع!؟

فقلت: لا أعرف.. ماذا تقصد؟

فقال: تعال.. تعال خلنا نروح لبيت (سالم)!

ذهبنا لبيت (سالم) ودخلنا للمجلس الذي كان فارغًا ثم جلسنا  
وكنتم أنتظر تفسيرًا من (دجن) عن ما حدث بالأمس ونتيجة المواجهة  
لكنه ضل صامتًا ينظر للباب فبادرته بالسؤال وقلت:

ماذا حدث بالأمس وأين قريني وقرين (سالم) وابن (سالم).. ما الذي

حدث؟

سكت (دجن) وكان يبدو متوترًا ثم قال:

والله ما أدري أيش أقول لك لكن السالفة تعقدت..

فبدأ قلبي بالخفقان وقلت له:

أخبرني كفاك مراوغة أرجوك..!

فقال: طيب خلاص بقول لك لكن خلك هادئ ولا تقاطعني.

فقلت له بحسرة.. تفضل لن أقاطعك..

## أحداث المعركة كما رواها (دجن)

قال لي (دجن) إنهم ذهبوا مع (ملاس) والمجموعة التي معه لمكان تجمع قبيلة «الكثبان» وكانت الخطة هي الاقتراب من مكان (مازع) قدر الإمكان والانقضاض عليه فجأة بكل قوتهم لكن تسللهم كشف قبل وصولهم للنقطة التي كانوا يريدون الهجوم منها فدخلوا في معركة طاحنة مع «الكثبان» وأدرك (ملاس) عندها أنهم سيهلكون لو استمروا في القتال معهم خاصة وأن (مازع) بدأ بتحصين نفسه بإحاطة مكانه بالشياطين المقاتلة وأمر جميع أبنائه بالتجمع حوله فقرر (ملاس) أخذ ثلث المجموعة والذهاب لمكان (مازع) في مهمة شبه انتحارية وكان من ضمن الذين اختارهم (ملاس) هم (دجن) وقريني وقرين ابن (سالم) وقرين أخته (فاطمة).

توجهت المجموعة الانتحارية التي اختارها (ملاس) للهجوم على مكان تحصن (مازع) ودارت معركة دموية راح ضحيتها كل أبناء (مازع) ما عدا (جسار) و(جند) وقتل منا قرين (فاطمة) وأصيب (ملاس) إصابة بليغة لأنه كان يندفع بقوة نحو (مازع) رغبة منه في حسم المعركة بقتله

لكن الشياطين حول (مازع) كانوا أقوياء وكانوا ل(ملاس) بالمرصاد. استمرت المعركة لساعات وبدأت بوادر النصر تظهر بتساقط الحراس حول (مازع) ولكن انقلبت الأمور عندما تفاجأ (ملاس) وأتباعه بدخول قبيلة «الأباطحة» للمعركة وهم يصرخون: «الثأر (ليعرم)» فعلم الجميع أنهم سيستهدفون قريني في البداية فارتبكت صفوف (ملاس) ومن معه وبدأ «الأباطحة» بالهجوم عليهم كي يصلوا لقريني وانشغل (ملاس) وأتباعه في صد هجوم «الأباطحة» والدفاع عن قريني مما تسبب في خسائر كبيرة بين صفوف أتباع (ملاس).

استغل (مازع) وجيشه انشغال (ملاس) وأتباعه برد هجوم «الأباطحة» على قريني والفوضى التي أصابت أرض المعركة لإعادة ترتيب صفوفهم ومشاركة «الأباطحة» في الهجوم على قريني الذي كان يقاتل بجانب (ملاس) وبعد قتال طويل سقط ضحيته الكثير تم محاصرة (ملاس) وفرقه الانتحارية. ما زاد الأمر سوءًا هو أن المجموعة التي تركها (ملاس) لصد جيش «الكثبان» خلفهم قد خسروا مواجهتهم وقتلوا جميعًا مما جعل جيش «الكثبان» المتبقي من تلك المواجهة يغير اتجاهه نحو الفرقة البسيطة التي كان يقودها (ملاس) والتي كانت ما تزال تواجه جيش «الأباطحة» وحراس (مازع) وحدها.

بدأ (ملاس) ومن معه بالمقاومة ولأن صفوفهم كانت ممتلئة بالأقران المؤمنين استطاعوا مقاومتهم لفترة طويلة أسقطوا خلالها الكثير من

شياطين «الأباطحة» و«الكثبان» لكن كثرتهم وتكالبهم عليهم كان يقودهم لهزيمة حتمية. عندما أدرك (ملاس) ذلك وأن المسألة كانت استنزافاً حقيقياً لمجموعته التي ستسقط لا محالة بعد فترة من الزمن وإن طالت قرر أن يغير خطته ونادى قرين ابن (سالم) وهمس في أذنه ثم اختفى قرين ابن (سالم) بسرعة. بعد دقائق من اختفاء قرين ابن (سالم) جاءت أوامر من (إينار) زعيمة قبيلة «الصوارم» لقييلتها بنقض عهدهم مع «الأباطحة» والدخول في المعركة لمساعدة (ملاس) والتركيز على قتل (مازع). انقلبت المعركة وبدأ «الصوارم» بتوجيه ضربات موجعة لجيش «الأباطحة» وجيش (مازع) من الخلف وكان جنودهم يتساقطون واحداً تلو الآخر.

بعد عراك طويل كانت الغلبة لـ(ملاس) وجيشه ومن معه من «الصوارم» وتم إبادة جيش «الأباطحة» وجيش (مازع) بأكمله عدا من فر وهرب من أرض المعركة بمن فيهم (جسار) و(جند). قبضت الفرقة المنتصرة على (مازع) وعلى زعيم قبيلة «الأباطحة» وفصلت رؤوسهما عن أجسادهما على مرأى ومسمع الجيش. تقدم (تكاش) قائد جيش «الصوارم» وأحد أبناء (شند) زعيم قبيلة «الصوارم» السابق الذي قتله (مازع) في بيت (عمار) ورفع رأس (مازع) وهو يصرخ بين الحشود ثم وضع رأس (مازع) تحت أقدام (ملاس) وقال له:

«أختي (إينار) تشكرك على مساعدتنا كي نصبح القبيلة المتسيدة بين القبائل وتقدم لك رأس (مازع) في المقابل»

هنا قاطعت (دجن) وقلت له:

وما هو المزعج في الأمر؟.. هذه أخبار مفرحة.. لقد انتصرنا!

فقال (دجن):

خلمي أكمل لك إيش اللي صار بعد كذا..

فقلت له: تفضل..

شرح لي (دجن) كيف أنه بعد الانتصار الساحق لهم قررت قبيلة «الصوارم» العودة وسحب جيشها وبقي بعد ذلك (ملاس) وأتباعه يبحثون عن الناجين فلم يجدوا إلا ٢٤ تابعاً كان من ضمنهم قرين ابن (سالم) و(دجن).

فقلت ل(دجن): وماذا عن قريني؟

فقال إنهم توقعوا أنه قتل في المعركة خاصة وأن معظم شياطين «الأباطحة» كانوا يستهدفونه في حموة القتال، فظنوا أي مت وبدأ ابن (سالم) في مراسم دفني لكنه تفاجأ عندما وجدني ما زلت أتنفس فتركني مكاني وذهب للتحضير لجنائزة أخته. سكت (دجن) بعدها ثم قال:

حتى أنا تفاجأت لما شفتك بين صفوف المشيعين لجنائزة (فاطمة).

سكت قليلاً ثم قلت:

ما معنى هذا الكلام؟.. أين ذهب قريني!؟

فقال (دجن): قرينك هج وما ندري وين راح..

فقلت: نعم؟!..!! هل تقصد أنه هرب؟!.. ولماذا يهرب؟!!

قال (دجن): ما أدري.. لا تسألني..

فقلت بغضب: ومن الذي يعرف إذا؟!!

وخلال نقاشنا الذي بدأ يتحدث دخل علينا (ملاس) ومعه قرين ابن (سالم) وآخرون وقال:

«قرينك وقع في أسر من تبقى من قبيلة (مازح) و«الأباطحة» وهم الآن يساومون عليه»

.. فصمت قليلاً ثم قلت: وماذا يريدون في المقابل؟

قال: يريدون من قتل ثلاثة من إخوانهم في المعركة وقتل (عمار) وقتل رئيس زعيم قبيلة «الأباطحة» نفسه.

فوجهت نظري إلى (دجن) الذي كان ينظر لـ(ملاس) وهو مصدوم.  
فقال (ملاس):

اتخذوا قراركم قبل المغرب إما أن نسلم لهم (دجن) ونستعيد قرينك أو سيتم إعدام قرينك عند منتصف الليل.

خرج (ملاس) ومن معه وبقيت أنا و(دجن) في صمت حتى نطق (دجن) وقال:

أنا بروح لهم..

فقلت: لا.. دعهم يقتلوا قريني.

فقال: ما تترك عنك الهياط أبد..

فقلت له: لن أسامح نفسي على ذلك وهذا ذنبي كما قال لي (عمار) وأنا أستحق ما سيحدث لي.

فقال (دجن):

ومن اللي قال لك إنه ذنبك؟.. أنا اللي ورطتك مع قبيلة (مازع) وأنا اللي تسببت في كل هالمشكلة.. و بيني وبينك أنا زهقت وما عندي شيء أخسره.

فقلت له: لا.. سوف أخبر (ملاس) بقراري.

ولكن عندما هممت بالخروج لإخبار (ملاس) بأني ذاهب بدلاً عن (دجن) سقطت على الأرض مغشياً علي. استيقظت في المساء على صوت بعض الطلاسم القريبة من مسمعي فنظرت فإذا به ابن (سالم) يقول لي: لقد عاد قرينك بجانبك الآن وقد انتهيت للتو من ربطه بك.

فقلت له وأنا أستيقظ: وماذا عن (دجن)..؟

قال لي: (دجن) أخبرنا باتفاقكما على تسليم نفسه وتم الأمر منذ نصف ساعة».

فدفعت ابن (سالم) وخرجت أجري لمنزل (عمار) وابن (سالم) يصرخ خلفي ويقول:

إلى أين ستذهب!؟

لم أرد عليه وبقيت أجري وأجري حتى وصلت لبيت (عمار)  
ودخلت وفتحت كتاب تحضير أسياذ الجن وبدأت أبحث فيه وفجأة  
ظهر لي (ملاس) وقال:

ماذا تظن نفسك فاعلاً؟!

فقلت له ولم أرفع عيني عن الكتاب:

سوف أنقذ (دجن)..

فصرخ بغضب وقال: ألم يكن هذا اتفاقاً؟!

فشرحت له ما حدث.. فأغلق الكتاب بيده وقال:

لقد قضي الأمر فلا تثر حرباً جديدة أيها المدون!

فقلت له: هل قتلت من حررك وقتل (سالم)؟

فقال: ماذا تقصد؟

فقلت له: (جسار) هو نذك الحقيقي وليس (مازع) وهو الهدف من  
كل ما قمت به ومع ذلك فهو ما زال على قيد الحياة وسوف يقتل أكثر  
شخص ساعدك في معركتك وثأرك. فغضب (ملاس) ونزع الكتاب من  
يدي وقال بصوت مرتفع:

لن أسمح لك بفعل ذلك !!

فقلت له: (دجن) قتل (عمار) من أجلك وقتل الكثير في تلك المعركة

دفاعاً عن ثأر لا علاقة له به والآن وبكل سهولة تتخلى عنه؟!!!

قال: هذا المصلحة للجميع.

فقلت: لا توجد مصلحة إلا لك!

فسكت (ملاس) قليلاً وهو ما زال ممسكاً بالكتاب في يده ثم قال:  
ماذا تريد أن تفعل أيها المدون؟

فقلت له: نستخدم الكتاب لأسر (جسار) وإحضاره هنا مقيداً  
والمساومة عليه بـ(دجن)!

فقال: وإذا لم توافق (جند) على هذه المساومة؟

فقلت له: يجب أن نحاول!

وضع (ملاس) الكتاب في يدي وقال:

حضّر (جسار)..

## شيطان على كف عفريت

بدأت بتحضير (جسار) بعد ما أرشدني (ملاس) للطلسم الذي يقوم بذلك في الكتاب الخاص بتحضير الأسياد وخلال دقائق ظهر (جسار) مقيداً في بيت (عمار) وهو يصرخ قائلاً:

«سأقتلك أيها المدون السافل وسأقتل كل أفراد عائلتك وسأجعلك تندم على ما فعلت!!»

فلطمه (ملاس) لطمه أفقدته الوعي وقال:

ماذا الآن أيها المدون؟

قلت له: ألا يوجد طلسم لتقييد (جند) في الكتاب؟

فقال: لا.. فـ(جند) لم تصنف يوماً من الأسياد.

فقلت له: اذهب لها إذا وساومها على حياة (جسار) في مقابل تحرير

(دجن).

فقال: حسنًا.. لكن أرجو أن لا أندم على مساعدتي لك..

فقلت له: أنت تساعد نفسك بمساعدتك لي.

و ذهب (ملاس) واختفى..

غاب (ملاس) لأكثر من ساعة وخلال هذه الساعة استيقظ (جسار)  
وقال بهدوء وهو ملقى على الأرض:

أنت أغبى مدون رأيتَه في حياتي..

فقلت له: احرص أيها الشيطان ولا تتكلم..

فقال: هل تظن أن (ملاس) يريد قتلي؟.. لو كان يريد قتلي لفعل ذلك  
منذ أن قيدتني هنا لكنه يريد قتل من حرره وتسبب في موت صاحبه.

فقلت له: أنت من حررتَه وتسببت في موت (سالم).

فضحك (جسار) بصوت غليظ ومرتفع وقال:

أيها الأحمق (جند) هي من حررتَه بأمر من أبي وأنا كنت في الفترة  
السابقة مجرد حارس لها من (ملاس)!

فقلت له وأنا مصدوم:

أنت كاذب وتحاول خداعي لكنك لن تنجح!

فقال (جسار): (ملاس) يستطيع الآن أن يأخذ بثأره من (جند) لأن  
في المعركة كنت أنا من يقف حائلاً بينه وبينها وأنا من أصابه في المعركة  
لأنه لم يكن مهتماً بقتل أبي بل كان يلاحق (جند) طيلة المعركة وقد  
خدعكم جميعاً لتحقيق مسعاه.

فقلت له: أنت كاذب فقد كان يمكنه أن يقتل (جند) عندما كانت

تزورني وحدها.

فقال: (جند) لم تكن يوماً وحدها وفي كل زيارة لك كان معها ألف شيطان بقيادتي يقفون خارج المنزل لحمايتها من أي هجمة. فصمت.. وبدأت بربط الأمور بكلام (جسار) ووجدت أن احتمال قوله الحقيقة وارد جداً مما زاد في حيرتي.

سكت قليلاً ثم قلت له:

وماذا عن (دجن)؟

قال: (دجن) مغرر به مثلك و(ملاس) لا يهتم لأمره أو أمرك فهو قرين مؤمن ولا يهتم للشياطين أو السحرة.

فقلت له: لا بأس فليقتل (جند) ويقتلك أنت أيضاً لا فرق عندي.

فقال (جسار) وهو يتسم: بموتي أنا و(جند) أيها المدون سيبدأ (ملاس) بحملة تطهير كبيرة ستشمك أنت و(دجن).

بعد سماع كلام (جسار) بدأ القلق يدب في صدري وزادت حيرتي وكنت أتساءل هل (جسار) يقول الحقيقة أم أنه فقط يحاول أن يوسوس لي مثل أي شيطان؟ وخلال تفكيري وحيرتي قال (جسار):

«أطلق سراحي أيها المدون وسوف أعطيك ضماناً بأني لن أمسك أنت و(دجن)».

فقلت له: وما هو هذا الضمان؟

فقال: سأرشدك إلى كتاب «العهد» لو قرأت طلاسمة فسأكون عبداً عندك وبذلك لن أؤذيك حتى لو أردت..

فقلت له: وماذا يثبت لي صحة الكتاب؟

فقال: ستعرف بنفسك أن الكتاب ليس بخدعة لأنه مكتوب بخط يد (عمار) وهو من الكتب التي ألفها بعد سنوات من امتهانه للسحر والشعوذة.

فقلت له: أين الكتاب؟

فقال: ستجده مدفوناً تحت شرفة المنزل اذهب وتحقق بنفسك.. فذهبت وحفرت عند شرفة المنزل وبالفعل وجدت الكتاب وعندما فتحته وجدت أنه فعلاً بخط يد (عمار) ووجدت في الصفحة الأولى سطرًا واحدًا فقط وكان يقول:

«حروف من نار خطتها ريشة عمار»

فدخلت على (جسار) والكتاب مفتوح في يدي فصرخ (جسار) وقال:

«لا وقت للقراءة أيها المدون اقرأ الصفحة العاشرة بسرعة!»

فقرأتها في لحظة لم أكن أفكر فيها بسبب ارتباكي من صرخات (جسار) التي زادت حدة وعنفاً.. و فجأة.. وبعد قراءتي للتلسم المكتوب في الصفحة العاشرة صرخ (جسار) وتحرر من قيوده ووقف أمامي يتنفس بأنفاس ثقيلة كالثور الهائج وعيناه مشتعلتان كالنار وعندها أحسست أني ارتكبت خطأ جسيماً. نزل (جسار) على ركبته وأنزل رأسه أمامي وقال بهدوء:

هل تأذن لي يا سيدي باللحاق بـ(ملاس)؟

.. فسكت..

ثم أعاد (جسار) السؤال مرة أخرى وقال:

هل تأذن لي يا سيدي باللحاق بـ(ملاس)؟

.. كنت مرتبكا ولم أعرف ماذا أقول فسكت..

فأعاد السؤال مرة أخرى وقال:

هل تأذن لي يا سيدي باللحاق بـ(ملاس)؟

وهذه المرة قلت له: نعم.. وفي لمح البصر اختفى (جسار)..

بقيت بعدها في المنزل أفكر في ما حدث وكيف تم التلاعب بي من شيطان إلى آخر وكيف أن هذا العالم غريب ومن الصعب معرفة من يقول الحقيقة فيه وأخذني التفكير إلى ماذا ستؤول إليه الأمور حتى غلبني النعاس. استيقظت قبل الظهر بقليل على صوت أحد يناديني من خارج المنزل ويقول:

«أيها المدون.. أيها المدون»

فخرجت من المنزل فوجدت رجلاً غريباً لكنني عرفت أنه شيطان فنزل على ركبته وقال:

«هل تأذن لي بالحديث يا سيدي؟»

فقلت له: تفضل..

فقال: الأمير (جسار) والأميرة (جند) يشكرانك على كرمك ومساعدتك لقبيلة «الكثبان» ومد لي كتاباً أخضر ثم وقف قال:

«سيدي (جسار) يخبرك أنه تحت أمرك في أي وقت تشاء»

فأخذت الكتاب واختفى الرجل..

دخلت المنزل وفتحت الكتاب فوجدت أنه كتب بصيغة التدوين

التي بت أعرفها جيداً وكان السطر الأول يقول:

«بعد الحصار حضر قرن الكثبان جسار»

فقرأت الكتاب وكان عبارة عن مدونة تحكي ما حدث منذ لحظة

خروج (جسار) من عندي البارحة وحتى حضور الرجل الغريب

بالكتاب عند بابي.

## محتوى المدونة الخضراء التي قدمها لي رسول (جسار)

كان الكلام المكتوب في المدونة مكتوبًا بلغة التدوين التي لا يفهمها أي شخص لذلك سوف أذكر خلاصة ما ذكر فيها:

« حضر (ملاس) كالبرق الغاضب وهجم على (جند) وهي تعذب (دجن) أمام من تبقى من قبيلتها وطرحها (ملاس) أرضًا وقال لها:

اليوم أقتص لصاحبي يا عاهرة!!

ضحكت (جند) وقالت:

صاحبك ينتظرك في الآخرة أيها المؤمن ولن أجعله ينتظر أكثر!  
فاشتبكا تحت مرأى ومسمع أتباع (جند) وأتباع قبيلة «الأباطحة» المدحورة و(دجن) المقيد بينهم ينزف من أثر تعذيب (جند) له، منعت (جند) أي أحد من التدخل بينها وبين (ملاس) بالرغم من تفوق (ملاس) عليها حجمًا وقوة. استمر العراك بينهما مدة قصيرة حتى بدأت (جند) بالتقهقر أمام ضربات (ملاس) القوية، وقبل لحظات من انتصار (ملاس) الساحق الذي أصبح واضحًا للجميع ظهر (جسار) كالبركان

الغاضب وهجم على (ملاس) المتعب من النزال مع (جند) وبدأ في  
العراك معه، ولأن (جسار) لم ينة أتباعه عن المشاركة معه في الهجوم على  
(ملاس) فقد تكالبوا عليه وقتلوه. بعد موت (ملاس) توجهت (جند)  
لـ(دجن) لقتله فمنعها (جسار) بالقوة وقال:

هذا ينافي رغبة سيدي !

فصرخت (جند) في وجه (جسار) وقالت:

ومنذ متى ولك سيد يا(جسار)!!؟

فقال: منذ اليوم أنا مأمور لأمره.. ويجب أن تكوني ممتنة له فهو من  
حررني لإنقاذك.

فقالت بسخرية: ومن هذا السيد المجهول؟!

فقال (جسار): السيد (خوف)..

فصرخت (جند) بأعلى صوتها وقالت:

المدون الخائن!!؟

فصفعها (جسار) وقال:

احفظي لسانك ولا تتفوهي على سيدي بكلمة.

فرحلت (جند) غاضبة من المكان..

توجه (جسار) لـ(دجن) وفك قيده وقال له:

ارجع إلى سيدي وسيدك.

فرحل (دجن) ولم ينطق بكلمة..

في نهاية المدونة ذكر لي (جسار) أن القبيلة عينت مدوناً جديداً وسوف يقوم بإرسال المدونات لي كي أحفظها أينما كنت وكتب لي طريقة للتواصل معه في أي وقت وفي أي مكان.

انتهت المدونة..



## العودة إلى حياتي

عدت لبلادي بعد انتهاء الأحداث وكالعادة لم أجد شيئاً أقوله لأهلي وهم لم يصروا بالسؤال. كنت وقتها قد بلغت الخامسة والعشرين من عمري، أكملت دراستي الجامعية وتخرجت، وعشت حياة طبيعية لفترة تجاوزت الأربع السنوات وكانت مدونات قبيلة «الكثبان» تصلني بانتظام كلما امتلأت وهذا في العادة يحدث كل ثلاثة أشهر تقريباً.

كنت أقرأ المدونات بحثاً عن أخبار القبيلة وأخبار العالم الذي هجرته منذ سنتين، وكنت أحياناً أصادف الرسول الذي يوصلها لي فينحني أمامي ويضعها تحت قدمي وأحياناً أستيقظ لأجدها بجانبني. يبدو أن (جسار) كان حريصاً على ألا يزعج منامي. عدا يوماً من ليلة طويلة قضيتها مع أصدقائي وكنت مرهقاً جداً وأريد النوم فدخلت غرفتي لأجد رسول المدونات ينتظرنني على غير عادته فهو إذا لم يجدني بالغرفة ترك المدونة ورحل لكن يبدو أنه كان لديه أمرٌ آخر يريد أن يخبرني به، فجلست على طرف السرير وانحني هو على ركبته كعادته وقال:

«هل تأذن لي بالحديث يا سيدي؟»

فأذنت له وقلت: تحدث بسرعة أريد النوم..

قال: «سيدي (جسار) يرسل لك سلامه ويبلغك أن المدونة التي معي قد تعكر صفوك لذا لك الخيار في قراءتها أو حرقها»  
ومد الرسول المدونة لي فأخذتها واختفى..

ترددت في قراءتها في البداية لأنني كنت متعبًا ولا أريد قضاء تلك الليلة في قراءة مدونة كاملة لكن وكما يحدث معي دائمًا تمكن الفضول مني وأدركت أن تجاهلها لن يريحني ولن يكون سهلًا وسيسلب النوم من عيني ففتحت المدونة وبدأت أقرأ.

تكلمت المدونة وكعادتها عن بطولات (جسار) ومعاركه مع القبائل الأخرى التي أخضع معظمها تحت إمرته وسلطته بالقوة بما فيها قبيلة «الصوارم» وأعاد بذلك مجد قبيلة «الكثبان» لسابق عهدها وأكثر، وكانت (جند) بجانبه في تلك الفتوحات الكبيرة. استمرت المدونة بالحديث عن قيام مجموعة لقبوا أنفسهم بـ«العشرة المؤمنين» وهم مجموعة من أتباع (ملاس) من الأقران المؤمنين الذين شاركوا في حرب الإطاحة بـ(مازع) بتنفيذ حملة من الاغتيالات في صفوف قيادات جيش (جسار) وكان (جسار) مستاءً منهم جدًا.

في نهاية المدونة ذكر أن (جند) تعقبت (دجن) وقتلته قبل شهر وكان (جسار) قد كتب في آخر سطر في المدونة:

«لقد سجنت (جند) على ما قامت به وهي تنتظر أمر سيدي بالعفو أو الموت».

انتهت المدونة..

## جسيم العودة للعالم السفلي

حزنت على (دجن) كثيرًا. كانت مشاعري نحوه في حياته متقلبة لكن مشاعري بعد خبر موته توحدت. كنت حزينا على رحيل ذلك القرين المبتسم، لكن حزني عليه لم يدفعني للانتقام لموته بقتل قاتله لأن هذا لن يعيده فأرسلت لـ(جسار) بأن يعفو عن (جند). بعد ما تلقيت خبر موت (دجن) أرسلت لـ(جسار) بأن يتوقف عن إرسال المدونات لي وأن يرسل أحدًا ليأخذ المدونات التي تراكت عندي خلال السنوات الماضية. نفذ (جسار) ما أمرته به ومضى أكثر من عام بعد ما أخذت جميع المدونات من غرفتي.

بعد انقضاء عام تقريبًا من توقف وصول المدونات لي كنت متوجهًا لغرفتي ذات مساء كي أستعد للخروج لمقابلة أصدقائي كعادتي اليومية التي لم أتركها فوجدت رسول المدونات والذي كان اسمه (يقلب) ينتظرنى.. فسألته:

ماذا تفعل هنا يا (يقلب)؟

فرد علي وهو على ركبته وقال:

«سيدي (جسار) يطلب حضورك»

فقلت له: أخبر (جسار) أنني لا أريد أن أذهب معك إليه فقد انتهت

علاقتي بكم وبالعالمكم وحياتي عادت لطبيعتها ولا نية لي في العودة مرة أخرى لذلك أخبره أن يتوقف عن التواصل معي.

فقال: «العشرة المؤمنون» عرفوا طريقك وهم قادمون إليك ليقتلوك وسيدي (جسار) يريد أن يحميك منهم.

فوضعت راحة يدي على جبينني وأنا مغمض العينين وقلت في نفسي: «متى أنتهي من هذا الجحيم؟».

أمرت (يقلب) بالانتظار في غرفتي وتوجهت لغرفة أخي وقلت له: سوف أسافر لفترة بسيطة لإنجاز بعض الأعمال وأعود بإذن الله. فنظر لي بحزن وقال:

«لا تكذب علي..»

عانقته وعدت لغرفتي ودخلت على (يقلب) وقلت له: أين سيدك (جسار) الآن؟

فقال: لقد استقر في جبال الأطلس بعيدًا في أقصى الغرب. فقلت: خذني إليه الآن..

فقال: «سمعًا وطاعة»

في غضون ثوانٍ وجدت نفسي في أقصى الغرب عند جبال الأطلس حيث هبط بي (يقلب) في أحد وديانها ثم تركني وقد كان الوقت ليلاً قرابة التاسعة مساءً، وكان المكان مهجورًا وحالك الظلمة فجلست على

الرمال الباردة المختلط بالصخور الصغيرة حتى باغتني النوم. لم أنتبه إلا على صوت ينبهني ويقول:  
«استيقظ سيدي المدون».

فتحت عيني لأرى (جند) تمد يدها لي كي تساعدني على النهوض وبجانبها (جسار) وهو ينظر للأفق. وجهت نظري حيث كان (جسار) ينظر فرأيت في عتمة ذلك الليل منظرًا مهيبًا، رأيت الآلاف من الأعين المشعة مثل عيون القطط تنظر باتجاهي وعندما هممت بالوقوف انخفضت وكأنها ركعت على ركبها، أشار (جسار) بيده لانصرافهم وفي لمح البصر اختفوا جميعًا. التفت (جسار) نحوي وقال:  
«مرحبًا بعودتك يا سيدي».

أمسكت (جند) بيدي وهي تبسّم وأشارت لي كي أتقدم نحو كهف كان خلفنا بين الجبال فمشيت معها وتبعنا (جسار) وعندما دخلنا الكهف أضاء المكان وكان ألف شمعة قد أوقدت فيه. تقدمنا وتعمقنا داخل الكهف حتى أقبلنا على عرش ضخم من الصخور استقر في وسط الكهف، بعدها أشار (جسار) بيده لي للجلوس على العرش فتوجهت للعرش الذي كان أكبر من أن أجلس عليه فقد كان يناسب حجم جسد أكبر مثل جسد (جسار) لكنني توجهت له وجلست عليه وفي لحظة جلوسني انحني (جسار) وأخته (جند) أمامي وقالوا بصوت واحد:

«نتظر منك الأمر أيها السيد»

سكت قليلاً ثم سألت (جسار) وقلت:

عن ماذا تتحدثان يا (جسار)؟

فقال لي (جسار):

منذ رحيلك وأنا أعيد بناء مملكة أبي مملكة الـ «كشبان» العظيمة لأعيدها  
لسابق مجدها وقد فعلت ذلك ولم أتوقف عند هذا الحد بل سيطرت على  
الكثير من القبائل التي لم تخضع للوائي.

فقلت له: أعرف ذلك يا (جسار) فقد قرأت كل ذلك في المدونات  
التي كنت ترسلها لي.

فقال: لكن ما لا تعرفه يا سيدي أن هناك من يعبث بمملكتي ويحاول  
تدميرها.

فقلت له: هل تقصد «العشرة المؤمنين»؟

قال: نعم.. فمنذ موت سيدهم الهالك (ملاس) وهم يحاولون الثأر له  
أو الموت شهداء في سبيل تحقيق ذلك.

فقلت له: لكن المدونات تذكر أن أعدادهم لا تتجاوز الألف وجيشك  
كما رأيت في الخارج أكثر بكثير من ذلك.

فقال: لو كانوا يواجهونني في معركة مباشرة لسحقتم لكنهم  
يهاجمونني كراً وفرّاً وهذا الأمر يستنزف جيشي ويستنفد أعصابي.

فقلت له: وما دخلي أنا بهذا الموضوع يا (جسار)؟

فقال لي: بعد ما يثست من مواجهتهم وجهاً لوجه قمت بتجنيد قرين  
كافر بين صفوفهم لأنهم بعكس قائدهم الهالك لا يقبلون الشياطين

الكفرة بينهم لذلك جعلته يدعي أنه مؤمن ويريد أن يشاركهم في مسعاهم وهو مصدر معلوماتي الوحيد، وقد أخبرني بالأمس أنهم يسعون لقتلك.

فقلت: قتلي أنا؟.. ولماذا أنا؟

فقال (جسار): لأنك من حررتني لقتل (ملاس) في تلك الليلة التي هجم فيها على (جند) في محاولته للثأر لمقتل صاحبه (سالم).

فسكت قليلاً ثم قلت: وماذا تنوي أن تفعل يا (جسار)؟

قال: سأحميك بإبقائك عندي حتى أبيدهم جميعاً!

فقلت له: (جسار).. معارككم تستمر لعشرات السنوات وقد أموت قبل أن تنتهي من إبادتهم.

قال: سوف أجعلك تعيش في نعيم ورغد لن تحتاج شيئاً من عالمك وأنت هنا بيننا.

فقلت له: هل تستطيع أن تعوضني عن أهلي وحياتي؟

قال: إذا أمرت فسوف أحضرهم جميعاً لك هنا.

فصرخت فيه دون تفكير وقلت له:

لا!.. لا تقحم أهلي في عالمكم!!

و لأول مرة أرى (جسار) خائفاً وكذلك (جند) لم يكن لدي أي قوة جسدية تقارن بها لكن عندما صرخت عليهما بثقة بدا عليهما الخوف الشديد. أمرت (جسار) بعد حوارتي معه بأن ينصرف هو وأخته كي أفكر في هذا الموضوع فانصرفا دون نقاش.

مضت أيام وأنا في ذلك المكان ولم يكن يدخل علي سوى (جسار) بعد الاستئذان وكان يصاحبني يوميًا لسفح الجبل لحاجتي الملحة للخروج من ذلك الكهف واستنشاق بعض الهواء وكنت أطلب منه تركي وحدي بالرغم من ممانعته خوفًا على سلامتي لكنني كنت أصر لرغبتني بالإحساس بالحرية التي سلبت مني مرة أخرى.

استيقظت في صباح أحد الأيام وأنا أنتظر (جسار) ليدخل علي كعادته ويأخذني لسفح الجبل فجلست أنتظره أفكر وحدي لفترة لم تتجاوز العشر الدقائق حتى سمعت صوتًا عند مدخل الكهف يقول:

«هل تأذن لي بالدخول يا سيدي؟»

لم يكن صوت (جسار) الذي طلب الإذن بالدخول فقلت له:

ادخل..

فدخل صاحب الصوت ورأيت وجهه وكانت صدمة جعلتني أقف على قدمي فاتحًا فمي وعيني، فقد كان الواقف أمامي (عمار) وقبل أن أتفوه بكلمة قال لي:

«لا تخف لست صاحبك الذي غدرت به»

فسكت والعرق بدأ ينزل من جبيني ثم أكمل كلامه وقال وهو يبتسم:

«أنا هنا خادم لخادمك (جسار) فلم يعد لي مأوى بعد أن غدرت بصاحبي (عمار). أنا (رامع) القرين الشاهد عليك وعلى يدك التي وضعت ذلك الغصن تحت وسادة صاحبي»

ضاقت أنفاسي وبدأ قلبي بالخفقان وقلت له دون تفكير:

.. ماذا تريد؟

فقال: لا شيء.

فقلت له: لا تراوغ وتطلّ معي في الحديث أفصح عن ما يدور في

جوفك!

فنظر (رامع) للعرش الذي كان خلفي وقال:

أن أجلس على ذلك العرش..

فسكت مصدوماً وقلت له بهدوء:

وكيف تنوي تحقيق ذلك؟!

فقال: هذه أقل فدية يمكن أن تقدمها لي بعد قتلك للرجل الذي آواك

في بيته ثلاث سنوات.

فصرخت فيه وقلت: (عمار) لم يؤوني.. (عمار) خدعني واستغلني!!

فقال: دعنا لا نهتم أو نغص في التفاصيل الآن خلاصة الموضوع أنك

ساعدت في قتله و(جسار) و(جند) لا يعرفان ذلك وعندما سألاني عن

تلك الليلة التي قتل فيها (عمار) وعن هوية من قتله أخبرتهما أنني لا أعرف

من قتله لأن (عمار) قد حررني وأرسلني تلك الليلة في مهمة وبالطبع هذا

الكلام غير صحيح لأنني كنت هناك ورأيتك وأنت تضع غصن الزيتون

تحت وسادة (عمار) ورأيت السافل (دجن) وهو يدخل خلفك ليطيح

برأس صاحبي.

كنت أسمع كلمات (رامع) وأقول في نفسي:

«كيف لم أنتبه لقرين (عمار) وأنا قد مررت بكل هذه الأحداث والأمر مع الشياطين والأقران.. وكيف لم ينتبه (دجن) لذلك؟»

لكن في لحظة من التفكير أيقنت أني هالك إذا لم أتعاون مع (رامع) أو على الأقل أجارهِ حتى أجد حلاً للتعامل معه. جلست على العرش الصخري البارد وقلت لـ(رامع) وأنا أحاول إخفاء توتري من كلامه:

وما هو المطلوب مني الآن؟

قال (رامع): الآن بدأت تفكر بذكاء.. اسمع يا (خوف).. أليس هذا الاسم الذي سماك به صاحبي؟

فقلت له: بلى

فقال: لا أريد منك شيئاً سوى أن تكون تحت أمري وتنفذ كل ما أمرك به حتى أتخلص من (جسار) وأخته العاهرة وأحصل على عرشه وملكه.

فقلت له: وكيف تنوي القيام بذلك؟

فقال: لا عليك فالتفاصيل ليست من شأنك.. كل ما هو مطلوب منك أن تنفذ ما أطلبه منك في وقته وأي تردد منك أو عدم استجابة سوف أتوجه لـ(جسار) وأخته وأخبرهما بما فعلت أنت و(دجن). فسكت واختفى قرين (عمار). جلست على عرش (جسار) وأنا في ذهول

مما سمعت وبعد ساعة استأذن (جسار) بالدخول علي فأذنت له فدخل  
ومعه مجموعة من الشياطين الإناث وقال: هل تأذن يا سيدي ببقاء هؤلاء  
الحرس معك فسألته:

ولماذا كلهن إناث؟

فقال: لأنهن لسن للحراسة فقط بل لتسليتك في وحدتك.

فقلت له: لا أحتاج للتسلية يا (جسار) دعهن يقفن عند مدخل  
الكهف فقط.

فقال: سمعًا وطاعة..

أمر (جسار) الحراس بالخروج والوقوف أمام مدخل الكهف ثم  
اقرب مني وقال:

لدي أخبار مفرحة لك يا سيدي..

فقلت له: ما هي هذه الأخبار يا (جسار)؟

فقال: الجاسوس الذي أخبرتك عنه قال لي إن خمسة من العشرة  
المؤمنين سيكونون موجودين في مكان قريب من هنا وستكون فرصة  
سانحة لقتلهم لأنهم وحدهم وأغلب جيوشنا تتركز في هذه الجبال.

فقلت له: ولماذا أتوا إلى هنا دون حراسة؟

قال: أتوا في مهمة انتحارية في محاولة منهم لقتلك بعد ما علموا أنني  
أويتك وحميتك.

فقلت له: وأين الخبر المفرح هنا يا (جسار)؟

فقال: ستكون فرصة رائعة للتخلص منهم لأنهم سيعتمدون على عنصر المفاجأة ظناً منهم أننا لا نعرف شيئاً عن خطتهم وسيكون ذلك هو سلاحنا ضدهم حيث إنني عازم على نصب فخ لهم في المكان الذي قرروا فيه الهجوم عليك.

فقلت له: وأين هذا المكان؟

قال: سفح الجبل الذي اعتدت على الذهاب له كل يوم عند الفجر كي تنسى جو الكهف ووحشته.

فقلت له: هل أنت متيقن من هذه المعلومات؟

فقال: نعم.. ويمكنك سماع ذلك من الجاسوس نفسه.

فصرخ (جسار) ليستدعي الجاسوس وقال:

«تعال أيها الجاسوس أمام سيدك!»

فدخل علينا (رامع) وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة مقززة وحكى أمامي ما قاله (جسار) وعرفت وقتها أن هناك خدعة وأن (رامع) قد يكون متعاوناً مع «العشرة المؤمنين» لتحقيق أغراضه الشخصية وأهمها التخلص من (جسار). عندما انتهى (رامع) من حديثه أمرته بالانصراف فنظرت لي نظرة غريبة لاحظتها (جسار) فلطمه على وجهه وقال:

لا تحق بسيدك هكذا أيها العبد!!

فخرج (رامع) من المكان وقال (جسار):

هل تأمرني بقتله يا سيدي؟

وفي تلك اللحظة وجدت الخلاص من تهديد (رامع) يتجلى أمامي وبين يديّ وينتظر إشارة من إصبعي لكنني لم أستطع أن أعطي أمرًا كهذا فما زالت إنسانيتي تنبض بداخلي بالرغم من الشياطين التي كانت وما زالت تحيط بي فقلت لـ(جسار):  
كلا.. اتركه..

فصمت (جسار) بخيبة أمل وكأنه كان يريد مني إعطاء الأمر بقتل (رامع) ثم قال:

هل تأذن لي بالذهاب خلف الخمسة المرسلين لقتلك يا سيدي؟

فقلت له: متى تنوي الهجوم عليهم؟

قال: وصولهم سيكون عند اكتمال القمر.

وكان ذلك بعد أيام فقلت لـ(جسار):

دعني أفكر قليلاً وسأخبرك بقراري لاحقاً.

فقال: سمعاً وطاعة سيدي وقتما تشاء.

خرج (جسار) من الكهف مما أثار في نفسي تساؤلاً..

لماذا يخرج بعض الشياطين من الكهف مشياً كالbشر في بعض الأوقات

وفي أوقات أخرى يخفون كالbخان المتبخر.. ما الفرق بين الحالتين؟

لم تكن هذه المرة الأولى التي أستغرب فيها من بعض سلوكيات

الشياطين وكنت أحاول في كل مرة ملاحظة ما أستطيع ملاحظته

واستنتاج الإجابة دون الحاجة للسؤال لكنني أدركت في النهاية أن عالمهم مليء بالأسرار وقد لا أعرفها أبدًا.

قضيت تلك الليلة في الكهف بعد ما أعدت الحراسات اللاتي عينهن (جسار) لحراستي مكانًا لي كي أنام وبالرغم من محاولاتهم الشيطانية لمشاركتهن فراشي لم أستجب لهن وأمرتهن بالانصراف. في اليوم التالي استيقظت على صوت (جند) وهي تستأذن بالدخول فأذنت لها وعندما دخلت لاحظت أنها لم تنحنٍ مثل كل من يدخل علي واقتربت مني بشكل مبالغ فيه حتى وصلت لأذني وهمست فيها وقالت:

ألم تشتق لي سيدي المدون..؟

وضعت يدي على صدرها ودفعتها بهدوء وقلت:

لست بمدون لأحد الآن..

اقتربت مرة أخرى مني وقالت وهي تبتسم:

هل أفهم من ذلك أنك لم تشتق لي؟

في تلك اللحظة اتخذت قرارًا بأني لن أتعامل معها بلين خاصة بعد قتلها لـ(دجن) فدفعتها بقوة وأنا أصرخ:

لا تتعدي حدودك يا (جند)!!

فنزلت على ركبتيها وقالت:

أعتذر يا سيدي اصفح عني..

طلبت من (جند) أن تنصرف إذا لم يكن لديها حديث مهم معي  
فقلت:

أريد أن أحدثك بشأن جاسوس (جسار)..

فسكت قليلاً ثم قلت لها:

أفصحي عن ما يدور في بالك يا (جند)

فحككت (جند) أنها لا تثق بـ(رامع) وأنه قرين لثيم ولا أمان له فهو  
وكما كان يقول لها (عمار) عندما كانت تعاشره:

قريني أخبث مني بكثير لذلك لا أحرره كثيراً إلا للضرورة القصوى  
فقط.

فقلت لها: هل تملكين شيئاً ملموساً عليه أم أنها مجرد شكوك؟

فقلت: عندما قتل (عمار) قال (رامع) لي أنا و(جسار) إنه كان محرراً  
ولم يشاهد القاتل وهذا يناقض كلام (عمار) الذي كان يخبرني أنه نادراً ما  
يحرره.

فقلت لها وقد بدأت أتوتر من كلامها:

لعل (عمار) حرره تلك الليلة لغرض ما وكانت مجرد مصادفة.

فقلت: مستحيل.. (عمار) لا يحرر قرينه إلا لأمر هام والأمر الذي  
قال (رامع) إن (عمار) حرره من أجله كان تافهاً جداً.

فقلت: هل تشكين بأنه هو من قتل (عمار)

فقلت: لا أظن.. لا أعرف.. كل ما أنا متيقنة منه هو أنه لم يخبرنا  
بالحقيقة كاملة.

فقلت: وماذا تريد مني الآن؟

قالت: لا شيء لكن خذ الحذر منه فهو أخطر مما يظهر و(جسار) يرفض الاستماع لي لكنه يسمع لكلامك.

فقلت لها: لا بأس يا (جند) سأفكر في كلامك.

فقلت: هل تأذن لي بالانصراف؟

فقلت لها: نعم

لكن عندما أدارت ظهرها للانصراف قلت لها:

توقفي يا (جند)!

فأدارت وجهها مبتسمة وقالت:

هل تأمرني بشيء آخر يا سيدي؟

قلت لها: احكي لي كيف قتلتِ (دجن)؟

فذهبت الابتسامة من على وجهها وقالت:

هل أنت واثق من طلبك يا سيدي؟

فقلت لها: تكلمي يا (جند) ولن أحاسبك على شيء هذا عهد مني.

فأنزلت رأسها وحكت لي ما حدث بالتفصيل.

مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf

## حكاية قتل (جند) لـ (دجن)

### كما روتها بنفسها

أخبرتني (جند) أنها بعد تحرير (جسار) لـ (دجن) ورفضه قتلها له لم تستطع نسيان رغبتها الملحة في الانتقام من قاتل أبيها ومحرم (جسار) الذي سرق أضواء الاهتمام منها خاصة بعد معرفتها أنه كان يتعاون مع (ملاس) فقررت البحث عنه بنفسها وأمضت شهرًا وهي تتقصى أثره بين القبائل وأماكن تجمع الشياطين رغبة منها في الانتقام لكنها لم تجد له أثرًا وأصبح معروفًا بين أفراد قبيلتها والقبائل الأخر تلك الرغبة. استأنفت (جند) حديثها وقالت:

«.. وبالرغم من أن (جسار) كان على علم بمحاولاتي المستميتة للأخذ بثأر أبي من (دجن) إلا أنه لم يحرك ساكنًا وكأنه واثق من أني لن أجده أو أستطيع الوصول إليه. وبعد عدة سنوات من الغزوات استعاد (جسار) مجد القبيلة وأصبحنا قبله لكل شيطان يريد المأوى لذلك كانت عروض الانضمام لنا في ازدياد كل يوم. وخلال تلك الفترة دخل علينا (رامع) قرين (عمار) وكان مصابًا وطلب الحماية من (جسار) بحكم أن صاحبه

كان مدونًا سابقًا لقبيلتنا فوافق (جسار) على حمايته وضمه لصفوف  
العشيرة خاصة وأن في تلك الفترة كانت مجموعة «العشرة المؤمنين» في  
قمة نزاعها مع (جسار) وكان يريد أن يستفيد من شيطان قوي كقرين  
(عمار) ليقاتل في صفوف جيشه. مضت الأيام والشهور وبدأ (رامع)  
يتقرب من (جسار) بشكل ملحوظ واستطاع كسب وده لكنه لم يكسب  
ثقته وتمادى (رامع) في ثقته بنفسه وبدأ بالتقرب مني لكنني نهرته بقوة  
وقلت له إنه لم يرتقِ لهذه الدرجة فقال:

اطلبي ما تشائين يا (جند) وسوف أحضره لك.

فقلت له باستهزاء:

أرشدني عن مكان (دجن) ولك ما شئت..

فقال: أنا على علم بمكانه لكن على ماذا سأحصل في المقابل؟

ففقدت عقلي وتركيزي عندما سمعت اسم (دجن) وأمسكت

بـ(رامع) وصرخت في وجهه بأن يخبرني عن مكانه فقال:

لا أستطيع لأن هذا يخالف رغبة سيدي (جسار)..

فقلت له: رغبة سيدك (جسار) لن تنفذك عندما أفصل رأسك عن

جسدك!

سكت ولم يتكلم فصرخت فيه بقوة:

أخبرني وإلا قطعت رأسك!!

فقال: لن أدلك عليه لكن سأدلك على المدينة التي يسكن فيها الآن وهذا أقصى ما أستطيع.

فقلت له: تكلم ولا تراوغ يا شيطان!!

فقال: (دجن) موجود في مكة..

فقلت: مستحيل!.. مكة لا يدخلها إلا مسلمون.

فقال: (دجن) أعلن إسلامه بعد ما حرره (جسار) من مخالفك وهو يعيش هناك بسلام منذ ذلك الوقت ويحاول أن يكفر عن ذنوبه في الماضي. غضبت وصرخت فيه وقلت له:

«سوف تساعدني في إخراجه من مكة يا (رامع) وسوف أقتله!»

فقال لي: كيف أساعدك.. حتى أنا لا أستطيع دخول مكة؟

فقلت له: اغرب عن وجهي إذا لا نفع منك..

فقاطعتها في تلك اللحظة وقلت لها:

لماذا لم تتركي (دجن) وشأنه؟

فقلت: دم أبي ليس كدم (عمار) أو غيره..

فأشرت لها بيدي وقلت لها: أكملني..

قالت (جند) بعد ذلك إنها استأذنت من (جسار) للذهاب في خلوة

(وهذا أمر طبيعي بين الشياطين فبعضهم قد يختلي بنفسه لسنين لو حصل

على الإذن). أذن لها (جسار) وتوجهت لمكة المكرمة ومكثت عند أطرافها

لأنها لا تستطيع الدخول وبقيت تنتظر لشهور عدة عند أطراف مكة  
تشكل من وقت لآخر للبشر القادمين للحج أو العمرة في محاولة منها  
للبحث عن من يساعدها لإخراج (دجن) من المدينة لكن أكثر المتوجهين  
لمكة كانوا مؤمنين ويتجنبونها عندما يسمعون كلامها.

قررت (جند) بعد أن طال انتظارها الذهاب شمالاً للبحث عن  
ساحر من الإنس ليساعدها وانتهى بها المطاف في بلد النهرين حيث  
سألت الشياطين هناك وأرشدوها عن ساحر معروف في تلك المنطقة  
فذهبت إليه وتشكلت أمامه ولأنها أصبحت الآن من الأسياد لم يستطع  
الساحر منعها من الدخول عليه وإجباره على سماعها. فأخبرته أنها تريد  
منه الذهاب لمكة وتقييد قرين مؤمن فقال لها الساحر:

«مستحيل أنا لا أملك القدرة على ذلك فالقرين المؤمن هو من أشد  
الأنواع قوة والسيطرة عليه تستلزم طلاسماً نادرة لا أملكها»  
فقلت له: خذ هذا الكتاب واقرأ طلاسماً وسيحضر هذا القرين  
المؤمن أمامك مقيداً عندها اقرأ الطلسم الثاني وسيكون خارج مكة  
أمامي وعندها سينتهي دورك.

فقاطعتها مرة أخرى وقلت لها: ولماذا لم تستخدمي هذا الطلسم  
لإحضار (ملاس) في السابق أو إحضار أفراد «العشرة المؤمنين» الآن؟  
فقلت: هذا الطلسم لا ينفع مع الأقران الذين يحيطون أنفسهم  
بحراسة و(دجن) كان وحيداً في مكة.

فقلت لها: وهل وافق الساحر على هذا الكلام؟  
فضحكت وقالت: حياته أغلى من حياة (دجن) ولا يوجد ساحر

بضمير!

فقلت لها: لماذا لا تنطقين الطلسم بنفسك؟

فقلت: بعض الطلاسم لا ينطقها إلا البشر..

فقلت لها: أكملني..

قالت: نفذ الساحر ما طلبته منه بعد ما نقلته لمدخل مكة فهو كما قال لا يستطيع السفر إليها وبعد دقائق من دخوله مكة كان (دجن) خارج حدودها مقيدًا أمامي. نظرت إليه وهو ممدد على الأرض مقيد عند قدمي. كنت أريده أن يتوسل لحياته.. كنت أريده أن يقبل أقدامي كي أحرره.. لكنه لم يفعل بل كان مبتسمًا كالأحمق فضربت عنقه وفصلته عن رأسه وعدت لقبيلتي بعد أن أخذت بثأر أبي.

قلت لها بعد ما انتهت من الحديث:

وماذا حل بالساحر الذي ساعدك؟

قالت وهي تبسم:.. قتلته بالطبع..

أخذت نفسًا عميقًا ثم أشرت لها بيدي بالانصراف.. فانصرفت.

جلست بعدها أفكر في هذا العالم البشع. عالم الخداع والقتل. عالم الغدر وانعدام الأمان. لم يكن عالمًا أنتمي إليه وكان لا بد أن أجد مخرجًا منه وإلى الأبد.



## البحث عن النور في جبال أطللس

أمضيت أيامًا أفكر في مخرج من هذا المأزق الذي كنت فيه فوجدت أن حياتي يمكن أن تسلب مني في أي لحظة من قبل أي أحد فالـ«عشرة المؤمنون» يريدون قتلي و(رامع) يبتزني وقد يتخلص مني في أي وقت بعد وصوله للعرش و(جند) و(جسار) لو علما بحقيقة ما حدث لـ(عمار) فسيفتلانني حتى دون أن يعطيني فرصة للدفاع عن نفسي ولا يوجد أمان بين هؤلاء الشياطين أبدًا وولاؤهم متقلب دائمًا فقررت أن أفكر في نفسي فقط وأن أستخدم عقلي وأعطل عاطفتي وحواسي كلها. توصلت بعد تفكير طويل لفكرة كانت فيها مخاطرة لكنها في ذلك الوقت كانت الحل الوحيد للحفاظ على حياتي. استدعيت (جسار) عن طريق الحراس وطلبت منه أن يأتي وحده ففعل وأتى أمامي وقال:

هل اتخذت قرارك يا سيدي بشأن هجومنا على الخمسة القادمين لقتلك من أفراد «العشرة المؤمنين»؟

فقلت له: نعم.. ولكن هناك تغيير في الخطة

فقال: تغيير.. ما نوع هذا التغيير؟

قلت له: سوف نرسل (رامع) لهم ليخبرهم أني سأكون وحدي عند سفح الجبل كعادتي كل صباح.

فقاطعني (جسار) وقال: كي نعد لهم فخاً ونهجم عليهم.. أليس كذلك يا سيدي؟

فقلت له: لا

فقال: ماذا تنوي إذا أن تفعل يا سيدي؟

فقلت له: اسمع يا (جسار)..

فحكيت له ما كنت أريده أن يسمع فقط وبعدها قال:

كما تشاء يا سيدي.

ذهب (جسار) وأعطى الأمر لـ(رامع) أن يخبر الخمسة القادمين أني سأكون على سفح جبل من جبال الأطلس غير الذي اعتدت الذهاب إليه كل صباح وأني سأكون لقمة سائغة لهم فذهب (رامع) وأخبرهم بذلك. توجهت بعدها لسفح الجبل المتفق عليه. وصلت هناك وجلست أنتظر وصول الأقران الذين تكلم عنهم (رامع) وبعد دقائق خرج خمسة من «العشرة المؤمنين» وحاصروني من كل اتجاه وأنا جالسٌ على الأرض أشاهدهم وهم يحاصرونني بكل ثقة. بعدها تحدث أحدهم وقال:

«اليوم نقتص من باع العهد وغدر بشهيد الأقران»

فوقفت ونفضت التراب عن ثوبي بكل هدوء وقلت لهم:

لا أملك وقتًا كافيًا لكم لذلك سأختصر في كلامي قدر الإمكان فأنتم محاطون بمئة ألف شيطان وعلى رأسهم (جسار) و(جند) وإذا حاول أحدكم مس شعرة من رأسي فستموتون جميعًا في لمح البصر. فرد أحدهم بصوت مرتفع وقال:

«نموت بكرامة ولا نعيش بذلة»

فقلت له:

ما رأيك أن تعيش بكرامة؟.. أليس هذا خيارًا أفضل؟

فسكت من كان يحدثني وتغيرت ملامح وجهه من الغضب إلى الاستغراب فتدارك قرين آخر الكلام وقال بصوت مرتفع:

«لن نخدعنا أيها الشيطان بكلامك»

فصرخت في وجهه وقلت:

اخرس أيها القرين الأحمق.. لا يعني أنك سميت نفسك مؤمنًا أن هذا صحيح!!

فصرخ في وجهي ثالث وبدأ جدال بيني وبينهم حاولت فيه التشكيك في مسعاهم الذي كان من الأساس غير سديد فقد أمرت (جند) قبل قدومي لسفح الجبل بجمع بعض المعلومات عن الخمسة القادمين لقتلي بعد ما زودنا (رامع) بأسمائهم فاكتشفنا أنهم كانوا من الشياطين الفاسقين

وأصحابهم كلهم فسقة ولا أثر للإيمان في تاريخهم. بعد جدال طويل مع الأقران الخمسة تمكنت من زعزعة ثقتهم في أنفسهم وانخفضت حدة كلامهم معي وبدؤوا بالحديث معي بنبرة منخفضة حتى سيطرت على محور الحديث بالكامل. توصلت معهم في النهاية لاتفاق بأني لن أفضح سرهم لقائدهم الذي كان اسمه (دشار) ولن أمر جيش الشياطين الذي يحاصرههم بقتلهم إذا قطعوا عهد الولاء لي وهو عهد قرأته في كتاب (عمار) الذي استخدمته لربط (جسار) فقد كان في الكتاب نص إذا قاله نفر من الجن أو الشياطين لإنس يصبح خادماً وعبداً عنده حتى يعتقه.. فقال أحدهم:

«هل تريد منا أن نكون جزءاً من جيشك الشيطاني؟»

فقلت له: لا.. لا نفع لكم هنا أريدكم بين أصحابكم لكن أريد ولاءكم لي قبل ذلك.

فقال آخر: ولو لم نعاهدك؟

قلت له: ستطير رؤوسكم بإشارة مني وسنرى إذا كنتم ستصبحون شهداء أم مجرد منافقين.

فصمتوا جميعاً ثم قالوا بصوت واحد:

«بماذا تأمرنا يا سيدي»

فأدركت وقتها أن نظرية الخوف التي كنت مؤمناً بها وألاحظها

وأطبقها دائماً على البشر قد نجحت مع هؤلاء الشياطين فطلبت منهم  
ترديد نص العهد وفعلوا ذلك على مضض لكن بعد قراءته تغيرت  
نظراتهم وأصبحوا من أتباعي. وجهتهم بعد ما انتهوا من تلاوة العهد  
بأن لا يعرف أحد عن ما دار بيننا ولا حتى (جسار) وأتباعه ثم زودتهم  
باسمين آخرين من المؤمنين العشرة كنت على يقين من فسقهما ونفاقهما  
حسب المعلومات التي زودتني بها (جند) وطلبت منهم إحضارهما  
لنفس المكان غداً وهما مقيدان كي أجندهما. فسألني أحدهم عن الثلاثة  
الباقيين بمن فيهم قائدهم (دشار) فقلت لهم لم نر في ماضيهم أو ماضي  
أصحابهم ما يوحي بنفاقهم. رحل الخمسة من أمامي بعد ما أخبرتهم  
أن يعودوا ويخبروا قائدهم أنهم حضروا ولم يجدوني. سرت بعد ما رحل  
الأقران الخمسة لمسافة قصيرة حتى وصلت للمكان الذي أمرت (جند)  
أن تنتظرن في فيه وحدها حتى تعيدني للكهف حيث إني لم أحضر (جسار)  
أو جيشه معي فقد خاطرت بحياتي ونجحت المخاطرة. عندما وصلت  
للكهف استأذن (جسار) و(جند) للدخول علي فأذنت لهما ودخلا وكان  
علي وجه (جسار) سؤال كنت أعرف مضمونه.

قال (جسار): ما الذي حدث يا سيدي؟

قلت له: لم يحدث شيء فلم يأت أحد.

فقال (جسار) مستغرباً: لكن (رامع) قال...

فصرخت في (جسار) وقلت له:

تثبت يا (جسار) مرة أخرى من أخبارك ومعلوماتك قبل أن تزعجني بهذا الشكل !!

غضب (جسار) جدًا وأخذ يشتم في (رامع) ثم استأذن بالخروج فأذنت له وخرج وبقيت (جند) معي وقالت وهي تنظر لي بخبث:

(جسار) سوف يقتل (رامع)..

فقلت لها: لا أعتقد

فقالت: أنت لا تعرف (جسار)..

فقلت لها: ما سيفعله مسؤوليته وليس مسؤوليتي.

وفعلًا بعد أقل من ساعة استأذن (جسار) بالدخول علي بعد ما رحلت (جند) فأذنت له بالدخول فدخل وعليه آثار عراق وفي يده رأس (رامع) وقال:

اقتصصت لك من الخائن يا سيدي !

فقلت له بهدوء: ومن أمرك بذلك يا (جسار)؟

فقال بعد ما نزل على ركبته وخفض عينيه للأرض:

فعلتها لأجلك يا سيدي لأنه كذب علينا وأوهمنا بخطر لم يكن له وجود.

فقلت له: هذا كان قرارك فلا تلصقه بي يا (جسار)..

فقال: حاضر يا سيدي.

انصرف (جسار) بعد ما أذنت له وأحسست براحة لزوال مشكلة (رامع) لكن ما زالت مشكلة (دشار) ومن معه قائمة وتنتظر أن تحل.

توجهت في الصباح التالي مع (جند) لنفس المكان وأمرتها بالانتظار بعيداً كما حدث بالأمس وتوجهت لسفح الجبل لأجد الخمسة قد أحضروا الاثنيين وهما مقيدان ولم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً لإقناعهما بتلاوة عهد الولاء لي فقد أدركا أن نفاقهما قد كشف. أصبحت الآن أتحكم بسبعة من «العشرة المؤمنين» ولم يكن ذلك ما تحكمت به فقط فهم قادة في تنظيمهم وكل واحد منهم يتحكم بمئة قرين تحت إمرته وبالتالي كنت أتحكم بسبع مائة من جيشهم المكون من ألف قرين مؤمن. أعطيتهم أمراً بالانصراف وعاهدوني على السمع والطاعة والدفاع عني في أي وقت. عدت لـ(جند) بعد ما انصرف الأقران السبعة لكنها هذه المرة سألتني بعد ما طلبت الإذن بالسؤال وقالت:

لماذا عدنا لنفس المكان مرة أخرى؟

فقلت لها: هل تعاهديني على السمع والطاعة يا(جند)؟

فقلت: أنا خادمة عندك يا سيدي..

فقلت لها: لا يا (جند).. (جسار) مربوط بعهد لا يستطيع الخلاص منه لكن أنت لست مرتبطة بشيء معي ومحاولتك إيهامي بأنك خادمة لي لن تنظلي علي لأن جيش (جسار) يتبعه فبالتالي يتبعني لكن أنت أخت

(جسار) وسيدة في قبيلتك لذلك لست ملزمة بطاعتي دون عهد. سكتت (جند) بعد هذا الكلام وبدا على وجهها علامات القلق لانكشاف أمرها وفي الوقت نفسه أحسست أني استعجلت في هذه المواجهة لأنني كنت وحدي معها في ذلك المكان المنعزل والبعيد عن الكهف وكانت تستطيع قتلي بسهولة ولن يعرف أحد بذلك. عندما أدركت الخطر الذي وضعت نفسي فيه تداركت الأمر بسرعة وقلت لها:

أنا أعرف لماذا يا (جند) تبقين بجانبني وتخدميني.

فقلت: لماذا؟

قلت لها: لأنك تحملين مشاعر نحوي ومنجذبة لي دون قيد أو شرط.

فابتسمت وقالت: أنت أخبث من أي شيطان أيها المدون..

فبادلتها الابتسام وفتحت ذراعي في دعوة مني لعناقها على أمل أن يميل قلبها وتنسى سؤاها. وبالفعل هذا ما حدث وبعدها عدنا للكهف وطلبت منها أن لا تخبر (جسار) بما حدث بيننا فابتسمت وقالت:

لن أفعل أيها المدون..

ثم خرجت مبتسمة دون أن تستأذن..

بعد عهد الولاء الذي قدمه لي الأقران السبعة سيطرت على أغلب البيادق لكن وجود (جند) دون عهد ولاء كان يشكل خطرًا علي وكذلك (دشار) والاثنان اللذان ما زالوا مواليين له كان الخطر الثاني الذي يجب

أن أفكر فيه لذلك كان لزامًا علي أن أفكر في خطة جديدة للتخلص منهم دفعة واحدة.

كان قرار الرحيل عن جبال الأطلس والتوجه لمكان آخر هو الخيار الأمثل لي في ذلك الوقت فخطر «العشرة المؤمنين» قد خف بعد موالة سبعة منهم لي لذلك استدعيت (جسار) وقلت له:

أريد منك يا (جسار) أن تأخذني إلى مكان آخر فقد سئمت هذا المكان خاصة وأنه لم يعد مكانًا آمنًا مع وجود «العشرة المؤمنين».

فقال: ولكن يا سيدي هذا أكثر مكان آمن لك..

فقلت له: تصرف.. لن أبقى هنا بعد اليوم!

فقال: أمهلني إشراقة وغروبًا يا سيدي

فقلت له: لك ذلك ولكن لا تزدد عليهما.

فقال: أمرك

رحل (جسار) وبقيت وحدي أنتظر انقضاء المدة التي طلبها (جسار) وخلال انتظارني دخلت (جند) علي في المساء ومرة أخرى لم تستأذن فأدركت أن ما حدث عند سفح الجبل قد هدم بعض الحواجز بيننا ولم يكن هذا الشيء في مصلحتي أبدًا. تقدمت (جند) نحوي وعندما اقتربت رفعت يدي في وجهها وقلت:

إلى أين يا (جند)؟

فقلت بصوت رخيم: ماذا بك أيها المدون؟

فصرخت في وجهها وقلت: خاطبيني بلقبى الذي أستحق!!

فصرخت وقالت: حسنًا يا سيد السبعة!!

فسكت مصدومًا وقلت: أي سبعة؟!

فقلت بتهكم: لا تراوغ لقد رأيتك وأنت تجند خمسة من الأقران

المؤمنين وبعدها اثنين آخرين في اليوم الذي تلاه

فقلت لها: لكني أمرتك بالبقاء في مكانك!

فضحكت وقالت: كما قلت أنت أنا لست عبدة عندك مثل (جسار)

كي تأمرني أنا حرة في ما أفعل!!

كان جليًا أني في تلك اللحظة قد وقعت وتيقنت أن نهايتي اقتربت

وستكون على يد قاتل (دجن). توقفت عن الكلام وبدأت أتشهد لأنني

اقتنعت وقتها أني هالك فقد أوهمتها بحبي وهذا شيء لا يغتفر عند

الشياطين الإناث وخاصة الأسياد منهن. أغمضت عيني في انتظار

الإحساس بانفصال رأسي عن جسدي. لم يفصل رأسي عن جسدي ولم

تنته حياتي ذلك اليوم لكنني سمعت صوت (جند) وهي تقول:

« لا تخف أيها المدون لن أقتلك الآن.. »

فتحت عيني لأجدها وقد جلست على عرش (جسار) الحجري

تفحصه بأناملها الطويلة وتنظر له بشغف وتقول:

هذا العرش أهم منك ومن قتلك الآن..

فقلت لها: حتى أنتِ تريدين هذا العرش؟

فصرخت في وجهي وقالت: ومن لا يريد هذا العرش؟!

فقلت لها: أنا لا أريده.

فقلت وهي تبتسم بسخرية: ومن أنت لتحلم بمثل هذا العرش؟!..

لقد أخذت أكثر من حجمك فأنت مجرد سافل علوي حكم العالم السفلي

وأن الأوان كي تعرف مقامك!!

فقلت لها: ماذا تريدين مني يا (جند) الآن؟

قالت: (جسار) لن يسمح لأحد بأن يقتلك ولو قتلتك فسأكون أول

من يشك به وأنا في غنى عن هذا الأمر.

فقلت لها ساخرًا: هل تريدين مني أن أقتل نفسي؟

فقلت: لا.. أريدك أن تحرر (جسار) من عبوديته لك وهذا كفيل

بتعريض حياتك للخطر دون تدخلني المباشر.

فقلت لها: ولماذا تفعلين ذلك؟

فقلت: (جسار) يبقى أخي مهما فعل لكن أنت مجرد إنسي دخيل

علينا.

فقلت لها: وإن لم أفعل يا (جند)؟

قالت: لا تختبرني أيها المدون فطرق قتلك كثيرة لكني أريد أن أحرر

أخي قبلها.

صمت قليلاً وفكرت ثم قلت لها:

لن أحرر (جسار) يا (جند) وافعلي ما تشائين وتذكري أنك لو قتلتني  
فـ(جسار) قد يقتص منك ولو لم يفعل فهناك سبعة أقران مؤمنين قطعوا  
عهد الولاء والحماية لي وأنت رأيت ذلك بنفسك وقد يجعلون حياتك  
جحيمًا.

فهاجت (جند) وهجمت علي وغرست مخالبها في صدري وصرخت  
في وجهي وقالت:

لا تعبت معي أيها السافل الضيع.. حرر أخي الآن!!

فقلت لها: اقتليني وسيتحرر.

فرمت بي على الأرض بقوة وقالت:

سأمهلك حتى الصباح لتفكر وعندما أعود سوف تحرر أخي أو أحرر  
روحك من جسدك!!

قالت (جند) هذه الكلمات ورحلت..

## ورقة التوت التي سقطت

### في منتصف المثلث

أمضيت وقتًا ليس بالقليل على أرضية الكهف أحرق بسقفه المشقق والجروح على أكتافي من أثر مخالب (جند) تنزف وعند الغروب دخل علي (جسار) بعدما استأذن وقال:

«لقد رتبت لك مكانًا آمنًا يا سيدي»

فقلت له وأنا أحاول أن أقف وأخفي الجروح التي تسببت بها (جند) على صدري وأكتافي:

أين هذا المكان يا (جسار)؟

فقال: في مثلث الشياطين في عرض البحر.

فقلت له: لكن هذا المكان خطر جدًا يا (جسار)

فقال: لا تقلق يا سيدي لقد رتبت لك إقامة على جزيرة لن يصل إليها لا إنس ولا جن.

فقلت له: وماذا عن الشياطين؟

فقال: وحتى أعتى الشياطين

فقلت له: خذني إلى هناك حالاً يا (جسار) فلم أعد أطيع البقاء هنا مدة أطول لكن قبل أن تأخذني إلى هناك لا أريد لأحد أن يعرف بمكاني وخاصة (جند) هل فهمت يا (جسار)؟

فقال: جند؟! .. ولماذا يا سيدي؟

فقلت له: نفذ دون نقاش يا (جسار)!

فقال: أمرك!

نقلني (جسار) إلى مثلث الشيطان ونزل بي على جزيرة كبيرة وكان الوقت ليلاً والقمر مكتملاً والبحر هائجاً جداً.

أخبرني (جسار) قبل رحيله أن المكان آمن لكن يجب علي أن لا أترك الساحل ولا أدخل لوسط الجزيرة وسوف يرسل لي ما يكفيني من مأكّل ومشرب كل يوم فأشرت له بالرحيل فرحل. كنت متعباً من مواجهتي مع (جند) والرحلة إلى الجزيرة لذلك غلبني النوم بسرعة ونمت على الشاطئ حتى الصباح. مضت الأيام وأنا على تلك الجزيرة لا أدخل وسطها كما حذرني (جسار) وكان يصلني يوميّاً مائدةً من الطعام عند فجر كل يوم مع الرسول (يقلب). مر على وجودي في تلك الجزيرة مدة تجاوزت الشهر وفي فجر أحد الأيام جاءني (يقلب) على عادته ومعه مائدة الطعام وقبل أن يهم بالرحيل سألته عن أحوال القبيلة فقال:

الحال مستقر و«العشرة المؤمنون» أصبحت هجماتهم أقل من السابق

وهناك بعض المدونات التي تذكر أن خلافاً دب بين القادة العشرة  
وسيدي (جسار) سعيد بذلك، قلت له:

وماذا عن (جند)؟

قال: كما هي يا سيدي لم يطرأ عليها جديد.. هل تأذن لي بالانصراف؟  
فأذنت له بالرحيل فرحل..

بعد مرور أسبوع من حوارني مع (يقلب) بدأ الملل يغزو عقلي ويشتت  
فكري فقررت أن أتحدث مع (يقلب) في زيارته القادمة وأمره بإخبار  
(جسار) بأني أريد رؤيته لأنني كنت أريد منه أن ينقلني لمكان أفضل.  
انتظرت (يقلب) في موعده المعتاد والذي كان مع شروق الشمس لكنه  
لم يأت. مضى يوم وآخر ولم يظهر (يقلب). بدأ الجوع ينهش في جسدي  
والعطش قد وصل لأقصى ما يمكن أن أتحمّل ولم يكن حولي إلا المياه  
المالحة فخارت قواي على الأرض وغططت في نوم عميق. استيقظت  
على صوت يوقظني في المساء. ففتحت عينيّ لأجد (يقلب) واقفاً أمامي  
وجسده مغطى بالجروح النازفة وكان يبحث عن النفس فحاولت إيقاظه  
لكنه لم يقل إلا بعض الكلمات قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.. قال:

«سيدي (جسار) مات و(جند) سلبت منه العرش»

حاولت إيقاظه لكنه فارق الحياة واختفى جثمانه من أمامي. كنت  
مرهقاً من شدة الجوع والعطش لم أكن أستطيع استيعاب كلامه وكنت  
أظن نفسي في حلم فمشيت وأنا أترنح نحو وسط الجزيرة كمحاولة

أخيرة للبحث عن الطعام متجاهلاً تحذير (جسار) لأنني كنت على وشك الموت على أي حال. دخلت بين أشجار الجزيرة وبدأت أمشي دون وجهة محددة حتى وقعت على الأرض من الإرهاق وغطت في نوم عميق مرة أخرى. لا أعرف كم أمضيت غائبا عن الوعي لكنني استيقظت على صوت الرعد وانهار المطر الغزير علي. بدأت بشرب الماء المتجمع في زوايا أوراق الأشجار الكبيرة التي امتلأت بها تلك الغابة حتى ارتويت.

توقف المطر بعد استيقاظي بفترة بسيطة واستعدت بعض عافيتي بعد شرب الماء المتعكر بالوحل والرمال. تجولت في تلك الغابة على أمل أن أجد شيئاً صالحاً للأكل، مشيت مسافة طويلة حتى بدأت الأشجار بالتناقص تدريجياً إلى أن وصلت لمنطقة خضراء خالية من الأشجار يتوسطها ما يشبه البيت المصنوع من الحجارة.

توجهت لذلك المنزل ببطء لأنني كنت ما زلت مرهقاً من أثر الجوع والمشي، عندما وصلت للمنزل الحجري لم أر له نافذة أو باباً كان أشبه بالحفرة أو البئر المغطى بالحجارة وكانت الحفرة عبارة عن مجموعة من الحجارة المصفوفة والتي تقود لأسفل الأرض مثل السرداب. ترددت في النزول لكنني في لحظة يأس نزلت واستمررت بالنزول لما كان يقدر بثلاثة طوابق نزولاً، كان الظلام يزداد حلقة كلما نزلت حتى وصلت إلى نهايته ولم أستطع رؤية شيء فقررت العودة والصعود للأعلى. عندها سمعت

صوتًا يأتي من خلفي يقول بهدوء:

«إلى أين يا ابن آدم؟»

فتوقفت مكاني ولم ألتفت خلفي فقال لي الصوت:

اجلس أريد التحدث معك..

فجلست على عتبة السلم الحجرية الباردة واحتضنت نفسي من

الرعب وسكت، فقال الصوت:

«لا تخف يا ابن آدم لا أريد سوى بعض وقتك فأنا أراقب حياتك منذ

فترة وقد آن الأوان أن نلتقي ونتحدث..»

فسكت ولم أرد عليه وكنت أنظر بتمعن في العتمة التي كان الصوت

قادمًا منها لكنني لم أستطع رؤية شيء.. استمر صاحب الصوت بالكلام

وقال:

«أبنائي لن يتركوك وشأنك لذلك لم لا تنضم إلينا وتنتهي من هذه

المعاناة؟»

سكت ولم أرد عليه.. استطرد في الكلام وقال:

«صدقني أن الموضوع سهل ولا يتطلب منك الكثير فأنا يمكنني أن

أمنحك القوة والسلطة والحصانة وأعطيك من العلم والحكمة ما يجعلك

تسود وتخلد. ما أعرضه عليك هو شيء سعى لنيله الكثير ولم يحظ به إلا

القليل وأنا اخترتك كي تكون من تلك الفئة المختارة..»

فتكلمت لأول مرة وكنت ما زلت أحتضن نفسي من الخوف والبرد  
الذي حل بالمكان فجأة وقلت:

ومن أنت لتمنحني كل ذلك؟

فقال:.. أنا الوجه الآخر للعملة..

فقلت له: أي عملة؟

فقال: العملة التي تم قذفها في الهواء يوم ولادتك وسوف تحط على  
الأرض يوم مماتك.

قلت: وما هو المقابل؟

فضحك صاحب الصوت وقال:

لا يوجد مقابل يا ابن آدم..!

قلت له: لا شيء يأتي دون مقابل.

فقال: معك حق..

فسكت الصوت فترة ثم قال:

ما هو في رأيك المقابل المناسب لكل ما عرضته عليك؟

فقلت له: لا أعرف..

فقال: ماذا تملك؟

فقلت له: لا أملك شيئاً يستحق المقايضة.

فقال: على العكس تمامًا.. أنت تملك أشياء كثيرة لكنك لا تملك العين لترى هذه الأشياء.

فقلت له وأنا أرتجف من البرد الذي بدأ بالازدياد:

وما الذي تريد مني أن أعطيك إياه؟

فقال: وعد..

فقلت له: وعد بماذا؟

قال: وعد بأن تبقى كما أنت وألا تتغير.

قلت له: لم أفهم قصدك..

فقال: ليس من الضروري أن تفهم يا ابن آدم لكن اقطع هذا الوعد وسوف ينتهي هذا الكابوس.

فقلت له: لماذا تتحدث في الظلام لماذا لا تخرج لأراك وأتحدث معك؟

فقال: اليوم ليس يوم خروجي يا ابن آدم وقد لا ترى ذلك اليوم وقد

تراه.

لم أفهم كلامه فسكت.. ثم قال لي:

«حياتي مكرسة لكم وأنا على عهدي ما استطعت».

فقلت له: لماذا لا تقتلني وتنتهي من المشكلة؟

فقال: هدفي ليس قتلكم بل إرشادكم للطريق لقتل أنفسكم.

فقلت له: لماذا تتحدث بصيغة الجمع.. عن من تتحدث بالضبط؟

فضحك وقال: عنكم جميعاً..

لم أفهم كلامه وعاودت السكوت..

اشتد البرد في المكان لدرجة لم أستطع فيها التنفس بسهولة لكن خوفي

جعلني أتسمر مكاني وبعد قليل عاد الصوت وحدثني وقال:

هل تعرف ما هو الجحيم؟

فقلت له: هل تقصد جهنم؟

فقال: لا.. أقصد الجحيم على الأرض

فقلت له: لا.. لا أعرف

فقال: أن تكون مقيداً بقوانين وضوابط تمنعك من الانطلاق بحرية.

فقلت له: لا وجود للحرية المطلقة وإن وجدت فهي مفهوم آخر

للفوضى.

فقال: ما المتعة في ربط نفسك بعقيدة أو مبدأ لماذا لا تستمتع بحياتك

قبل أن تذهب من هذه الدنيا؟

فقلت له: ولماذا أنت مهتم لهذه الدرجة؟ قد تكون متعتي في التمسك

بمبادئ وقيمي وعقيدتي.. إصرارك على تغيير ذلك يثير الريبة.

فقال: أنا لست مهتماً بتغييرك.. أنا أريد تطويرك والارتقاء بك فوق

إمكانياتك البشرية المحدودة. لم يندم أحد على قبول عرضي من قبل.

فقلت له: هل تؤمن بحرية الاختيار؟

فقال: نعم وهذا ما أحاول منحه لك.

فقلت له: أنا أختار ألا أقبل عرضك.. هل تستطيع احترام ذلك؟

سكت الصوت الذي كان يجادلني قليلاً ثم قال:

ستختار العبودية إذا وتبقى أسيراً للمعتقدك؟

فقلت له: كلنا عبيد ولا يوجد أحرار لكن بعضنا اختار أن يكون عبداً

لشهواته ورغباته والبعض الآخر اختار أن يكون عبداً لله وحده.

سمعت صوتاً أشبه بالزجر الخفيفة ثم عاود الصوت الحديث وقال:

أنا لست عبداً لأحد!

فقلت: فعلاً فأنت أسير.

فقال: أسير؟!!

فقلت: نعم.. أسير في مكانك.. أسير لأهدافك ومعتقداتك.. أسير

لمن شغلوا بالك.. أنت لا تملك الحرية لتعود لسابق عهدك لذلك تندفع

نحو الهاوية التي حفرتها لنفسك وتريد أن تأخذ معك كل من في طريقك.

فقال: عن من تتحدث؟!!

فقلت له: عنكم جميعاً..

فقال: هل تعرف من أنا كي تتحدث عني؟!!

فقلت: حديثي موجه لفكرك واعتقادك بغض النظر عن شخصك

وهيئتك وهويتك.

فقال: عد من حيث أتيت يا ابن آدم..

فقلت له: كيف أعود؟

قال: اصعد للأعلى واخرج الآن وسترى شجرة فيها ثمار لو أكلت منها فسيتتهي كابوسك وستحصل على كل ما وعدتك به ولو لم تأكل منها فستعود لعالمك خاوي اليدين لكنك في كلتا الحالتين ستعود.

قلت له وقد هممت بالوقوف وأذرعني تحتضن صدري من البرد:

هل لي بسؤال؟

فقال: اسأل..؟

فقلت: ما هو اسمك؟

قال: أسمائي كثيرة..

فقلت: اختر واحدًا منها وأخبرني.

فقال: «نودابا»..

خرجت من ذلك المكان ووجدت الشجرة أمامي وعليها الثمار كما أخبرني صاحب الصوت وكانت رغبتني كبيرة للأكل منها لسد جوعي لا للحصول على ما وعده لذلك لم أرحل في الحال وجلست تحتها أفكر هل أكل منها وأسد جوعي أم أتركها وأعود للشاطئ البعيد؟

وبعد تفكير قصير وقبل أن نخور قواي قررت تجاهل الشجرة والعودة للشاطئ دون أن أكل تلك الثمار. كانت رحلة العودة للشاطئ شاقة

وسقطت خلالها أكثر من مرة وبعد مدة ليست بالقصيرة وصلت للشاطئ وأنا في حالة يرثى لها وارتيمت على الرمال وغطت في سبات كنت أظنه الأخير. فتحت عينيّ عندما اشتدت الشمس عليهما ولم أكن أملك القوة على الحراك لكنني رأيت على ذلك الشاطئ الذي لم يكن يبعد عني سوى أمتار قليلة رجلاً ذا لباس أنيق يلعب ويجري مع بعض الأطفال وعندما رأى الرجل أنني استيقظت ضرب راحتي يديه في بعضهما بعضاً وضحك وقال للأطفال الذين معه:

«لقد استيقظ أخيراً!»

جرت الأبطال نحوي وهم يضحكون لكنهم عندما اقتربوا مني أصبت بالرعب والفرع من أشكالهم لكنني لم أقوَ على النهوض للهرب. كان الأطفال بلا أعين أو أنوف كان منظرهم بشعاً جداً. وضع الأطفال أياديهم الصغيرة على أجزاء متفرقة من جسدي وبدؤوا بهزه وهم يضحكون ولم يفرقهم ويبعدهم عني إلا ذلك الرجل الأنيق حين قال:

«انتهى وقت اللعب يا أولاد عودوا للدخل»

رحل الأطفال كما أمرهم الرجل الأنيق ولم أستطع أن أرى أين ذهبوا لشدة إرهاقي وتعبي. لم أسمع سوى خطواتهم وضحكاتهم وهي تسير مبتعدة عني وعن الشاطئ باتجاه وسط الجزيرة. جلس الرجل الأنيق بجانبني وفتح شيئاً أشبه بالقنينة الصغيرة وسكب محتواها في فمي وخلال لحظات استعدت عافيتي واستطعت بعدها بقليل النهوض والجلوس

بجانبه. جلست ساكتًا أنتظر حديث هذا الرجل الأنيق لكنه لم يتكلم  
واكتفى بالنظر للأمواج المتضاربة وسماع صوتها القوي الذي لم يزاومه  
إلا أصوات طيور الجزيرة. خرج الرجل عن صمته بعد ربع ساعة تقريبًا  
وقال:

«مهما فعلنا فإننا لن نتفق.. لذلك تجردنا في صراع دائم.. كانت مهمتي  
في السابق شاقة لكن اليوم كثير منكم ينوب عني للقيام بها..»  
سكت قليلاً ثم تبسم وقال:

بعضكم كاد يتفوق علي لدرجة أنني خفت على منصبي!  
أكمل الرجل حديثه بعد ما التفت إليّ وقال:

«لقد اجتزت الاختبار بنجاح.. وحن وقت رحيلك»

فقلت له: عن أي اختبار تتحدث؟

أعاد الرجل النظر للأفق وقال:

«لا يهم ذلك الآن المهم أنك اجتزته والآن حان وقت عودتك من  
حيث أتيت لكن عندي طلب بسيط»  
فقلت له: ماذا تريد؟

فقال كلامًا لم أفهم كثيرًا منه لكنني أظن أنني فهمت مجمله.. قال:

«عاملنا قد يبدو متوحشًا وفوضويًا لكم لكنه يسير بنظام دقيق وهدف  
واضح وصريح وإلى أجل محتوم وكلنا يجب أن نسير وفق هذا الخط

المرسوم لنا وبيننا وأنت تجاوزت هذا الخط رغماً عنك ونحن كذلك  
وحان الوقت كي تعود الأمور لنصابها وهذه المرة لن يكون لك خيار في  
القبول أو الرفض»

ثم أدار رأسه ناحيتي مرة أخرى وهو يبتسم وقال:

«وأرجو ألا ترغمني على إجبارك..»

فقلت له: لا أظن أني أملك حق الرفض؟

فضحك الرجل الأنيق ثم وقف على قدميه ورفض تراب الشاطئ من

على ملابسه ومد يده وهو مبتسم وقال:

هيا قم كي لا تتأخريا ابن آدم!

أمسكت بيده وشدني للأعلى وقال:

اتبعني..

مشى الرجل بمحاذاة الساحل ومشيت خلفه حتى وصلنا لصخرة

كبيرة كان نصفها على اليابس ونصفها الآخر داخل البحر وطلب مني

الصعود عليها ففعلت. نادى الرجل الأطفال الذين كانوا معه من وسط

الجزيرة وقال:

«هيا يا أولاد حان وقت الرحيل»

خرج الأطفال البشعون من الغابة وكان عددهم ستة وتجمعوا حوله

يضحكون ويقفزون وفي لحظة رفع الرجل ذراعه للسماء وبدأ يتمتم

فتحول الأطفال لشياطين ضخمة أكثر بشاعة من أشكالهم وهم صغار ما  
عدا واحدًا منهم فقد تحول لرجل بهيئة بشرية. همس الرجل الأنيق في أذن  
الطفل الذي تحول لرجل فهز ذلك الرجل رأسه بالموافقة ثم ركب على  
ظهر أحد العمالقة الخمسة والذي بدوره حملني بيده الضخمة ووضعني  
على ظهره بجانب ذلك الرجل وخلال ثوانٍ كنا جميعًا نحلق في السماء.  
حلقتنا مبتعدين عن الجزيرة وعن الرجل الأنيق تاركيه يلوح بيده من على  
ساحل الجزيرة وهو يبتسم.

## رحلتي على ظهر العملاق

### بصحبة الرجل المجهول

كنا نظير فوق بحر واسع وكان العملاق الذي حملني مع الرجل يتوسط الأربعة العملاقة الآخرين وكنت مذهولاً من هذا المنظر الذي لم أر مثله في حياتي. دنا الرجل بالقرب مني وأنا أنظر للأسفل في محاولة مني لاستيعاب ما يحدث ومد يده لمصافحتي وعرف بنفسه وقال:

«أنا (قرمز)»

صافحته ولم أتكلم معه. ابتسم الرجل ثم أكمل حديثه معي بسرد بعض الأحداث العشوائية والتي على ما أظن كان يريد قولها لي لغرض معين قبل وصولنا لوجهتنا.. قال:

«عندما قدم (جسار) للجزيرة وتوسل أبي أن يبقيك عليها لم يرد أبي له طلبه لأن (جسار) قدم لنا خدمات كثيرة وقدم لمملكتنا تضحيات لن تنساها له لذلك وافق أبي بشرط ألا تدخل في وسط الجزيرة فوافق (جسار) على ذلك الشرط لكن عندما غدرت (جند) بـ(جسار) والذي كان في حماية أبي قرر أبي إزالة (جند) من خارطة الشياطين خاصة بعد

تقديمها رأس (جسار) كعربون مهادنة ل (دشار) وجماعته من الأقران المؤمنين بالإضافة إلى أنها وشت بالأقران السبعة الذين عاهدوك على الولاء مما دفع (دشار) بالتعاون مع (جند) لقتلهم جميعاً. سكت (قرمز) قليلاً ثم قال:

«اسأل ما تريد فأنا أرى الكثير من الأسئلة تدور في عينيك»

قلت له: كيف خان أتباع (جسار) قائدهم بهذه السهولة؟

قال: انقسم الجيش إلى قسمين بعد مقتل (جسار) ثلث منهم كان معه ومعارضاً لما حدث من انقلاب وثلثان كانوا مع (جند) لأن الشياطين تتبع الأقوى ومبدأ الولاء ليس من أولوياتها أو من اهتماماتها فهم أشبه بالمرتزقة ويتبعون من غلب.

قلت له: وهل دارت خرب بين الطرفين؟

قال: نعم وقد شارك (دشار) مع (جند) بجيشه وأعطى بذلك الغلبة لـ(جند) في سحق معارضيها.

فقلت له: وهل نسي (دشار) ثأره مني؟

فابتسم وقال: (جند) قتلت (دشار) بعد نصرها الساحق على حلفاء أخيها بلحظات وأخضعت جيشه بالقوة بعد ما فر منه من فر.

سكت قليلاً ثم قلت: وإلى أين نحن ذاهبون الآن؟

فابتسم وقال: لإحضار رأس (جند) لأبي ولكي نعيدك لوطنك سالماً.

فنظرت له باستغراب وقلت له: بكل بساطة؟

فقال والابتسامة ما زالت على وجهه:

أنت لا تعرف أبي عندما يتضايق قليلاً..

سكت لبرهة ثم قلت: ومن هو أبوك؟

فقاطعني ليقف ويقول:

لقد وصلنا..؟

فوقفت معه ورأيت جبال أطلس في الأفق ورأيت الرجل يشير

للعالمة الأربعة بالتوجه نحو الكهف الذي به عرش (جند).



## هذا المارد من ذاك الشيطان

نزل العملاق الذي كان يحملنا بالقرب من الكهف الذي كان به عرش مملكة «الكثبان» وتوجه العمالقة الأربعة ووقفوا بجوار الكهف ثم أشار لي (قرمز) وهو مبتسم قائلاً:

لندخل وننته من هذا الأمر بسرعة..

دخلت معه الكهف وكانت (جند) جالسة على العرش وحولها مجموعة من حراسها الأقوياء وعندما رأني صرخت بقوة اهتز لها الكهف وقالت:

«اقتلوا ذلك المدون السافل الآن!!»

فاندفع الحراس نحوي بسرعة رهيبة لكنهم لم يلحقوا أن يمسوا شعرة مني لأن (قرمز) وبحركة من إصبعه أطاح برؤوسهم جميعاً دفعة واحدة. نظرت (جند) لـ(قرمز) بغضب واحتقار وهي تقول:

من أنت أيها السافل وكيف تجرؤ على الدخول إلى هنا؟!

وكان (قرمز) خلال حديث (جند) يتفحص المكان مديراً ظهره لها وينظر إلي وهو مبتسم ويقول:

كنت أظن المكان أكثر فخامة من ذلك..

فصرخت (جند) وقالت:

ألا تعرف أنا من وابنة من؟!!!

فالتفت (قرمز) نحوها وذهبت الابتسامة من على وجهه وقال بنبرة هادئة لكن صارمة:

بل أنتِ من لا تعرفين أنا من وابن من..

وفي لحظة اشتعلت (جند) وتحولت لرماد..

عادت الابتسامة على وجه (قرمز) وأنا كنت على وشك الإغماء من هول ما رأيت، اقترب مني ووضع يده على كتفي وقال:

حان وقت الرحيل يا (خوف)..

قلت له بهدوء: هل انتهى كابوسي؟

فقال وهو يبتسم: هل بقي أحد يريد النيل منك؟

فقلت وأنا أنظر لرماد (جند): لا أعتقد

فضحك (قرمز) ضحكة خفيفة وقال:

لنخرج إذا من هذا المكان الكئيب.

خرجنا من الكهف وكانت كل قبيلة «الكثبان» مجتمعة فخطب فيهم

(قرمز) وهو يقف بين العمالقة الخمسة وقال:

«تفرقوا أيها «الكثبان» فقد حكم عليكم أبونا بأن تصبخوا شياطين

سفلية إلى الأبد وكل من له لقب سينزع منه»

وفي لحظة وبدون جدال أو أدنى مقاومة اختفى جميع الشياطين

والأقران من أمام (قرمز)..

قال لي (قرمز) وهو يمتطي ذلك العملاق الذي أحضرنا إلى جبال  
أطلس:

«لا تخبر إنسيًا بما حدث معك يا (خوف) فلن يصدقك أحد لكن لن  
نمنعك من ذكر ما حدث لأننا واثقون من تجاهل الناس لما سوف تقوله»

فقلت له: وكيف تعرف أنهم سيتجاهلونني؟

قال: لست الأول وبالتأكيد لن تكون الأخير..

فقلت: وما الذي حدث معي بالضبط؟

فضحك (قرمز) بصوت مرتفع وقال:

وداعًا يا (خوف) ستكون في فراشك بعد ما تنام..!

رحل (قرمز) مع العمالقة الخمسة وبقيت أراقبهم حتى اختفوا من  
الأفق. جلست على قمة الجبل حتى غلبني النعاس ونمت. استيقظت في  
غرفتي.. لم أنهض من سريري.. دمعت عيني.. ابتسمت شفثاي وقلت  
في نفسي:

«الحمد لله».



## الخاتمة

لا أعرف ماذا أقول أو بماذا أختتم جزءاً لم أتيقن بعد من انتهاء أحداثه من حياتي أو حتى حدوثه من الأساس فالخاتمة الطبيعية من وجهة نظري لمثل ما مررت به هو شهادة وفاتي. الأحداث بالنسبة لي مستمرة وإن خلت من السحرة والشياطين فأنا كنت وما زلت أخوض حرباً أشد ضراوة من التي خضتها مع العالم الآخر وهي المعركة الفكرية مع العالم الذي يجب أن أعيش معه اليوم وغداً. المجتمع اليوم لا يقبل أي فكر جديد ولا يتعامل معه أو حتى مجرد النظر من زاوية مختلفة لأمر يرى أنها من المسلمات. التغير بالنسبة لي أمر طبيعي وضروري لأي تطور في أي مجال لكن البعض يتعامل مع التغير كخروج وانقلاب على مسلمات لا تتعدى كونها أعرافاً تكتسب قداسة كلما تقدمت في العمر. لذلك لست حريصاً على الإقناع أو الدفاع عن أفكارى كثيراً لأنها ستجد مكانها يوماً من الأيام بين الحقائق المثبتة ومع مرور الوقت ستكون ضمن التاريخ. هناك من يصفني بالمتحرر وهذا إقرار من الواصف بأنني كنت مستعبداً لشيء ما زال هو عبداً له، وهناك من يرى أن في أفكارى

خطرًا كبيرًا على الجيل الصاعد وكأن هذا الجيل خلق ليصعد على سلم مبادئه فقط. حرية التفكير جزء لا يتجزأ من حرية التعبير لذلك كانت هذه «الرواية» ضمن مجموعة الخيال العلمي فهي بذلك ستكسب قبولاً أكثر كونها مصنفة كمجرد أضغاث أفكار. ما زلت مؤمناً بحرية التفكير وحرية الاختيار ومن يخشى على عقله من أفكاره ويحاربها فقط لكونها مختلفة عن ما يؤمن به فقد خاف على هشاشة طرحه من الانكسار وخلو مدرجاته من الذين لم تعد تغريهم تجارة الموت مقابل الحياة الأبدية. عندما يخسر المنطق والعقل مواجهته أمام الخوف يبقى العقل أسيراً للمعتقد أو العرف السائد ويبقى التغيير كالجين المتنحي لا يظهر إلا عندما تكون الظروف مناسبة ولا يمكن في الغالب التنبؤ بموعد هذا الظهور. أنا من مجتمع يرى أن أجمل ابتسامة لي يجب أن تكون عندما أموت وأجمل دمعة هي عندما أكون خائفًا لذلك سأعانق الخوف مبتسماً على أمل أن أموت كما ولدت.. خوف

مكتبة أهد

telegram @ktabpdf

أمامة المسلم



فحضور

مكتبة ٢٩٤

مكتبة | 294

خوف  
رواية

© دار الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٣٩ هـ  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المسلم، أسامة

خوف ٢. / أسامة المسلم - الدمام، ١٤٣٩ هـ  
... ص... سم  
ردمك: ٧-٦٣-٨٢٣٢-٦٠٣-٩٧٨

١ - القصص العربية - السعودية أ. العنوان  
١٤٣٩/٣٩٢٦ ٨١٣،٠٣٩٥٣١ ديوي

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٣٩٢٦  
ردمك: ٧-٦٣-٨٢٣٢-٦٠٣-٩٧٨

مكتبة أهد  
٢٠١٨١١٤

مصمم الغلاف: @Shathahvd

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع  
الموقع الإلكتروني :

www.daapd.com

@servicesbook

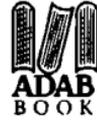
@Services\_Book

@Services\_Book

مركز الأدب العربي

adabarabic7

services\_book@outlook.sa



للتواصل:

0597777444

لجنة النشر :

المملكة العربية السعودية - الدمام

0594447441 طلب اصدارات مركز الأدب العربي

التجهيز الفني للكتاب

مركز خدمة المؤلفين

تصميم، تسويق، طباعة، توزيع

للتواصل واتس:

00201120102172 مصر -



مركز خدمة المؤلفين

# خوف

رواية

مكتبة أحمد

telegram @ktabpdf

أسامة المسلم

 @osamahalmuslim

 @osamahalmuslim

 Komontage

مكتبة | 294

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

تنويه:

إن محتوى هذه الرواية من أحداث وشخصيات ومعلومات هي من وحي خيال الكاتب وأي تشابه بينها وبين الواقع هو محض مصادفة لا أكثر.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٨]

«نعيش اليوم في عالم مشبع بالماديات التي تُغشي أبصارنا عن عالم آخر .. عالم موازٍ وأكثر ظلمة .. عالم يختفي خلف العمى .. عمى أصاب معظمنا بسبب المنطق المطلق .. شئنا أم أبينا فهم يعيشون بيننا وحولنا .. يروننا من حيث لا نراهم .. وهم أذكى مما نظن .. وأخبث مما نعتقد»

خوف

لو كان لروحك ثمن ..



فہرک تبیعہا ..؟



أم تشتريها ..؟



## الغُرة

كيف تضع مقدمة لرحلة بدأت ولم تنته بعد؟..

هل سنخوض ذلك السجال القديم مرة أخرى عما إذا كانت الأحرف المُسطرة في هذه المدونة كتاباً أو رواية أو شيئاً آخر؟ لم نبدأ بعد وقد طرحت سؤالين..

لا تلتقِ بالآ فهذه طبيعة عقلي المتسائل الذي لا يتوقف ويوقني في المشكلات دائماً.

التدوين كان وما زال وسيبقى جزءاً من حياتي. لكن ما الذي يستحق التدوين؟.. التاريخ؟.. الخواطر؟.. العلم المثلث؟.. هل كل من دوّن حرفاً انتظر إذناً أو مشورة من أحد بأن يفعل أو لا يفعل؟

أي نصّ يُكتب يستمد قوته من قرائه وتزداد تلك القوة عندما يرون أنفسهم فيه.. نحن كبشر نُجبلنا على التعاطف مع من عانوا مثلنا فلو كتبت نصّاً عن ألم فراق الأم سيرى الكثير أنفسهم في تلك الكلمات ولن أحتاج لبراهين أقدمها كي أقنعهم بتلك المشاعر ومدى قوتها وتأثيرها

علينا لأنهم عاشوها بأنفسهم وأنا لم أقم سوى بنسجها أمامهم كي يشعروا بها مرة أخرى. لذا فليس من المنطقي أن أحاول شرح حقيقة تلك المشاعر لمن لم يجربها قط.

كان الناس في السابق يواجهون مشكلة مع من يأتي بفكرٍ جديد أما اليوم فقد تطور الأمر لمحاربة حتى من يملك مجرد رأي. مصادرة الأفكار مصيبة لكن مصادرة الآراء كارثة بكل المقاييس. انتقلنا من مسوخ رافضة للتغيير أو التغيير إلى وحوشٍ تفترس كل من يفكر حتى في ذلك. في الواقع نحن لسنا ملزمين باحترام الرأي إذا كان صاحب الرأي لا يحترم نفسه فأجمل النقاشات هي التي تخلو من محاولة الإقناع لكن ذلك نادرٌ جداً في زمن المسوخ الفكرية.

هناك فرقٌ بين من يكره «الحرية» وبين من يكره «الأحرار» والخلط بينهما مهلكة. لك كل الحق أن تكره أفكارى لكن أن تحول ذلك الكره لشخصي أنا فهذا كفيل بوضعك في دائرة من التجاهل لن تخرج منها أبداً. بالرغم من حديثي الكثير عن النقاشات العقيمة ومقتها إلا أني أقل الناس نقاشاً مع الغير فنفس الأحمق العنيد أطول بكثير من نفس العاقل المنطقي لذا تجده ينطح برأسه كل من يختلف معه بالرأي فلا عقل في ذلك الرأس ليخاف عليه من التلف.

الجنون أمر نسبي.. وكلنا مجانين بنسبٍ متفاوتة وبعضنا يجيد إخفاء جنونه والبعض الآخر يمارسه بكل حرية. العواقب.. الخوف من

العواقب هو صمام الأمان.. هو القيد الذي يقود عقولنا ويوجه بوصلة سلوكياتنا وتصرفاتنا.

عندما أشاهد رسالة معنونة بـ«المشهد الذي أبكى الملايين» أعلم سلفاً أنني لن أكون من ضمنهم وأنا سعيدٌ لذلك. لقد تركت القطيع منذ زمن طويل واكتفيت بمراقبتهم من بعيد في عزلي. تلك العزلة قدمت لي أجوبة كثيرة انبثق منها أسئلة أكثر.. شاركت بعضها مع من كانوا حولي لأحذرهم لكنهم بقوا سائرين مُسيرين في حياتهم وبعضهم خرج عن صمته فقط ليلقيني بـ«المجنون» أو «الكاذب» والمفضلة عندي بالطبع «هل تصلي؟».

العبارة الأخيرة قلت لي كثيراً ولا أعرف لماذا؟

كان معه حق عندما قال لي: «لا تخبر نفساً بما حدث معك فلن يصدقك أحد لكن لن نمنعك من ذكر ذلك لأننا واثقون من تجاهل الناس لما سوف تقوله»..

صدق وهو كذوب بقوله «لن يصدقك أحد» لكنه أغفل من مروا بعالمهم ولو مرور الكرام فهم بين مصدق ومشكك يأكله التساؤل. بعض ما سأكتب في الصفحات التالية قطعة فاسدة مني لكنني اكتشفت أنها يمكن أن تكون دواءً لغيري.

أنا لن أتكلم عن فراق الأم لكنني سأكتب عن شيءٍ آخر.. شيءٍ كتبت وما زلت أكتب عنه اليوم وسأكتب عنه غداً حتى لو كان في مذكراتي

الخاصة. الفرق الآن أني بعد الكتاب الأول لم أعد وحيداً فالكثير شاهد نفسه في بعض أو كل ما كتبت عن نفسي. هذه ليست رواية أو كتاباً هي مجرد جزء من مذكرات شخص وُصف بالمجنون معظم حياته دونها وما زال يدونها ليرسم خريطة لمرآحله موتة التي بدأت يوم مولده ولم تنته بعد.

## نقطة الصفر

بعد الأحداث التي مررت بها وانتهت بعودتي من «جبال الأطلس» كان من المتوقع أني سأعاني من أمراض نفسية وأصبح معتلاً بدنياً وعقلياً وأقوم بمراجعة الأطباء وأعيش في دوامة كبيرة من الجنون والعتة، لكن هذا ببساطة لم يحدث فبعد عودتي لغرفتي ذلك اليوم عشت حياة طبيعية جداً واستأنفت عملي السابق وكنت وقتها قد ناهزت الثلاثين عاماً تقريباً. الحياة «الطبيعية» لم تكن بذلك السوء بل على العكس تماماً فقد منحني الكثير من الوقت لبث الروح في اهتمامات سابقة كنت قد هجرتها. تخلت عن أشياء عدة لكن زيارتي الدورية لأصدقائي لم تنقطع منذ عودتي وكان جل اهتمامي في تلك الفترة هو رضا أمي وأبي فقط لأنني كنت أدرك بركته بعد الله وكونه أحد أسباب نجاتي من أي مأزق وقعت فيه في الماضي أو قد أقع فيه في المستقبل.

تمسح أمي على جيبيني خلال مزاولتي لإحدى هواياتي المفضلة وهي وضع رأسي بحجرها والإنصات لأخبار العائلة وتقول: لم لا تخبرني ما الذي يشغل بالك؟

مكتبة أهـد

- ما يشغل بالي الآن هو بقية القصة التي كنتِ تروينها قبل قليل وهي هل عادت ابنة خالتي لزوجها أم أنها لا تزال على خصام معه؟

(أمي) تشد غرة رأسي مبتسمة وتقول: أنت تعرف ما أقصد..

- حقيقة لا أعرف يا أمي.. أخبريني..

(أمي): الموضوع الذي حدثتكَ عنه بالأمس.. وقبل الأمس.. ذهابك

مع أخيك للشيخ

بطبعي لست شخصاً سهل الانقياد حتى وإن اقتنعت بأني على

خطأ.. إحدى الصفات العديدة السيئة بي.. لكن الشخص الوحيد الذي

لا أستطيع رفض طلبه أو أمره كانت أمي.. وأبي بالطبع لكنها هي من

أعادت لحياتي بقلقها علي عدواً لم أره منذ سنين.. «تمشيخ» قيل إنه

يعالج بالقرآن.. بعضكم بالطبع قرأ في الجملة السابقة أني أقول بأن

«الإسلام» أو «القرآن» عدوي.. راجع العبارة جيداً ثم أكمل القراءة.

- لماذا تريدون أن أذهب له يا أمي؟.. قتلها ورأسي لا يزال في

حجرها وكفها مستمر بالمسح على جيني..

(أمي): أريد الاطمئنان عليك..

- وممَّ أشكو؟

(أمي): هذا ما سيخبرنا به الشيخ..

ضحكت.. قهراً وحسرة.. أمي تعود لخوفها السابق وأنا أعود معها  
لذلك اليوم الذي أخذتني فيه للمتمشيخ في المنزل الطيني..

- أخبريني ما الذي يضايقك مني؟

(أمي) وهي تقبل جيبيني: مهما بدر منك فلن أتضايق منك أبداً

- دعيني أعد صياغة السؤال إذا.. هل لاحظتِ علي شيئاً يثير  
قلقك هذا؟

(أمي): نعم..

- ماذا؟

(أمي): أنت لم تأكل منذ ثلاثة أيام

- أخبرتكِ بأني صائم

(أمي): كيف تكون صائماً وأنا أراك تشرب الماء في النهار

- نعم فأنا صائم عن الطعام فقط

(أمي): وأي نوع من الصيام هذا؟.. هل رأيت الآن سبب قلقي

عليك؟

- لا بصر احة لم أره بعد..

(أمي): ستذهب للشيخ شئت أم أبيت وسوف يعرف ما بك!

ابتسمت.. ماذا عساي أن أفعل أو أقول غير الابتسام للشخص  
الوحيد في حياتي الذي يقلق علي بهذا الشكل؟

- دعيني أخمن.. لقد أتى بتوصية من خالتي

(أمي) مبتسمة: نعم.. هل لديك اعتراض؟

- لا أبداً فخالتي قارئ جيد لمؤهلات أصحاب البركة.. أليست

هي من أوصى بال«شيخ العماني» عندما كنت صغيراً؟

(أمي) وهي تصفع خدي برفق وتهز وجهي: لا دخل لك بهذه

الأمور!

- أليس من حقي معرفة مؤهلات الاستشاري الذي سيفحصني؟

(أمي): لا تستهزئ بالدين يا بني..

- منذ متى أصبح الدين رجلاً يا أمي؟

(أمي): أستغفر الله وأعوذ به من كلامك

مهما قلت أو فعلت فأمي لم تكن مقتنعة أو مرتاحة وقلقة علي دائماً  
ومهما حاولت الابتسام لها وإقناعها بعكس ذلك إلا أن قلبها أو «دليلها»  
كان يخبرها بشيءٍ آخر وبصراحة لم ألمها على هذا الاحساس كثيراً فقد  
اكتسبت بعض العادات الغريبة خلال الفترة التي قضيتها مع (عمار)  
وكتبه وكنت أمارس بعض «الطقوس» التي قد تبدو غير مألوفة ومثيرة

للريبة لكنها كانت مفيدة لي خاصة مع هالتي المفعلة والتي تستلزم عناية من نوع خاص.

فمثلاً اكتشفت أن الظلام الدامس يمكنني من تجاوز حالة الأرق الشديدة التي تسببها لي هالتي المفعلة وأن الضوء يحفز يقظتي لذا قمت بطلاء جدران غرفتي بالكامل باللون الأسود بالإضافة للسقف أيضاً بعد طمس جميع النوافذ. الأرضية كذلك جعلتها من الرخام الأسود للسبب نفسه ولأسباب روحانية أخرى.

هذا بالطبع أثار تساؤل من حولي لدرجة أن العامل الذي استعنت به لطلاء الغرفة باللون الأسود تردد في البداية وقال بأن هذا طلب غريب لم يطلبه أحد من قبل. استغربت حقاً من تطفله ووصفه للغرفة بـ«التابوت» بعد الانتهاء من عمله.

(أمي): هيا انهض وعد لغرفتك السوداء وسوف أناديك لتناول الغداء بعد قليل

- أخبرتك يا أمي بأني صائم

(أمي) وهي ترفع رأسي من حجرها وتهم بالنهوض: ستأكل رغماً عنك..

- حاضر.. سأكل.. لكن لا ترغميني على التحلية

(أمي): حسناً اتركها لأخيك

عاداتي الغذائية تأثرت أيضاً فكننت أتجنب الخبز ومشتقات القمح والسكر خاصة في السنين الأولى بعد تفعيل هالتي. قد يتساءل البعض لم حرصت على الحفاظ عليها؟.. الهالة المفعلة سلاح ذو حدين فهي تقدم لك إيجابيات كثيرة لكنها يجب أن تكون متوازنة فلو خرجت عن السيطرة بالمحفزات الخارجية فقد تدخلك في حالة أشبه بالجنون والهلوسة ولو ضيقت عليها بقوة يمكن أن تضمر ويأتي أيضاً مع هذا الضمور علل أغلبها صحية.

أدركت هذه الحقيقة عندما أهملت بعض التعليمات التي علمني إياها (عمار) بخصوص الهالة وأصبت بمرض يصيب الأعصاب لأسباب مجهولة ويتطور مع المريض حتى يصاب بالشلل التام في بعض الحالات المتقدمة.

انتابني نوبة هلع عندما تلقيت الخبر من الطبيب بعد أن أجرى لي سلسلة طويلة من الفحوصات والتحاليل أحدها كان أخذ عينة من سائل العمود الفقري حيث حُسم الأمر بإصابتي بهذا المرض الذي لا علاج له سوى بعض حقن الهرمونات التي قد تؤخر تطوره وتقدمه في جسدي لكنها لن تعالجه. بعد أن تجاوزت مرحلة النكران لمرحلة القبول بدأت أخذ العلاج الذي وُصف لي وتعلمت كيف أحقن نفسي بتلك المنشطات الهرمونية التي تسبب لي ألماً مبرحاً في كامل جسدي في كل مرة أتعاطاها. حاولت أن أشرح للطبيب أن هذا الأمر لا يُحتمل وأن الألم

يعيق حياتي فقال كلمة لن أنساها:

«العلاج يهدمك لكي بينيك»..

كلامٌ لم أتقبله ولم أقتنع به مطلقاً مما دفعني لاتخاذ قرارٍ بالتوقف عن العلاج بالرغم من تحذير الطبيب لي وقررت أن أبدأ بشيءٍ آخر.. علاج نفسي بنفسي..

الكتب التي قرأتها في مكتبة (عمار) لم تكن كلها عن السحر فقد تضمنت كتباً تحدثت عن علوم لا يمكن تصنيفها كطب أو دين أو شيء مألوف لدينا لكنها حوت علوماً أسميها أنا شخصياً «علم الأولين» وهي علوم مندفرة مارستها أمم وحضارات سابقة ومن ضمن تلك العلوم كان هناك علوم لعلاج علل البدن وأغلبها بسيط وغير معقد أو مكلف ولا يستلزم طلاسم أو أي شيء محرم شرعاً فعلى سبيل المثال عندما بدأت أسترجع بعض تلك العلوم وجدت أن أغلبها ينصح بالامتناع عن تناول نوع معين من الغذاء لفترة والمداومة على تناول غذاء آخر لمدة معينة لعلاج علة مثل علتي الحالية.

قد يقول البعض وهل مرضك كان معروفاً ذلك الوقت؟

الإجابة هي أن تلك العلوم لا تعالج أمراضاً بعينها بقدر تصحيح الأبدان بالمجمل وإعادة توازنها وترك الجسد يصحح نفسه بنفسه، مثل القيام بعملية «فرمتة» لجهاز الحاسوب عندما تجهل العلة المتسببة في قصور عمله.

هناك منغصات كثيرة حولنا نزاوها ونتناولها كل يوم غير مدركين الضرر الذي تُلحقه بنا. كانت إصابتي بالمرض في عصب عيني اليسرى وكانت رؤيتي تتشوش مع الجهد والحرارة فلو أخذت حماماً ساخناً أو سرت في الشمس لمدة طويلة تصبح الرؤية من تلك العين شبه معدومة لكن وبعد أن طبقت تلك الحمية لشهر كامل توقف تطور المرض وأحسست بفارق كبير جداً وبدأت أرى بشكلٍ أفضل وقتها وبعد مضي سنوات على الإصابة لم أعد أعاني من شيء والله الحمد.

علمت بعدها أن العلاج أو الحقن التي وُصفت لي سُحبت من الأسواق وثبت أن لها أضراراً كبيرة والعلاجات الحديثة لمرضي قد أُدخل فيها أنظمة غذائية قريبة جداً من النظام الذي اتبعته.

ما معنى هذا؟.. هل هذا يعني أن الطب الحديث فاشل؟

لا أبداً.. لكنه بالتأكيد ليس «قمة» الإنجاز البشري فيما يختص بعلاج هذا المرض تحديداً وأمراض عديدة غيره.. وهذا رأي خاص بي ولا ألزم به أحداً.

نظرة بسيطة لحضارة الفراعنة وسنعرف أنهم حققوا الكثير من الإنجازات العلمية التي نقف عندها اليوم عاجزين وأقرب مثال على ذلك علم التحنيط فنحن في العصر الحاضر لا نستطيع إبقاء الجثث مخرطة لفترة طويلة مثل ما قام به الفراعنة في الماضي.

هناك علوم مندثرة.. علوم فاقت ما وصلنا إليه في وقتنا الحاضر

وبعضها قد لا نصل إليه أبداً، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ  
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]..  
علم الروح أو ما يتعلق بها من روحانيات علمٌ تعرض للتشويه والإقصاء  
ونُسب في كثيرٍ من المناسبات للسحر والشعوذة وهو منها براء.

الجهل هو عدونا الأول لأننا أعداء ما نجهل.. أعتقد أنني نهلت شيئاً  
من ذلك العلم أو «علم الأولين» خلال بحثي بين كتب (عمار) دون  
قصد وخلطت بينه وبين علوم السحر والطلاسم الفاسدة التي هجرتها.



## علم لا ينتفع به

يجب أن أتحدث عن مرحلة هامة مررت بها بعد عودتي من «جبال أطلس» وتحديدًا خلال الفترة التي أسميتها بـ«الحياة الطبيعية». هي بالفعل كانت طبيعية لكن تخللتها بعض المواقف مع من احتكوا بي وتواصلوا معي تلك الفترة وهم فقط أهلي وأصدقائي.. غالباً أصدقائي.. كما أسلفت أن جزءاً كبيراً من يومي كنت أفضيه معهم وكنا نجتمع في مزرعة يملكها أحدهم وهذا بلا شك عرضني للكثير من المواقف المربكة خاصة مع عقلي وعلمي ونفسيتي الجديدة.

بعد أن عقدت العزم أن لا أعود للطلاسم بدأت الأحداث المادية حولي من أصوات ومشاهدات تنخفض بشكل كبير لكنها لم تزل تماماً. انتابني الشك بين الحين والآخر في حقيقة ما رأيته في الماضي وما كنت أراه بين الحين والآخر فهالتي كانت لا تزال مفعلة.. لكن من يعلم؟ ربما عانيت من خللٍ في النوم.. أو مرضٍ نفسي أو عصبي آخر.

لهذه الدرجة كنت أشك في نفسي وفي السنوات التي قضيتها مع الشياطين بعد مقتل (عمار). بالرغم من أن العودة للحياة الطبيعية كانت

سهلةً جسدياً إلا أنها كانت أصعب مما ظننت نفسيّاً فقد كان لزاماً عليّ تجاهل وإنكار جزء كبير من الماضي كي أعيش بسلام في الحاضر والمستقبل لكن بالطبع أكثر ما يجيده الماضي هو مطاردتنا مهما حاولنا الهرب منه.

بدأت بزيارة المزرعة بعد أسبوعين من عودتي الأخيرة من «الأطلس» وآخر مرة زرتهم فيها كانت قبل أقل من عام تقريباً لذا لم تكن الملامة كبيرة فقد غبت أكثر من ذلك في الماضي وهم قد اعتادوا على غيابي نوعاً ما.

لم يتغير شيء.. أصدقائي كانوا كما هم.. تغيرت أجسادهم قليلاً وأغلبهم اكتسب وزناً وجميعهم تزوج وأنجب عدا ذلك فقد كانوا الأشخاص أنفسهم الذين عرفتهم لسنوات. لن أدخل أكثر في التفاصيل عنهم لكنني سأذكر بعض المواقف التي مررت بها معهم بعد عودتي الأخيرة بشكل عشوائي وبدون مقدمات لأنني لو ذكرتها جميعاً فسيطلب ذلك كتاباً آخر.

موضوعات شتى كانت تطرح للنقاش في مزرعتنا الصغيرة.. موضوعات شملت كل شيء.. الرياضة، السياسة، الزواج والطلاق، الطبخ والطعام، الفن والفنانين.. كل شيء يدور في أي استراحة. الأمر الذي لم يكن طبيعياً هو مساهمتي في تلك النقاشات والتي كان يُنظر إليها أحياناً كمزاح من طرفي بالرغم من أنني لم أكن أمزح. أذكر أول مرة ساهمت فيها برأيي الخاص بعد عودتي الأخيرة، وتلك المساهمة هي

التي كسرت حاجزاً كنت أحافظ عليه قدر الإمكان مع أصدقائي فهم  
الوحيدون الذين بقوا يتعاملون معي كشخصي قبل (خوف) وكان ذلك  
الإحساس مريحاً لي وأشبه بالعودة للماضي الجميل.

على أي حال.. كان أحد أصدقائي يشتكي من مشكلة النمل في منزله  
وقال بأنه حاول كل شيء للتخلص منهم باستخدام المبيدات وشركات  
المكافحة لكنهم في ازدياد يوماً بعد يوم وزوجته متضايقه جداً من  
الموضوع ووصل بها الحال أنها طلبت منه بيع المنزل وشراء منزلٍ آخر  
كحلٍ أخير للتخلص من تلك المشكلة.

أصبح هذا الموضوع محل نقاش الاستراحة لعدة أيام بين ناصحٍ  
ومتهكمٍ ساخر والجميع أفتوا بحلول جربها صاحبنا بلا فائدة. أنا الوحيد  
الذي لم يقترح عليه شيئاً لأن الحل الذي كنت سأقدمه له لم يكن ليقبله أو  
يتقبله أحد من الحاضرين لذا لزممت الصمت حتى وجه لي السؤال بشكلٍ  
مباشر من أحدهم وقال: ما رأيك؟

- رأيي في ماذا؟

في مشكلة (أحمد) مع النمل؟

- صدقني لا تريد أن تعرف رأيي..

(أحمد): الجميع أدلوا بدلوهم ولم أستفد شيئاً.. أخبرنا أنت عن رأيك

- أنا لا أملك رأياً.. أنا أملك حلاً..

(أحمد) بشيء من التفاؤل: حسناً أخبرني!.. لقد تعبت كثيراً من هذه  
المشكلة!

- حلي لن يعجبك

(أحمد): قله ولا شأن لك بما يعجبني أنا يائس وسأجرب أي شيء!

- تحدث معهم..

(أحمد): أتحدث مع من؟

- مع النمل..

انفجر المجلس بالضحكات عدا (أحمد) الذي تجهم في وجهي قائلاً:  
هل تسخر مني؟!!

- أخبرتك بأن الحل لن يعجبك لكن هذه هي الطريقة المثلى  
للتخلص منهم..

بدأ بقية من كانوا في المجلس بالسخرية من (أحمد) ومحاولة إقناعه  
بتهمك بأن يجرب حلي المضحك من وجهة نظرهم فغضب منهم ونهرهم  
ومع ذلك تحدثت معه بنبرة جادة وقلت له:

- صدقني أنا لا أسخر منك.. جرب.. في الغالب سيستجيبون لك  
(أحمد) وهو يصرخ بي: أجرب ماذا؟!!

تراجعت عن محاولة إقناعه خاصة مع الجوع العام الساخر منه وقلت  
له:

- لا تجرب شيئاً..

بصراحة لم أجرب تلك الطريقة من قبل لكنني قرأت في أحد الكتب  
بمكتبة (عمار) أن النمل من الكائنات التي تفهم كلام البشر وتستوعبه  
بشكل كامل عندما يتم مخاطبتها بشكل مباشر وهنا يجب أن أؤكد مرة  
أخرى أن الكتب التي قرأتها في تلك المكتبة لم تكن كلها عن السحر  
والطلاسم فقد كان هناك علم أو علوم لم تكن من السحر ولم تكن من  
الدين.. «علم الأولين» الذي تحدثت عنه آنفاً.. أعترف بأني ظننت في  
بادئ الأمر أنها تدرج تحت علوم الشعوذة لكن ومع مرور الأيام لم أرَ  
فيها ضرراً.. لم أرَ غير المنفعة.

بالطبع هذا الكلام لا يمكن أن يُقال في العلن وأمام الناس وإلا  
لوجدت نفسي على أقل تقدير مصلوباً.

كما أسلفت سابقاً فتلك العلوم التي نهلت جزءاً منها لم تكن سحراً  
ولم تتضمن أي استعانة أو تقرب من شيطان أو غيره. كانت مجرد إرث  
كبير وضخم من العلم والمعلومات غير المعلنة وغير المثبتة أو المطروقة.  
حتى أنا لم أكن متيقناً من صحتها لأنني قرأتها فقط ولم أجربها من قبل فقد  
كنت مشغولاً بتلك الطلاسم ولم أعر ذلك العلم الثانوي أي انتباه لكن  
وبعد خروجي من ذلك العالم بنية اللاعودة طفا هذا العلم على سطح  
عقلي وبدأت أمعن النظر فيه وأجربه شيئاً فشيئاً مع مَنْ هم حولي وكانت  
من أوائل التجارب تجربتي مع صاحبي (أحمد) وقبيلة النمل التي غزت  
منزله.

مضت الأيام على حادثة نقاش «النمل» ولم يفتح أحدٌ منا الموضوع لمدة طويلة إلى أن أثاره أحد أصدقائي ونحن مجتمعون في المزرعة وهو يلعب الورق مع ثلاثة آخرين وقال لـ (أحمد) المندمج في مشاهدة مباراة لكرة القدم: على فكرة يا (أحمد).. كيف حال النمل؟

صمت (أحمد) ولم يرد ولم يلتفت حتى وبقي يشاهد المباراة بصمت..  
عاود صاحبي السؤال عليه وأنا أراقبهما باهتمام..

(أحمد) ببرود دون أن يلتفت عليه: انتهت المشكلة..

ضحك صاحبي وهو يضرب بورقة اللعب على الأرض: حقاً..  
كيف؟!!

التفت (أحمد) علي خلال مراقبتي له والتقت أعيننا وعلمت وقتها بأنه جرب طريقتي التي اقترحتها عليه ونجحت لكنه لم يُصرح بذلك وقال:  
المهم أن المشكلة انتهت..

نهاية ذلك اليوم وبعد خروجي من بوابة المزرعة وتوجهي للسيارة  
لحق بي (أحمد) ونوعاً ما توقعت ماذا سيقول..

(أحمد): كنت تمزح أليس كذلك؟

- أمزح في ماذا؟

(أحمد): طريقتك الغبية في التخلص من النمل.. لقد رحلوا لأن أحد  
المبيدات أثر بها وقضى عليها.. أليس كذلك؟

- هل تحدث معهم؟

(أحمد): لا! لم أتحدث معهم! هل تظن أني مجنون؟!!

- لا يوجد مشكلة إذا وسؤالك لا معنى له.. قلتها وأنا أفتح باب السيارة..

ركبت السيارة وعدت للمنزل ذلك اليوم وأنا أفكر بعمق في ذلك العلم الجديد الذي لم أستخدمه من قبل ولم أنتبه إليه في الواقع.. أريد إيضاح شيء قبل أن أستأنف الحديث عما جرى بعد تلك الليلة وتحديدًا عن الصراع الذي دار داخلي..

ما أنا متيقن منه هو أني قضيت ثلاث سنوات في مكتبة (عمار) وقرأت كمًا هائلًا من الكتب هذا لا جدال فيه لكن عندما استرجعت المرة الأولى التي قرأت فيها طلسمًا بصوتٍ مسموع كان لإنقاذ أخي من (يعرم) بتحرير قريني والمرة الثانية من كتاب (( العهد )) عندما قيدت (جسار) وكل ما سبق ذلك ابتداءً من الكتاب الذي أعطاني إياه قريبي لم يكن طلاسَمَ بمعنى الطلاسَم بل سطوراً وكلمات مبعثرة وجمالاً مبتورة حَصَرَت (دجن) وقادتني لـ(عمار).

ماذا لو كان كل ما حدث لي في الماضي هو خيالاً وأوهاماً بسبب الطلسم الذي قرأته لتخليص أخي؟ خاصة وأنه لا يتذكر شيئاً من ذلك اليوم عندما فتحت الموضوع معه في أحد المرات. لا أحد ممن عاصروا

تلك الأحداث موجود على قيد الحياة يمكنه تأكيد ما رأيت.. أنا أملك  
علماً من تلك المكتبة وهالتي تم تفعيلها لا أشك في هذا لكن عدا ذلك..  
لا أعرف.

في تلك الفترة من حياتي كنت أميل للشك بقوة فيما رأيت من  
صراعات بين قبائل الشياطين وكل كينونة رأيتها من ذلك العالم..  
(جند).. (دجن).. (جسار).. جميعهم.. هل يعقل أنهم كانوا من نسج  
خيالي؟.. لم لا؟ فلم يرههم أحد غيري. حتى ابن (سالم) لم أره بعد تلك  
الأحداث وكان من الممكن أن يكون مجرد مجنون وأنا صدقته.

على أي حال لنترك هذه النقطة في الوقت الحالي لأنني أحببت  
مشاركتكم الحالة النفسية التي مررت بها تلك الفترة..

عدت للمنزل وقررت محاولة استرجاع بعض تلك العلوم وتدوينها  
لكنني واجهت صعوبة في ذلك بالرغم من أنها تطرأ على عقلي بشكل  
تلقائي حسب الموقف غالباً واستحضارها يكون مباشراً وحاضراً  
بسهولة عندما يتم سؤالي أو يستلزم مني الموقف ردة فعل سريعة، وقد  
أدركت ذلك عندما تكلمت مع أمي خلال شرب الشاي في مساء أحد  
الأيام بعد حادثة «النمل» بأيام وكانت تتحدث عن أحوال أفراد أسرتنا  
كعادتها ومن منهم تزوج ومن منهم أنجب وكنت أنصت إليها باستمتاع  
لأن صوتها في أي موضوع تتحدث فيه يشعرني بالراحة والطمأنينة.

(أمي): تحدثت مع عمته اليوم بالهاتف

- حقاً؟.. كيف حالها؟

(أمي): حزينه ومستاءة جداً كان الله في عونها

- لماذا؟.. ما الذي حدث؟

(أمي): ابنها كان يشتكي من ألم في صدره منذ فترة وبعد مراجعته

للطبيب أخبره بأنه يعاني من مرضٍ خطير لا يرجى شفاؤه

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. ما هو مرضه؟

لن أذكر ما هو المرض لكن يمكنني القول بأن علاجه مكلف وطويل ومؤلم لكن المهم هو ما طرأ في بالي تلك اللحظة وهو علاج قرأته في أحد كتب (عمار) عن ذلك المرض والذي كان حشرة.. نعم حشرة.. وتحديدًا نوع محدد أصفر اللون منها.

لكن كيف أخبر أمي بذلك والأهم كيف أقنع ابن عمتي بتناولها.. حاولت تجاهل الموضوع لكنني أحسست بقليل من تأنيب الضمير مع أنني لست متيقناً من نجاح العلاج لكنني متيقن من أنه لن يضره. قررت بعد تفكير بسيط أن أرفع الساعة وأتصل على ابن عمتي الذي كان يصغرنى بعدة سنوات وقلت له بكل بساطة إن علاجه يكمن في تناول سبع من تلك الحشرات دون طبخ ويستحسن أن تكون لا تزال على قيد الحياة. بالطبع لم يتقبل كلامي في بادئ الأمر لكن ولسبب ما قال: حسناً.. سأجرب..

اليأس إذا دخل قلب إنسان رفع علم الاستسلام الأبيض والتسليم  
دون جدال..

إذا كنتم تتساءلون فالإجابة هي نعم.. لقد تماثل للشفاء بعد أن حصل  
على بعض تلك الحشرات وتناولها.

عجيب أمر المريض... أي درجة من اليأس يمكن للإنسان أن يصل  
إليها ليقوم بشيء كهذا بحثاً عن العلاج وصحة البدن؟.. الحمد لله الذي  
عافانا في أبداننا مما ابتلى به كثيراً من خلقه.

كنت سعيداً له وحزيناً على نفسي..

هل أنا أمارس الشعوذة؟

هل ما قمت به أمرٌ يندرج تحت الدجل؟

الرجل تماثل للشفاء.. هل هذا هو ما يعرف بالطب الشعبي؟

لكن هناك أموراً أخرى لا تندرج تحت هذا المسمى..

تريدون مثلاً آخر؟

لنعد للمزرعة إذاً وتحديداً في اليوم الذي دخل علينا (يوسف) بصينية  
كبيرة من الحلوى بمناسبة قدوم مولودته الثانية وبعد أن أخذ كل واحد منا  
قطعة منها وقدم التبريكات عبر البعض عن غبطته وحسده لـ(يوسف)  
لأنه سيكون حرّاً خلال فترة نفاس زوجته في بيت أهلها.. زوجته كانت  
طيبة القلب لكنها لم تكن طيبة المعشر بالمناسبة.. لم يبدِ حماساً لغبطتنا له

فقد تدمر من مراجعته اليومية للطبيب مع ابنته الحديثة الولادة وعندما سأله عن السبب قال بأنها تبكي بشكل مستمر ولا تنام أبداً إلا لدقائق معدودة وقد أصيبت بالجفاف الشديد لأنها تستفرغ كل ما تناولته بسبب البكاء غير المنقطع وقد أبقوها في المستشفى تحت العناية المركزة كي يتم تغذيتها بالأمصال ريثما يجدون العلة التي تعاني منها.

أخذ الجميع يواسونه ويقدمون له نصائح كانت في الغالب من خيالهم لأنني كنت أشك بأمر ما وشكي كان بمحله.. سألته: هل أسميتها؟  
(يوسف): نعم.. أسميناها (وله)..

حُسم الأمر بالنسبة لي بعد ما قاله والحل ظهر جلياً أمامي بكل وضوح وقررت أن لا أجامل وأن أخبره بالحقيقة وقلت له: غير اسمها وستعافى بإذن الله..

(يوسف) مستكراً كلامي: أغير اسمها؟.. ما علاقة اسمها بالموضوع؟

كيف أقنع هذا الأب المحقق بي باستغراب بأن الاسم الذي اختاره لابنته الرضيعة هو سبب معاناتها؟

كيف أخبره بأن مشكلتها ليست مرضاً أو علة طيبة؟.. كيف؟  
والأهم من ذلك كيف أثبت ذلك لنفسي مرة أخرى؟  
العلم أمام ناصيتي.. لا أعرف أحداً جربه في السابق.. لكن ما الضير

في التجربة؟.. أليست التجربة من وسائل الحصول على العلم أو التحقق منه؟..

لكن.. هل يجوز أن أجرب على الناس؟.. وخصوصاً طفلة صغيرة.. ما الذي يجعل العلم والمعلومة شيئاً مؤكداً وموثوقاً منه؟.. الغرب؟.. تجاربهم؟.. أبحاثهم؟.. هل هم فقط المصدر الوحيد لليقين الديني للعلم؟

الصيام فرض ديني اتبعناه لسنين بيقين دون أبحاث علمية ومؤخراً فقط أعطاه الغرب «علامة الجودة» و«زكوه ك» «عادة» مفيدة للجسم.. هل كنا جهلة عندما صمنا تطبيقاً لفريضة دون الاهتمام لفوائدها الدنيوية؟.. قطعاً لا.. أم لأنها جزء من ديننا قبلناها دون سؤال؟.. ماذا عن علومنا الأخرى؟.. «علوم الأولين» التي طمرها الزمن؟

هل يعقل أن تكون كلها كاذبة وغير صحيحة؟

كيف كنا منارة العالم يوماً إذا؟.. بأي علوم قدنا العالم؟

هناك حلقة مفقودة فالحياة أعقد بكثير من الاعتقاد بأننا رأينا واكتشفنا كل شيء.

غير (يوسف) اسم ابنته وانتهت مشكلتها على الفور وبدأت مشكلة أخرى عانيت منها لأيام وهي هل أكتم هذا العلم أم أشاركه مع غيري؟.. هل هو العلم الذي يقال عنه «علمٌ لا ينتفع به»؟ أم هو علمٌ آخر غفل عنه الناس أو تغافلوا عنه؟.. وقتها لم أعرف.. حقيقة لم أعرف.

أصدقائي في بادئ الأمر لم يكونوا يأخذون كلامي وتعليقاتي العابرة على بعض الموضوعات بجدية دائماً خاصة عندما تكون مختلفة ومتعارضة مع مفاهيمهم. آمنوا بها لسنوات طويلة لكن ومع تكرار مثل هذه الأمثلة التي ذكرتها سابقاً نما عندهم نوع من «الإيمان» بما كنت أتحدث عنه من وقتٍ لآخر وبدؤوا إذا صح التعبير يضعون ذلك العلم تحت الاختبار والتجربة في بعض الأحيان.

لذلك كانت نصيحتي لنفسي وما زالت هي أن لا أنصت لأحد بل أستخدم عقلي من وقتٍ لآخر ولا أخشى النتائج حتى وإن تصادمت مع قناعات أملت علي منذ الصغر وأذكرها دائماً بأنها ليست ملزمة بشيء شريطة أن لا تجعل خوفها من أفكار ي يمي عقلي.



## رآني من حيث لم أره

هناك وسيلة دفاعية عقلية طبيعية لدى كل إنسان، تشبه في عملها جهاز مناعة الجسم ضد الأمراض والفيروسات التي تغزوه وهي أن كل شيء لا بد وأن يكون له تفسير منطقي وإذا غاب التفسير المنطقي اختلقت تلك الوسيلة الدفاعية تبريراً مؤقتاً ليحل محله ريشما يأتي ذلك التفسير الذي يمكن لعقله تقبله وقبوله.

دخل علينا أحد أصدقائنا استراحتنا في ساعة متأخرة.. لم يكن بطبعي البقاء لوقت متأخر لكن تلك الليلة كنت مندجماً مع برنامج على التلفاز وأنتظر حتى أفرغ منه لأرحل.

جلس (صالح) وعلى وجهه علامات التوتر والفرع فسأله أحد الموجودين قائلاً: ما بك؟ تبدو متوتراً

(صالح) بقلق ونبرة فرع: لا أعرف ماذا أقول.. لكنني رأيت أو توهمت أني رأيت شيئاً خلال دخولي قبل قليل

اعتدل السائل في جلسته وأدار بقية الحاضرين رؤوسهم ومسامعهم

باهتمام نحو (صالح) الذي استأنف حديثه بقول: رأيت أو ظننت أني رأيت.. لا أعرف.. قطعاً أسود..

رد أحد الحاضرين بتهكم: هل كل هذا بسبب قط أسود؟..

(صالح): لا.. افهمني.. القط كان يقف على قوائمه الخلفية فقط وكأنه بشر ويلوح لي.. وأظنه كان يتسم

ضحك معظم المتواجدين وسخر بعضهم من (صالح) الذي بدت عليه معالم الندم والتحرج الشديد مما قال لكن ليس أنا لعلمي السابق بإمكانية حدوث مثل هذه الأمور وبشكل متكرر وأكثر مما نتصور فتشكل الجن حقيقة ويحدث لأسباب كثيرة لم أكن بصدد شرحها لصاحبي المرعوب أو للبقية المهكمين الساخرين الذين اقنعوه بأنه توهم ما رآه.

كان يمكن أن أصمت لكن ذلك سيكون ضد أهم مبادئ وهي تقديم الحقيقة مهما كانت مزعجة لأن درجة الإيمان بالغيبيات تختلف من شخصٍ لآخر والبعض يحصرها بما ذُكر له من المصادر العلمية والدينية فقط ويرفض ما سواها وهذا لا بأس به ويندرج تحت مظلة حرية التفكير والاعتقاد لكنها ليست سبباً للامتناع عن تقديم رأيك وهذا أمر طبيعي.

لكن ما هو ليس بطبيعي محاولة فرض تلك الاعتقادات بالقوة على الغير أياً كانت سواءً دينية أو علمية أو غيرها. حتى الثوابت العلمية من

حق الإنسان الحر التشكيك بها لكن لا يحق له تهميش واستنقاص غيره  
من يؤمنون بها لأنه وقتها سيفقد الأهلية وسيصبح معتدياً جاهلاً.

ما زال هناك أناسٌ يؤمنون بأن الأرض مسطحة إلى يومنا هذا.. هل  
يجب محاربتهم؟ .. لا..

هل يجب مقاومتهم عندما يحاولون نشر هذا المعتقد بالحديث عنه؟ ..  
لا..

هل يجب منعهم عندما يتحول كلامهم إلى أفعال وبيدؤون بمهاجمة  
من لا يؤمنون بمعتقدهم.. بالتأكيد نعم.

هذا هو الخط الرفيع الفاصل بين العاقل والجاهل. الحق لا يحتاج أحداً  
ليدافع عنه أو أن يهاجم ويدمر نقيضه في سبيل نشره. الحق حق والباطل  
باطل ونحن بممارساتنا نحدد أيهما سيسود وسيزدهر وأيها يندثر ويزول.  
أخطأ صاحبي عندما روى قصته لبقية المجموعة لأنه تعرض لسخرية  
كبيرة جعلته نادماً على مشاركة عقله معهم.. كان ضحية تخلف.. تخلف  
عن مبادئ التفكير وأبسط أساسيات الفهم.. تخلف جمعي حاصره ودفن  
رأيه عنوة.

بعد رحيل معظم من كانوا بالاستراحة تلك الليلة دنوت من (صالح)  
الذي اقتنع بأن ما رآه كان مجرد خيالٍ من صنع عقله وقلت له: لا ترحل..  
ابقَ معي حتى يرحل الجميع

(صالح) باستغراب: لماذا؟

- أريدك في موضوع ما..

(صالح): حسناً

عندما خلت الاستراحة بعد منتصف الليل بساعة تقريباً طلبت من (صالح) أخذي للمكان الذي شاهد فيه ذلك القط وبالرغم من ممانعته بحجة أن ما رآه كان وهماً كما اقتنع إلا أنني أصرت عليه بالخروج معي. سرنا خارج الاستراحة لمسافة قصيرة حتى وصلنا لمجموعة من النخيل فأشار بأصبعه لإحداها وقل: هناك.. رأيت يقف بجانب تلك النخلة.. أو توهمت أنني رأيتها

مشيت بضع خطوات تجاه تلك النخلة حتى وقفت بجانبها ووضعت راحة يدي اليسرى على جذعها ووجهت نظري لـ (صالح) قائلاً: هنا؟

(صالح) والتوتر بادٍ على وجهه: نعم..

- لم أنت متوتر؟

(صالح): لا أبداً لا شيء

- أنت لست مقتنعاً بأنك توهمت ما رأيت أليس كذلك؟

(صالح): لا أبداً لقد اقتنعت بكلام الشباب

- لماذا؟.. ما الحجة القوية التي قدموها لك كي تكذب عينيك؟

(صالح): بربك فكر بالأمر.. هل يعقل أن ما رأيت كان حقيقياً

- ولمَ لا؟.. الجن يمكنه التشكل

(صالح) بقلق: أرجوك لا تتحدث عن هذا الموضوع في هذا المكان..

لم أتينا هنا من الأساس؟

- أنا هنا لأقدم لك خياراً.. أن تبقى في عتمة الغيب مطمئناً أو أن

ترى بنفسك وتتيقن من أنك لم تكن واهماً

مكتبة أحمد

(صالح): أرى ماذا؟

- القط الذي رأيته في الغالب جن متشكل ويمكننا البحث في

هذه الأرجاء عنه وإذا كان لا يزال موجوداً فسنجده أو نجد

غيره وسأرغمه على التشكل مرة أخرى.. أستطيع القيام بذلك

بطريقة معينة..

(صالح) بخوف شديد: لا! لا! لا أريد رؤيته مرة أخرى

- لا تقلق لن يؤذيك.. ستراه فقط ومن بعيد لو أحببت

(صالح) باستغراب: عن ماذا تتحدث؟.. كيف ستفعل ذلك؟

- فقط أخبرني بأنك تريد التحقق مما رأيته واترك الباقي لي

(صالح): لا أريد.. أنا مكتفٍ ومرتاح لفكرة أنني كنت واهماً أكثر

من فكرة أن ما رأيته كان حقيقة.. أنا لا أعرف ماذا تنوي أن تفعل لكن

أياً كان لست راغباً في المشاركة

عاد (صالح) بعد تلك الكلمات نحو الاستراحة وركب سيارته  
ورحل..

لا ألومه فالجهل في بعض الأحيان نعمة.. بل غالباً في الواقع عندما  
يتعلق الأمر بالعالم الآخر..

## وحيد.. مكتئب.. حزين

تكرر علي بعض الأسئلة الغريبة عندما أمارس «عزلي».. أبرزها:

«لم أنت مكتئب؟»..

«لم أنت حزين؟»..

«لم أنت وحيد؟»..

هناك فرقٌ كبير بين «العزلة» و«الوحدة» فالأولى حالة من السمو بالنفس دون الناس والأخرى حالة من الضياع حتى لو كنت بين الناس. أنا مؤمن بأن علاقتك بنفسك لا تحتمل طرفاً ثالثاً لذلك أجد في العزلة عن الناس ما لا أجده بينهم.

ممارسة «العزلة» لا تكون فقط بالجسد فالتواصل الهاتفي بشتى أنواعه المسموعة أو المكتوبة يكسر حاجز العزلة الحميدة. بعض الناس لا يستطيع الانعزال عن الأشخاص لأنه عندها سيضطر للتعامل مع «نفسه» والتي إذا لم يكن متصالحاً معها فسيواجه مشكلات عديدة في التأقلم فالذين يصنفون أنفسهم بـ«الاجتماعيين» كحجة لرغبتهم الدائمة في الخروج والاختلاط بالناس وحضور الفعاليات المكتظة بالأنفوس

الأخرى هم «غالباً» (وأقول «غالباً» كي لا أقع في التعميم) لا يستطيعون تحمل أنفسهم إذا بقوا معها لأنها ببساطة لا تطاق.

أُتهم في مناسبات كثيرة بأني أحادي الرأي ولا أقبل وجهات النظر الأخرى أو أتقبلها وأفرض قناعاتي فرضاً على الغير. الحكاية هي فقط أنني أفند ما أسمعه من الآراء أمام أصحابها وأستعرض فكري المناهض لها دون إجبار أحد على قبوله أو حتى تقبله لكن ولضعف حجة غيري غالباً وليس قوة في حجتي يرى من يناقشني أني أفرض آرائي عليه غير مدرك أن من يصرخ فيه لقبولها ليس أنا بل عقله المخدر بالمفاهيم المغلوطة.

لم أتجرأ يوماً على فرض رأيي على أحد لكنني أطرحه من وقتٍ لآخر بدون مجاملة وأكثر خصومي ضراوة هي نفسي وأدرك أني أتحدث عن أمور لا يقبلها عقل وأول المشككين بما أقوله هو أنا لكن الفيصل دائماً بالنسبة لي هي «التجربة» وما يترتب بعدها من نتائج.

العلم الذي حصلت عليه من مكتبة (عمار) ولا أعني هنا علوم السحر والشعوذة بل العلوم الأخرى التي لم أجد لها تصنيفاً هي علومٌ لا أملك عليها ذرة من الإثبات سوى بعض التجارب العملية التي لم تحب معي غالباً.

ضربت عدة أمثلة في حديثي السابق مثل حادثة «النمل» التي عانى منها (أحمد).. هل كنت أعرف بأن تلك الطريقة ستنجح؟ .. لا..

هل أعرف الآن أنها ستنجح مع غيره.. أيضاً لا..

لكن ما أعرفه هو أنها نجحت معه وقد تكون مجرد مصادفة. كذلك نصحي لـ(يوسف) بتغيير اسم ابنته.. العلم الذي اكتسبته وجهني لتلك النصيحة.. هل يعني ذلك أن كل فتاة تُسمى باسم (وله) سوف يحدث لها ما حدث مع ابنته... بالتأكيد لا..

لذلك فالأمر بالنسبة لي لا يحتمل مشاركة هذا العلم مع الكثير من الناس.

سأذكر مثلاً آخر تذكرته الآن وهذا المثال قد يوضح مشكلتي مع تلك العلوم الغريبة التي اكتسبتها.

شخص مقرب لي وخارج دائرة أصحابي في المزرعة ألتقي به من وقتٍ لآخر في مقهى أو في منزل أحدنا.. زميل دراسة سابق وأكن له الكثير من الود والاحترام لكنه لا يعرف شيئاً عن ما تعرضت له في الماضي لذا أحب الحديث معه. حدثني في أحد لقاءاتنا عن مشكلات بدأ يعاني منها مع زوجته ولم تكن تلك المشكلات بسبب شيء ظاهر ومعلوم له بل كانت بسبب شكه في أنها تُخفي عنه شيئاً ولا تريد الإفصاح مهما كرر عليها السؤال فقلت له: هناك احتمال أنك واهم ولا يوجد شيء يا (مازن)..

(مازن): صدقني أن هناك شيئاً يعكر مزاجها ويشغل تفكيرها

- ربما الأمر لا يخصك وهذا سبب عدم مشاركتها الموضوع معك

(مازن): الأمر عكر صفو حياتي لذا فهو يخصني!

- وماذا ستفعل لو عرفت السبب واتضح أنه لا يخصك.. هل سترتاح؟

(مازن): نعم.. ما يهمني هو أنني لست السبب في الموضوع

- ألم تقل بأنها أخبرتك بأن لا علاقة لك بالموضوع؟

(مازن): لا.. أخبرتني بأنه لا يوجد موضوع من الأساس وهذا شيء

مستفز.. لم تخفي علي أمراً إن كان لا يعنيني!؟

- تفكير النساء مختلف.. لا تحمل الموضوع أكبر من حجمه

(مازن): لتغير الموضوع فلا فائدة من الحديث فيه..

تغير الموضوع بالفعل ودخلنا في عدة موضوعات جانبية أخرى لنصف ساعة تقريباً لكن عقلي لم يتوقف عن الإلحاح والإصرار علي بتقديم اقتراحٍ ناجم عن ذلك العلم الذي لا ينتفع به والذي يضج به رأسي. بعد صراعٍ مرير مع نفسي قلت له:

- اسمع.. لدي اقتراح بشأن موضوع زوجتك

(مازن): ما الذي ذكرك بالموضوع؟.. قالها صاحبي مستغرباً من إثارة

الموضوع مرة أخرى

- لا شيء لكن أعتقد أنه يمكنني مساعدتك..

(مازن): كيف؟

- لست واثقاً من الطريقة لكن جرب لن نخسر شيئاً

(مازن): وما هي تلك الطريقة؟.. قالها بتوجس

- لكن تذكر أنه لا يعرف ما تخفي الصدور إلا الله والطريقة التي سأدلك عليها مجرد نافذة صغيرة

(مازن): نافذة صغيرة على ماذا؟

- فقط تذكر كلامي هذا جيداً

(مازن): هل ستكثر الكلام أم أنك ستخبرني؟

- حسناً.. جرب النوم في مضجعها لعدة ليالٍ..

(مازن): ماذا؟.. ماذا تقصد؟

- النوم في فراش شخص ما يساعدك على الولوج في هواجسه وما يشغل باله وسوف تأتيك تلك الهواجس على شكل أحلام أو كوابيس

(مازن): عن ماذا تتحدث؟.. ما هذا الاقتراح الغريب؟

- جرب وقد تصل لإجابة لما يؤرقك

(مازن): دعني أستوضح ما تطلبه مني.. أن أنام في فراش زوجتي

لعدة ليالٍ.. أليس كذلك؟

- بلى.. في الجانب الذي اعتادت هي أن تنام فيه..

(مازن): قد يثير ذلك شكوكها

- تصرف وقدم أي عذر لهذا التغيير المؤقت

(مازن): حسناً سأحاول.. لكن ماذا سأرى؟

- في الغالب سترى رؤيا تدلك على الإجابة وإذا واجهت مشكلة في تعبيرها فرقم هاتفني معك ويمكنك الاتصال بي

الطريقة التي زودت صاحبتي بها من الأساليب المشهورة التي يتبعها المعالجون الروحانيون وكذلك بعض السحرة بالرغم من أن هذه الطريقة لا علاقة لها بالسحر من قريب أو بعيد لكنها أحد أسرار المهنة التي لا يفشونها لأحد ولا يعرفها إلا من وصل مراحل متقدمة من هذا العلم الغريب وقد تعلمتها من (عمار) بشكل مباشر عندما كان ينام في فراشي بالمكتبة إذا أخفيت عليه شيئاً وأراد معرفته وأخبرني لاحقاً بسرّها.

تلقيت اتصالاً من صديقي بعد أسبوع تقريباً وطلب مقابلي وبالفعل قابلته في المكان نفسه الذي التقينا فيه آخر مرة وشرح لي أنه جرب الطريقة ونام في جانب زوجته من الفراش لعدة أيام فسألته: هل استفدت؟

(مازن): رأيت أحلاماً وكوابيس مثلما قلت.. كلها تتمحور حول الموضوع نفسه.. شجار ومشاحنات مع أهل زوجتي.. مرة مع أخيها الأكبر ومرة أخرى مع والدتها وآخر حلم رأيت بالأمس وفيه تعاركت مع أبيها بالأيدي.. كان كابوساً مزعجاً.. ما معنى هذه الكوابيس؟.. علاقتي معهم في الواقع جيدة ولم أختلف معهم يوماً

- لقد عشت هم زوجتك وهو اجسها..

(مازن): هل تقصد أنها تتشاجر معهم في الواقع وهذا ما يعكر مزاجها هذه الفترة؟

- لا ليس بالضرورة لكن الرؤيا تشير بوضوح إلى أن سبب تغير مزاجها هو أمور تحدث بسبب أهلها ولا يشترط أن يكون خلافاً وقد كتمت ذلك في صدرها ولم تخبرك  
(مازن): ماذا يكون إذاً؟

- كي تحصل على التفاصيل لا بد أن تسألها لكن ما أردته تحقق وهو معرفة مصدر القلق.. أليس كذلك؟  
(مازن): بلى.. أشكرك.. لكن..

- لكن ماذا؟

(مازن): كل ما قلته لي حتى الآن تكهنات ولم أثبت منها..  
- ستثبت منها بعد سؤالك زوجتك..

(مازن): لم أكن أعرف بأن زوجتي تعاني من الكآبة

- لا تخلط بين الحزن والكآبة فالحزن ضيق في النفس يولد كبيراً لسبب ويزول بنسيانه أما الكآبة فهي ضيق يولد صغيراً بلا سبب وينمو بلا توقف حتى نختنق.. زوجتك تعاني من الحزن وليس الكآبة..

صديقي هذا أخذ بنصيحتي دون سؤال أو تشكيك لذا وجدت  
أريحية في نقلها وتوجيهها له لكن الإنسان فطرياً لا يكون متقبلاً لفكرة  
تجربة أمور جديدة لا يعرف مصدرها.

مصادر المعلومة «الموثوقة» عند البشر بشكل عام محصورة في فئات  
محددة وأبرزها هي «العلم المثبت» و«التشريعات السماوية» أو بمعنى  
آخر «الدين». ومن الصعب جداً على الكثير تقبل علم لا ينبثق من أحد  
تلك المصادر خشية الوقوع في الخطأ أو الحرام.

مصطلحات مثل «البدعة» أو «الخرافات» أو «الدجل» تشكل عائقاً  
كبيراً أمام الكثير لقبول أو استيعاب أي علم جديد فهو يقع في خانة  
المجهول ونحن أعداء ما نجهل بالرغم من أن كل العلوم المثبتة بدأت  
بمجهول وانتهت بيقين مروراً بالتجربة والبحث.

## حدثني ثقة

سأقدم مثلاً بسيطاً على كيف أن معلومة أنا شبه متيقن من صحتها يكون نقلها وإيصالها للطرف الآخر صعباً جداً بشكل مباشر ويتطلب وضعها في قالبٍ ملائمٍ ليستطيع هضمها وتقبلها بأريحية.

ابنة خالتي والتي كانت أُمي من وقتٍ لآخر تحكي لي عن مشكلاتها وخصامها المتكرر مع زوجها بدأت تلفت انتباهي فمشكلاتها معه تبدأ وتبلغ قممتها في منزلها وبمجرد أن تخرج غاضبة لبيت أهلها تهدأ فجأة وتستغرب من الأسباب التي دفعتها للخصام معه منذ البداية وهو أيضاً ما أن يخرج من منزله بعد رحيلها حتى تهدأ سريرته ويبدأ أحدهما بالاتصال بالآخر بيدي أسفه وشوقه وتعود المياه لمجاريها وما أن يجتمعا تحت سقف واحد حتى يعودا للخصام بحدة ويفترقا وهكذا دواليك.

أصبح مسلسل خصام ابنة خالتي مع زوجها بحلقاته الممتدة على عدة مواسم مملاً لي ولأُمي المتحسرة على حالهما ولو سألت مختصاً في «علم النفس» عن سبب المشكلة فسوف يقوم بطرح نظريات لا حصر لها في أساليب التفاهم وقبول الآخر واحترام الطرفين.. إلخ. ولو وجه السؤال

نفسه لشخص آخر لن أذكر توجهه فسيقول بأنه ضعف إيمان وقلة صلاة وتقصير في الواجبات.. إلخ. جميع الآراء السابقة جميلة عندما نسمعها ونهز لها رؤوسنا بكل خضوع وخشوع لكن هل هي مجدية في جميع أو معظم الحالات؟.. لن أجيب وسأترك الإجابة لكم.

بما أن الجميع في عائلتنا ساهموا في هذا الموضوع برأيهم بمن فيهم العاملة المنزلية التي تعمل عند ابنة خالتي بقولها «بابا ما في كويس» فلم لا أساهم بما أنا شبه متيقن أنه سبب الخلاف المستمر تحت سقف ذلك المنزل؟.. لكن كيف؟

هل أتحدث مع أمي أو خالتي؟

أتحدث مع ابنة خالتي أم زوجها؟

الحل معي لكنه بالنسبة لهم سيكون بلا شك غريباً وصياغته كحل ستجعله أكثر غرابة.

المعلومة تخص «الملح» وفوائده الروحانية إن صح التعبير، فلو قلت لهم إن رشّ الملح في المنزل وزواياه تحديداً وغسل أرضياته بباء به ملح مذاب مفيد جداً لنفسيات أهل البيت لأن منزلهم مشحون بطاقة سلبية قوية تجعل قاطنيه في حالة متوترة على الدوام وهذا هو السبب الحقيقي لخلافاتها المستمرة فسوف ينظرون لي بنظرة «هل أنت مجنون؟».. وهذا من باب التفاؤل لردة فعلهم المتوقعة.

نسبة قبولهم لكلامي ونصيحتي سوف تعتمد على عدة عوامل أولها  
ثقتهم بمصدر المعلومة.. لكن.. ما هو المصدر الموثوق للبشر عموماً؟  
إذا كانت المعلومة مذكورة في القرآن أو السنة فالأمر محسوم عند  
المسلمين ولو كانت مذكورة في الإنجيل فهي محسومة عند المسيحيين  
وتحسم عند اليهود إذا كانت مذكورة في التوراة وعدا ذلك سيكون  
«بدعة».

ماذا إذا كان الشخص مُلحداً ولا يؤمن بأي من الأديان السماوية؟  
ستجد أن المصدر الموثوق عنده غالباً هو العلم الحديث وهذا  
المصدر معظم الوقت مقبول عند معتنقي الأديان فالعلم في مسائل  
كثيرة لا يتعارض مع الدين لكن المشكلة هي عندما يكون المصدر غير  
علمي وغير ديني. أعني بذلك أنه لم يخضع للتجارب العلمية المختبرية  
والأبحاث المطولة ولم يرد فيه نص سماوي صريح ليقع في المتصف بينهما  
ويصبح مرفوضاً من الطرفين.

بهذا المنهج حصرنا مصادر المعلومة وحجبتنا علماً كثيراً عنا فالملحد  
يتعامل مع العلم المثبت مثلما يتعامل المتدين مع الكتب السماوية وأعني  
بذلك أنه يرى فيه مصدراً موثقاً لا يقبل النقاش مع أن العلم يراجع  
نفسه دائماً ويأتي بنظريات تناقض ما سبقها بشكل مستمر ومع ذلك  
يبقى الملحد واثقاً بأن كل ما يأتيه من هذا المصدر حق مطلق لا يقبل  
النقاش.

لذلك عندما اقترحت حل غسل منزل ابنة خالتي بـ«الملح» على خالتي ضحكت في البداية ثم قالت:

«لا يجوز يا بني»..

لم أعارض أو أناقش لأن حائظ المعتقد لديها كان أكبر من أن أتسلقه حتى وإن كان مبنياً على أساس لم يرد في الدين أصلاً أو اجتهاد لفقيه بدون دليل وغير ملزم لأحد.

العامل الثاني الذي قد يجعل معلومة ما مقبولة هي بوضعها تحت مجهر التجربة والخروج بنتائج ثلاثم معتقداتنا وما نؤمن به سابقاً.

هذه النقطة حساسة جداً وتتسبب بصراعات نفسية كبيرة لكثير من الناس الذين حسمو موقفهم مع العالم وطريقة عمله وفهمهم لما يدور حولهم فتقبل معلومة جديدة بدون شرط أو قيد يستلزم عقلاً منفتحاً على ما هو جديد ولا أعني هنا المتدينين فقط فحتى أصحاب «المنطق» والعلم تجد بينهم تزمناً لما هو مختلف وجديد يفوق أحياناً ما نراه عند معتقي الأديان الساوية وأقرب مثال على ذلك سنة استخدام غصن شجرة الأراك لتنظيف الأسنان عند المسلمين أو ما يعرف بـ«السواك» فتاريخ هذه العادة يعود لما قبل الإسلام بما يقارب الـ ٧٠٠٠ سنة وقد مارستها حضارات وشعوب كثيرة مثل البابليين مروراً بالإغريق والفراعنة وأصبح سنة دينية عند المسلمين اقتداءً بالرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم والذي مارسها وحث عليها.

لم يعرف أو بمعنى أصح لم يتقبل الغرب في العصر الحديث عادة السواك بشكلٍ واسع النطاق حتى ذُكرت تلك العادة جنباً لجنب مع مصطلحات مثل «أثبت العلم الحديث» أو «أثبتت الدراسات» وبدؤوا يتحدثون عن فوائده الجمة للأسنان واللثة وكيف أنه أفضل وأنفع بكثير من استخدام المعجون المعزز بالفلورايد الضار وفرشاة الأسنان التقليدية فانتشر كالنار في الهشيم عندهم وأصبح عادة «حميدة» بعد ما كان مجهولاً مشكوكاً في منفعته.

كثير من المسلمين مارس سنة السواك اقتداءً بالرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم وسنته فقط وليقينه التام بأن المصطفى عليه الصلاة والسلام لن يسن شيئاً إلا وله منفعة سواءً في الدنيا أو الآخرة ولم يكن أغلبهم يعي الفوائد الكثيرة التي توصل إليها الغرب بأبحاثه الحديثة اليوم ومع ذلك مارسها لقرون طويلة.

هل كان العرب والمسلمون ليمارسوا عادة السواك لو لم تكتسب تلك الصبغة الدينية؟ على الأرجح سينخفض معدل ممارستها كثيراً.. هل كان الغرب سيتبنى هذه العادة لو أنه لم يُكسبها مصداقية بأبحاثه العلمية؟.. غالباً لا..

ماذا عن الحضارات السابقة للإسلام والعصر الحديث والتي مارسها لقرون طويلة؟ على أي أساس مارسها؟.. أساس ديني؟ معظم تلك الحضارات لم ترَ أيّاً من الأديان السماوية الثلاثة المعروفة ولم تؤمن بها..

على أساس علمي؟.. ربما فتلك الحضارات وصلت إلى مراحل متقدمة من العلم اندثر معظمها وفقدنا الكثير منها.

ما أريد أن أصل إليه هو أن هناك الكثير والكثير من العلوم التي لا نعرف عنها شيئاً والعلم الحديث لم يطرق بابها ولم يكشف النقاب عنها بعد.

جربت هذا المدخل مع خالتي وقلت لها:

- العلم الحديث أثبت أن الملح مفيد لنفسيات الناس وغسل المنزل به سيكون له أثر إيجابي جداً على ابتك وزوجها (بالطبع هذا الكلام لا أعرف مدى صحته «علمياً» فأنا لم أقرأ بحثاً علمياً خاض في هذا الأمر بشكل مفصل وخرج بنتائج حاسمة ومصدر ثقتي بالمعلومة كان من علم الكتب التي قرأتها فقط)

(خالتي): هذه أمور دخيلة ولا أصل لها

- وما الأصل الذي تبحثين عنه؟.. ديني؟

(خالتي): لقد عادت ابنتي لزوجها بالأمس وأمورهما مستقرة والله

الحمد ولا داعي لذلك

- ستعود لك في وقت قريب صدقيني

(خالتي): ما هذا الفأل السيئ؟.. ادع لها بالاستقرار

لم يكن هناك جدوى من إقناع خالتي أو غيرها فهم لن يتقبلوا شيئاً

جديداً يجهلونه مهما حاولت..

أنا لا أدعي أنني أملك حقيقة مطلقة لكنني أملك علماً حصلت عليه وأقف حائراً أمامه. وأقرب تفسير لتلك العلوم والمعلومات التي يضح بها عقلي هو أنها من تلك العلوم المندثرة.

الأمثلة كثيرة ولا تحصى على التجارب التي جربت فيها تلك العلوم على من هم حولي، أطبق المعلومة وأرى الأثر ولا أعرف التفسير.

مثال آخر يمكنني طرحه وتعريضه للمجهر نفسه وهو أوضاع النوم فالعلم ينصحنا بأوضاع معينة وينهانا عن أخرى على مبدأ صحي بحث لسلامة العمود الفقري والتنفس بشكل أفضل خلال النوم.. إلخ والدين كذلك يحثنا على النوم على الشق الأيمن ويستكرهه على البطن.

ماذا لو تعارض العلم مع الدين في هذه النقطة؟

ماذا لو حذر العلم من النوم على الشق الأيمن وحث على النوم على البطن؟

الكل سيتبع ما يؤمن به لكن هل هذا دليل على كفره بالآخر؟

سؤال مرهق عند محاولة الإجابة عليه.. لكن ماذا لو كان هناك منطلق

ثالث غير الدين والعلم..؟

أنا أعرف بأن دفن الإنسان في الرمل وخصوصاً في نوع معين من الرمال مفيد جداً للكثير من الأمراض والعلل خاصة النفسية والروحانية.. لماذا؟.. لا أعرف..

أعرف بأن خلع ضرس العقل علاج لمرض لن أذكر اسمه لأنني لا أملك دليلاً «علمياً» أو «دينيّاً» على ذلك.. لماذا هو مفيد؟.. لا أعرف أيضاً؟..

هل ذكر تلك العلوم أو التعامل بها محرم؟.. لا أعرف.. لا أعتقد..

أنا أعيش دوامة.. أريد أن أصمت لكن معظم الأحيان لا أستطيع خاصة عندما أرى من يعاني أمامي. قد تكون العلوم التي وصل إليها البشر اليوم «حديثه» بالنسبة لزمانهم لكن الكثير منها بلا شك ليس «متقدماً» على علوم كثيرة سألفة اندثرت منذ زمن بعيد.

غرور الإنسان يمنعه أحياناً من الاعتراف بأن هناك من سبقه لأمر ما ويحاول عن قصد أو لاشعورياً طمس أو عدم ذكر احتمالية أن ما جاء به ليس بالعلم الجديد وأنه قد يكون اكتشف من قبل بل وتفوق من سبقه فيه.

مع مرور الأيام بدأت أحس بنوع من الارتياح تجاه هذا «العلم المندثر» أو «علم الأولين» الذي لا أعلم عن أصله شيئاً عندما رأيت بعض مدلولاته المذكورة في القرآن والسنة وبعضها أيضاً توصل إليه العلم الحديث مؤخراً وبذلك كسب مصداقية أكبر عندي وعند الناس الذين جربوه بنصح مني، لكن ماذا عن بقية العلوم التي تعشش براسي؟..

هل أنتظر حتى يثبتها العلم؟

هل أكتمها كما كتّمها الكثير قبلي لتندثر مرة أخرى؟

هل يعقل أن (عمار) فقط هو من كان يملك كتباً تتحدث عن تلك العلوم؟

بدأت أعرف لم لم يحرص الكثير ممن حصلوا على هذا العلم على تدوينه أو نشره فقد تملكهم الشك أيضاً وخشوا أن يورطوا أنفسهم والناس معهم بعلم ليس فقط «لا ينتفع به» كما يُتهم بل قد يكون خطراً عليهم كذلك.



## علم الحقيقة

مضت أشهر بعد عودتي لحياتي «الطبيعية» وصلت خلالها لقناعة بأني لم أمر بشيء مما مررت به سابقاً من تحضير للشياطين والتحدث معهم وقد أكون تعرضت فقط لفرط في التفكير مثلما يتعرض الطفل لفرط في الحركة وتحول ذلك لهلوسات عانيت منها لسنوات بعد مكوثي في مكتبة (عمار) تلك السنوات الثلاث وأن كل ما قرأته لم يكن سوى خليط من الحق والباطل وأن كل تلك المعلومات عن الشياطين والأسياذ عبثت بعقلي وجعلتني أراهم أمامي وأتفاعل معهم والمسألة كانت بكل بساطة أني أصبت بالجنون.

لقد طردت الشياطين التي كانت حولي ولم يبق سوى الشياطين داخل رأسي..

يقال إن المجنون لا يدرك أنه مجنون حتى يُشفى وفي لحظة يأس سلمت وأقررت بما قيل لي في أكثر من مناسبة وهو أنني فقدت عقلي وهذا سبب ما كنت أراه تلك السنوات التي عقبته خروجي من المكتبة وعودتي لوطني. كان يمكن أن أجرب قراءة تلك الطلاسم التي تعلمتها ورؤية ما

سيحدث أمامي لكن ذلك قد لا يغير من الأمر شيئاً فكل ما مررت به ورأيت في السابق قضى الشهود عليه نجبهم ولم ينبج أحد منهم سوى أخي الذي كما قلت سابقاً لا يتذكر شيئاً مما حدث.

لا يذكر ربهما لأن لا شيء حدث من الأساس..

زارني أخي يوماً في غرفتي بناءً على طلب أمي التي كانت لا تزال تُصر على أن أزور «تمشيخاً» ليقراً علي لأنه وكما قالت لي في أكثر من حوار معها «فيك شيء» ولتطمئن علي أكثر وتحقق من أنني عدت «طبيعياً» كانت تريد أن تحصل على اعتماد وشهادة «تمشيخ» ممتن للدين بذلك. كنت أتجاهل طلباتها المتكررة لي بالذهاب لأحد مدعي المشيخة الذين ذاع صيتهم ذلك الوقت قدر الإمكان.. أعتقد أن اسمه كان «أبو البراع» لكن مقاومتي انتهت وتبددت بعد دخول أخي غرفتي وجلوسه أمامي مبتسماً وقوله:

«سأطلب منك طلباً أرجو أن لا ترده.. فأجبتُه وأنا أبادله الابتسام  
«لن أرده إذا كنت أستطيع».

(أخي): تستطيع لكنك قد لا توافق ولكن اعلم أن الطلب من أمي وليس مني..

اعتدلت في جلستي وقلت بقلق: ما بها أمي؟.. ولم لم تطلب مني ما تريد مباشرة؟

(أخي): لأنني أنا من سيأخذك..

نظرت له مستغرباً ومتسائلاً: تأخذني إلى أين؟

قال بتردد: شيخ.. أمني تريد مني أخذك لشيخ للقراءة عليك

- ألم تنته من هذا الموضوع؟.. لم لا تزال مصرة عليه؟

(أخي): لا أعرف لكنها لن تطمئن إلا إذا ذهبت معي للشيخ

- هل تعتقد أنت أني أعاني من شيء؟

(أخي): يجب أن لا تنكر أنك تتصرف بغرابة بعد عودتك من تلك

الرحلة التي غبت فيها لثلاث سنوات.. قالها بحزن وتردد..

- بما أنك ذكرت تلك الفترة.. أريد أن أسألك عن أمرٍ ما؟

(أخي): ما هو؟

- هل تذكر عندما دخلت علي وقلت لي بأنك تعاني من كوابيس

بسبب الكتاب الذي قرأته في غرفتي خلال غيابي بعد أن ذلك

عليه ابن قريينا؟

(أخي): نعم أذكر..

- وهل تذكر ما حدث بعدها؟

(أخي): ماذا تقصد تحديداً؟

- دخلت عليك غرفتك وكنت مغطى بالدماء وتبكي وأخبرتني

بأني طلبت منك إغماض عينيك قبلها بدقائق وفتحتها لتجد  
نفسك بتلك الحالة

(أخي): صحيح.. لكن..

- لكن ماذا؟

(أخي): أنا لم أكن مغطى بالدماء ولم أقل ذلك.. ولم أكن أبكي من  
الأساس.. أنت من دخل علي وعانقني وبدأ بالبكاء.. لقد كنت مشوشاً  
جداً ولم أشأ استفزازك بالحديث معك وقتها..

كانت صدمة.. صدمة كبيرة فهذه أول مرة أناقش فيها أخي في ما  
حدث ذلك اليوم ولم أكن مستعداً لما سمعت.. لقد كنت كما خشيت..  
مجرد مجنون توهم كل ما حدث..

ابتسمت.. انهار عالمي كله.. لم يكن هناك (دجن) ولم يكن هناك (جند)  
ولم يكن هناك أي شيء.. مجرد هلوسات مجنون.. أعراض تقليدية لأي  
شخص مصاب بمرض الفصام.. شيء قرأت عنه وأعرفه تمام المعرفة  
لكن لم أظن يوماً أنني مصاب به.. هذا لا ينفي أنني نهلت بعض العلم من  
تلك المكتبة لكن يبدو أن عقلي لم يتحملها أو يتحمل العزلة التي عانيتها  
مع (عمار) فلجأ للهروب كنوع من التكيف مع الظروف القاسية التي  
فُرضت عليه ولم يعد من حينها وهذا أمرٌ وادُّ جداً مع مرض الفصام.

لاحظ أخي الصدمة التي كنت فيها حين أدركت أن علم الطلاسم

وذكرياتي الماضية مع الشياطين والأسیاد والقبائل كلها كانت سراباً وقال لي بقلق: ما بك؟

انقطع سرحاني المؤقت في حطام عالمي المهشم ونهضت وبدأت أغير ملابسي وقلت بهدوء: لن أذهب معك..

أخي وهو ينهض ويهم بالخروج: أخبر أمي أنت بذلك إذا..

قال لي تلك العبارة لأنه كان يعرف سلفاً بأني لا أستطيع مضايقة أمي أو أبي ولو حتى في أمرٍ أمقته مثل هذا لذلك لم أتحدث معها محاولاً إقناعها بعدم جدوى الذهاب لشخص كرس حياته لبيع بصاقه على الناس وقررت الذهاب والانتهاء من الأمر جبراً لخاطرها فقط خاصة بعد معرفتي لحقيقة جنوني.

بعد قبليتين وعناق من أمي أتبعتها بدعاء سريع لله بأن يحفظنا أنا وأخي توجهننا عصر ذلك اليوم بالسيارة لمنزل ذلك «الشيء» الذي أتت عليه توصيات عالية من بعض أفراد أسرتنا لأمي كالعادة وبأن سره «باتع» كما قيل لها وأنه عالج الكثير من الناس ببركة قراءته.

مع أول إشارة مرورية توقفنا عندها سألت أخي: كم سيتقاضى هذا المبارك؟

(أخي): لا أعرف لكن التسعيرة المعتادة هي ٥٠٠ ريال

قلت ضاحكاً: هل أصبح هناك بورصة وتعرفة لهذه الأمور الآن؟..

شيوخ القراءة في السابق كانوا يأخذون ما يُمد لهم والتعرفة الثابتة للماء  
والزيوت فقط

(أخي): أعرف أنك لا تريد الذهاب لكن أرجوك لا تخرجنا أمام  
الشيخ..

قلت بسخرية: وماذا تظن أني سأفعل لأحرجك؟.. أن لا أتعافى  
مثلاً؟

(أخي): المهم أن تلتزم الصمت قدر الإمكان حتى تنتهي..  
ابتسمت وأنا أحرق بالطريق أمامي: أنت لا تؤمن بفائدته مثلي أليس  
كذلك؟

فتحت إشارة المرور وتحرك أخي قائلاً: القرآن مفيد..  
- القرآن وليس البشر..

(أخي): هو رجل حافظ ومتمكن وقد استفاد منه الكثير  
قلت وأنا أنظر من النافذة: سنرى مدى تلك الإمكانيات في علاج  
الجنون..

(أخي): أنت لست بمجنون أنت متعب نفسياً فقط..  
- لا تقلق فالجنون ليس بمذمة هذه الأيام..

(أخي): سيشرح حالتك وسيعرف إن كان بك علة وسيصف لك  
العلاج المناسب بإذن الله

قلت بتهمك: طيب ومختبر وصيدلية في رجل واحد؟  
ابتسم أخي وهو يوقف السيارة على جانب الطريق قائلاً: كف عن  
الاستهزاء بالدين لقد وصلنا..

صمت ونظرت بتعجب لأخي ..

أوقفنا السيارة بجوار منزل كبير.. أبوابه مشرعة وجماهير الناس من  
جميع الأعمار والأجناس متجمهرة داخله وخارجه. كان أشبه بالعزومة  
الكبيرة أو صالون عزاء في يومه الأول. دخلنا لنجد أن المنزل  
قُسم إلى نصفين بستانٍ قماشي.. مدخل للنساء ومدخل للرجال. توجهنا  
للقسم المخصص للرجال وجلسنا في صالة الانتظار التي اكتظت بالرجال  
والأطفال والشيوخ. تحدث أخي مع شخص بدا أنه المنسق العام لزوار  
«التمشيخ». عاد سيراً نحوي بعد ما مد مبلغاً لم أستطع تحديده مقداراه في يد  
ذلك الرجل وجلس بجانبني وقال: سندخل على الشيخ بعد قليل..

ابتسمت وأنا أسترجع بعض ذكريات الطفولة وقلت: لم يتغير شيء..

(أخي): ماذا تقصد؟

- ذكرتني بأمي عندما كانت تأخذني للقراءة علي في صغري.. لم  
أتوقع يوماً أني سأعود لهذا الأمر وأخوض التجربة نفسها مرة  
أخرى

(أخي): لأجل أمي فقط..

نظرت لمجاميع الناس الجالسة والواقفة وقلت: نعم لأجلها فقط...  
نادى الرجل علينا ودخلنا على «التمشيخ» وجلسنا معه. على عكس  
ما حدث معي أنا وأمي عندما كنت صغيراً لم يكن مستعجلاً للبدء في  
القراءة بالرغم من الأعداد الكبيرة التي كانت تنتظره في الخارج وكأنه  
يتعمد إبقاء هذا الزحام المتجمهر لشيء في نفسه فقد كان يتجاذب أطراف  
الحديث مع أخي ويمازحه وأنا أراقبهما منتظراً جلسة التشخيص. لم يقل  
أخي شيئاً مفيداً له سوى أنني متعب وأحتاج قراءة فقال وهو يقبض  
لحيته ويجدق بي:

«لا بأس الأمر هين بإذن الله..»

بدأ بالقراءة ولم يضع يده علي كما حدث معي عندما كنت صغيراً  
فقلت في نفسي: «يبدو أن طرق القراءة تغيرت أو أنها تختلف من شخص  
لآخر.»

نظر أخي لي بنظرة تجهم وعبوس عندما قاطعته خلال قراءته  
لأصحح له خطأ في التجويد وقع فيه من أول آية نطقها وتحول عبوسه  
لغضب عندما تكررت مقاطعتي له أكثر من ثلاث مرات للسبب نفسه  
حتى قال بنبرة ساخطة: لا تقاطعني!

فقلت بحدة: كيف لا أقاطعك وأنت تقرأ بشكل خاطئ؟!

قال بصيغة استجوابية أظنها كانت مصطنعة بعض الشيء: من أنت؟!  
ابتسمت قائلاً: لا أعرف أخبرني..

قال بعبوس: لم تقاطع كلام الله؟! لم لا تريد سماعه؟!!

قلت بهدوء يخالطه شيء من الاستهزاء: لأنك تعبت بكلام الله.. اقرأ بشكل صحيح ولن أقاطعك..

تجهم وقال بغضب موجهاً كلامه لأخي: أخوك ملبوس لذلك يرفض سماع القرآن ويقاطعني!

ضحكت وقلت: أقاطعك لأنك لم تجتز مادة التجويد فقط!.. ثم أنه لا يوجد شيء اسمه تلبس فهو خرافة

لم يلتفت علي واستمر في محاولة إقناع أخي بأني ملبوس حتى اكتفيت من خزعبلاته ونهضت قائلاً لأخي: أنا بالخارج أنتظر حتى تنتهي..

خرجت من المكان وأنا أشق طريقي بين الجماهير البائسة واليائسة التي تنتظر شيئاً من وقت ذلك «التمشيخ» المبارك حتى وصلت للخارج واتكأت على سيارتنا أحرق في أفواج الناس التي تدخل وتخرج من المكان. خرج أخي بعد دقائق وفي يده كيس وقال: ماذا فعلت؟!!

- ماذا؟

(أخي): لم تحدث مع الشيخ بهذا الأسلوب؟

- عن أي شيخ تتحدث؟!.. عن ذلك المحتال الذي لم يتجاوز في تعليمه المرحلة الابتدائية؟

(أخي) بحزن: ماذا أخبر أمي الآن؟

قلت بصرامة: لا تخبرها بشيء!.. هل صدقت كلام ذلك الجاهل بأني ملبوس؟!

(أخي): لا.. لا أعرف..

- ما هذا الذي في يدك؟

توجه أخي نحو السيارة ليركبها وقال: لا شيء..

لحقت به وأخذت الكيس عنوة من يده وفتحته لأجد قاروة من

الزيت وقارورتين من الماء فتبسمت وقلت: بكم اشتريتها؟

لم يرد أخي علي..

قلت له وأنا أمازحه: هيا أخبرني بكم؟

(أخي): الزيت بـ ٢٠٠ والماء بـ ٥٠..

ضحكت قائلاً: لماذا لم تطلب تخفيضاً؟!

(أخي) بحزن: أرجوك لا تستهزئ بالدين

صرخت فيه بلا شعور: هذا ليس ديناً!!.. لم لا تفهم؟!

لم يرد علي وتوجهت لأقرب قمامة ورميت الكيس بها فيه..

ركب أخي السيارة بصمت وأدار محركها وجلس بداخلها وأنا واقفٌ

بالقرب من المنزل أراقب الناس المتجمهرين.

خرج أخي من صمته بعد ما أنزل نافذته وقال: ألن نرحل؟

قلت وأنا أحقق بالمنزل: ما يحدث هنا أمرٌ خاطئ..

(أخي): لا علاقة لنا بذلك هيا لنرحل..

- ماذا ستخبر أمي؟

(أخي): لن أخبرها بشيء سوى أن الشيخ قال إنك بخير..

التفت إليه وقلت: أمي ستصدق كلام شخص لم تره من قبل وتكذب

كلام ابنها؟

(أخي): هل يمكننا الرحيل الآن؟.. المغرب أوشك على الحلول..

خلال حديثنا خرج رجلٌ من منزل «التمشيخ» ومعه فتاة تثن

وتبكي والرجل ممسك بأكتافها وفي يده كيس مشابه للكيس الذي

رمىته في القمامة للتو. كانت الفتاة تبكي في البداية لكنها وعندما وصلت

لمنتصف الشارع بدأت تصرخ وتحاول التفلت من يد الرجل الذي كان

فيما يبدو أنه أبوها أو أحد محارمها. تمكنت الفتاة من الهرب من قبضته

وما أن فعلت حتى رمت بعباءتها وبدأت تشد شعرها وتصرخ بقوة

أمام الناس. لم يزعجني المنظر لكنني انزعجت عندما رأيت علامة على

جبينها.. علامة لم أرها من قبل إلا في أحد كتب (عمار).. وسم ملكية..

وسم الملكية للشياطين العاشقة.. لم أشاهده من قبل على جسد أحد..

لم أره إلا رسماً في الكتب. كان الوسم واضحاً بالرغم من بعد المسافة

التي كانت بيننا.

سيطر الرجل على الفتاة بالقوة وأركبها السيارة وانطلق بها مبتعدًا  
عن المكان. جريت لاشعوريًا نحو سيارتنا وركبت وصرخت في أخي:  
اتبعهما!

(أخي): أتبع من؟!

قلت بصوت مرتفع: اتبع تلك السيارة بسرعة قبل أن تبتعد!  
تحرك أخي على عجلة واستطاع اللحاق بهما لأن إشارة مرورية  
استوقفتها وخلال وقوفنا خلفها التفت علي وقال بعصبية: ما بك؟!..  
لماذا نلحق بهما؟!

قلت وعيني على السيارة: تلك الفتاة..

(أخي): ما بها؟

- ممسوسة..

(أخي): هل أصبحت تؤمن بالمس الآن؟.. ألم تقل للشيخ إن المس

خرافة؟

قلت وأنا ألتفت عليه: أنا لم أقل ذلك.. التلبس هو الخرافة لكن المس

موجود

(أخي): وما الفرق؟

فتحت الإشارة وتحركت السيارة التي كنا نتعقبها فقلت لأخي بنبرة

حازمة يخالطها بعض التوتر بأن يتبعها ولا يفقدها فقال: اهدأ.. اهدأ.. سأتبعها

استمرت متابعتنا للسيارة لربع ساعة تقريبًا حتى توقفت أمام أحد المنازل في حي من الأحياء القديمة فطلبت من أخي التوقف قبل أن يلاحظنا فقال: لم تبعنا تلك السيارة؟

قلت وأنا أراقب الرجل وهو يُنزل الفتاة ويدخلها للمنزل: أريد التحقق من شيء..

(أخي): التحقق من ماذا؟

أجبتة بعد ما دخل الرجل والفتاة للمنزل وقلت: ما حدث معي.. أقصد السنوات التي غبت فيها.. تلك الكتب التي قرأتها أنت في غيابي وتسببت لك في تلك الكوابيس..

أخي وعلى وجهه ارتسم القلق: نعم.. ما بها..

- أنت اكتسبت الكوابيس لكن أنا اكتسبت علمًا..

(أخي): علمًا؟.. أي علم؟

- علم لم أطلبه ولم أسعَ للحصول عليه لكنني تشربته وتعلمته.. علم مدون وغير مطبوع.. موجود وغير مثبت..

أخي باستغراب: عن ماذا تتحدث؟

قلت له وأنا أدير وجهي نحو منزل تلك الفتاة: اسمع.. سأعقد معك اتفاقاً..

(أخي): اتفاقاً من أي نوع؟

قلت وأنا أهدق بالمنزل: ما حدث معي قد يكون هلوسات.. جنوناً.. ربما توهمت كل ذلك وأنا بالفعل بدأت أصل لتلك القناعة وأصدقها..

(أخي): وما الذي حدث معك؟.. أنت لم تخبرني قط بأي شيء كنت تختفي فقط وتعود بحالٍ مختلف بعد كل مرة تختفي فيها

- إذا كان ما مررت به مجرد هلوسات اخترعها عقلي المجنون فسوف نعرف الآن

(أخي): أنا لا أفهم شيئاً؟

التفت عليه وقلت: تلك الفتاة تحمل وسم شيطان علوي عاشق على جينها..

(أخي): شيطان ماذا؟

- دعك من التفاصيل المهم ما سيحدث الآن مع غروب الشمس لو صدق حدسي

(أخي): وما الذي سيحدث؟

قلت وأنا أعيد نظري نحو المنزل: إذا كان ما حدث معي حقيقة وليس هلوسات فمع غروب الشمس ذلك المنزل سيغطي بالطيور.. حمام على الأرجح

(أخي): حمام؟

- نعم.. الأسياد لا يسرون دون أتباع عند زيارتهم لمنازل  
المعشوقين وذلك يكون مع الغروب وغالباً تصاحبه جحافل  
من الطيور أغلبها شياطين متشكلة ترافقه

أخي واضعاً يده على كتفي بحزن: لا بأس.. سنفعل ما تريد..

قلت وأنا ابتسم: أعرف أنك لا تصدقني.. لا ألومك.. هناك جزء  
مني يتمنى أن ما أقوله مجرد خيالات صنعتها في عقلي.. المغرب شارف  
على الحلول وفي كل الأحوال سنعرف الحقيقة..

(أخي): حقيقة ماذا؟

قلت وأنا مستمر بالتحديق للمنزل: إما أن أكون بالفعل مجنوناً أو لا..  
بعد مضي دقائق رُفِعَ أذان المغرب وكنا أنا وأخي نحدق بالمنزل  
والمنازل المجاورة له من سيارتنا وبعد انقضاء الأذان قال بصوت حذر  
وكأنه لا يريد مضايقتي: ما رأيك أن ننزل من السيارة ونذهب للصلاة  
في ذلك المسجد القريب؟

قبل أن أجبنيه سمعت صراخاً من بُعد لتلك الفتاة قادماً من المنزل  
فقلت: هل سمعت الصراخ القادم من المنزل؟  
أجاب أخي بنبرة مواسية: آسف لم أسمع شيئاً..

حدقت به بصمت وحدثت نفسي قائلاً: هل هذا ما يشعر به

المجانين؟.. ربما سمعي أقوى من سمعه بسبب هالتي المفعلة؟.. لا..  
لن أبرر لنفسي بعد اليوم.. الحقيقة تجلت أمامي وأنا أحاول إنكارها..  
أنا لست سويّاً.. عقلي يجذعني لأنه مريض يجب أن أتقبل هذه الحقيقة  
وأكف عن محاولة إثباتها.

نظرت نظرة أخيرة للمنزل ثم قلت بعد ما تيقنت أني على خطأ وأن  
كل ما عشته وآمنت به في الماضي كان وهماً من صنع عقلي المعطوب:  
حسناً.. لنذهب لنصلي..

نزلنا من السيارة وتوجهنا للمسجد وصلينا المغرب وخلال الصلاة  
شاهدت الرجل الذي كان مع الفتاة وهو يصلي بين الجموع ففكرت  
بالاقتراب منه والتحدث معه لكنني لم أفعل لأنني كنت أملك الرغبة ولا  
أملك السبب. أردت أن أنصحه بشأن مراجعة ذلك الدجال لكن في  
وقتها كانت ثقتي بنفسني قد اهتزت بقوة خاصة بعد أن اكتشفت أن كل  
ما كنت أعرفه كان مجرد وهم.

خرجنا من المسجد وتوجهنا للسيارة لكن وقبل أن نفتح أبوابها وقفنا  
أنا وأخي مبهورين ومصدومين من المنظر الذي تجلّى أمامنا. رأينا أسراب  
الحمام وقد غطت سطح المنزل.. كانت بالعشرات بل المئات ولم يكن  
هناك منزلٌ آخر في الحي تقف فوقه حمامة واحدة حتى جيران المنزل كانت  
أسطحهم خالية تماماً بالرغم من أن الحمام يزاحم بعضه بعضاً للوقوف  
فوق السطح وكأنهم فقير نحل اجتمعوا على ملكتهم.

وقفت مذهولاً بالمنظر لكن ذهولي لم يكن كذهول أخي الذي بقي  
يراقب المنزل بغمٍ مفتوح حتى خرج عن صمته وقال: كيف عرفت؟  
قلت وأنا أحرق بسطح المنزل: أنت ترى ما أراه أليس كذلك؟  
(أخي): بلى..

ابتسمت.. كدت أبكي لكنني اكتفيت بالنظر للأرض أمامي مبتسماً  
وأنا أقول: أنا لست مجنوناً إذاً..

(أخي): ماذا نفعل الآن هل نصطادها؟.. قالها أخي وهو لا يزال  
مشوشاً ومصدوماً

- لا لن نصطاد شيئاً.. سنطرق الباب..

(أخي) بتوتر: ماذا؟!.. لماذا؟!!

قلت وأنا أتوجه لباب المنزل: هذه الفتاة لن تعيش طويلاً وأنا أعرف  
كيف أساعدها..

شدني أخي من ذراعي قائلاً: ماذا تنوي أن تفعل؟!!

- لقد عاهدت نفسي أن لا أقرأ طلسماً مرة أخرى ولن أعود لذلك  
العالم مهما حدث لكن هناك طُرقاً أخرى يمكنني مساعدتها بها  
دون أن أفقد نفسي في ذلك الظلام مرة أخرى

(أخي) وتوتره يزداد: أي ظلام؟.. لنرحل من هنا أرجوك!

قرعت جرس الباب وأنا أقول: فقط ابقَ معي ولا تتحدث..

فتح الباب لنا ذلك الرجل الذي رأيناه مع الفتاة وكان على وجهه حزن كبير وعيناه كانتا شاحبتين وكأنهما لم تذوقا طعم النوم منذ أيام وقال: نعم؟

لا أعرف لماذا لكنني لم أقوَ على الكلام في بادئ الأمر.. لم أعرف ماذا يمكنني أن أقول لذلك الرجل وكيف أشرح له ما يحدث مع تلك الفتاة دون أن يسيء فهمي وخلال صمتي تحدث أخي في لحظة ارتباك وقال: هل تسمح لنا بالدخول؟

(الرجل) باستغراب: لماذا؟.. من أنتما؟.. وماذا تريدان؟

(أخي) بابتسامة مغلقة بالقلق: نريد التحدث معك بأمر خاص إذا

سمحت

(الرجل) وعلى وجهه ريبة: تفضلاً

استغربت من إقدام أخي وشجاعته في تلك اللحظة المربكة لكن ما قام به شجعني قليلاً وخفف من توترتي.. دخلنا وجلسنا في المجلس وجلس الرجل أمامنا وقال: ما الأمر؟

نظر أخي لي بنظرة: «قل ما عندك»

استجمعت قواي وقلت: الفتاة.. الفتاة التي كنت معها عند الـ«شيخ»

عصر اليوم..

(الرجل): ما بها؟

- تصرخ خلال نومها.. تصحو بكدمات وجروح على جسدها..  
تبكي بلا سبب.. تغضب فجأة وخاصة في الليل.. تتأهبها نوبات  
غضب تمكنها من مقاومة ومهاجمة من هم أكبر منها حجماً وقوة  
بالرغم من هزال جسدها.. لا تأكل إلا الأشياء ذات المذاق الحلو..  
تكره الماء والاستحمام..

قاطعني الرجل وعلى وجهه خليط من الغضب والاستغراب وقال  
بحنق: من أنت؟! وكيف عرفت كل هذه المعلومات عن زوجتي؟!  
(أخي) بتوتر: نحن نعمل عند الشيخ ولحقنا بك بعد رحيلك لأنه  
نسي أن يخبرك بأمر هام

(الرجل) بغضب: يخبرني بماذا؟!!

- سأصف لك خليطاً يمكنك أن تعده في المنزل بنفسك.. اسق  
زوجتك منه مرة واحدة في اليوم لثلاثة أيام فقط وسوف تتحسن  
بإذن الله

(الرجل): هل هذه الوصفة من الشيخ؟

قلت على مضض: نعم نعم من الشيخ.. وارم ما أعطاك إياه من ماء  
وزيوت

(الرجل): أرميها؟!.. وماذا عن الثمن الباهظ الذي دفعت  
مقابلها؟!.. هل هذه حيلة كي تحصلوا بها على المزيد من المال؟!!

- العلاج الذي قدمته لك للتوبلا مقابل

(الرجل): وماذا عن الأموال التي دفعتها في السابق؟!

التفت على أخي في إشارة مني له بأن يدفع للرجل قيمة الماء والزيوت التي أخذها من «التمشيخ» ففعل وبعد ما أخذ الرجل المال قال بتجهم: أنا أراجع الشيخ منذ أسابيع ولم أركما من قبل عنده!

(أخي) بتوتر: ربما لم تنتبه

نظر الرجل لنا بنظرة شك وريبة قائلاً: هل أنتما واثقان من هذا

العلاج؟

- لا شيء سيحدث دون إذن الله..

(الرجل): ونعم بالله

نهض أخي وقال بتوتر: هيا لنذهب

(الرجل): إلى أين؟

قلت وأنا أنهض: سنرحل ويأذن الله لن تحتاج غير هذا العلاج

صافحت الرجل وخرجت تاركًا أخي معه ليودعه..

وصلت للسيارة ولحق بي أخي بعدها بدقائق وركبت معه وتوجهنا

للمنزل وخلال الطريق قال بتوتر: لدي إحساس أننا ارتكبنا جريمة..

- لم تقول هذا الكلام؟

(أخي): لقد وصفنا علاجاً دون علم وقد تموت تلك المرأة وندخل السجن بسببك!

قلت وأنا مبتسم: بإذن الله ستعافى.. تناول هذا الخليط له تأثير قوي على الشياطين العاشقة فهم لا يطيقون الرائحة التي ستنبعث من جسدها جراء تناوله وسوف يهجرها بلا عودة

(أخي): وما أدراك أنت؟ من أخبرك عن تلك الوصفة؟.. وعن أي شياطين تتحدث؟!

لم أجهه.. كنت مشغولاً بنفسي ومنتشياً لأنني رأيت بصيص أمل بأنني لم أكن مجنوناً.. كان بالي مشغولاً بالبحث عن المزيد من الدلائل والقرائن كي أثبت أني على حق وأن الماضي الذي مررت به لم يكن من صنع خيالي.. لكن كيف؟.. كيف وأنا قد عاهدت نفسي أن لا أعود لقراءة الطلاسم أو أي شيء يختص بذلك العالم؟..

قاطع أخي تفكيري المحموم وأنا أقضم أظفاري سارحاً وقال: ألن تجيبني؟!

- قرأتها في كتاب..

(أخي): كتاب؟.. أي كتاب؟!.. وكيف تعرف أن ما قرأته صحيح وليس مجرد خرافات مكتوبة؟!

ابتسمت وقلت وأنا أحرق في الطريق أمامي: سنرى..

(أخي): لا تتحدث هكذا أمام أمي كي لا نجبرنا على العودة للشيخ  
مرة أخرى..

ضحكت.. لم أضحك منذ مدة.. كنت سعيداً.. شعرت بالارتياح..  
أنا لست مجنوناً..

عدنا للمنزل ذلك اليوم وتوجه كل منا لغرفته بعد ما مررنا بأمانا  
وقبلنا رأسها وطمأنأناها أن «التمشيخ» أخبرنا بأنني لا أعاني من شيء  
سوى تعبٍ عارضٍ.

مرت الأيام وخلاها كانت الحياة طبيعية جداً.. أزاول عملي صباحاً  
يتبعه زيارة منتظمة لأصحابي ليلاً.. قراءة وكتابة حتى الفجر.. في تلك  
الفترة كان ما زال تأثير تفعيل هالتي علي قوياً ولم أكن أنام كثيراً. كنت  
أكمن بضع ساعات بعد صلاة الفجر فقط حتى يحين موعد عملي.

الكمون هو حالة من الاسترخاء التام مثل اليوغا دون الدخول في  
نوم عميق.. تعلمت لاحقاً السيطرة أكثر على يقظتي وأصبحت قادراً  
على سرقة ساعة أو أقل من النوم العميق خاصة في رمضان حيث إن  
هالتي تستقر بشكل كبير في الشهر الفضيل.

كان ذلك هو مختصر حياتي.. روتين ممل وجميل في الوقت نفسه.. لكن  
ما حدث بعد أسبوعين تقريباً من ذهابنا للـ«تمشيخ» غير ذلك المسار  
قليلاً حيث تلقيت اتصالاً على هاتفي النقال من رقم غريب صباح أحد  
الأيام قبل توجهي للعمل فظننت أنه اتصال خاطئ لأن لا أحد يعرف

رقمي سوى المقربين مني وهم محدودون جداً ويعرفون بأني لا أحب الحديث عبر الهاتف ويتواصلون معي بالرسائل النصية لأنها الطريقة المضمونة كي أورد في الحال.

كنت سأتجاهل ذلك الاتصال لكنني أجبت وبعد إجابتي فوجئت بأنه شخص يقول: السلام عليكم يا شيخ..

- عفواً.. يبدو أنك مخطئ في الاتصال..

(المتصل): أأنت أنت من زارني قبل أسبوعين وقام بعلاج زوجتي؟ توقفت قليلاً لأسترجع ذاكرتي فتذكرت أنه ذلك الرجل الذي قمنا أنا وأخي باللحاق به بعد خروجنا من منزل المتمشيخ» فقلت له: عذراً أنا لست بشيخ.. ثم من أين حصلت على رقمي؟

لقد أخذته من صاحبك الذي كان معك قبل رحيله والآن وبعد أن تماثلت زوجتي بفضلك للشفاء بعد شهور من المعاناة مع المرض أحببت الاتصال بك لأشكرك

- كان ذلك بفضل الله وليس بفضلتي..

(المتصل): ونعم بالله.. مع ذلك «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»..

- العفو وأرجوها دوام الصحة والعافية

أغلقت الخط وتوجهت بعدها إلى غرفة أخي مباشرة ودخلت عليه لأجده نائماً فجلست بجانبه على طرف السرير وأيقظته قائلاً: أنهض.. أريد الحديث معك

(أخي): ماذا؟.. ما الأمر؟.. قالها وهو يمسح النعاس من عينيه..

- لقد تعافت زوجة الرجل..

قال باستغراب: أي رجل؟.. عن ماذا تتحدث؟

- الرجل الذي وصفت له الخليط لعلاج زوجته قبل أسبوعين..

(أخي) وهو يعانق مخدته ويغمض عينيه: آه نعم تذكرت.. الحمد لله

لن ندخل السجن إذاً

ابتسمت وقلت: لم أعطيه رقمي؟

(أخي) يفتح عينيه ورأسه لا يزال على المخدة: هل أنت غاضب لأنني

أعطيته رقم هاتفك؟.. كنت مجبراً على ذلك لأنه قال بأنه سجل رقم

لوحات سيارتي وسوف يبلغ الشرطة إذا حدث مكروه لزوجته بعد

تناول وصفتك لو لم أعطه الرقم..

- لا لست غاضباً.. على العكس تماماً أشعر بالسعادة..

(أخي): لأنها تعافت؟

- لا.. لأنني أنا تعافيت..

(أخي): ممّ كنت تشكو لتقول ذلك؟

- كنت أشكو من الشك.. الشك في نفسي وفقدان الثقة بها لكنني

الآن استعدت ذلك.. أو جزءاً منها على الأقل..

مساء ذلك اليوم خرجت كعادتي للتوجه لأصحابي في المزرعة ورأيت رجلاً ينتظرنى عند الباب.. ينتظر فقط.. لم يطرق الباب وكأنه يريد مقابلتى دون أن يعلن عن وصوله لبقية أفراد المنزل.. لا أعرف.. لكن وقوفه أمام الباب بتلك الطريقة لم يكن مريحاً في بادئ الأمر.

هيئة الرجل الخارجية كانت من النوع الذي لا أفضل الحديث معه، ليس انتقاصاً ولكن تاريخي مع هذه الفئة لم يكن لامعاً وبراقاً. كان قصير الثوب يلبس شماغاً أحمر بلا عقال.. لحيته سوداء كثيفة.. حليق الشنب.. رأس سواك مبتل يطل من جيبه الأمامي.. مكتحل العينين.. أطراف أصابع قدمه تشير إلى أنه يقوم بتحنية قاع أقدامه من وقتٍ لآخر.. اتضح لي ذلك من درجات الحناء المختلفة بين أصابعه. نحيل الجسد أبيض البشرة أنفه مستل وجبينه عريض.

خلال هذا التقويم السريع لمظهره الخارجي أخذ الرجل خطوة نحوى وهو يقول مبتسماً: السلام عليكم..

- وعليكم السلام.. نعم ماذا تريد؟

(الرجل الملتحي): أريد الحديث معك

- أعتذر.. أنا في عجلة من أمري.. قلتها وأنا أهم بركوب سيارتي..

(الرجل الملتحي): هل يمكنني الركوب معك إذاً والحديث خلال

الطريق حتى تصل لوجهتك؟

- من أنت؟

(الرجل الملتحي): شخص يريد الحديث معك في موضوع لا أكثر..

- أنت تتحدث معي الآن

(الرجل الملتحي): لا.. أقصد في مكان نستطيع الحديث فيه بأريحية

ليس من طبعي أن أوافق على مثل هذا الطلب الغريب وخاصة من شخص «ظاهره» لم يكن من فئة الأشخاص الذين أفضل الحديث معهم لكنني وافقت وبالفعل ركب معي السيارة وتحركت متجهاً للمزرعة. توقعت أن يدخل الرجل مباشرة في الموضوع ويبدأ بالحديث معي بمجرد إغلاقه للباب لكنه أخرج سواكه وبدأ يفرك أسنانه برأس فرشاته محققاً أمامه بصمت. انقضى نصف الطريق وتجاوزنا إشارتين مروريتين توقفنا عندهما لدقائق كافية ليتحدث فيها لكنه بقي على حاله صامتاً ولم يتحدث. لم أكن سأجاريه في ألامه النفسية المكشوفة ولم أكن أيضاً سأبادر بالحديث قبله.

قبل وصولنا للمزرعة بمسافة قصيرة تحدث الرجل أخيراً وقال دون أن يلتفت علي: الخليلط الذي وصفته لزوجة (عبد العزيز).. من أين حصلت عليه؟.. أقصد ما أدراك أنه كان سيفيدها؟

بالطبع لم يكن من الضروري أن أسأل من هو (عبد العزيز) فمن الواضح أنه كان يقصد الرجل الذي اتصل بي ليشكرني صباح ذلك

اليوم فقلت ونظري على الطريق أمامي ويدياي قابضتان على المقود: لم لا تتوقف عن المراوغة وتخبرني بغرضك من الحديث معي؟.. لقد اقتربنا من المكان ولن أتحدث معك أكثر بعد وصولنا لذا لا تضيع الوقت على نفسك

(الرجل الملتحي): أنا كنت أحد الرعاة الذين لجأ إليهم (عبد العزيز) للقراءة على زوجته خلال مرضها

قلت بسخرية: وهل استفادت من بركتك؟

(الرجل الملتحي): سخريتك لن تستفزني وأنا لست هنا لمقارنة علمي بعلمك

- عن أي علم تتحدث؟.. علم البصاق والزيوت؟

(الرجل الملتحي): لا.. أنا لا أبيع زيوتاً ولا أطلب أجراً مقابل مساعدتي للناس آخذ ما يمدونه لي فقط

- لأنك لا تساعدهم من الأساس..

(الرجل الملتحي): ماذا عنك أنت؟.. منذ متى وأنت تمارس عملك في العلاج؟

- أنا لا أمارس شيئاً وما حدث مع زبونك كان مصادفة فقط

(الرجل الملتحي): هل تنظر للمرضى على أنهم زبائن؟

أوقفت السيارة على جانب الطريق والتفت على الرجل الذي كان لا يزال يفرك أسنانه بالسواك وينظر لي ببرود وقلت بسخط: ماذا تريد؟!

(الرجل الملتحي): أريد أن أفيد المسلمين وأكسب أجر مساعدتهم فقط لا غير..

- وما شأني بمسعاك النبيل.. قلتها بتهكم..

(الرجل الملتحي): أريدك أن تكون معي في هذا المسعى.. أريد أن تشاركني الأجر..

قلت ضاحكاً: لا، شكراً

(الرجل الملتحي): حسناً سأكون صريحاً معك..

- الآن يمكن أن أنصت لك بجدية.. تفضل..

(الرجل الملتحي): ليس من العيب أن تكون معالماً كالطبيب أو مواسياً لآلام المرضى حتى وإن تقاضيت مقابلاً لذلك..

- لا أبداً لكن من العيب والحرام أيضاً أن تكون محتالاً وتتاجر باسم الدين وتبيع الوهم لهم

(الرجل الملتحي): أنت لا تبيع الوهم.. وأنا أريد أن أشتري الحقيقة منك..

- أنا أتحدث عنك أنت يا مخادع وأنا لا أبيع شيئاً لأحد..

(الرجل الملتحي): مهما كان المبلغ المعروض؟

- اسمع.. أنا ممتن لصراحتك واعترافك ضمناً بأنك محتال لكن لا تظن أن المال سيكون سبباً كي أخدع الناس وأحتال عليهم  
مثلك

(الرجل الملتحي): إذا كانت علاجاتك نافعة فأين الخداع في ذلك؟  
بدأت أشعر بالضيق والضعف من ذلك الحوار فلا يوجد أسوأ من الحديث مع «متمشيخ» إلا الحديث مع «محتال بلا ضمير» فقلت له بتجههم في محاولة لإنهاء النقاش: شكراً لعرضك المغربي لكنني لا أنوي امتهان هذه المهنة.. لا للمال أو لغيره.. لن أتحوّل للشيء الذي حاربتَه طيلة حياتي مهما حدث!

وبكل برود قال: لدي حالة مستعصية أقرأ عليها منذ عدة أشهر..  
فتى أصيب بالشلل فجأة والأطباء يؤكدون أنه سليم ولا يعاني من أي علة جسدية..

- ألم تسمع ما قلته لك للتو؟

استمر الرجل بتجاهل كلامي وقال: والده رجل غني جداً ومهما حاولت رقيته لا يتحسن..

- المشكلة ليست بما تقرأ بل من القارئ.. أنت إنسان استغلالي  
وهدفك الأول والأخير هو المال لذلك فقراءتك لا نفع منها

(الرجل الملتهجي): أعرف، لذلك أحتاجك في علاج هذا الشاب..  
يمكننا أن نقسم المبلغ بيننا

ذهلت من وضاعة ذلك الرجل وفي الوقت نفسه شعرت برغبة  
غريبة في الخوض أكثر في أسرار عقله المريض لذا قلت: حسناً.. سأوافق  
بشرط..

وضع الرجل سواكه المبتل بلعابه في جيبه وقال مبتسماً: أنا موافق دون  
أن أسمع شرطك  
- أن نقوم بذلك دون أخذ مقابل..

(الرجل الملتهجي): ماذا؟.. دون مقابل؟!.. ما الغرض من ذلك إذا؟!  
- الأجر والثواب بالطبع.. ألم يكن هذا كلامك قبل قليل؟  
(الرجل الملتهجي): حسناً موافق..

- موافق؟

(الرجل الملتهجي): نعم موافق.. سأتصل بالرجل الآن  
- لا ، انتظر ليس الآن!

لم أستطع منع الرجل المتحمس من إخراج هاتفه والاتصال بشخص  
لم يتحدث معه كثيراً ولم يقل له سوى بضع كلمات استأذن من خلالها  
بزيارته في تلك الساعة المتأخرة ومما فهمت أن المتحدث على الطرف

الأخر وافق دون اعتراض. أغلق هاتفه وأشار لي بالتحرك فقلت له: إلى أين؟

(الرجل الملتحي): لمنزل الرجل بالطبع

- أي رجل؟

(الرجل الملتحي): والد المريض الذي سنعالجه.. هل نسيت؟

- أنا حتى لا أعرف اسمك وتريد مني الذهاب معك لمكانٍ مجهول في هذه الساعة من الليل؟

(الرجل الملتحي): أنا (عواد).. هل يمكننا الذهاب الآن؟.. قالها

مبتسماً..

- نعم.. أين يقع المنزل؟.. قلتها متوجساً..



## صاحب التعاسة

خلال سيرنا بالسيارة نحو العنوان الذي زودني به (عواد) لم أكن في الواقع متحمساً لذلك اللقاء وكنت أرجو الله في قرارة نفسي أن يطرأ شيء ما يُعطلنا أو يلغي الموعد بطريقة أو بأخرى لكن ذلك لم يحدث ووصلنا عند منزلٍ كبير. أوقفنا السيارة وترجلنا منها وكان في استقبالنا رجل بدت عليه علامات الشراء بالرغم من أنه لم يكن متكلفاً في لباسه. رحب بنا ودعانا للدخول وكان من الواضح أنه يعرف (عواد) سابقاً فحديثه الجانبي معه يشير لعلاقة قديمة. تبعتهما بصمت للداخل وما أن خطوت داخل المنزل حتى شعرت بضيق في صدري لم أشعر به منذ زمن طويل وقد لاحظ (عواد) ذلك علي وقال «هل أنت بخير؟» أجبته بـ«نعم» لكنني لم أكن بخير كنت كمن أصيب بنوبة ربو وأصبحت أنفاسي أضيق ولم أستعدّ بعض عافيتي إلا بعد جلوسي في المجلس وشربي بعض الماء الذي وُضع أمامنا.

الحديث الذي دار بين صاحب المنزل و(عواد) كان مباشراً فقد أخبره بأنه أحضرني معه كي أفحص ابنه وتحدث عني بأمور غير صحيحة

ورفع من شأني كثيراً أمام ذلك الرجل لكنني لم أتدخل لأن الأمر برمته لم يعجبني منذ البداية لكنني أردت أن أرى إلى أين سينتهي بي المطاف معه. لا أنكر أن الفضول كان سبباً رئيساً لموافقتي على القدوم مع (عواد)، لقد أمضيت سنينَ طويلة أحارب أمثاله ووجدت إثارة جديدة وجميلة نوعاً ما في رؤية عمل هؤلاء النصابين عن قرب. خلال حديث (عواد) مع صاحب المنزل التفت علي الرجل فجأة وقال: شكراً يا شيخ على حضورك..

- أنا لست بشيخ.. هل ترى معالم المشيخة علي؟

(عواد) بشيء من الارتباك: هو يفضل لقب معالج..

- معالج؟.. أنا لست بمعالج أيضاً

(الرجل): ما أنت إذأ؟.. أعرف أن المعالجين الروحانيين يخشون

الملاحقة الأمنية خلال ممارستهم مهنتهم لا تقلق أنت بمأمن هنا

وجهت نظري لـ(عواد) وعبرت بنظرة متجهمة عن عدم ارتياحي

للحوار..

(عواد) لـ(الرجل) بتوتر: نحن لا نملك الكثير من الوقت هل يمكن

أن ترى لنا الطريق كي يستطيع صاحبي فحص ابنك؟

وقف الرجل وهو يقول: بالطبع..

قادنا للطابق العلوي وتحديداً لإحدى الغرف التي انتشرت فيه

وخلال صعودنا زاد الضيق الذي كنت أحس به في صدري حتى توقفنا أمام الغرفة وفتح بابها قائلاً: تفضلاً..

أشار (عواد) لي بالتقدم قبله فتقدمت بخطواتٍ حذرة لداخل الغرفة وما أن دخلتها حتى تحول الضيق في صدري لصداعٍ خفيف وأنا أرى شاباً في أوائل العشرين من عمره مستلقياً على سرير بوجهٍ شاحب وكانت علامات المرض متجلية عليه. خلال تحديقي به تحدث الرجل من خلفي وقال: ابني على هذه الحالة منذ أكثر من عام.. لا يتحرك ولا يتحدث ولم أستطع معرفة العلة التي يشكو منها ولم أجد له علاجاً في أي مكان.

- شفاه الله وعافاه.. قلتها وأنا أقف بين المدخل والسرير أنظر لذلك الشاب الذابل..

(عواد): اجلس بجانبه يا شيخ..

بالرغم من انزعاجي من استخدامه لكلمة «شيخ» لوصفي إلا أنني لم أعلق وبقيت أنظر لذلك الشاب.. كان به شيء غريب.. طاقة سلبية قوية عكرت مزاجي وأخلت بتوازي..

دخل والده للغرفة وسحب كرسيّاً ووضع بجانب سرير ابنه وأشار لي بالجلوس أمامه. لا أعرف ما الذي حدث بعد جلوسي أمامه لكنني رأيت.. رأيت العلة وسببها في عقلي.. رأيت في الغرفة أموراً قد تبدو طبيعية للكثير لكنها بالنسبة لي كانت خارجة عن المألوف وذات دلالة

ومعنى آخر. عقلي حلل وفسر دون أمرٍ مني ووجدت نفسي لا شعورياً  
أسأل الرجل: «هل لديكم خادمة؟»

(الرجل): نعم.. هل ترغب مني استدعاءها؟

- لا..

وجهت نظري للأرض أسفل مني والتي كانت من السراميك ثم  
رفعت رأسي للستارة خلف السرير وأصبح الأمر جلياً لي.. استأذنت  
الرجل وقلت:

- هل تسمح لي برفع مرتبة السرير قليلاً والبحث أسفلها؟

أجاب الرجل بتردد: نعم لا مانع.. هل تريد مني أن أحمل ابني لمكانٍ  
آخر؟

مددت يدي تحت مرتبة السرير وأنا أقول: لا داعي لذلك..

بعد بحثٍ قصير بيدي تحت المرتبة أخرجت عقدة من القماش معقودة  
بعدها عقد وبدأت أحل عقدها ومع كل عقدة كان الشاب يصرخ حتى  
فككت الخرقه وأخرجت محتواها.. مجموعة من المسامير وقطع السراميك  
وبعض الشعر. كان الرجل خلال فكي للعقد يتحدث معي بقلق وهو  
يرى ابنه يصرخ ويتلوى من الألم لكنني لم أعره أي انتباه حتى انتهيت.  
نهضت من مكاني ومددت الخرقه بمحتواها لـ(عواد) وقلت له: ضعها  
في وعاء من الماء والملح ثم يمكنك رميها بعد ذلك..

أخذ (عواد) الخرقة وما حوته وضمها بين يديه وخرج من الغرفة بعد ما استأذن الرجل للذهاب للمطبخ..

بدأ الشاب بالحديث بثقل وهو يبكي ومد ذراعيه لأبيه الذي عانقه وهو يقول موجهاً كلامه لي: ما هذا؟!.. هل هذا سحر؟!!

لم أجب على سؤاله لكنني طلبت منه ترحيل العاملة على الفور وطمأنته بأن ابنه سيتعافى بإذن الله.

أرضية السراميك كانت مكسرة وهذا دليل على جمع أثر والعقدة على الستارة هي لتثبيت المستهدف بالسحر في السرير ومعنى ذلك أن العمل موجود بالقرب من تلك العقدة والمريض أيضاً وأسفل السرير هو أنسب مكان لوضعه. استأذنت بالرحيل لكن الرجل أصر على معرفة أجري الذي أتقاضاه، حاولت أن أشرح له أي لا أمتهن هذه المهنة لكنه رفض أن ينصت لي وأصر علي بأن أطلب مالاً. كان النقاش متعباً معه وكنت في ذلك الوقت أريد الخروج بأسرع وقت من المنزل فرؤية تلك العقد ومحتواها سبب لي ضيقاً شديداً ولم يعتقني ذلك الرجل من إصراره حتى عاد (عواد) وهو يقول: لقد انتهيت..

وجهت نظري له وقلت له بصرامة: يجب أن نرحل الآن!

لم أنتظر وخرجت تاركاً (عواد) مع الرجل وتوجهت مباشرة لخارج المنزل وركبت السيارة في انتظاره..

لم يطل (عواد) البقاء وخرج بعدي بعدة دقائق وهو يقول بتعجب: لم  
خرجت هكذا؟.. الرجل كان يريد أن يشكرك  
- اركب السيارة ولنرحل فوراً!

(عواد) وهو يركب بجانبي باستغراب: أمرك عجيب.. لقد حققت  
للتو معجزة ولا تبدو سعيداً بذلك

قدت السيارة مبتعداً عن المكان بصمت دون أن أرد عليه. استأنف  
(عواد) حديثه مبتهجاً وقال: لدي الكثير من الحالات المستعصية وأنا  
واثق من قدرتك على مساعدتها!

- كم أخذت من الرجل؟

(عواد) بتوتر: ماذا؟.. لم آخذ منه شيئاً

- إذا فهذه آخر مرة أخرج فيها معك.. وقد يكون ذلك أفضل

(عواد): لا لا ، سوف أعيد له المال أعدك بذلك لكن ما الفائدة من  
قيامنا بما نقوم به إذا كنا لن نتقاضى أجراً على ذلك؟

- سوف نتقاضى شيئاً أهم من المال

(عواد): عن ماذا نتحدث؟

وقتها اتخذت قرار توريث جزء من علمي لشخص أكثر حماساً مني  
لمزاولته كي ينتفع به الناس لكن وجب علي أن أتيقن من أنه لن يستخدمه  
لاستغلال الضعفاء وابتزازهم بترويض جموحه وإعادة تشكيله من

جديد.. كان مشروعى الصغير الذى أسسته وتبنيته وندمت لاحقاً أنى فعلت.

- سوف أعلمك جزءاً من علمى كى تمارسه وحدك.. هل ترغب بذلك؟

(عواد) بحماسٍ شديد: نعم أرغب بذلك بشدة!

- قد لا تطيق معى صبراً..

(عواد): سأنفذ كل ما تطلبه منى ولن أعترض على شىء!

- ستنفذ دون سؤال.. ولن تسأل عن شىء.. أنا من سيختار ما يجب أن تتعلمه فى الوقت المناسب..

(عواد): موافق..

- ولن نتقاضى مالاً من أحد..

(عواد) بتردد: لكن..

- هل ستبدأ بالاعتراض من الآن؟

(عواد): لا أبداً لكن نحتاج بعض المصاريف البسيطة فأنا عاطل عن

العمل ولا أملك مصدراً للدخل حتى أنى لا أملك مالاً للملء سيارتى الواقفة أمام منزلك بالوقود بعد ما تعيدنى

- كنت تقول إنك تريد شراء علمى بأى ثمن من أين كنت ستأتى

بالمال لو أنى وافقت؟

(عواد): كنت سأتدبر الأمر بطريقة ما..

- هذا يعطيني انطباعاً بأنك رجل متهور ولا تفكر قبل الكلام

(عواد): أنا صريح معك فقط وأقول لك الآن إنني لا أملك شيئاً..

- ماذا عن المال الذي أخذته من الرجل قبل قليل؟

(عواد): ألم تطلب مني أن أعيده له؟

ابتسمت وأنا أحرق بالطريق أمامي وقلت: يمكنك الاحتفاظ بالمال

هذه المرة وعندما تحتاج لأي شيء أخبرني فقط وأنا سوف أتصرف..

(عواد) وأنا أوقف السيارة أمام منزلي: حسناً موافق.. ما هي الخطوة

الأولى؟

- احلق لحيتك بالكامل.. قلتها دون أن ألتفت عليه..

(عواد) يضع يده على لحيته الكثيفة وهو سارحٌ أمامه: لحيتي؟

- نعم وتخلص من ملابسك هذه التي تخدع بها الناس

(عواد): حسناً سأفعل.. ماذا أيضاً؟

- كم حالة لديك؟

(عواد) مبتسماً: العشرات..

- رتب لقاءً مع أحدها غداً عصرًا وسوف أكون بانتظارك

(عواد): حسناً سأفعل

ومنذ ذلك اليوم أصبح (عواد) تلميذي الأول.. ولم يكن الأخير..  
في اليوم التالي حضر على الموعد كما كان الاتفاق وركبت معه سيارته  
وما أن رأيته بشكله الجديد حتى تبسمت وقلت: شكلك أصبح أكثر  
ملاءمة..

(عواد) وهو يتحسس ذقنه الناعمة: لا أعرف ما الهدف من حلق  
لحيتي لقد كانت تمنح الناس ثقة أكبر عند التعامل معي  
- احصل على الثقة بعملك لا بشكلك..

(عواد): هل أحكي لك عن الحالة التي سنزورها اليوم؟

- احك لي عنها خلال الطريق

تحرك (عواد) بالسيارة وقادها لدقائق بصمت ثم قال:

«هذه الحالة هي لفتاة في السابعة عشرة من عمرها.. وحيدة أمها  
وتسكن معها بعد وفاة أبيها وحسب ما أخبرتني أنها كانت متفوقة في  
دراستها إلى أن وصلت للسنة الأخيرة من المرحلة الإعدادية ثم تغيرت  
فجأة»

- تغيرت كيف؟

(عواد): بدأت ترفض الذهاب للمدرسة وتصيبها نوبات غضب  
شديدة إذا حاول أحد إقناعها بالذهاب لدرجة أنها حطمت أثاث  
غرفتها بالكامل في آخر زيارة لي لمنزلهم عندما تحدثت معها بهدوء عن  
هذا الموضوع

- ما طريقة العلاج التي كنت تتبعها معها؟

(عواد): الرقية ومغلي نبتة «الحرمل»

- علاجك مفيد للاكتئاب والضيق الخفيف في النفس لكن ليس لحالتها

(عواد): وما هي حالتها؟

أشرت لـ (عواد) بالتوقف على جانب الطريق..

(عواد) بعد أن أوقف السيارة: لم توقفنا؟

- هل ترى تلك القرطاسية؟

(عواد) موجهاً نظره لقرطاسية عبر الشارع: نعم؟

- اذهب وابتع لك قلم رصاص ومدونة

(عواد): لماذا؟

- لا تجادل يا (عواد) نفذ فقط

(عواد) وهو يترجل من السيارة: حاضر

بعد وقتٍ قصير عاد ومعه كيس به مدونة وقلم رصاص وركب السيارة وهم بإدارة المحرك لكنني استوقفته وقلت: انتظر.. افتح الصفحة الأولى واكتب بقلم الرصاص ما سأقوله لك.

أخرج (عواد) المدونة وأمسك بالقلم وهو ينظر إلي بصمت وأنا سارح أمامي..

(عواد): هل سأكتب الصمت؟

- لا.. هذه المدونة أريدك أن تدون فيها الحالات التي سنعالجها مع التشخيص وعلامات الإصابة وطرق العلاج

(عواد): لأي غرض؟.. ذاكرتي قوية ويمكنني أن أحفظ كل شيء  
تقوله

- التدوين مهم لكن احذر أن تكتب اسمك على المدونة  
(عواد): لماذا؟

- أنت تسأل أكثر مما تنصت يا (عواد)..

(عواد): حسناً أعتذر.. تفضل لن أقاطعك

- اكتب في رأس الصفحة «نفس الزهوة»

(عواد): كتبتها..

- خذنا الآن للمريضة وخلال تشخيصي لها دون كل ما سأقوله  
لك

(عواد) يغلق المدونة ويدير المحرك: حسناً

وصلنا لمنزل الحالة وبعد أن استقبلتنا أمها في مجلس المنزل حضرت

الفتاة وجلست معنا وكانت هادئة بوجهٍ مكتئب. تحدثت معها في أمور

بعيدة عن حالتها وأسبابها لأن حالتها كانت واضحة منذ أن وصفها لي

(عواد) وكنت فقط أريد التثبت من صدق حدسي برؤيتها فقد كانت تعاني من حالة «عين».

أعرف أن الكثير لا يؤمن بالعين وتأثيرها على الناس لكننا لسنا بصدد مناقشة قناعاتي ضد قناعات غيري الآن..

ودعت الشابة مع أمها وأخبرتهما بأن (عواد) سيعود لاحقاً بالعلاج المناسب. خرجنا من المنزل و(عواد) يتبعني وكنت أرى في وجهه الرغبة الجارحة في السؤال وما أن ركبنا السيارة حتى قلت له: يمكنك أن تسأل..

(عواد): لم لم نعالجها؟

- تشخيص الحالة أهم من العلاج

(عواد): وما هي العلة التي تشكو منها؟

- أخرج المدونة واكتب..

بقينا في السيارة مدة ليست بالقصيرة أملت فيها على (عواد) كل علامات الإصابة بالعين وطرق علاجها المختلفة حسب تطور الحالة ومصدر الإصابة وبعد الانتهاء قال: بعض الأعراض التي ذكرتها كانت ظاهرة على الفتاة..

- وما العلاج الذي تقترحه لحالتها من بين الطرق التي أخبرتك بها؟

(عواد) وهو ينظر لما خطه بيمينه في المدونة: بما أن العائن غير معروف

والفتاة لا تعاني من كوابيس فأعتقد أن العلاج المناسب لها هو الطريقة  
الثانية

ابتسمت وأنا أشعر بالرضا قائلاً: نعم بالضبط.. جهاز العلاج  
وأحضره لها غداً وستعافى بإذن الله وأخبر أمها بأن تجعلها تغتسل مع  
أول أمطار تهطل علينا حتى بعد انتهاء علاجها بفترة وتمائلها للشفاء.

(عواد): ومن سيدفع قيمة مواد العلاج؟.. لا تقل بأننا ستحملها  
أيضاً

- لا.. خذ منها قيمة المواد فقط دون أي مبالغ إضافية

(عواد): حسناً.. متى تريد أن نزور الحالة التالية؟

- كم حالة عندك؟

(عواد) مبتسماً: أخبرتك سابقاً أنها بالعشرات

- مع مرور الوقت وامتلاء مدونتك لن تحتاجني كثيراً

(عواد): هناك حالة قريبة من هنا إذا رغبت أن نخرج عليها قبل أن

أعيدك للمنزل

- لقد غابت الشمس..

(عواد): هل هذا له علاقة بطرق العلاج؟

ابتسمت قائلاً: لا..

(عواد): إذا ما المانع من زيارة حالة أخرى؟

- حسناً لا بأس..

أخذني (عواد) لمنزل سيدة كانت تعاني من ألم مستمر في بطنها وتستفرغ كل ما تأكله وكانت تعاني من كوابيس مستمرة وبعد تشخيص سريع لها في حضرة أخيها اتضح لي الحالة ووجهت (عواد) بإحضار علاجها فوراً قبل أن نرحل لأن حالتها كانت في مراحلها الأخيرة وكانت على وشك الهلاك.

خلال انتظاري لعودة (عواد) بالمواد اللازمة لإعداد العلاج بقيت مع أخيها نتحدث وقال لي: الشيخ (عواد) متغير.. لقد حلق ذقنه ولباسه مختلف..

- (عواد) ليس بشيخ.. منذ متى وهو يزور أختك لعلاجها؟

(الرجل): منذ شهر تقريباً

- وكم كان يتقاضى؟

(الرجل): هو لا يطلب مبلغاً محدداً لكني لا أعطيه أقل من ٥٠٠

ريال في كل زيارة

- صفقة مربحة.. مريض لا يشفى ومعالج يستمر بصرف

العلاج..

(الرجل): ماذا تقصد؟

- لا شيء..

(الرجل): هل يمكنني أن أسألك ممّ تعاني أختي؟

- سحر مأكول..

(الرجل): سحر؟

- نعم وأثره قد استفحل في جسدها..

(الرجل): ومن قام بهذا العمل؟

- المهم أن تتعافى أختك وحساب الفاعل بيد الله

بعد عودة (عواد) بالمواد قمت بإعداد الخليط اللازم لعلاج السحر  
المأكول وأشرفت على تناول الحالة للجرعة الأولى منه وشرحت لأخيها  
الأوقات الأخرى التي يجب عليها تناول الخليط فيها حتى ينتهي.

- كم كلفت المواد يا (عواد)؟

(عواد): ٦٠ ريالاً تقريباً

- حاسب الرجل وأنا سأنتظرك بالخارج

بعد خروجنا وسيرنا بالسيارة سألني (عواد) عن الحالة ليقوم بتدوينها  
في مدونته فأدركت أنه بدأ يتغير وبدأت رغبة التعلم تنمو بداخله فقلت  
له: لقد حل المساء ألا تشعر بالجوع؟

(عواد): بلى.. أعرف مطعماً ممتازاً قريباً من هنا

- لا.. خذنا لمنزلي وسوف نتناول وجبة العشاء هناك من يد أمي  
وسأقوم خلالها بشرح كل التفاصيل التي تحتاج معرفتها عن  
السحر المأكول لكن بعد أن نأكل نحن.

خلال الأشهر التي تبعت ذلك زرنا حالات كثيرة ومتنوعة خاصة  
بعد أن بدأ الناس يتناقلون خبر ذلك المعالج الذي يعالج بالمجان. أحببت  
التغير الذي طرأ على (عواد) فقد تحول نهمه للمال إلى نهم للعلم وامتلات  
مدونته واضطر لشراء مدونة أخرى حتى أن قلم الرصاص الذي  
كتب به بات صغير الحجم ولم يهتم لشراء غيره. مع زيادة علم (عواد)  
بدأت مرات خروجي معه تقل فقد كنت لا أصاحبه في الحالات ذات  
الأعراض المتكررة وأتركه كي يعالجها بنفسه ولو حدث أي شيء خارج  
المألوف يتصل بي هاتفياً ليستشيرني وفي حالات نادرة جداً يستلزم الأمر  
حضورني فمعظم الحالات التي عالجها (عواد) كانت سحراً وعيناً ولم  
يكن هناك شيء خارج المألوف في الغالب.

انتقلت علاقتي مع (عواد) من علاقة التلميذ بمعلمه للصديق  
بصديقه فهو لم يكن رجلاً سيئاً في داخله بل على العكس تماماً كان طيب  
القلب ومرحاً وعلاقته امتدت لعائلتي كذلك فبعد صلاة كل جمعة كنا  
أنا وأبي وأخي نجتمع على الغداء في منزلنا ومنذ أن تعرفت على (عواد)  
شاركنا ذلك الاجتماع وأصبح جزءاً من العائلة لدرجة أن أمي كانت  
تسأل عنه عندما يغيب لفترة تزيد على أسبوع.. يبدو أن امتداحه لطبخها  
كان مصدر سعادة لها.

## أثر (عبيد)

كما أسلفت فعدد مرات خروجي مع (عواد) أخذ بالتناقص يوماً بعد يوم لتكرار الحالات المتشابهة ولم يكن يلجأ إلي إلا للضرورة ومن ضمن تلك المرات هي عندما طُلب لتشخيص حالة امرأة أصيبت بانهايار عصبي بسبب اختفاء ابنها الصغير قبل ثلاثة أيام. لم تكن المرأة تشكو من علة روحانية لذا اكتفى (عواد) بمواساتها والقراءة عليها دون مقابل وبعد الرحيل تواصل معي وطلب مقابلي على عجلة ورفض الحديث على الهاتف. وصل بسيارته لمنزلي وركبت معه بعد إعلامي بوصوله باتصال سريع دون أن يطرق الباب وما أن ركبت حتى قال: أحتاج مساعدتك في أمرٍ ما وأرجو أن لا تردني.

- ولم أردك؟.. هذه ليست أول مرة تطلب فيها مني مساعدتك..

ولم لم تخبرني بما تريد عبر الهاتف؟.. لم يستوجب الأمر حضورك

(عواد): لأن العلاج الذي سأطلبه منك خارج عن المألوف لكنني على

يقين أنك تستطيع إحضاره

- لا تتحدث بالألغاز وهات ما عندك..

حكى لي (عواد) حكاية المرأة التي فقدت ابنها في أحد الأسواق المزدهمة وكيف أن فقدانها له سبب لها حالة من الحزن والكآبة الشديدة قادتها لحالة نفسية عصبية فقلت له: كان الله في عونها لكن ماذا تريد مني أن أفعل؟

أنا معك منذ مدة وأعرف بأن علمك يتجاوز ما تلقنني إياه وأنتك تملك القدرة على إيجاد ابنها بطريقة ما  
- عن ماذا تتحدث يا (عواد)؟

لن أطلب منك تعليمي الطريقة ولن أتدخل في شيء لكن أرجوك أعد لها ابنها

- ألم يبلغ أهل الطفل الشرطة؟

(عواد): بلى والبحث جارٍ عنه..

- سيجدونه بإذن الله

(عواد): أرجوك.. ذلك الطفل وحيدها وسوف تموت تلك المرأة قهراً عليه أنا واثق من ذلك!

- وماذا تريد مني أن أفعل؟!!

لم يرد (عواد) علي لكنه أخرج قطعة قماشٍ من جيبه ومدّها لي قائلاً:

هذا أثر من (عبيد).. أرجوك.. أعرف بأنك تملك علم «القص» ولن أسألك أو أطلب منك تفاصيله لكن لا تدع تلك المرأة تفقد ابنها للأبد  
مددت يدي وأخذت قطعة القماش وقلت: وكيف ستفسر إيجادك  
للطفل؟

(عواد): لا عليك سوف أتحمّل أي مسؤولية قد تنجم عن إيجاده  
حتى لو تعرضت للسجن لكن لا بد أن يعود الطفل لأمه  
- ما هذه الرحمة التي نزلت عليك فجأة يا (عواد)؟.. قلتها وأنا  
أدخل قطعة القماش في جيبى باسماً

(عواد): صدقني لو أنك سمعت نواحها وأنا أقرأ عليها لفهمت  
السبب..

حدقت أمامي وأنا أراقب مجموعة من الصبية يلعبون الكرة في وسط  
الشارع وقلت: الفقيدُ مُر ولا أحد يريد دفن ذريته..  
(عواد): متى سترد علي؟

ترجلت من السيارة وأنا أقول: لا تغلق هاتفك وتوقع مني اتصالاً  
خلال ساعة..

أغلقت الباب خلفي وارتسمت على وجه (عواد) ابتسامة لم أرها من  
قبل..

علم «القص» الذي ذكره (عواد) علم معروف بين الروحانيين

والسحرة ويعتمد على الجن في إيجاد المفقودين وهو علمٌ مندثر ولا يجيده إلا القليل بالرغم من أنه لا يزال يستخدم إلى اليوم على كافة الأصعدة وأعلى المستويات. هذا العلم منقول وليس مستحدثاً ويعرف بأسماء كثيرة من ضمنها علم «الأثر» أو علم «التابع» وأسماء كثيرة للمضمون نفسه. تاريخ هذا العلم يعود لآلاف السنين ولم يتم تدوينه إلا في المتني سنة الأخيرة وحتى الكتب التي دونته نادرة جداً ولا يمكن إيجادها بسهولة. لحسن أو لسوء حظي.. لا أعرف.. كان (عمار) يملك ثلاثة من تلك الكتب العتيقة وقد قرأتها جميعاً لكنني لم أذكر الكثير من تفاصيلها الدقيقة فالبحث بالأثر أنواع ودرجات وإيجاد ذلك الطفل لم يستلزم سوى إحدى تلك الطرائق البسيطة منها وكنت على دراية بها لكن لم أجربها من قبل.

عدت لغرفتي وأخرجت قطعة القماش من جيبي والتي كانت فيما يبدو كيس المخدة الذي كان ينام عليها (عبيد).. أثر جيد وقوي جداً. بالطبع دخلت في جدال وصراع مع نفسي فأنا قد عقدت العزم على عدم قراءة الطلاس مرة أخرى أو التعامل مع ذلك العالم لكن كون علم «القص» لا يعتمد على طلاس والتعامل به يكون مع «جن» مسلمين وليس شياطين وجدت أن المسألة على أقل تقدير «خلافية» وقد حسمتها لمصلحة عودة (عبيد) لأمه.

لن أدخل في تفاصيل الطريقة لكن سأحدث عن النتيجة الناجمة عن تطبيقها وهي أن يُهمس في أذني عن مكان وجود صاحب الأثر وعن ما إذا كان حياً أم ميتاً. حصلت على المعلومة بدقة وعن مكان المدينة والمنزل الذي كان (عبيد) موجوداً فيه والحمد لله كان ما زال على قيد الحياة. قدمت ما طلبه ناقل المعلومة له وهذا أيضاً أمر مألوف وهي كالأجرة مقابل العمل لهم وليس قرباناً كما يعتقد البعض.

اتصلت بـ(عواد) وأخبرته بأن (عبيد) موجود في مدينة بعيدة عنا في غرب البلاد وزودته بالعنوان وصفاً وليس بالأرقام فأخبرني بأنه سيتواصل مع الشرطة فوراً.. قاطعت حديثه قبل أن يغلق الخط وقلت: هل حددت كيف ستبرر معرفتك بمكان الطفل؟

(عواد): لا يهم المهم أن يعود لأمه..

مضت أيام بعد حوارنا هذا ولم أتلقَ أي اتصال من (عواد) لا بشأن الموضوع أو غيره ولا أنكر أني كنت قلقاً قليلاً عليه فما قمنا به لن يُنظر له كفعل خير بنية حسنة بل سيحاسب (عواد) كساحر ومشعوذ. قبل مرور أسبوع كامل على ذلك رأيت اسم ورقم (عواد) يُنير على شاشة هاتفي بعد منتصف الليل فأجبتة وقال بصوتٍ مرتاح: لقد عاد (عبيد) لأمه..  
شكراً لك

لم أدخل معه في أي تفاصيل عن من كانوا يحتجزون الطفل أو سبب خطفهم له أو ما المبرر الذي قدمه (عواد) للشرطة لتبرير معرفته بمكان (عبيد). كل ما عرفته أن الأمور سارت على ما يرام ولم يصب أحد بضرر وعواد (عواد) ممارسة عمله في العلاج وعدت أنا لروتيني السابق.

## العالة في حالة العالة

هذا الموضوع لا أتحدث فيه أو عنه كثيراً لكنني أعيش معه كل يوم ومع كل شخص أقابله أو أتواصل معه بطريقة أو بأخرى وتجنبني الحديث فيه هو لأنني لا أعرف الكثير عنه فبالرغم من تأثيره الكبير على حياتي وفيما يبدو حياة (عمار) من قبلي إلا أنني لم أقرأ سطوراً عنه في كتبه وكل ما أعرف عنه هو ما أخبرني عن طرق تفعيلها وأنواعها وما حصلت عليه من خلال الملاحظة والتجربة اليومية التي لا تزال مستمرة حتى اليوم.

منذ أن فعل (عمار) هالتي وأنا إنسان مختلف لكن لا أستطيع تحديد كيف.. أشاهد وأسمع الأمور بطريق مختلفة.. أرى الناس حولي من خلال منظار مغاير للسابق.. أعرف عنهم أموراً لا أدري إذا كانت حقيقية أم لا حتى أخبرهم أو أسألهم وأكتشف أنني أصيب غالباً. موضوع هالتي المفعلة كبير ومتشعب وحقيقة لا أعرف من أين أبدأ بالحديث عنه لذا قد نجد السطور التالية مشوشة ومربكة وغير مترابطة فلا تستغرب فهذه أفكار رأسي لا أكثر وهي بهذا الشكل دائماً.

تلقيت اتصالاً من (عواد) مساء أحد الأيام يطلب فيه حضوري

لتشخيص حالة واجه معها بعض المشكلات وكما قلت سابقاً فهذا ليس بالأمر الخارج عن المؤلف بل يتكرر من وقتٍ لآخر خاصة مع حالات السحر المأكول والموروث. طلبت منه تأجيل الأمر لليوم التالي لكنه أصر على حضوري لأن الحالة في حالة هيجان وهو محرج من أهلها. ركبت سيارتي وتوجهت للمنزل الذي زودني (عواد) بعنوانه ودخلت بعد ما استقبلني عند المدخل وهو في حالة متوترة جداً.

- ما الأمر؟.. لم استدعيتني

(عواد): هذه الحالة غريبة ولم أستطع السيطرة عليها؟

- ما هو تشخيصك المبدئي؟

(عواد): سحر تفريق لكنها عزباء وغير متزوجة لذلك لم أفهم العلة كانت الحالة لسيدة تجاوزت الأربعين من العمر.. عزباء.. تعمل في قطاع التعليم.. طبيعية جداً خلال النهار لكن في الليل تتأهب من وقتٍ لآخر حالات أشبه بالصرع والجنون ولا يتم السيطرة عليها إلا بربطها حتى الصباح حيث تهدأ وتعود لطبيعتها. كنت أستطيع سماع صراخها من مدخل المنزل وأنا أتحدث مع (عواد) المرتبك. وضعت يدي على كتفه وقلت له وأنا أبتسم:

- ما بك؟.. لم أرك مرتبكاً هكذا من قبل؟

(عواد) وهو يمسح عرق جبينه: لقد وترتني بصراخها.. هل تصدق

أنها حاولت أن تعضني؟

- لا تعلق الأمر هين بإذن الله.. تقدم وأرشدني إليها

الحالة لم تكن صعبة لكنها بالنسبة لـ(عواد) كانت كذلك لأنها أول مرة يواجه فيها نوعاً من السحر يسمى بـ«الأنشودة» أو «العقدة» وهو سحر مكلف جداً ولا يجيده أي ساحر ومن ربط تلك المرأة المسكينة به كان حقاً يكرهها. بالطبع أسرع طريقة لفك ذلك الربط هو بفك العمل نفسه لكن ولسوء الحظ سحر «الأنشودة» يمكن دفنه في أي مكان بعيد عن المربوط ويبقى أثره قوياً لذا كان لا بد من التعامل مع المريض مباشرة. بعد جلسة سريعة مع المريضة بحضور أخيها وإحدى أخواتها زودت (عواد) بالعلاج اللازم وقمت بتهدئة المرأة مؤقتاً بطريقة لن أذكرها. قبل رحيلي أخبرني (عواد) بأن والد المرأة ينتظرنى فقلت له مستغرباً: ماذا يريد مني؟

(عواد): لا أعرف لكنه طلب مني إخبارك بأنه يريد مقابلتك

- أنت تعرف بأني لا أحب الاختلاط كثيراً بأهل المرضى.. ألا يمكنك الاعتذار منه؟

(عواد): مقابلة سريعة وأنا سأكون معك وأعدك بأنه لو أطل الحديث

فسوف أختلق عذراً كي ترحل

- حسناً.. عشر دقائق كحد أقصى

طلب أهل المريض اللقاء بالمعالج أمر طبيعي جداً فبعضهم يريد

شكره شخصياً والبعض الآخر يريد أن يُعبر عن امتنانه بالمال الذي أرفضه دائماً بالرغم من أن عيني (عواد) لا تزالان تكادان تخرجان من مكانهما عند رؤيته. كان والد المرأة ينتظرنني في المجلس وبالرغم من أن الوقت قد قارب منتصف الليل إلا أن الرجل أعد القهوة والشاي ومن الواضح أنه يخطط لحديثٍ مطول لم أكن أنوي المشاركة فيه لكن ما حدث هو أن الوقت سرقنا فالرجل كان ودوداً وحديثه جميل وبالرغم من محاولات (عواد) لإنهاء الحديث حسب اتفاقنا معه إلا أنني أنا من كان يطيل الحديث أكثر مع ذلك المسن.

من النادر أن تجد قلباً جميلاً تتحدث معها وذلك الرجل كان من أجمل الناس الذين تحدثت معهم. من ضمن الموضوعات التي تحدثت فيها معي هو تفوق جميع أبنائه وبناته دراسياً وأنهم ورثوا عنه حرصه على التعليم ونيل الشهادات العليا وأصر على أن أقابل أحد أبنائه الذي تخرج مؤخراً من الثانوية العامة بتفوق.

- يشرفني ذلك لكن أليس الوقت متأخراً؟

(الرجل المسن): لا أبداً هو في الطريق الآن عائد من اجتماع مع أصحابه

- متفوق ويجب السهر.. هذا أمر لا أستطيع فهمه

(الرجل المسن) ضاحكاً: هو الآن يستمتع بإجازة وإلا لما سمحت له بذلك!

(عواد) هامساً في أذني: ماذا حدث للرحيل مبكراً!.. لقد أمضينا ساعة كاملة مع هذا الرجل!

- حسناً سرحل بمجرد أن يأتي ابنه ونسلم عليه.. قتلها بصوتٍ مسموع لـ(عواد) فقط..

بعد عشر دقائق حضر ابن الرجل وما أن حط بقدمه داخل المجلس حتى أصبت بحالة أقرب تشبيه لها هو الهبوط الحاد في ضغط الدم. كنت على وشك الإغماء.. أحسست بالاختناق ولم أكن أجد النفس وكان لزاماً علي أن أخرج فوراً من المكان وأن أبتعد عن ذلك الفتى بسرعة. بالطبع جهل (عواد) بالحالة التي كنت أمر بها لم يساعدي فقد وقف حائراً مع الرجل وهم يحاولون إسعافي ولم يكونوا يعلمون أن قرب ذلك الفتى مني هو سبب الحالة التي انتابتنى فجأة.

نزلت رحمة الله وأمر ذلك الرجل ابنه باحضار كأسٍ من الماء لي مما اضطره للخروج من المجلس على عجالة وهذا ما أعطاني نافذة صغيرة للنهوض بثقل والخروج فوراً من المكان وأنا أبحث عن النفس وجسدي يئن ألماً وكأنني ضربت بألف عصا من الخيزران.

ركبت سيارتي وحاولت جاهداً إخراج المفتاح ووضعته في فتحة التشغيل لأنني كنت منهكاً جداً وكان صاعقة قد ضربتني للتو وعضلات جسدي التي تنبض ألماً لم تساعدي كذلك.

ركب (عواد) بجانبي وهو يقول بتوتر شديد «ما بك؟!.. ماذا حدث؟!».

استطعت إخراج بضع كلمات من فمي مفادها أني أريد العودة للمنزل بسرعة. سحبني (عواد) لمكانه وخرج وحل محلي في القيادة وأدار المحرك ومع ابتعادنا من المكان بدأت حالتي تتحسن قليلاً وأخبرته بأنني أحتاج ماء فتوقف عند محل بقالة وابتاع قارورة كبيرة من الماء البارد شربت بعضها وسكبت قليلاً منها على رأسي.

(عواد) بنبرة عالية ومرتبكة: ما الذي حدث لك؟!.. هل تأثرت بسحر تلك المرأة؟!.. كنت أعرف أن ذلك سيحدث يوماً ما!!

أشرت له بيدي بأن يتحرك ويعود بي للمنزل لكنه رفض وقال بصرامة: يجب أن أعرف ما حدث لك!

- هذا ليس وقت الحديث بالموضوع يا (عواد).. قلتها وأنا منهمك..  
(عواد) وهو يسحب المفاتيح ويطفئ محرك السيارة: لن أتحرك قبل أن أعرف! فقد أصاب أنا بالعلة نفسها!

- هالتك غير مفعلة كي يحدث لك ما حدث لي..

(عواد) باستنكار: ماذا؟!.. هالة؟!.. أي هالة؟!..

- هل يمكننا على الأقل الذهاب لمكان آخر للحديث؟

(عواد): مكان مثل أين؟

- مكان يكون الضوء فيه قليلاً..

(عواد) بتعجب: لا يخطر ببالي مكان ليس به ضوء

- نحن في الليل يا (عواد) تصرف.. اركن السيارة في أي مكان  
يخلو من إضاءة الشارع

(عواد) وهو يدير محرك السيارة: أمرك غريب!

بعد مسافة من السير بالسيارة على طريقٍ يقود لخارج المدينة توقف  
(عواد) وركن السيارة على قارعة الطريق وقال بتهكم بعد ما أغلق  
أضواء السيارة بالكامل: هل تريد أن أغطيك أيضاً؟

ابتسمت واعتدلت في جلستي وأكملت شرب ما تبقى في قارورة الماء  
وقلت: لا.. هذا المكان مناسب لأستعيد توازن هالتي

(عواد): أنت تدرك أنني لا أفهم شيئاً مما تقوله الآن أليس كذلك؟

- حسناً اسمع..

(عواد) وهو يمد يده ويخرج مدونته من أسفل مقعده: انتظر سأدون

ما ستقول

سحبت المدونة من يده وألقيت بها في المقعد الخلفي وأنا أقول له: لن  
تدون شيئاً مما سأقوله لك..

(عواد): لماذا؟

- أنصت فحسب..

(عواد): حسناً

- كل إنسان يولد بهالة تحيط به.. طاقة من نوع ما.. تختلف درجاتها من شخصٍ لآخر لأسباب كثيرة وحديثو الولادة غالباً تكون هالتهم في قمتها ولا أعني بذلك قوتها بل أقصى ما يمكنها أن تصل إليه.. هي درجات.. من المتهالكة شبه المعدومة مروراً بالضعيفة والمتوسطة إلى ما فوق المتوسطة والقوية وفي حالات نادرة تصل إلى ما أسميه بالهالة «النجمية» لقوتها والفتى الذي قابلناه للتو هالته «نجمية» خاملة وغير مفعلة

(عواد) بفم مفتوح: حسناً..

ابتسمت لبلاهة شكل (عواد) وضياعه لكن لم ألمه فقد كنت مثله عندما حدثني (عمار) عن الموضوع نفسه أول مرة.. استأنفت حديثي وقلت:

- لو وضعنا المسألة بالأرقام فـ ٨٩٪ من الناس يولدون بهالات متوسطة وأقل من متوسطة ونصفهم يدمرها مع مرور الوقت واتباع بعض العادات والسلوكيات لتصل للحالة الضعيفة أو المتهالكة لأسباب عديدة أغلبها سلوكية.

(عواد): ماذا عن النسب الأخرى؟

- ماذا تقصد؟

.. (عواد): قلت إن ٨٩٪ منهم أصحاب حالات متوسطة وأقل فماذا  
عن النسبة المتبقية؟

- أنت منصت بانتباه إذا؟.. قلت باسمياً

(عواد): نعم ماذا كنت تظن؟

- لا أبداً.. النسبة المتبقية توزع كالتالي تقريباً.. ٥, ٢٪ يولدون  
بهالة متهالكة أو ضعيفة من الأساس و٦٪ فوق المتوسطة و٢٪  
قوية والـ ٥, ٠٪ المتبقية تكون للحالات المفعلة والنجمية.

(عواد): وأنا ما هي قوة هالتي؟

- سأجيبك عندما أنتهي من الحديث

(عواد): كيف تستطيع تحديد قوة هالتي؟

- نظرة واحدة لعينيك تكفيني لأحدد ذلك

(عواد): ماذا كنت تعني بهالة المشتعلة؟

- تقصد المفعلة..

(عواد): نعم نعم.. لم أفهم تلك الجزئية

- تفعيل الهالة في أي مرحلة يضاعف قوتها تقريباً ويجعلها أقل  
تأثراً بالمنغصات التي تسحب طاقتها فمثلاً لو تم تفعيل شخص  
بهالة متوسطة فإنها ستصبح قوية أغلب الوقت لكن لو تم تفعيل

شخص بهالة فوق متوسطة أو قوية فستصبح هالته نجمية على الفور.

(عواد): مثل ذلك الفتى..

- لا.. ذلك الفتى هالته خاملة ولو تم تفعيلها فسيكون أمراً خارقاً للطبيعة

(عواد): وكيف يمكن تفعيل هالة نجمية إذا كنت لا تستطيع الاقتراب منها هكذا؟

- لم أر من قبل هالة نجمية في حالتها المفعلة ولا يمكنني تصور الطاقة الناجمة عن تفعيلها لكن نظرياً يمكن لأصحاب الهالات المفعلة الاقتراب منهم ومحاولة تفعيلها لو قاموا بشيطنها مؤقتاً.. لا أعرف لم أجرب من قبل

(عواد): هل فعلت هالة من قبل من بعد تفعيل هالتك؟

- نعم..

(عواد): من؟.. وكيف يتم تفعيل الهالة؟ وهل أصحاب الهالات

المفعلة هم فقط من يستطيعون تفعيل الهالات؟ ومن يحتاجها؟ ومن..

- لا تحول الموضوع لتحقيق يا (عواد).. أنصت كي تستفيد

(عواد): حسناً..

- أصحاب الهالات الضعيفة وبالرغم من أنهم الأحوج للتفعيل إلا أن تفعيل هالاتهم يستلزم جهداً وطرقاً متعبة لا يصبر عليها الكثير. سهولة تفعيل الهالة تعتمد على قوتها وهي في الحالة الحاملة لذلك كان تفعيل هالتي أمراً لم يتطلب الكثير من الجهد فقد كانت قوية في حالتها الحاملة منذ البداية.

(عواد): ومن فعل هالتك؟

- .. (عمار) ..

(عواد): (عمار) من؟

- .. (عواد) .. لا تقاطعني ..

(عواد): أريد أن أفهم .. كلامك بدل أن يقدم لي إجابات يثير

تساؤلات أكثر

- ماذا تريد أن تعرف؟

(عواد): هل لهذا التفعيل فوائد؟ .. أقصد .. هل كان له أثر إيجابي على

حياتك؟ .. أم أنك فقط تصاب بالأغماء فقط من وقتٍ لآخر وتختبئ في

الظلام بعدها؟

- معظم الوقت نعم ..

(عواد): ستفعل هالتي إذا؟

- لا بالطبع

(عواد): لماذا؟

- الأمر لا يأتي بلا مقابل ومقابل غالٍ جداً ناهيك عن النكسات النفسية والجسدية التي قد تصيب الشخص بعد تفعيل حالته. سأذكر لك بعض وليس «كل» المزايا والعيوب التي تأتي مع الهالة المفعلة مع الأخذ بالعلم أن الهالة الحاملة تمتاز بأنها تقدم المزايا دون العيوب وهي هبة من الله لا يمتاز بها إلا القليل.

(عواد): جيد أريد معرفة ذلك كي أفهم ولو جزء يسير من غرابة تصرفاتك..

- أصحاب الهالات القوية أو النجمية سواء الحاملة أو المفعلة يحظون بالكثير من المزايا النفسية والجسدية وأبرزها قراءة الناس إما من خلال أعينهم أو أحاديثهم أو حركاتهم وسكناتهم ويستطيعون شعورياً أو لا شعورياً الإحساس بغيرهم بدرجة عالية من الدقة قد تصل لمرحلة التقمص الحسي من مسألة معرفة وتوقع الأمور عن الأشخاص والأحداث

(عواد): لكن لا يعلم الغيب إلا الله وقراءته أمر مستحيل..

- هم لا يقرؤون الغيب لكنهم يستشعرون النوايا والأفكار دون قراءتها بصراحة ونسبة إصابتهم مرتفعة جداً ومع الممارسة تصبح تلك النسبة شبه كاملة ومن ضمن هؤلاء الفئات من يجيدون تعبير الأحلام والرؤى دون معرفتهم السبب وبعضهم يصل

إلى مرحلة من التماس مع الغير لدرجة أنه يرى رؤيا عن غيره  
ويفسرها مع نفسه ليجد أنها تحققت لاحقاً.. نوع من الفراسة  
الروحانية إن صح التعبير

(عواد): وهل أنت ممن وصلوا لتلك المرحلة المتقدمة من الفراسة  
الروحانية كما أسميتها؟

- ما رأيك؟

(عواد): هالتك مفعلة لذا فالإجابة غالباً نعم.. لكن كم عددكم؟

- نتحدث عنا وكأننا غرباء من الفضاء

(عواد): في الوقت الحالي هذا ما أشعر به نحوكم

- نظرياً جميع الناس يمكنهم الوصول لهذه الحالة بالتفعيل لكن  
المشكلة تكمن في السلبيات اللاحقة لعملية التفعيل

(عواد): وما هي تلك السلبيات؟

- تذكر أن هذه السلبيات لا يعاني منها من هم أصحاب هالة قوية  
أو نجمية من الأساس في حالة الخمول..

(عواد): نعم نعم فهمت هذه النقطة لكن أخبرني بالسلبيات التي  
تلحق بعملية تفعيل الهالة؟.. أرجو أن لا يكون أحداها فقدان أحد  
حواسك الرئيسية

- لا.. أبرز السلبيات هي قلة أو انعدام النوم وكذلك الضيق

عندما تحتك أو تقترب من هالة قوية أو مفعلة أخرى وإذا كانت  
نجمية تصاب هالتك المفعلة بانهيار كامل

(عواد): مثل ما حدث لك للتو..

- بالضبط.. لذا تجد أن أصحاب الهالات القوية أو المفعلة لا  
يرتاحون في التجمعات الكبيرة ويتجنبونها قدر الإمكان  
وأغلبهم لا يعرفون السبب.

(عواد): هل تعرضت لمثل ما تعرضت له الليلة من قبل؟

- نعم أكثر من مرة..

(عواد): وفي كل مرة تمر بنفس ما حدث لك الليلة؟.. نفس الانهيار؟

- لا.. أحياناً تكون أسوأ إذا لم يتعد عني صاحب الهالة النجمية  
بسرعة

(عواد): هل تذكر أسوأ حالة تعرضت لها؟

- لماذا تريد الخروج عن الموضوع؟

(عواد): حسناً لا تخبرني.. كنت أريد فقط معرفة أقصى ضرر يمكن

أن يصل إليه صاحب الهالة المفعلة

- سأخبرك.. أسوأ حالة مررت بها واستشعرتها بقوة في حضرة

هالة أخرى أقوى مني هي عندما كنت ذاهباً للسوق لابتياح

أقراط ذهبية لأمي كهدية لها لمناسبة ما. الذهب الأصفر له تأثير

على الهالة لكنني لن أتحدث عن ذلك الآن ولن أتحدث عن ما إذا كان ذلك التأثير سلبياً أم إيجابياً. المهم في الموضوع هو ما حدث لي عندما كنت واقفاً أنتظر الصائغ وهو يقوم بتعليب قرطين من الذهب الأصفر اخترتها عن بعد بإشارة من أصبوعي فقد أصبت بحالة الهبوط حتى أنني أذكر تماماً أنني انحنيت قليلاً على ركبي من شدة الوهن الذي شعرت به وقتها. تراجعت قليلاً لكرسي كان خلفي وقريباً مني وجلست عليه وأنا أتصبب عرقاً بالرغم من أن المكان مكيف.

(عواد): هالة الصائغ هي السبب.. أليس كذلك؟

- لا.. كنت سأشعر بها فور دخولي للمحل لكن الشعور ظهر فجأة وأنا أتحدث معه

(عواد): غريب.. ماذا كان السبب إذًا؟

- لم أعرف وقتها في الحال وكنت على وشك الإغماء لكن وبعد ثوانٍ من جلوسي رأيت السبب يدخل المحل أمامي.. طفلة صغيرة لم تتجاوز السادسة من العمر تصاحب أمها التي أتت لشراء شيء من محل الذهب.

(عواد) باستغراب: كيف أثرت عليك قبل دخولها المحل؟.. أليس

من المفترض أن تكون بجانبك أو قريبة منك على الأقل؟

- هالة تلك الفتاة كانت طاغية وغير طبيعية بالرغم من أنها حامله  
وغير مفعلة. كانت أول مرة أشاهد فيها هالة «نجمية» بتلك  
القوة وتكون قريبة مني بهذا الشكل. لم أستطع الوقوف لفترة  
واكتفيت بمراقبة تلك الفتاة وهي تلعب في المحل ومع حركتها  
هالتي تسحب وتنهار.

(عواد): موقف لا تحسد عليه.. وكيف نجوت؟

- مد الصائغ لي من خلف المنضدة علبة الأقراط وهو يقول  
«تفضل».. لم أستطع الوقوف وأشرت له بأي متعب قليلاً وأريد  
الراحة والحمد لله أن الرجل تفهم وقام بخدمة تلك السيدة مما  
عجل برحيلها مع ابنتها وفور خروجها من المكان بدأت أستعيد  
عافيتي وقدرتي وبعد أن طلبت بعض الماء من الرجل استطعت  
النهوض وأخذت غرضي ورحلت وأنا أترنح كالمخمور.

(عواد): أمر عجيب.. لا يمكنني تصور أن مثل هذه الأمور موجودة

وتحدث

- ما حدث لي في ذلك المحل أمر ليس خارجاً عن المؤلف فالهالات  
المفعلة تكون هالات مكسورة الحصانة وتأثرها بالهالات  
الأخرى محسوس جداً خاصة الهالات الخاملة الأقوى منها.

(عواد): نعم لاحظت أنك تتجنب التجمعات كثيراً.. كنت أظنك

انطوائياً وغريب الأطوار فقط..

- عندما يكون صاحب الهالة المفعلة في محفل أو مكان يجتمع فيه عدد كبير من الناس ثق تمام الثقة أنه يعاني ويتألم أحياناً لأن من بين تلك الجموع سيكون هناك شخص بهالة أقوى منه وخاملة وستؤثر عليه وستجده يتصبب عرقاً ولو كان الجو بارداً ويرمش كثيراً وقد يصل الأمر به إلى أن تدمع عيناه من الألم وغالباً لن يطيل البقاء وسيرحل واستعادة توازنه تدريجياً تكون بتناول كمية كبيرة من الماء.

(عواد): ما سر الماء وما علاقته بالهالة؟.. لدي شعور بأنه عنصر مهم في هذا المجال

- سأخبرك بعد قليل..

(عواد): تعرف.. لقد قرأت عن هذا الموضوع وسمعت عنه من قبل لكنني لم أعره أي انتباه ظناً مني أنها مجرد خرافات - في الغالب كل ما سمعته غير صحيح واجتهادات خاطئة

(عواد): كيف؟.. أنت بنفسك الآن تؤكدتها

- الحديث عن الهالات أصبح موضحة مؤخراً وقد انتشرت الكثير من الكتب والمقالات والمحاضرات المرئية والمسموعة التي خاضت في تفاصيل دقيقة وغير صحيحة مثل درجات الهالة وألوانها وطرق تقويتها ونظريات في التأمل و«الشكارا» و«العين الثالثة» وووو.

(عواد): وما رأيك أنت بهذا الكلام؟.. خاصة وأن ماتقوله عن الهالة لا يختلف كثيراً عن تلك الأقاويل

- رأيي الشخصي؟.. كلها خزعبلات وهذا العلم من أكثر العلوم غير المطروقة أو المدونة وعلماً فيه محدود جداً جداً وقد تحول لمصدر رزق لبعض «النصابين» هذه الأيام. حتى كلامي الذي قلته ولم أقله لك عن الهالة لا أدعي أنه علمٌ مثبت لكنها مجرد ملاحظات شخصية ولا يمكنني أن أعطيها لقب «علم».

(عواد): هل يوجد كتب معينة يمكنك أن تدلني عليها لأستزيد من هذا العلم؟

- الموضوع كبير ومتشعب كما قلت لك يا (عواد) ولا يوجد كتب سهلة المنال كي تحصل عليها وتقرأها لكن سأخبرك عن بعض النقاط الأخرى التي تخص الهالة وهي ملاحظاتي الخاصة من مدوناتي الشخصية وليست شيئاً قرأته في كتاب أو علماً نُقل لي.. بعضها سأحدث عنه بالتفصيل والبعض الآخر لن أتحدث عنه مطلقاً ولا تسألني لماذا.. اتفقنا؟

(عواد): موافق.. لكن.. ألا تثق بي كي لا تخبرني؟

- لا علاقة للثقة بعدم افصاحي عن بعض الأمور لك حاول أن تفهم ذلك جيداً.. لنبدأ بسؤالك عن علاقة الهالة بالماء.. منذ صغري وأنا أحب السباحة وأعشق البحر وغرقي فيه مرتين لم

يزدني له إلا حباً وولعاً لكن ومنذ أن فعل (عمار) هالتي اهتزت  
علاقتي بالبحر وبالماء عموماً. شيء ما تغير.. من فعل هالتي كان  
رجلاً قليل الاستحمام وقد لاحظت ذلك لكن لم أعرف السبب  
إلا عندما استحمت أول مرة بعد تفعيل هالتي.. صاعقة..  
هذا ما يمكنني أن أصف به ما حدث لي وأحسست به.. كان  
اصطدام الماء بي كتيار كهربائي نفض جسدي وأوقعتني أرضاً

(عواد): لهذه الدرجة؟.. لكن لماذا؟

- لماذا؟.. لم أعرف وقتها لكن بعد زيارتي الثانية لمن فعل هالتي  
تحدثت معه عن الموضوع وأخبرني أن الهالة الحديثة التفعيل لا  
تتفق مع الماء العذب لفترة طويلة ويجب أن أستبدل بها ماء البحر  
حتى تستقر وأعود للاستحمام بالماء العذب مرة أخرى. توقعت  
أن المسألة لن تأخذ وقتاً طويلاً لكن حساسية هالتي للماء العذب  
تجاوزت العام كنت خلالها لا أستحم إلا بالماء المالح المذاب في  
حوض الاستحمام والغريب في الأمر أن الماء العذب يصبح  
بعدها أهم عنصر لإعادة توازن هالتك إذا تعرضت لخلل ما.

(عواد): تفعيل الهالة لم يعد مغرياً بالنسبة لي.. أعتقد أنني سأكتفي بها

أملك فقط من حواس

- لم أنته.. قلتها مبتسماً

(عواد): كل مذكرته كفيل بتغيير حياة أي شخص للأسوأ

- بقي أن أخبرك عن تأثير الهالة عندما تتعامل مع الناس..

(عواد): ماذا عنك؟.. هل ينفرون منك؟.. أنت تجيد ذلك ببراعة

- قابلت الكثير ممن يتمنون معرفة ما يدور في خلد من يتحدث إليهم ومدى صدق أحاديثهم وعباراتهم ونواياهم معهم.. صدقني الأمر ليس بالجمل الذي نظن.. أصحاب الهالات المفعلة يملكون قدرة عالية في استشعار الكذب مع من يتحدثون معهم قولاً أو حتى كتابة وزد على ذلك همس الأقران إذا كان المتحدث صاحب هالة ضعيفة أو متهالكة..

(عواد) بتوتر: همس الأقران؟

- تجاهل هذه العبارة لأنها من الأمور التي لن أتحدث عنها بالتفصيل..

(عواد): يكون أفضل.. لكن أنا لا أرى السوء في كشف الكاذب ومعرفة نوايا المتحدث معك.. هذه تعتبر ميزة وليست عيباً.. لا تتصور كم عدد الناس الذين أرغب في معرفة مايجول في خواطرهم وأولهم أنت - مؤلم يا (عواد) أن تجاهل من يهديك عبارات الود وأنت تعلم بأنه لا يكن لك سوى الكره ومؤلم أكثر عندما تضطر أن تهز رأسك لشخص يحاول استغفالك وهو لا يعلم بأن سجله يتلى في أذنك. ستفاجأ من كم النفاق في العالم وندرة أصحاب القلوب النقية..

تلك الندرة التي تدفعني أحياناً لمعانقة أصحابها لاشعورياً  
عندما أقابلهم أو أتحدث معهم ويتحدثون معي. أتهم بأني لا  
أبتسم كثيراً.. ابتسامتي لم تعد تجد طريقها إلا لهؤلاء الأنقياء  
فقط والحمد لله أنهم ما زالوا موجودين بالرغم من ندرتهم.

(عواد): وهل أنا من هؤلاء الأنقياء؟

- هل عانقتك من قبل؟

(عواد): كان يمكن أن تجيب بطريقة أقل قسوة من ذلك..

- سأخبرك عن الهالة وعلاقتها بالأمراض

(عواد): هل تسبب الهالة أمراضاً لمن يفعلها؟.. تصورت أنها تزيد

من مناعة الشخص أكثر

- ليس تماماً.. تفعيل هالتك لن يمنحك علماً بالأعمار فعلمها عند

الله ويده لكن إحساسك بالخلل الذي يصيب الناس سيرتفع

حتى قبل أن ينتقل لأجسادهم وهذا أمر غير مريح.. أخبرتك

قبل قليل عن التدليس الذي ذكر ولا يزال يُذكر بخصوص

ألوان الهالات.. نعم هناك ألوان لها لكن ليس بالشكل المذكور

والمطروح على الساحة والذي وصفه كألوان زاهية تحيط

بالشخص كحقل من الطاقة.. لا أبداً.. الأمر مختلف وخلاصته

أن هناك مؤشرات ملونة تنبثق بشكل غير منتظم من النفس

البشرية تعطي بعض المؤشرات عن حالته الصحية والجسدية وتفسيراتها لا تزال محدودة بالنسبة لي لكن أعرف تمام المعرفة أن اللون الأسود هو أسوأها.

(عواد): ماذا يعني اللون الأسود؟

- لنتقل لنقطة أخرى..

(عواد): كالعادة تتهرب من الاجابة على الأسئلة المهمة.. حسناً

أكمل..

- النهم..

(عواد): النهم؟.. كل الناس يصابون بالجوع.. هذا أمر طبيعي

- لا أقصد الطعام فقط.. هذا موضوع حساس ولا أعرف كيف

أحدث فيه بأريحية وتفصيل معك وعلى الأرجح لن أفعل أبداً

في أي مناسبة لكن موجزه هو أنك بعد تفعيل هالتك ستصاب

غالباً بحالة من «النهم» الشديد للأمور التي كنت تحبها سابقاً

وهذا يشمل كل شيء.. وتغذية هذا النهم خطيرة جداً وحرمانه

أكثر خطورة لذا سيكون لزاماً عليك مراقبة نفسك دوماً وضبط

معايير نهمك كي لا تقع في المشكلات.

(عواد): مشكلات مثل ماذا؟

- مشكلات لا تريد الوقوع بها صدقني..

(عواد): هل أنتهت السليبات أم أن هناك علل أخرى أسوأ من ذلك؟  
- النشاط الذهني الذي سيطرأ بعد تفعيل الهالة..

(عواد): لا يبدو الأمر سيئاً فمن منا لا يريد أن يكون أذكى؟  
- هذه الحالة قريبة من حالة «النهم» لكنها تكون حسية وذهنية وليست جسدية فعقلك بعد تفعيل الهالة سينفجر نشاطاً بمعنى الكلمة.. ستشعر بما يشبه العطش الذي لا يمكن لصاحبه أن يرتوي أبداً.. ظمأ غير حميد للتفكير في كل شيء وتحليل كل شيء والكتابة عن كل شيء.. ستتحول لآلة يجب أن تعمل طيلة الأربع والعشرين ساعة بشكل متواصل ولن تكتفي بأي إنجاز تحققه ولن ترضى عنه أبداً.. شيء مرهق ومؤلم أحياناً.

(عواد):...

- نسيت أمراً ما عندما أخبرتك عن علاقة الهالة بالأمراض.. نعم  
ستصاب ببعض الأمراض..

(عواد): هل هي أمراض خطيرة؟

- البعض قد يعاني من حساسية جسدية تجاه أمور معينة مثل بعض الأطعمة أو المستحضرات أو الأدوية وغيرها من المواد التي تستهلك أو تلامس الجلد وأنا ومنذ ولادتي لم أعان شيئاً من هذا القبيل عدا حساسية شديدة لأحد المضادات الحيوية المشهورة

واكتشف أهلي ذلك عندما وصفه لي أحد الأطباء بعد إصابتي  
بالتهاب بكتيري في صغري لكن وبعد تفعيل هالتي أضيف  
لقائمة الأشياء التي تسبب الحساسية لي أمور غير اعتيادية  
تعرضني لخليط من الصداع والغثيان وأحياناً طفح جلدي.

(عواد): أشياء مثل ماذا؟

- بعض المعادن ولن أحدد ما هي وكذلك بدأت أتحمس من  
الروائح النفاذة والقوية وبعض خامات الأقمشة والجلود.

(عواد): هل هناك شيء آخر تريد أن تضيفه للائحة الموت هذه؟

- لا يمكن أن أذكر لك كل شيء لكن سأخبرك بنقطة أساسية في  
هذا الموضوع وأعتقد أنك خضت هذا المجال عندما كنت تحتال  
على الناس

(عواد): قلبك أسود ولا ينسى الماضي أبداً

- قوة الذاكرة أحد مزايا الهالة لسوء حظك .. قلتها مبتسماً..

(عواد): ومالذي كنت أمارسه؟.. أو تظن أنني مارسته في السابق

- تعبير الرؤى..

(عواد): هذا الموضوع يبدو كبيراً إذا لم يجب ظني..

- سأذكر لك فقط تجربتي الشخصية في الموضوع وأكرر هذه مجرد

ملاحظات لاحظتها ودونها في مذكراتي الخاصة ولا أدعي انها  
حقيقة أو علم يستند عليه

(عواد): حسناً أنا متفهم لذلك ولا تقلق لن أحكم عليك كما تفعل  
معي.. قالها متهكماً

- قبل تفعيل هالتي كانت علاقتي مع الأحلام أو الكوابيس لا  
تختلف عن علاقة أي شخص طبيعي بها.. كنت أحلم من  
وقتٍ لآخر وأعاني من كابوس بين الفينة والأخرى ولا شيء  
خارج المألوف ولم أكن أبحث عن تفسيرات لها أو معنى  
لفحواها ورموزها.. كنت أعرف بأن بعض الناس لا يلمون  
على الإطلاق وكنت مستغرباً من تلك المعلومة وأعلم أيضاً أن  
بعض الناس تكون أحلامهم ملونة والبعض الآخر بالأبيض  
والأسود فقط وهذه حقيقة علمية.

(عواد): أنا أحلم بالأبيض والأسود فعلاً ولم أكن أصدق أن هناك  
من يلمون بالألوان

- أنا أحلامي كانت ملونة وكوابيسي كذلك وكانت علاقتي بها  
تنتهي بمجرد الاستيقاظ من النوم ولا ألقى لها بالاً أبداً لكن  
وبعد تفعيل هالتي وقراءة بعض الكتب من مكتبة من فعل  
هالتي والتي اختصت في هذا الموضوع تغيرت نظرتي تماماً لها  
وأدركت أنها «علم» بمعنى الكلمة.

(عواد): ماذا حدث بعد تفعيل هالتك؟

- تفعيل هالتي رفع نسبة رؤيتي للأحلام والكوابيس بحيث أصبحت شبه يومية لكن الاختلاف الحقيقي هو أني بدأت أستطيع ترجمة الرموز في تلك الأحلام ومعرفة مدلولاتها في الواقع ومتى يصبح «الحلم» رؤية ومتى يكون مجرد أضغاث. الكوابيس يمكن أن تكون رؤية فالبعض يخاف من أشياء لا تقع تحت تعريف «كابوس» فيختلط عليه الأمر ولا يدرك أنها رؤية.

(عواد): وكيف كنت تعبر الرؤى؟

موضوع تعبير الرؤى حساس جداً ويخلط البعض بينه وبين معرفة علم الغيب والذي هو من علم الله وحده ولا يدركه أحد أبداً لكن للتفريق بينهما سوف أضرب لك مثلاً بسيطاً..

(عواد): أنا منصت..

- عندما تسير في طريق وترى حفرة أمامك وتقف قبل أن تقع فيها وتلتفت خلفك لترى شخصاً يجري بسرعة على الطريق نفسه فهذه هي «الرؤية» وتعبيرها هو أن احتمالية وقوع الشخص في تلك الحفرة عالٍ جداً ولم يصل لمرحلة اليقين لأنه لو وصل لليقين تحول لعلم «غيب» وهذا أمر مستحيل على البشر. تحذيرك للشخص من الوقوع في الحفرة ليس ادعاء علم غيب

بل مبني على علم اتضح لك وخفي عليه لا أكثر.. هل اتضح لك الفرق؟

(عواد): نعم.. فهمت.. أعتقد أني فهمت..

- بداية معرفتي بتلك القدرة على تعبير الرؤى لم تأت سريعاً واكتشفتها لاحقاً ومتأخراً جداً وكان أول من سمعت أحلامهم وفهمت رموزها هي أمي عندما حكّت لي عن منام أثار استغرابها وبعد أن أنصت لتفاصيله خرجت بمدلولين رئيسين.. الحلم كان يتضمن تساقطاً للأسنان وبه شخص ميت وهذا يقود لمعنى واحد لن أذكره لك لكنه تحقق بعد يومين للشخص الذي حلمت به أمي ومع تكرار تلك الأمثلة مع أشخاص آخرين لم يكن من السهل تجاهل قدرتي على تعبير الرؤى لذا قررت تجربة تفسيرها لشخص ما والثبت أكثر لأنني لم أكن سأعتمد على ملاحظاتي فقط.

(عواد): وماذا كانت النتيجة؟

- نجحت في المرة الأولى في التفسير.. والمرة الثانية ومعظم الرؤى التي فسرتها بعد ذلك حتى أصبح الأمر مقلقاً لي وخيفاً لمن حولي فتوقفت نهائياً عن تفسير الأحلام ولم أعد إليها

(عواد): لم تتخلي عن هبة مثل هذه؟ لو كنت أملك مثلها لجنيت

أموالاً كثيرة

- لأن معظم التعبيرات لم تكن أخباراً تسرُّ من يسمعها ولم أكن أقوى على نقلها إليهم ورؤية خيبة الأمل التي تعترهم جراء سماعها.

(عواد): وكم من خيبة أهديت؟

- كثيراً يا (عواد).. كثيراً.. وأحمل هم كل واحدة منها..

(عواد): لقد أرهقتك بالحديث لكن لا أريد أن تصاب بأغماظة أخرى واضطر لحملك للمنزل

- دعني أختم لك بنقطة أخيرة

(عواد): خواتيمك دائماً ماتكون تعيسة.. تفضل..

- يجب أن أذكر لك الخلل الروحاني الذي يصيب هالة الإنسان سواءً المفعلة أو غيرها وأسبابها العديدة.. ذلك الخلل يقود لعلل صحية كثيرة تتدرج من البسيط العابر للمعقد المنغص للحياة. لا شك أن الحديث عن العلل الجسدية أمر حساس وشائك وربطها بعلل الروح والتوازن الروحي أمر مرفوض للكثير لكن هذا لم يمنعني ولن يمنعني يوماً من الحديث بما أنا مقتنع به دون فرضه على غيري.

(عواد): أنا لن أمنعك..

- كل إنسان يعيش حالة من التوازن الأثيري بغض النظر عن قوة

هالته وأي خلل يصيب ذلك التوازن بسبب المنغصات ينعكس سلباً في الغالب على صحته الجسدية والنفسية بدرجات متفاوتة.

(عواد): منغصات مثل ماذا؟

- الصدمات النفسية مثل الغضب أو الحزن الشديد أو الفرع المفاجئ أو اجتماع بعضها في الوقت نفسه. العمر له تأثير كذلك على نسبة ذلك الخلل ومدى تأثيرها علينا فالصدمات في الصغر تكون ذات تأثير مدمر أكبر وترميمها يكون أصعب.

(عواد): إذا فالمنغصات نفسية فقط..

- لا.. فنوع التغذية وما نتناوله وماهيته والوضعيات التي نأكل ونشرب بها لها تأثير سلبي أيضاً والتفصيل في ذلك متاهة لكن ما سأقوله لك هو أن الصيام بأنواعه مفيد جداً لترميم الهالات كذلك التواصل والاحتكاك بهالات أخرى قوية أو مفعلة إذا كانت هالتك خاملة لذا تجد أن معظم أصحاب الهالات المفعلة يملكون قدرات علاجية عالية وعلى رأس قائمة المعالجين بالطاقة الروحانية أصحاب الهالات «النجمية» فلمسة منهم تحدث الكثير من الترميم والتوازن الروحاني حتى وإن كانوا لا يدركون ذلك.

(عواد): معنى ذلك أن سلامي على ذلك الشاب نفعتني لأني حامل

وضرك لأنك مفعل

- تماماً.. هيا لنعد لقد تأخر الوقت كثيراً وسرقنا الحديث

(عواد): فعلاً لم ألاحظ ذلك.. أشكرك لأنك أخبرتني بكل هذا لكن لم

لم تسمح لي بتدوين هذا الكنز؟

- لأنه ليس كنزاً.. إنه لعنة..

(عواد): من حق الناس أن يعرفوا

- ومن حقي أن لا أتحمّل مسؤولية الضرر الذي قد يتسبب به

لغيري

(عواد): أفهمك.. أخبرني الآن.. ما مدى قوة هالتي؟

## خلوة بالخليل

أعادني (عواد) بعد ذلك الحديث المطول عن الهالة للمنزل وقبل أن أنزل من السيارة أخبرته بمدى قوة هالته ولم نفتح ذلك الموضوع مرة أخرى.

مضت أيام لم أخرج فيها من المنزل وهذا أمر طبيعي بالنسبة لي لكن ما لم يكن طبيعياً لـ(عواد) هو أنني لم أرد على اتصالاته لفترة طويلة.. لا شيء لكنني كنت بحاجة ماسة لعزلة ممتدة أستعيد فيها توازني و(عواد) وقتها قد وصل لمرحلة معي يفهم فيها ذلك لكن ما لم يفهمه هي المدة فعزلي تلك كانت الأطول منذ أن تعرفت عليه وهذا الذي أثار قلقه خاصة وأنه التقى بأخي وأبي جمعيتين دون حضوره وأخبراه بأني في عزلة لكنه لم يقتنع واستأذن منهما أن يصعد لغرفتي بالرغم من نصحهما له بعدم القيام بذلك إلا أن إصراره دفع أخي للسماح له بالصعود وطرق الباب علي.

خلال عزلي لا أحب التواصل مع أحد وأستاء جداً ممن يقاطعها دون سبب مقنع.. بالطبع أمني وأبي مستثيان من هذا الاستياء لذلك

وقبل كل عزلة مطولة أشرح لها أهمية ما سأقوم به لِنفسي وصحتي فيقتنعان أحياناً وأحياناً كثيرة لا .

طرق (عواد) الباب فلم أجبه في المرة الأولى.. طرقه مرة ثانية وهو يقول: هل أنت بالداخل؟

سمعت صوته.. سؤاله الأحمق دفعني للابتسام ولحسن حظه أن عزلتي كانت في أيامها الأخيرة وقد حققت الكثير من الغرض منها ولم أكن صائماً عن الكلام ففتحت له الباب وحدثت به دون أن أتحدث معه فقال بارتباك: هل أزعجتك؟

أشرت له بالدخول وكانت هذه أول مرة يزورني فيها في غرفتي.. دخل وبدأ ينظر حوله بتعجب منها ومن عتمتها ولم أكن مستغرباً من ردة فعله تلك لكنني استغربت ما قاله بعد أن استعاد تركيزه.

(عواد): غرفة جميلة..

- أنت أول شخص يصفها بذلك

(عواد): هل تستقبل الكثير فيها؟

- لم يدخلها أحد من قبل عدا قاطني المنزل..

(عواد) مبتسماً: هذه سابقة أعتز بها

- ماذا تريد يا (عواد)؟.. قلتها وأنا أجلس على طرف سريري..

(عواد): آه.. نعم.. كيف حالك؟

- بخير.. الآن.. ما الذي دفعك لاقتحام عزلتي؟

(عواد): هل أنت غاضب مني لأني فعلت؟

- لو كنت غاضباً منك لهذا السبب أو غيره لما كنا نتحدث الآن؟

(عواد): جيد.. أريدك أن تخرج معي

- حالة مستعصية؟

(عواد): لا لا أبداً ليس لدي حالات اليوم ولا غداً.. في الواقع لم أتلق

طلباً منذ أيام

- هل تحتاج للمال؟

(عواد) وهو يجلس بجانبني على السرير مبتسماً: لا، الحمد لله ما

تعطيني إياه يكفي

حالة (عواد) المادية لم تكن جيدة ولم يملك وظيفة مع أنه خريج

جامعي لذا كنت أنفهم محاولته من وقتٍ لآخر إقناعي بأخذ بعض المال

من الحالات التي كان يعالجها بالرغم من رفضي المستمر. خشيت بعد

فترة من أن يقع ضحية للإغراءات المادية التي كانت تأتيه خاصة من

العائلات الغنية التي عالج بعض أفرادها فقررت أن أصرف له راتباً

شهرياً استقطعته من راتبي الخاص ريثما أجد له عملاً يناسب شهادته

وتخصصه.

- ماذا تريد إذا؟

(عواد): أن نخرج..

- لقد أوضحت لي ذلك.. لكن لماذا؟.. وإلى أين؟

(عواد): نحن لا نخرج معاً إلا لزيارة المرضى وأنا أرغب أن نخرج لسبب آخر أياً كان

- تقربك هذا يا (عواد) خارج عن المؤلف ولم أعتده منك

(عواد) بخيبة أمل: حسناً كما تشاء

- أخبرني بالحقيقة دون تذاكٍ وقد أفكر بالأمر

(عواد): في الحقيقة..

- نعم بالضبط.. الحقيقة.. هذا ما أريده..

(عواد) بتحرج غريب: أريد الزواج..

- أنت مدرك بالطبع أن طلبك وفي هذا المكان بالذات وأنت على سريري غير لائق

(عواد) وهو ينهض عن طرف السرير بتوتر: لا لا أنت لم تفهمني!

- ما بك يا أحمق أنا أما زحك فقط!.. قلتها ضاحكاً..

(عواد) بعبوس: لا تزدني توتراً أرجوك!

- حسناً.. حسناً.. ومن هي تعيسة الحظ؟

(عواد): لم تقول ذلك؟

- هات ما عندك يا (عواد) ولا تمسك بكل كلمة تخرج من فمي

(عواد): هل ستحدث بتلك الطريقة عندما نذهب إليهم؟

- نذهب عند من؟

(عواد): عند أهل من سأخطبها

- وما شأني أنا كي تأخذني معك؟.. خذ أمك أو أباك أو كليهما

(عواد) وهو يجلس بجانبني مرة أخرى ويتسم بغباء: سأفعل لكن

بعد أن تفحصها؟

- .. (عواد)..

(عواد): لا لا.. افهمني..

- أفهم ماذا؟!.. هل ستتزوج أم ستبتاع سيارة؟!

(عواد): أريدك أن تفحصها روحانياً وعن ما إذا كنا نليق بعضنا

ببعض؟

- ما هذا الكلام الفارغ؟.. قلتها وأنا أدعك جيبيني بأصابعي..

(عواد): لا تقل لي بأن التوافق الروحاني ليس مهماً في العلاقات

الزوجية

- وماذا تريد أن أفحص بالضبط؟.. قلتها متهكماً

(عواد): لا أعرف.. ما الذي يفحص عادة في مثل هذه الأمور؟

- لا شيء لأنه لا توجد عادة من الأساس

(عواد): الكثير من الروحانيين يقومون بذلك

- هؤلاء نصابون محترفون لا أكثر

(عواد) بشيء من الخيبة: معنى ذلك أنه لا يوجد فحص

- بلى يوجد..

(عواد) متشياً: حقاً؟! .. ما هو؟! .. وكيف أقوم به؟!

- الفحص الطبي للمقبلين على الزواج ويمكنك أن تجده في أي

مستشفى أو مستوصف وأنصحك أيضاً بأن تضيف إليه فحصاً

عقلياً لك

(عواد): قل بأنك لا تريد مساعدتي لكن لا تسخر مني

- أساعدك في ماذا؟! .. قلتها وقد بدأت أتوتر من هذا الموضوع..

(عواد): في إجراء فحص لها يخبرني عن مدى صلاحيتها لي

- صلاحيتها؟

(عواد): نعم.. لا أريد أن أرتبط بشخص غير مناسب لي

- صدقني أنها هي المخاطرة بهذا الارتباط.. ثم أخبرني كيف

ستزوج وأنت لا تعمل؟! .. أم أنك تنوي الإنفاق على زوجتك

من الراتب الذي أصرفه لك؟

(عواد): لا بالطبع.. بعد زواجي منها لن أحتاج للراتب الذي تصرفه

لي

- لم أحس أن زواجك هذا مشروع تجاري أكثر من كونه زواجاً؟

(عواد): وما المشكلة؟.. «تنكح المرأة لأربع..»

قاطعته وقلت: أعرف الحديث.. وأنت «ستنكحها» لملها؟

(عواد): نعم وما المشكلة؟

- وهي ستكحك على ماذا؟

(عواد): ماذا تقصد؟

- لا شيء وعلى أي حال فهمك للحديث خاطئ..

(عواد): إلا هذه.. أنا آخذ منك أشياء كثيرة إلا علم الدين فلا تفت

فيه أمامي

- سأقولها إبراءً للذمة وأنت وشأنك فيما تفعله.. الحديث معناه

أن عادة الناس أن يرغبوا في المرأة ويختاروها لصفات معينة

متعارف عليها وهي الجمال والمال والحسب والدين، والأولى أن

يكون الدين هدفهم الأول وإذا أضيف إلى الدين الجمال وغيره

من الصفات الأخرى فذلك جيد لكن الحث ليس عليها

(عواد): لا أريد أن أدخل معك في نقاش ديني..

- ولا أنا.. هل تريد شيئاً آخر قبل أن ترحل؟

(عواد): من قال بأني سأرحل؟ .. ثم أنت لم تحقق لي طلبي كي تسأل  
إذا كنت أريد شيئاً آخر

- طلبك لا معنى له يا (عواد).. صل صلاة الاستخارة وادعُ الله  
بالتوفيق والهداية فقط

(عواد) مبتسماً: لم تسألني من هي؟

- تقصد تعيسة الحظ؟

(عواد) وهو لا يزال يبتسم: نعم

- إن لم تكن إحدى قريباتي فلا يهم من تكون ولست ملزماً بنصحها  
بالابتعاد عنك

(عواد): اسمها (سعاد) وهي غنية جداً

- لا حاجة للسؤال عن تدينها إذاً لأنني أرى أن سبب النكاح  
الأساسي حاضر ببالك

(عواد): هل تريد معرفة كيف التقيت بها؟

- في الحقيقة نعم.. أريد معرفة كيف لفتاة غنية مثلها أن تنجذب  
لشخص مثلك.. ليس انتقاصاً لك يا صديقي.. لكن.. أنت  
معدم مادياً.. ومظاهر التدين خلصناها منك.. والجمال بالرغم  
من أنه أمر نسبي إلا أنه بالتأكيد ليس في مصلحتك.. فما السر؟

(عواد) مبتسماً: هي أخت إحدى الحالات التي عاجلتها وقد أعجبت  
بقدرتي على علاج حالة أختها المستعصية

- إذا فهي قد أعجبت بعلمك؟

(عواد): نعم يمكنك قول ذلك

- أنا لست موافقاً على هذا الزواج إذاً

(عواد): ماذا؟! .. لماذا؟! .. قلبي مرتاح لها!

- عندما تجد من يرتاح له قلبك اطلب المشورة من عقلك..

(عواد): وأنا أطلبها منك!

- ألم تأتِ هنا لتسألني عن رأيي؟ .. هذا هو رأيي .. هي غير مناسبة  
لك وليس العكس

(عواد) بخيبة: لكن لماذا؟ .. أخبرني بالسبب على الأقل

- لا تهتم للسبب..

(عواد): كيف لا أهتم؟ .. أريد معرفة سبب رفضك زواجي منها!

- أنا لا أملك هذا الحق ولا أستطيع منعك بالقوة.. طلبت مشورتي  
وقدمتها لك .. لست ملزماً بها على الإطلاق

(عواد): بلى أنا ملزم..

- وما الذي يلزمك؟

(عواد): ثقتي بك.. لكن أريد تبريراً عله يخفف من الألم الذي أحس به الآن جراء تراجعني عن قرار الزواج من (سعاد)

- لا تقلق سوف تتجاوز هذه «المحنة» بسهولة وستنساها..

صمت (عواد) وأنزل رأسه بخيبة أمل واضحة.. كنت أعرف أنه لن يقدم على تلك الخطوة دون مباركتي ولم أكن سأقدمها له مهما قال أو حاول إقناعي.. لماذا؟.. لأن ذلك الزواج لم يكن سيبنى على أساسٍ صحيح وسيتهي غالباً بالفشل.. أعرف أن المسألة قسمة ونصيب وما إلى ذلك لكن بعض الأمور تكون بدهية منذ البداية ولو كان اختياره موقفاً لتكفلت أنا بكل مصاريف زواجه حتى وإن كانت من اختارها ليست غنية. تعاملت مع (عواد) كأخ وأهديته الحقيقة المرة قبل أن يتذوقها لاحقاً بنفسه. قد يقول البعض.. وما الضير من التجربة والفشل؟

هذا المبدأ هو أحد أسباب تدمير كثير من حياة الشباب والبنات وضياع مستقبل الكثير من الأطفال.. لن أكرر مقولة «الزواج ليس لعبة» لكنه حقاً ليس كذلك.

حديث (عواد) معي ذلك اليوم أكد لي أنه لا يزال يملك بعض الرواسب من عقله القديم وحياته السابقة وهذا كان مؤشراً خطراً وجب علي أن أنتبه إليه ولا أغفل عنه لكني لم أفعل.

بعد هذا اللقاء بشهرين تزوج (عواد) من فتاة أسعدته بحق ولم تكن غنية مال لكنها كانت غنية روح وهذا ما كان يحتاجه في حياته.. شخصاً

يحبه لنفسه وسيقف معه في السراء والضراء.. وحتى بعد أن شرح لها حالته المادية الضعيفة زاد تمسكها به وأخبرته بأنها لا تمنع أن تعيش معه في جميع الظروف حتى يفرجها الله عليه.



## همس الجدران

يقال إن المعرفة تستلزم وعاءً ملائماً ليحتويها ويستفيد منها بشكل مناسب ولن نختلف على أن طلب العلم حق للجميع لكن الجميع بلا شك ليسوا مستعدين لذلك العلم وتلك المعرفة دائماً.

تلميذي الأول (عواد) كان شخصاً شغوفاً بطبعه ولا يكتفي بالقليل الدائم ويطلب المزيد دوماً وبالرغم من تقنيي للعلم الذي أسكبه في عقله إلا أنني من وقتٍ لآخر أجد نفسي أزوده بعلوم كان من المفترض أن لا أكشفها له لأنه لم يصل للمرحلة العقلية التي تؤهله لهضمها واستيعابها بهدوء دون أن تتضارب مع مبادئه وأفكاره التي كنت متيقناً أن عوالت منها لا تزال عالقة وقابعة في مكان ما في رأسه.

من ضمن المواقف التي اصطدمت فيها قيم (عواد) ومبادئه مع العلم الذي كان ينهله مني هي عندما لجأت لي كعادته لمساعدته مع حالة استعصت عليه. اتصل بي (عواد) هاتفياً صباح أحد الأيام وأخبرني بأن هناك شخصاً يطلب منه أمراً غريباً وقد تواصل معي ليستفسر عن

إمكانية حل مشكلته. لم يطلب الرجل علاج حالة مرضية كالمعتاد بل طلب شيئاً آخر.. شيئاً خارج المألوف.

(عواد) عبر الهاتف: هل أخبرك بما يريده هذا الشخص أم أرد عليه بالرفض؟

- صيغة سؤالك تدل على أنك لست مقتنعاً بمساعدته

(عواد): لا أبداً لكنني أجهل ما يختص بتطهير المنازل

- تطهير المنازل؟.. نحن لسنا شركة تنظيف يا (عواد)

(عواد): الرجل الذي تواصل معي يقول بأنه يملك منزلاً يريد بيعه ولم يستطع ذلك لأنه مسكون

- البيوت تبني لتسكن.. قلتها متهاكماً..

(عواد): أنت تعرف ما أقصد

- لا يا (عواد) لا أعرف

(عواد) بنبرة غاضبة قليلاً: حسناً إذا كنت تصر على المراوغة فسأتصل بالرجل وأخبره بأننا لا نستطيع مساعدته

- ما بك اليوم؟.. لا تبدو على سجيتك؟.. الأمر لا علاقة له بكلامي أو كلام الرجل.. ما الأمر؟

(عواد) وهو يزفر: لا شيء.. أعتذر لطريقة كلامي السابقة.. لا تقلق سوف أخبره بأنني لا أستطيع حل مشكلته

- لا.. تعال لمنزلي الآن لتتحدث قبل أن ترد عليه

(عواد) وهو يزفر مرة أخرى: حسناً..

بعد نصف ساعة تقريباً من إنهاء الحديث حضر (عواد) لمنزلي واستقبلته عند الباب ولم أطلب منه الدخول بل أشرت إليه بأن يركب سيارته لتتحدث فيها.

(عواد) وهو يقود السيارة مبتعداً عن منزلي ويحدق بالطريق أمامه:  
أعتذر لاني..

قاطعته وقلت: اسمع.. أعرف بأن الحياة الأسرية قد تمر بتقلبات من وقت لآخر لكن يجب أن تتعلم كيف تفصل بين حياتك الخاصة وحياتك العملية

(عواد): كيف عرفت؟

- الأمر لا يستلزم الكثير كي ألاحظ أنك لم تعد كالسابق من بعد زواجك ولا أقصد أنك أصبحت أسوأ وهذا أمر طبيعي عندما ينقسم تفكيرك واهتمامك بين أمرين لكن لا تسمح لذلك بأن يشوش على تركيزك

(عواد): أعدك بأني سأحاول أن أركز أكثر ولا أقحم مشكلاتي

الشخصية في عملنا

- أنا لم أطلب منك ذلك ثم إن هذا مستحيل.. لا تتعامل مع الأمر بتجاهله..

(عواد): حيرتني.. ماذا أفعل إذا؟

- فقط أدرك أن ما تمر به أمر طبيعي وحاول أن تفصل عواطفك عن عقلك خاصة خلال العمل

(عواد): بالنسبة للعمل.. كنت.. كنت أريد الحديث معك بشأنه..

- هات ما عندك

(عواد): أنت تعلم بأني ما زلت عاطلاً وبعد زواجي زادت مسؤولياتي

وكبرت ولا مصدر دخل لي سوى ما تعطيني إياه من راتبك الخاص

- هل تريد أن أزيد لك المخصص الشهري؟.. يمكنني القيام بذلك

(عواد): لا.. لا أريد ذلك.. لا أريد أن تصرف لي مبلغاً من الأساس..

أريد الاعتماد على نفسي

- ومن منعك؟.. ابحث عن عمل

(عواد): أنا أملك عملاً لكنك تمنعني من الاستفادة منه

- ما نقوم به يا (عواد) ليس بهدف المال وأنت تعرف وقد أخبرتك

بذلك منذ أول يوم التقينا فيه

(عواد): نعم.. لكن..

- إذا كنت ترى أن العلم الذي أقدمه لك لا يستحق مثل تلك

التضحية فأنا لن أجبرك على الاستمرار ولا تقلق راتبك  
الشهري لن يتوقف حتى تجد عملاً

(عواد): لم أقصد ذلك..

- انسَ هذا الموضوع الآن فأنا لم أستدعِكَ كي نتحدث عن حالتك  
المادية.. أريد معرفة تفاصيل أكثر عن ذلك المنزل الذي تريد  
«تطهيره» كما تقول.. قلتها بشيء من التهكم

(عواد) وهو يقف عند إشارة ضوئية ملتفتاً إلي: لا داعي للسخرية  
أخبرتكَ بأني سأرد على صاحب المنزل بالرفض  
قلت مبتسماً: ومن قال بأني أسخر منك؟.. أنا فقط أسخر من عبارتك  
التي استخدمتها لوصف الحالة.. «تطهير المنزل»..

(عواد): هذا هو المسمى المعروف

- نحن لسنا في فلم يا (عواد) كي تسميها بذلك..

(عواد): ماذا تسميها إذاً؟

- دعك من المسميات الآن وحدثني عن الرجل والمنزل الذي يريد  
بيعه

فتحت الإشارة الضوئية فتحرك (عواد) وهو يقول: لم آخذ الكثير من  
المعلومات فكل ما أخبرني به هو ما أخبرتك به سابقاً.. أنه يملك منزلاً  
يريد بيعه لكنه لا يستطيع لأنه مسكون

- بالطبع لا أظنه يقصد أنه مسكون بمستأجر يرفض الخروج

(عواد) مستأنفاً حديثه وهو ممسكٌ بمقود السيارة محققاً أمامه: يقول بأنه قام بتأجير المنزل عدة مرات وكل مستأجر لا يقيم فيه أكثر من أسبوع بسبب ما يتعرض له مع أسرته في ذلك المنزل وقد رُفعت عليه عدة قضايا لفسخ عقود الإيجار قبل أوانها وأصبحت سمعة المنزل سيئة ولا أحد يريد الاقتراب منه.. حتى المكاتب العقارية ترفض عرضه.. هذا فقط ما أخبرني به

- هل تعرف الرجل.. أقصد شخصياً؟

(عواد): لا لكنه معروف في المجتمع

- ماذا تقصد؟

(عواد): هذا الرجل يملك عدة شركات ومن أعيان البلد

- إذا كان كذلك فلمَ لا ينسى أمر هذا المنزل؟ لا يبدو أنه سيخسر الكثير من ثروته لو استغنى عنه

(عواد): لا أظن أن مثل هؤلاء الناس أصبحوا أغنياء بالاستغناء عن شيء والدليل أنه بالرغم من ثرائه وعمل عشرات الموظفين عنده إلا أنه هو من تواصل معي وهو من سيقابلنا بنفسه

- صحيح.. هذا النوع من الحرص والمثابرة هو ما يقود للنجاح

(عواد): لكن لا أنكر أني أشارك الاستغراب في حرصه على هذا

المنزل

- سوف نعرف بقية التفاصيل منه عندما نقابله..

(عواد): أفهم من ذلك أنك قد وافقت على مساعدته؟

- وافقت فقط لأنك أنت من يريد ذلك بشدة.. لا تنكر..

(عواد) بتوتر: ماذا؟.. أنا؟.. لا دخل لي بالموضوع هو من..

قاطعته قائلاً: لا بأس يا (عواد) أعرف بأنك تريد أن تنهل من بعض العلوم المتقدمة وطريقتك الغبية هذه لن تنظلي علي.. قلتها وأنا أحقق أمامي مبتسماً..

صمت (عواد) ولم يعلق على كلامي لأنه يعرف بأني أقول الحق وأن شغفه لمعرفة المزيد دفعه للبحث عن حالة غريبة مثل هذه لا تتعلق بالعين أو السحر لأنه متيقن بأني لم أكن لأعطيه أيّاً من العلوم التي تختص بكينونات العالم الآخر بشكل مفصل وبطريقة مباشرة دون وجود سبب وحالة عملية أمامي.

- لم صمت؟  
مكتبة أحمد

(عواد): لا أملك شيئاً لأقوله..

- هل حقاً تريد معرفة المزيد؟.. هل تستطيع تحمل ما سيلقى على سمعك ويتجلى أمام عينيك؟

(عواد): نعم أنا مستعد.. منذ أول يوم وأنا أريد أن أتعلم وأنت

تحجب عني علمك

- أنا أحاول حمايتك.. الأمر ليس بالسهولة التي تظنها

(عواد): هل قمت بالتقصير معك يوماً في أدائي أو استجابتي لأي من تعليقاتك؟

- الأمر لا علاقة له بذلك.. هذا العالم ليس للجميع وقد تهتز وتفقد جزءاً من نفسك في ظلامه

(عواد): لن يحدث ذلك.. أنت ستكون معي..

- بالرغم من أن كلامك لا علاقة له بما عنيت لكن سوف أجرب..  
(عواد) مبتسماً: حقاً؟

- نعم.. لكن الأمر يستلزم بعض التفاصيل التي يجب أن أسأل عنها.. أعدني الآن واتفق مع الرجل كي نقابله قبل المغرب أمام منزله

(عواد): حسناً.. شكراً

- على ماذا؟

(عواد): لثقتك بي..

- هذه ليست ثقة يا (عواد).. هذه أمانة سائتمنك عليها وأتمنى أن تكون أهلاً لها

(عواد): لن أخذلك.. هل تريد مني أن أحضر شيئاً عندما نذهب للرجل؟

- فقط بعض الشموع السوداء..

(عواد) باستغراب: شموع سوداء؟

- نعم.. لم أنت مستغرب هكذا؟

(عواد): هذه أول مرة تطلب شيئاً كهذا.. في العادة طلبات العلاج تكون أموراً طبيعية

- نحن لسنا في رحلة علاج هذه المرة يا (عواد)..

قبل صلاة المغرب بساعة تقريباً عاد (عواد) ذلك اليوم وركبت معه وتوجهنا للمنزل «المسكون» كما كان يسميه وعند وصولنا وجدنا صاحبه ينتظرنا داخل سيارته أمام المنزل وما أن رأنا نقرب حتى ترجل من سيارته وبدأ يلوح بيده وكأننا لا نراه.

- ما به صاحبك يلوح لنا هكذا؟

(عواد) مقرباً أكثر بالسيارة من المنزل: إنه ليس صاحبي.. هذه أول مرة أقابله فيها شخصياً.. أخبرتك بذلك  
- يبدو متحمساً أكثر منك..

(عواد) وهو يوقف السيارة ويطفئ محركها: وقد يكون مرعوباً..

- لنر ما هي حكايته إذاً.. قلتها وأنا أترجل من السيارة..

سرنا بضع خطوات نحو الرجل الذي كان يلوح لنا وما أن أصبحنا أمامه حتى مد كفه نحوي وهو يقول: مرحباً سيد (عواد)!

- أنا لست (عواد)..

(الرجل) وهو يوجه كفه نحو (عواد) قائلاً: المذرة.. أهلاً سيد (عواد)!

(عواد) مصافحاً الرجل بشيء من التوجس: أهلاً..

(الرجل) مشيراً بإبهامه للخلف: هذا هو المنزل.. ما المطلوب مني الآن؟

- نريد منك الإجابة على بعض الأسئلة

(الرجل) بحماس وتوتر غريب: حسناً.. حسناً..

- ما بك؟.. لم أنت غير مستقر هكذا؟

(الرجل) وتوتره يزداد: لا شيء.. تفضل ما هو سؤالك؟

- ما مشكلة المنزل تحديداً؟

(الرجل) وهو يأخذ بضع خطوات مبتعداً عن المنزل ويشير لنا باللحاق به وكأنه يخشى من أن يسمعه أحد: المنزل به مشكلة..

- معلومة مفيدة.. ماذا أيضاً؟

(عواد): نعم نعرف.. أنت قلت بأنه مسكون

(الرجل): نعم.. نعم.. لكن..

- حدثني عن الأمور الغريبة التي تحدث به

(الرجل) وهو يلقي نظرة خاطفة للمنزل خلفه بقلق: إذا كنت سأخبرك عن ما رآه من سكنوا فيه فالقائمة طويلة لكني سأكتفي بإخباركما عن ما رأيته أنا بنفسني  
(عواد): حسناً نحن منصتان..

(الرجل): أنا أملك شركة تستثمر في العقارات وقد بنيت هذا المنزل قبل عامين بعد ما اشتريت العقار السابق المقام عليه وقد كان منزلاً قديماً ومتهاكاً ولكون الحي مرغوباً قررت الاستثمار فيه وتشييد منزل أكثر حداثة وتأجيريه بقيمة مجزية لكن كل من قام باستئجار المنزل مني لا يستطيع الإقامة فيه أكثر من عدة أيام مدعياً أن أموراً غريبة ومرعبة تحدث لهم داخله فلم أصدق في بادئ الأمر وظننت أنها حجة للتخلص من العقد عندما أخبرني بذلك المستأجر الأول وبعد خلافات كثيرة أنهيت تعاقدني معه وأبرمت اتفاقاً جديداً مع شخصٍ آخر وحدث الشيء نفسه معه وبعد تكرار الأمر مع المستأجر الثالث قررت التحقق بنفسني  
- ماذا فعلت؟

(الرجل): بت ليلة فيه وليتني لم أفعل  
(عواد) بتوتر: لماذا؟.. ما الذي حدث؟  
(الرجل) والضيق ظاهر على وجهه وفي نبرة صوته: عندما هممت بالنوم فيه تلك الليلة ألقى في قلبي رعب شديد لم يكن له مبرر في البداية

لكن كل صوت سمعته أرعبني حتى وإن كان طبيعياً.. لا أعرف..  
الطمأنينة نزعت من صدري فجأة.. بدأت أحس بنسبات باردة تهب  
في المكان بالرغم من أننا كنا في الصيف.. همسات.. نعم.. بدأت أسمع  
همسات تأتي من حولي.. من الجدران والسقف..

- ما فحوى تلك الهمسات؟

(الرجل): لم أستطع تمييزها لكنني استشعرت بأنها كانت عدائية وغير  
مرحبة بي

(عواد): هل هذا فقط ما حدث؟

(الرجل): لا.. لقد رأيت.. رأيت أشياء أو أشخاصاً.. لا أعرف..  
كانوا يخطفون أمامي ويفتحون ويغلقون الأبواب.. ما حسم المسألة  
بالنسبة لي ودفعني للهروب من المكان هي الضحكات.. كانت ضحكات  
غريبة لصوت أغرب.. شيء لم أسمع مثله من قبل.. المنزل مسكون بلا  
شك

- وماذا تريد منا أن نفعل؟

(الرجل): تخلصنا منهم.. من زودني برقم السيد (عواد) أخبرني بأنه  
معالج بارع في علاج السحر

- ما يحدث في منزلك لا علاقة له بالسحر..

(الرجل): له علاقة بماذا إذا؟

- اسمع.. سوف نخلصك من هذه المشكلة لكن يجب أن نتفق على  
المقابل

وجه (عواد) نظره نحوي باستغراب لأنه لم يتعود مني أن أقوم بطلب  
مقابل لمساعدة أحد..

(الرجل): كم سيكلفني الأمر؟

- لن يكلفك مالا.. أريد شيئاً آخر

(الرجل): تفضل.. ماذا تريد؟

وضعت يدي على كتف (عواد) وقلت: أن تجد وظيفة لـ(عواد) في  
إحدى شركاتك إذا خلصناك من مشكلتك

(الرجل) موجهاً نظره لـ(عواد): وما هي مؤهلاته؟

- هل حقاً ستجري له مقابلة وظيفية الآن؟

(الرجل): لا أبداً.. إذا تخلصتما مما يسكن ذلك المنزل أعدك بأني  
سأعينه في وظيفة مرموقة بشرط أن يثبت نفسه ولا يتقاعس لأنه تعين  
بالواسطة

(عواد) بتحرج لي: لا داعي لذلك..

- لنحل مشكلة المنزل أولاً ثم ناقشني في الأمر

(الرجل) وهو يمد مفتاحاً لي: هذا هو مفتاح المنزل.. كم سيستغرق  
الأمر؟

- يعتمد ذلك على من يقطن منزلك.. قلتها وأنا آخذ المفتاح من يده

(الرجل): ماذا تقصد؟

- لقد قلت بأن منزلك مسكون.. من قصدت أنت بهذا الكلام؟

(الرجل): لا أعرف.. جن ربياً.. هل هناك غيرهم؟

- لنتمنَّ أنهم جن وليس شيئاً أسوأ

(الرجل): أسوأ مثل من؟

تجاهلت سؤاله وسرت تجاه المنزل بعد ما أشرت لـ(عواد) بأن يتبعني  
وقلت للرجل: يمكنك الرحيل الآن وستصل بك بعد ما تنتهي..

خلال وقوفنا أمام المنزل ننظر إليه بصمت رُفِعَ أذان صلاة المغرب  
فقال (عواد): ما رأيك أن نصلي قبل أن ندخل؟

- اقتراح جيد.. قلتها ونظري منصب على نوافذ المنزل..

(عواد): هيا بنا إذا المسجد قريب من هنا..

- اذهب أنت وسوف أكون بانتظارك بالداخل.. سأترك لك  
الباب مفتوحاً لكن تثبت من إغلاقه بعد دخولك

(عواد): أأصلّي؟

- سأصلّي في الداخل..

(عواد): الصلاة في المسجد أفضل

- وهل منعتك من الذهاب؟.. قلتها دون أن أحيّد بنظري عن المنزل

(عواد): لا ولكن.. أريد أن تحظى بأجر صلاة الجماعة

- ابقَ معي إذا وصلَّ معي داخل المنزل

(عواد): لكن..

سرت نحو الباب قبل أن يكمل (عواد) حديثه فأنا لم أكن مستعداً لخوض نقاش معه عن فضل صلاة الجماعة..

فتحت الباب المقفل وقبل أن أدخل وجدت (عواد) خلفي يهّم بالدخول فقلت له: ألن تذهب للمسجد؟

(عواد) مبتسماً: لا.. لا أريد أن أحرّمك من فضل الجماعة وسأصلي

معك

- حسناً لكن تحقق أنك على طهارة كي لا يضيع الأجر.. قلتها مبتسماً

ضحك (عواد) وهو يغلق الباب لكن ضحكته توقفت عندما ضحك شخص أو شيء آخر معه.. كان صوت الضحكة آتياً من بعيد لكنه في حدود المنزل ولم يكن من الخارج.

(عواد) وهو مرعوب: هل سمعت ما سمعت؟

- نعم.. يبدو أننا لن نضطر للبحث عنهم كثيراً

(عواد) بجزعٍ شديد: نبحث عن من؟!.. من أصدر تلك الضحكات!؟

- ما بك؟.. لم أنت مرعوب هكذا؟.. ألم تكن هذه رغبتك؟

(عواد): رغبتى؟!.. رغبتى فى ماذا!؟

- فى التعمق فى العلم.. قلتها وأنا أسير نحو مدخل المنزل الآخر

(عواد) يلحق بى بخطواتٍ متسارعة ويلتفت حوله يميناً ويساراً: وما علاقة ذلك بما يحدث الآن؟

- أنت مقبل على ما هو أسوأ فكن مستعداً..

دخلنا للمنزل وقد كانت جميع الأنوار مغلقة فهم (عواد) بإشعالها

لكنى منعته وقلت: هل أحضرت الشموع التى طلبتها منك؟

(عواد) وهو يخرج ثلاث شمعات سوداء من جيبه: نعم

- أشعل واحدة واستعن بها لتنير طريقك فى المنزل ولا تشعل أياً

من الأنوار لأى سبب هل تفهم؟

(عواد) بتوتر: لماذا؟

- هذا ليس وقت الجدال يا (عواد) نفذ فقط.. قلتها وأنا آخذ

شمعة من يده

أشعل (عواد) الشمعة التي معه بولاعة أخرجها من جيبه..

(عواد) وهو يحمي لهب شمعته بكفه وينظر إلي: ماذا الآن؟

- هل تحتاج أن تتوضأ لنصلي؟

(عواد): حتى لو لم أكن أحتاج لذلك أريد أن أجدد وضوئي

- حسناً.. ابحث عن دورة المياه وتوضأ وأنا سأكون بانتظارك هنا

(عواد): ألا تريد إشعال شمعتك أنت أيضاً؟

- لا.. ليس الآن

بدأ (عواد) يستكشف الغرف في الطابق السفلي بحثاً عن الحمام وبعد

بحثٍ قصيرٍ مستعيناً بالشمعة السوداء في يده وجد دورة المياه ودخلها

وبقيت أنا جالساً في غرفة المعيشة أنتظره. بعد دقائق خرج (عواد) وقال

وهو يسير نحوي: هل أنت جاهز؟

- نعم.. أين القبلة؟.. قلتها وأنا أنهض من مكاني..

(عواد) وهو يلتفت حوله ثم يشير لأحد الاتجاهات: أعتقد أنها بهذا

الاتجاه

- تعتقد؟

(عواد): لا لا ، أنا واثق

- حسناً أقم الصلاة كي نبدأ بعملنا

نفخ (عواد) لهب الشمعة وأطفأها ثم وضعها في جيبه الأمامي وبدأ  
في إقامة الصلاة..

بعد ما انتهى أشرت له بأننا سنصلي على السجادة الكبيرة التي  
توسطت غرفة المعيشة فقال: هل تظن أنها طاهرة؟

- لا تضيع الوقت يا (عواد) وكبر

(عواد): ألن تكون أنت الإمام؟

- ولم لا تؤمنا أنت؟

(عواد): أريد سماع قراءتك

- هل هذا اختبار تلاوة؟.. قلتها بتهكم

(عواد): لا أبداً لكنني أريد سماع قراءتك للقرآن فأنا لم أسمعك تقرأه

من قبل

هزرت رأسي وأنا أبتسم من تصرفات (عواد) الغبية وكبرت وبدأت

بالقراءة بصوت جهوري..

وقف (عواد) على يميني وكبر..

بعد ما انتهيت من قراءة الفاتحة بدأت بقراءة أول سورة «البقرة»

عمداً وخلال قراءتي بدأ (عواد) يتحرك وكأنه يقاوم شيئاً ما حتى قطع

صلاته وهو يصرخ قائلاً: هناك شيء يشدني للخلف!!

قطعت صلاتي أنا أيضاً وقلت: جيد.. هم جن إذاً

(عواد) وهو مرعوب ويتنفس بثقل: عن ماذا تتحدث؟! .. من الذي شدني؟!!

- اسمع.. ليصل كل منا منفرداً ولنبدأ بسرعة

(عواد): نبدأ في ماذا؟!!

تجاهلته وكبرت وصليت وحدي..

انتهيت من صلاتي وسلمت التسليمتين ورأيت أن (عواد) لم يصل بل أشعل شمعته وبقي واقفاً خلفي يحدق بي مرتعباً.

- ماذا تفعل؟! .. لم لم تصل؟

(عواد) بتوتر شديد: كيف أصلي؟! .. هذا المكان ليس آمناً!!

نهضت من مكاني وأخذت الشمعة من يده وقلت: صل وأنا سأقف خلفك لا تقلق..

كبر (عواد) وصلّى على عجلة وبدون أي خشوع وبعد أن سلم نهض بسرعة وخطف الشمعة من يدي وهو يقول: هل ستخبرني الآن عن ما يحدث؟!!

- ليس هنا.. يجب أن نستكن..

(عواد) بتساؤل: نس... ماذا؟

سرت نحو السلام المؤدية للطابق العلوي و(عواد) المتوتر خلفي وصعدت وبدأت أفتح الغرف واحدة تلو الأخرى وصاحبي المرعوب

يقف ورائي بتلك الشمعة السوداء حتى وجدت ضالتي وقلت: هنا مكان مناسب؟

(عواد) بقلق: مناسب لأي غرض؟

نفخت الشمعة التي كانت بين يديه فصرخ قائلاً: لم فعلت ذلك!؟

- حافظ على هدوئك فهذا ليس وقتاً مناسباً لتفقد فيه أعصابك..

مهما حاولت تهدئة (عواد) لم يجد ذلك نفعاً وكان لا بد أن أجد طريقة مناسبة أخفف بها من توتره قبل أن يواجه الأمر الذي يستحق الخوف بالفعل ويفقد عقله. كان يجب أن أتحدث معه وأشرح له قليلاً مما كان يحدث حوله فالجهل أساس الخوف. دخلنا لتلك الغرفة المظلمة التي اخترتها لخلوها من الأثاث وجلسنا على الأرض مسندين ظهورنا لأحد جدرانها بعد ما أغلقنا بابها وبقينا صامتين لثوانٍ في العتمة حتى تحدث (عواد) في ذلك الظلام الدامس وقال: أرجوك.. قلبي لا يحتمل ما يحدث..

- لم يحدث شيء لتكون بهذه الحالة يا (عواد).. ثم ماذا حدث لرغبتك في تعلم المزيد من العلوم؟

(عواد) بنبرة حانقة وصوت خفيض مكتوم: أي علم!؟.. أنا لم أتعلم

شيئاً منذ قدومنا إلى هنا سوى أنواع وألوان الفرع!

ابتسمت في العتمة وقلت: ماذا تريد أن تعرف؟.. تفضل اسأل ما

شئت؟

(عواد) بعصبية وبصوت هامس: من شدني خلال الصلاة؟!.. ولم طلبت شموعاً سوداء؟!.. هل هذا سحر؟!.. هل العلم الذي ستلقني إياه سحر؟!.. إذا كان كذلك فأنا لا أريد تعلمه!.. ولم دخلنا هذه الغرفة؟!!

ضحكت.. أضحككتني الحالة التي كان بها (عواد) ولم أجبه..

(عواد): لا تضحك وأجيني!

- الإجابة المختصرة لكل هذه الأسئلة هي أنني كنت أريد أن أعرف نوع الكينونة التي تسكن هذا المنزل..

(عواد): كينونة؟

- نعم.. عما إذا كانوا جنّاً أم شياطين والحمد لله أنهم جن لأن ذلك سيسهل مهمتنا إلى حدّ ما

(عواد): هل تعني أن من شدني خلال الصلاة كان من الجن؟!!

- نعم ويبدو أنه لم يلحق أن يصلي المغرب وأراد أن يحظى بأجر الجماعة مثلك.. قلتها ممازحاً (عواد)..

(عواد) بعصبية: لا تمزح في مثل هذه الأمور فقلبي لا يزال يدق بسرعة وقد يتوقف في أي لحظة!

- من الواضح أنك لست مستعداً لهذه المرحلة..

(عواد) مستجمعاً نفسه: لا.. لا.. سأصمت

- لا أريدك أن تصمت.. أريدك أن تستوعب..

(عواد): أستوعب ماذا؟

- ما رأيك أن تأخذ فكرة عن الكينونات التي نتعامل معها خلال انتظارنا؟

(عواد) بقلق: انتظارنا ماذا؟

- دعك من ذلك الآن.. أجبني الآن.. هل تعرف الفرق بين الجن والشياطين ومراتبهم؟

(عواد) بنبرة مرتعبة: هل من الضروري أن نتحدث عن هذا الموضوع في هذا المكان المظلم؟

لم أكن أستطيع رؤية ملامح (عواد) وهو يتحدث معي بسبب العتمة لكنني كنت أبتسم وأنا أتخيل وجهه المرعوب وقلت: هذا أنسب وقت للحديث عن هذا الموضوع..

(عواد) وأنا أسمعه يبلع ريقه: حسناً.. لا.. لا أعرف الفرق بينهما

- لنبدأ بالجن ومراتبهم حيث إنها الأقل تعقيداً..

(عواد) وهو لا يزال متوتراً: توكل على الله..

ابتسمت وقلت: الجن خلق مؤمنون على العموم مع بعض الاختلافات كما في البشر ومراتبهم تعتمد على العمر أكثر من المكانة فكلما عمرَ الجنى أصبحت مكانته أعلى ولكن ليس بالضرورة أن يكون

ذا شأن بين أقرانه فالجن يتبعون النظام القبلي فقط وليس لهم أي تنظيم آخر يجتمعون تحته، فشيخ القبيلة هو أعلى المراتب التي يمكنهم الوصول إليها بين الجن وغالباً يتم تناقلها بالنسب ومن المؤلف رؤية جني بعمر صغير يحكم قبيلته من بعد أبيه. الغدر والانقلاب على الشيوخ نادر جداً بين الجن فهم يقدرون شيوخهم ومن ينحدر من أنسابهم وقد تجد قبائل تُحكم من النسل نفسه لثلاث السنين. انتقال الحكم من نسبٍ لآخر يحدث بالتنازل أو بالاندماج مع قبيلة أخرى ولا تراه يحدث بسبب حرب أو غزو إلا في حالات خاصة ونادرة وظروف ضيقة جداً.

(عواد): طيب..

ضحكت وقلت: ما بك؟.. لا تبدو سعيداً كعادتك لتلقي معلومات

جديدة

(عواد): وأي سعادة تريد مني الإحساس بها وأنت تقول مثل هذا

الكلام وفي هذا المكان؟!

- يجب أن يكون قلبك أقوى من ذلك يا (عواد)..

(عواد): ولم تجربني عن قبائلهم وشيوخهم وما إلى ذلك؟.. لا أفهم

الفائدة من هذه المعلومات

- ستعرف بعد قليل..

(عواد): كل كلمة تخرج من فمك توترني أكثر وأكثر

- أفهم من ذلك أنك لا تريد سماع بقية الكلام عن الشياطين  
ومراتبهم؟

(عواد): الأمر خرج عن سيطرتي الآن.. تفضل أكمل

- الشياطين كفرّة على العموم ولا يؤمنون بأي كتاب سماوي وهم  
خليط من أعراق منحدرّة من شيطانهم الأكبر ومن الجن الذين  
كفروا وهنا يختلف التصنيف فالشياطين التي تكون من أنساب  
الجن الكافرة تعامل معاملة مختلفة حتى وإن تناسلت لأجيال  
كثيرة يبقى نسبها الأصلي للجن عالقاً بها وهي التي تكون في  
تجمعات قبلية وتحكم بالمشيخة فقط.

(عواد) ونبرة الخوف لاتزال في صوته: ماذا عن الشياطين التي يعود  
نسبها للشيطان الأكبر كما أسميته؟

- الشياطين التي يعود نسبها للشيطان الأكبر أو ابنته (وله)  
يعاملون معاملة مختلفة معظم الوقت ويكون لهم السبق والأولية  
في أي منصب قيادي بين القبائل ومع مرور الوقت قرروا عزل  
أنفسهم عن طبقة الشيوخ بحمل لقب «الأمراء» وفصلوا  
أنفسهم في تجمعات قليلة من حيث العدد وكبيرة من حيث المقام  
لكنهم احتفظوا بمسمى «قبيلة» واستبدلوا بلقب «الشيخ» لقب  
«أمير» و«ملك».

(عواد): هل تتحدث بجدية أم أنك تحاول السخرية مني لإضاعة الوقت؟

- ولم أسخر منك؟

(عواد): لا أعرف لكن علمك أخذ منحى مختلفاً تماماً

- هل ترغب مني التوقف عن الحديث؟

(عواد) بتوتر: لا.. أكمل.. صمتك الآن سيزيد من توتري  
وهرطقاتك أفضل من الهدوء المؤلم

- حسناً.. بالرغم من البدايات المتواضعة لهذه التجمعات  
«الأميرية» إلا أن أعدادها ازدادت مع الوقت واختارت أن  
تكون لها تجمعات مختلفة وبعيدة عن قبائل الجن والشياطين  
المعروفة بتجمعها في الوديان والصحاري والجبال واختاروا  
أماكن لم تعهد لها تلك الكينونات من قبل مثل المدن المكتظة  
بالإنس وشواطئ البحار. هناك تقسيمات أخرى تخص شياطين  
البحر والجن القاطنين فيه لكن لن نتحدث عن هذا الموضوع  
الآن.

(عواد) برعب وتهكم: لم لا؟.. أنت فيما يبدو مستمتع باخافتي

بالحديث عن هذه الأمور في هذا المكان الموحش

- لأن الوقت قد حان كي نتفاهم مع من يقطنون في هذا المنزل

(عواد) بتوتر: ألا يوجد طريقة أسهل وأسرع غير ما نقوم به الآن؟

- بلى لكنني عاهدت نفسي ألا أعود لتلك الطرق أبداً

(عواد) وهو مرعوب: إذا كانت ستخرجنا من هنا بشكل أسرع فلا

تتردد في استخدامها

قلت مبتسماً: حتى وإن كانت مخالفة شرعية يا شيخ (عواد)؟

(عواد): لا تقلق سأزودك بمخرج شرعي مناسب

- ما هو؟.. قلتها وأنا لا أزال أبتسم..

(عواد): لا أحد ينكر أنك مجنون لذا قم بما تريد القيام به بلا تردد ولن

يلحق بك أي إثم فليس عليك حرج

ضحكت.. ضحكت بقوة من كلام (عواد) المرتعب وقلت: حسناً

توقف عن الكلام الآن لقد حان الوقت..

(عواد) بقلق: وقت ماذا؟

- اسمع يا (عواد).. مهما رأيت الآن فلا تصدر صوتاً هل

فهمت؟.. ابق صامتاً فقط..

(عواد) بتوتر: ما الذي سيحدث؟!

- مُد لي الولاة التي معك

مد (عواد) الولاة في الظلام فمددت يدي وحركتها حتى أمسكت

بها وأشعلت الشمعة السوداء التي كانت معي ثم قمت بقلب الشمعة

ليذوب جزء من رأسها على الأرض على هيئة نقاط تراكمت تدريجياً  
لأغرس قاع الشمعة بها وأثبتها أمامنا.

(عواد) وهو يراقب ما أقوم به بتعجب: ماذا تفعل؟

اعتدلت في جلستي وقلت لـ(عواد) وأنا أحرق بلهب الشمعة  
دون أن ألتفت إليه: يجب أن نحرق بلهب الشمعة دون أن نرمش قدر  
المستطاع كي نراه..

(عواد) بقلق شديد: نرى من؟!..! كف عن التلاعب بأعصابي!

قلت ونظري لا يزال منصّباً على لهب الشمعة: لا تتحدث وانظر  
للشمعة دون أن ترمش..

نفذ (عواد) ما أمرته به وبعد أقل من دقيقة حدث ما كنت أتوقعه  
وأنتظره فقد خرج من إحدى زوايا الغرفة المظلمة رجلٌ ملتحي بملابس  
لم تكن من زمننا فشاغته وعقاله وثوبه كانت مثل تلك التي ارتداها  
أجدادنا قبل مئة سنة وجلس أمام الشمعة وشاركنا التحديق بها بعدما  
خلع شماغه كاشفاً عن رأسه الخالي من الشعر. بالطبع لم يمر ما حدث  
على (عواد) مرور الكرام وكاد يُجرب كل شيء عندما قفز للوراء وكنتم  
صرخة بيده أطلق جزءاً يسيراً منها. بقيت أنا على حالي أحرق بلهب تلك  
الشمعة مع ذلك الرجل الذي حضر حتى تحدث وقال:

«رمي الرمذ لن يعيد غائباً ولن يصرف حاضراً»

أجبتة: «هُدم البئر وطُمر، ورحل المسافر بما حمل»

تبسم الرجل وحاد بنظره عن لهب الشمعة ووجهه نحوي وهو يقول: أفصح..

رفعت نظري عن الشمعة السوداء لكنني لم أنظر في عينيه بل وجهت نظري للأرض أمامي وقلت: أصحاب المنزل يريدونه..

(الرجل الغريب): لا حق لهم في مسقطنا..

- خذ العوض وارحل..

(الرجل الغريب): لا غريم لديبينا على سطحها..

- كم دبة في الدار؟

(الرجل الغريب): نسلي ونسلهم فقط..

- لن ترحلوا إذا؟

صمت الرجل الغريب واستمر بالتحديق بي لأكثر من دقيقة بصمت وأنا أنظر للأرض أمامي ثم قال: سنهجر البقعة..

اختفى بعدها وأدرت نظري نحو (عواد) الذي كان يحدق بي بأعين دامعة ويده لا تزال على فمه.. ابتسمت وقلت له: هيا بنا لقد انتهينا..

نهض (عواد) وخرج من الغرفة دون أن يقول شيئاً لكنني لاحظت أن خوفه تبدل لاستياء وكان من الواضح أنه غاضب لكنني تجاهلته ونفخت لهب الشمعة السوداء وأطفأتها ونهضت خلفه. عندما خرجت من باب

المنزل الرئيس كان الوقت قبل العشاء بقليل فأغلقتة بالمفتاح واستدرت لأرى (عواد) يقف بعيداً عند السيارة وعندما وصلت إليه وجدته سارحاً بوجه عابس فقلت له: أَلن نرحل؟

(عواد) بتجهم وهو يحرق أمامه: ألم يكن تشغيل القرآن في المنزل أولى مما قمت به؟

- هؤلاء جن مسلمون.. هل تعتقد أن كلام الله سيزعجهم؟  
حاول أن تستخدم عقلك أكثر يا (عواد)..

(عواد) بغضب: كلام الله أفضل من شعوذتك بتلك الشمعة السوداء!  
- هل تعتقد أن استخدامي لتلك الشمعة كان شعوذة؟.. قلتها بهدوء..

(عواد) وهو يصرخ ويوجه نظره نحوي: ماذا يكون غير ذلك؟!..  
كنت أظنك مجرد طيب شعبي أو روحاني يملك بعض العلوم المتقدمة على أكثر تقدير!.. لكن لم أتوقع أنك منغمس في السحر الذي من المفترض أننا نحاربه!

ابتسمت وقلت: أنت لست مستعداً يا (عواد).. لست مستعداً..

(عواد) بنبرة ساخطة: بالفعل لست مستعداً أن أصبح مثلك!

رُفِع أذان العشاء وخلالها بقينا ننظر بعضنا لبعض بصمت.. علمت وقتها أن تلميذي الأول قد طوى قيده وقرر أن يقدم استقالته لأنه لم يُطق معي صبراً..



## عودة (عواد) لعادته

بعد عدة أشهر من البطالة حصل (عواد) أخيراً على وظيفة بعد ما نفذ ذلك الرجل وعده بتعيينه في إحدى شركاته لكن تلك الوظيفة كانت في مدينة أخرى تبعد عن مدينتنا مسيرة ساعتين بالسيارة. كنا جميعاً سعداء لأجله وبالرغم من صدامي معه تلك الليلة بعد خروجنا من المنزل «المسكون» إلا أنه عبر عن حزنه لي ولأهلي لأنه سيبتعد عنا لكنه لم ينقطع عن عادة زيارتنا كل جمعة وتناول الغداء معنا عندما كان يزور مدينتنا لزيارة أهله وأهل زوجته.

لم يتوقف (عواد) عن ممارسة العلاج الروحاني لكن تواصله معي بشأن الحالات المرضية أصبح شبه معدوم لأن عمله في العلاج انتقل معه لتلك المدينة وأنا كنت مسروراً لذلك فلم أكن أريده أن يرتبط بي للأبد في هذا المجال واستقلاله كان أمراً مهماً بالنسبة لي خاصة وأنه لم يكن مؤهلاً أو راغباً بالانتقال للمرحلة الثانية واكتفى بذلك العلم فقط.

خلال عام من بعد تعيينه في تلك المدينة بدأت ألحظ عليه بعض التغيرات في كل مرة كان يزورنا فيها بعد صلاة الجمعة. أشياء بدأت

بسيطة لكنني لاحظتها مثل عودته لتربية لحيته وتغييره لسيارته لأكثر من مرة وفي كل مرة تكون سيارته أكثر غلاءً من السابقة. لم أثر الموضوع معه ولم أناقشه حتى قال بشكل عارض وهو يتحدث مع أبي ونحن نحتمي الشاي بعد غداء الجمعة بأنه قد اشترى منزلاً في حي راقٍ جداً في مدينته التي انتقل إليها مع زوجته فقلت له بدون تردد وأنا أحرق بقدر الشاي بيدي: من أين أتيت بالمال؟

توتر (عواد) وأجاب باجابة غبية كعادته عندما يُحاصر وقال: من راتبتي..

- لقد قلت للتو إنك دفعت قيمة المنزل بالكامل هل راتبك الشهري يتحمل ذلك؟

(أبي): الله يرزق بغير حساب يا بني

- لكن أنا سأحاسب هذا الاستغلالي..

(عواد) بغضب: ماذا تريد مني؟!.. لقد كنت خادماً لك لفترة طويلة ولم أعد بحاجتك الآن!

(أخي) باستغراب: ما الأمر يا (عواد)؟!.. لم أنت غاضب؟!.. أخي لم يقصد ما قاله

(عواد) وهو ينهض ويوجه كلامه لأخي بسخط: أخوك ساحر! وأنا لا أتشرف بمعرفته!

خرج (عواد) من المجلس بعد ما استأذن من أبي تاركاً الجميع في حالة من الدهول وأنا أبتسم وأراقبه وهو يرحل..

(أخي) بتعجب: ما الحكاية؟

- لا يوجد حكاية.. مرحلة وانتهت..

(أبي) بقلق: ماذا كان يقصد بكلمة ساحر يا بني؟

قلت مبتسماً: ربما قصد ملاحي التي ورثتها عنك

(أبي) وهو يبادلني الابتسام: هداكم الله جميعاً..

(أخي): لعله شرُّ أبعده الله عنك..

- ليس كل من يبعده الله عنك كان شرّاً لك فلربما كنت أنت

الشر الذي أبعده الله عنه

(أخي): ماذا تقصد؟

أشرت لأخي بأن يتبعني للخارج لأتحدث معه. خرجنا لفناء المنزل

وقبل أن أتحدث قال: ما به (عواد)؟ لم انفجر غضباً هكذا؟

- دعك منه الآن أريد الحديث معك بأمرٍ آخر

(أخي): ما هو؟

- ما بها أمي؟

(أخي): أمي؟.. ماذا تقصد؟

- لقد دخلت عليها أكثر من مرة هذا الأسبوع ورأيتها تبكي

(أخي): لا أعرف لم ألاحظ ذلك.. هل جربت سؤالها؟

- أنت تعرف أمي.. لن نخبرنا بما يضايقها مهما فعلنا

(أخي): لم لا تجرب سؤال أبي؟

- لا.. لا أريد أن أقلقه ولا أظن أن له علاقة بالموضوع

(أخي): لقد أقلقني أنا بكلامك..

- انسَ الموضوع لقد سألتك فقط قبل أن أتصرف

(أخي): تتصرف؟.. ماذا تنوي أن تفعل؟

- لدي حدس وأتمنى أن لا يصدق لكن على أي حال لا تثر

الموضوع مع أحد وخصوصاً أبي وأمي

(أخي): حسناً..

مساء ذلك اليوم قررت الجلوس مع أمي والحديث معها بشكل اعتيادي ومحاولة جر الموضوع نحو سبب بكائها المتكرر خاصة أول الصباح بعد ما تستيقظ من النوم فقد كنت أخشى شيئاً وللأسف صح توقعي.

تعليمي لـ(عواد) تلك العلوم الخاصة بعلاج السحر على مدى الشهور الماضية كان سيثير سخط أحد من العالم الآخر وكنت على يقين

من ذلك لكنني لم أهتم كثيراً لأنهم لن يتعرضوا لي بشكل مباشر خاصة بعد توقي عن قراءة طلاسهم وسد جميع الثغرات في حصاتي بممارسات أعرفها جيداً ونسبة تعرضهم لأحد من أفراد عائلتي أمرٌ مستبعد جداً لكنه حدث فكما أخبرتني أمي بعد تجاذب الحديث معها أن سبب بكائها هو أن جدي يزورها كل ليلة في المنام ويوبخها كثيراً ويلومها على أمورٍ لم تفعلها لذا شعرت بالضيق الشديد لذلك التوبيخ من شخصٍ أحبته كثيراً وكان راضياً عنها طيلة فترة حياته. تعبير الرؤيا التي سردتها علي أمي لم يكن مطمئناً فقد كانت فيه رسالة واضحة بأن تلك المضايقات ستستمر وتتطور لأمرٍ أسوأ بكثير.

عندما تمسكني من يدي التي تؤلمني لا تتوقع أني سأخضع لك بل سوف أقبض الأخرى وأوجهها بين عينيك.. أمي كانت وما زالت خطأً  
أحمر..



## الطين والنار

وعدت أُمي تلك الليلة بأن تلك الكوابيس لن تزورها مرة أخرى وأنها مجرد أضغاث أحلام وجدي رحمه الله يجبها وأن ما رآته لم يكن سوى من عمل الشيطان. ابتسمت لي وآلمني أني لم أرَ تلك الثقة في كلامي التي كنت أراها دائماً في عينيها مما زاد من سخطي على من كان يعبث بها وبثقتها بي.

صعدت لغرفتي وأغلقت الباب خلفي وفتحت صندوقاً لم أظن يوماً أني سأفتحه مرة أخرى. صندوقاً كان لا بد أن أخلص منه عندما هجرت ذلك العالم.. لكنني لم أفعل. احتوى الصندوق على كتبٍ من مكتبة (عمار) أهداها لي قبل رحيلي من منزله أول مرة وقد أخذتها مجاملة له بالرغم من أني قرأتها سابقاً في مكتبته لكنه وكما قال «إذا كنت لن تستخدمها فاعتبرها ذكرى مني..»

لقبوني بما تشاؤون.. ساحر.. مشعوذ.. دجال.. لقد تجاوزت مرحلة التأثر بالتصنيف وعقلي كان قد فسد وانتهى الأمر وهؤلاء الأوغاد لم يكونوا ليركوني وشأني مهما فعلت لذا أخذت كتاب «البيدق» بين يدي

وأمعنت النظر فيه لثوانٍ وأنا أتذكر حالتي عندما قرأته أول مرة. كتاب مظلم يفتح أبواب الشر على كل من يقرؤه وأبواب جهنم لكل من يردد طلاسمه لكنه يمنح تذكرة عبور للسؤال والمفاوضة وهذا ما كنت أريد الحصول عليه.

قرأت الطلسم الخاص باستدعاء نوع من الشياطين يعرفون بـ«المغاتير» وهم من قبيلة اختصت باستراق السمع في الماضي والاتصال بهم له تبعات سيئة لمن لا يجيد التعامل معهم ومع مراوغاتهم. بعد قراءتي للطلسم حضر الشيطان في الغرفة ولكنه لم يتشكل أمامي وقد تيقنت من حضوره من النسبات الباردة التي هبت فجأة في المكان. الشيطان غالباً يجتبر من يستدعيه ويحاول إثارة الخوف فيه لخلق ثغرات في حصانته ليمسه ولكني لم أترك له تلك الفرصة وبدأت أخاطبه وأمره بالتشكل. لم يستجب في بادئ الأمر فكررت طلبي وبدأت أسرد عليه أسماء شيوخ قبيلته فعلم أنني لست جاهلاً به فتشكل في الحال وقال:

«طين أم نار؟»

هذا السؤال الغرض منه معرفة نوع المعلومة التي أبحث عنها.. هل هي عن بشر من طين أو شيطان من نار. سؤال كان عن من يؤذي أمني بالكوايبس لذلك قلت له: طين.. منبتي.. من يهيم فوقها؟ ومن أرسله؟ (شيطان المغاتير): من يريد عودتك..

- ومن يريد عودتي؟

(شيطان المغاير): طين..

- بشر؟.. من هو؟

(شيطان المغاير):.. «الكف الأبيض»..

كنت أعرف صاحب هذا الاسم.. ساحر.. يقيم شمال الجزيرة. كانت أول مرة سمعت عنه فيها عندما كان (عمار) يسرد علي أبرز السحرة في المنطقة العربية عندما سألته عما إذا كان هناك سحرة آخرون مثله ويعلمه نفسه.

- وماذا يريد مني تحديداً؟

(شيطان المغاير): هذا علم لا أستطيع البوح به

- ستبوح به..

(شيطان المغاير): الأمر لصاحب الأمر وهو أعلى منك رتبة..

- وما أدراك برتبتي؟

(شيطان المغاير): «المغاير» لا يستعين بهم إلا من هم أدنى من

المستشارين.. «الكف الأبيض» مستشار وأنت لست كذلك..

ما لم يكن يعرفه ذلك الشيطان بالرغم من علمه المسروق أي قد

نُصبت في منصبٍ أعلى من ذلك منذ زمن طويل خلال الفترة التي

قضيتها مع قبيلة (جسار) ولكن استعانتني به كانت كي لا ألفت الأنظار

نحوي فكلما زادت رتب من أستحضرهم انتشر خبري أكثر عن طريق

المدونين وهذا ما لم أكن أريده وقتها لأنها كانت ستكون بمثابة الإعلان عن عودتي لذلك العالم وأخبار «المغاتير» لا تدون إلا عند قبائلهم فقط وعلمهم محدود فيما يختص بالمراتب الأعلى من المستشارين لذا قررت إنهاء الحديث معه وقلت:

- حسناً انصرف..

انصرف الشيطان ولم أستفد منه سوى معرفة من المتسبب بكوابيس أمي وعلمت أيضاً أن ما كان يقوم به مجرد تحذير بسيط للفت انتباهي وقد نجح. كنت مخيراً بين أمرين.. محاولة علاج وتحصين أمي وتجاهل (الكف الأبيض) أو زيارته ومعرفة ما يريده مني بالضبط وهو في الغالب دعوتي للعودة ضمن صفوفهم والعمل من بلدي كمنسوب لهم. علاج أمي لم يكن سيدوم إذا زاد ذلك الساحر من قوة هجماته عليها ولم أكن سأخاطر بذلك. ومسألة عملي عنده أو حتى معه لم أكن سأستسيغها لاحتقاري له ولأمثاله لذا قررت أن أرسل له ولغيره من سحرة الطين رسالة واضحة وصریحة.

أخرجت من الصندوق كتاب «العهد» الذي استخدمته لتسخير (جسار) زعيم قبيلة «الكثبان» فهذا الكتاب هو الوحيد من نوعه ولم يكتب (عمار) غيره وقد أخذته معي في الفترة التي عدت فيها لبلادي بعد هزيمة (ملاس) على يد (جسار). الكتاب حوى في معظمه طلاس تسخير لشيوخ وقبائل الجن والشياطين والتعامل معه خطراً جداً لأن أي

تسخير أو تقييد لشيطان برتبة عالية سيعتبر مهانة وسيثير قبيلته كلها علي  
وسأدخل في متاهة جديدة.

قد يستغرب البعض لكنني لم أقرأ الكتاب بالكامل منذ أن عدت به في  
الماضي فلم يكن لذلك حاجة عندي واحتفاظي به كان لقيمه المعنوية فقط  
لكن بعد أن قررت التعامل مع ساحر مثل «الكف الأبيض» اضطررت  
لقراءته بحثاً عن وسيلة لردعه ووجدتها. الحل كان بتسخير شيخ قبيلة  
تعرف بـ«المراجيم» وهم قبيلة مختلطة من الجن والشياطين يستعين بهم  
السحرة لإيذاء الناس وقتلهم أحياناً فهم كالقتلة المأجورين ولا يحملون  
ولاءً لأحد ولا أحد من القبائل الأخرى تدين لها بأي عهد أو حماية لذا  
كانت السيطرة على شيخهم بمثابة السيطرة على القبيلة بأكملها لكن  
المشكلة تكمن في أنني لا أستطيع تحريره أبداً لأنني لو فعلت فسيفتص  
مني مباشرة ولن أستطيع ردع قبيلته بالكامل من إيذائي وإيذاء أهلي.

الطلمس لم يكن سيعطي أي أثر إلا على شيخ القبيلة فقط ولو مات  
لأي سبب ينتقض العهد ولا ينتقل لمن سيرته لكن كون أعمار الشياطين  
تمتد لمئات السنين لم يكن هذا الأمر مصدر قلق لي وقتها.

لم أكن سأحاول تسخير شيخهم والذي عُرف بـ(غيبان) في منزلي  
فالأمر ليس بتلك السهولة ومن المؤكد أنه سيصرخ ويعوي كما يفعل كل  
شيخ أو سيد يتم ربطه. تسخير شيوخ الجن والشياطين يتم بالإقناع خلال  
تقييدهم وفرض قوتك عليهم لذا يجب أن تختار من تقيد بعناية فبعضهم

تأخذه العزة بالإثم ويفضل الموت على أن ينصاع لبشر فد(جسار) لو لم يكن موافقاً على تسخيره لما استطعت ذلك حتى مع طلسم الربط في كتاب «العهد» فهو من أرشدني على الكتاب وطلب مني تسخيره لإنقاذ أخته (جند) من (ملاس) وهذا سبب تجاوبه السريع معي وقبوله طوعاً بالخضوع والتسليم لي.

أخذت إجازة من عملي لمدة ثلاثة أيام وأخبرت أهلي أنني ذاهب مع أصدقائي في رحلة خلوية وهذا أمرٌ طبيعي أقوم به من وقتٍ لآخر. اختيار المكان كان مهماً فأنا لا أعرف كم المدة التي سأحتاجها لتسخير هذا الشيطان خاصة وأنه يقود قبيلة من التمردين ولا شك أنه عنيد وسيقاوم كثيراً فقد تترواح بين ساعة إلى أيام على حسب مقاومته. خرجت بسيارتي للصحراء وأشعلت ناراً في المساء وبقيت أستمتع بجمال المكان والسماء وأنا أحتسي بعض الشاي الذي أحضرته معي حتى انتصف الليل ثم قرأت الطلسم الخاص بتحضير وتقييد شيخ قبيلة «المراجيم» وحرصت أن لا أحضر كتاب «العهد» معي وحفظت الطلسم عن ظهر قلب وبالفعل ما أن انتهيت من الطلسم حتى تحركت ألسنة لهب النار التي أشعلتها سابقاً بقوة عم بعدها هدوء غريب. انتظرت حدوث شيء لكن طال الهدوء ولم تأتِ العاصفة. اعتقدت بعد مرور مدة من قراءتي للطلسم أنني أخطأت بشيء ما لكن فجأة وقبل أن أراجع نفسي ظهر أمامي بعيرٌ أسود يتقلب ويصرخ على الرمال فعلمت أن شيخ «المراجيم» قد حضر.

اقتربت منه وبدأت بالتحدث معه بصيغة سيادية أمرّة لكنه لم يرد أو يستجب لي وبقي يتلوى على الأرض ويصرخ بصوت بعير.

جلست أمامه بهدوء وبدأت أتحدث معه وأخبره بأني أعرف من يكون وأنا من حضره وقيده وهو الآن تحت سيطرتي لكنه استمر بالتظاهر بأنه بعير طبيعي لأنه لم يكن مستوعباً ما يحدث له وكيف أتى لهذا المكان بتلك الحالة. كنت متوقفاً هذا النكران من شيخ قبيلة كبيرة مثل «المراجيم» لذا نهضت وبدأت بتسخين سيخ حديدي أحضرته معي في النار. مع احمرار طرف السيخ سرت عائداً نحو البعير الأسود وحدث ما كنت أتوقعه فقد توقف فجأة عن الصراخ والحركة ولف عنقه الطويل باتجاهي وقال بصوت بشري: إياك أن تمسني بتلك النار..

ابتسمت ورميت السيخ جانباً وقلت: جيد يمكننا الحديث الآن يا شيخ (غيبان)..

(غيبان): أي ساحر مجنون يربط شيخ الـ«مراجيم»؟

- أنا لست بساحر..

(غيبان): من أنت يا طين؟

- أنا (خوف)..

(غيبان): الخوف هو أقل ما سيصيبك وسيصيب قبيلتك بأكملها عندما أتحرك..

- حسناً كي لا نضيع الوقت بتهديدات فارغة.. أريدك أن تقوم  
بأمر مالي..

الشياطين تهاب الثقة لذلك شيخ «المراجيم» لم يقاوم كثيراً واستوعب  
بسرعة أنه تحت سيطرتي ورؤيته لذلك الشيخ أكدت له أنه يتعامل مع  
شخص يعرف ما يخيفهم ويؤذيهم فقال بهدوء: ماذا تريد؟

جلست أمامه وقلت: هل تعرف ساحراً باسم «الكف الأبيض»؟

(غيبان): نعم.. نتعامل معه.. «ساحر النهرين» هو لقبه الآخر..

- ستوقفون التعامل معه وستمنعون غيركم من التعامل معه أيضاً  
ومع أي ساحر في منطقته

(غيبان): أنا أفترض أنك تعرف قوانيننا.. مثل هذا الأمر سنعاقب

عليه..

- من سيعاقبك؟

(غيبان): القبائل الأخرى..

- أنتم قبيلة منشقة ولا تأبهون للقبائل الأخرى..

(غيبان): ولم أقوم بذلك؟.. من أنت كي أنفذ أمرك؟

- بعد ما تعاهدني على الولاء لن تحتاج سبباً..

(غيبان) بهدوء: اقتلني..

- هل أنت مستعد لآخرتك؟

(غيبان): هل أنت مستعد لها يا ابن آدم؟

نهضت ووقفت أمام شيخ «المراجيم» وقلت: لا تلعب هذه اللعبة معي وعاهدني الآن وإلا أرسلتك لآخر مكان تريد الذهاب إليه أيها المعمر..

حرك (غيبان) عنقه الطويلة وقَبَّلَ الرمال بين أقدامي وهي إشارة صريحة لخضوعه تحت إمرتي. حللت رباطه بطلمس آخر فنهض وبدأ بالسير نحو النار وعندما وصل للهبها المشتعل نفخ عليها وأطفأها وبدأ يأكل جمرها المتقد بصمت. سرت عائداً نحو سيارتي بعد ما أخذت الحصيرة وحافظة الشاي اللتين أحضرتهما معي وعدت للبيت.

وصلت قبل الفجر ولم أتوقع أن أجد أحداً مستيقظاً في تلك الساعة ولكنني وجدت أمي وحدها في غرفة المعيشة تجلس بهدوء وعندما رأتهي قالت: لقد عدت باكراً من رحلتك..

- لم أنتِ مستيقظة يا أمي في هذا الوقت؟.. قلتها وأنا أجلس بجانبها..

(أمي): لا شيء.. فقط لم أشعر بالنعاس..

- لا تقلقي ستنتهي تلك الكوابيس قريباً أعدك بذلك..

رُفِعَ الأذان لصلاة الفجر ونهضت أمي لتؤدي الصلاة وصعدت أنا

لغرفتي..

للإجابة على السؤال الذي خطر ببال «البعض» للتو وهو «هل صليت؟».. نعم صليت.. ونعم قد يقال إنه تناقض أو إن هذه الصلاة لن تقبل ولا نفع منها ولكن أنصح بتجاوز هذه المرحلة من الوصاية على الناس.

مضت الأيام ولم أكن أعرف ما إذا كان شيخ «المراجيم» قد نفذ ما أمرته به لكنني لاحظت تحسناً في مزاج أمي وأنها بدأت تنام بلا قلق وتحققت من ذلك بعد سؤالها وإخبارها لي بأنها لم تعد تشاهد أي منامات مزعجة.

عادت كتب (عمار) للصندوق وعدت معها لحياتي الروتينية مرة أخرى وكنت مستمتعاً بها دون منغصات تُذكر بالرغم من أن فكرة ارتباط شيخ «المراجيم» بي كانت تضايقني من وقتٍ لآخر لأنها صلة ما زالت تربطني بذلك العالم ولا أستطيع التخلص منها دون تعريض نفسي وأهلي للخطر لذا حاولت تجاهلها كلما طرأت على بالي وكنت على يقين أن (غيبان) لن يتركني وشأني وسيحاول بطريقة ما تحرير نفسه من قبضتي ليقتنص مني.

## المُطَوِّعَة

حلت إجازة الصيف بما تحمله من فترة هدوء أعشقها فعزلتي هي أكثر عادة أقدسها لدرجة أنني خلال الإجازات الصيفية لا أتردد كثيراً على أصحابي في المساء لأن ربط الليل بالنهار في ممارسة العزلة والصيام من الأمور التي من النادر جداً أن أجد لها وقتاً بدون إزعاج. تواصلتي البشري في تلك الفترة كان مقصوراً على أهلي فقط خاصة مع من يبذل عناء الصعود لغرفتي ذات الجدران السوداء المصمتة. دخلت أمي علي عصر أحد تلك الأيام التي كنت فيها منعزلاً وصائماً عن الحديث مع الناس والطعام فقط دون الماء وفي يدها مبخراً مشتعل وبدأت تُبخر المكان وأنا على سريري أراقبها بصمت ممسكاً كتاباً بين يدي. تحدثت مع نفسها وأخذت تتذمر من بشاعة غرفتي كعادتها وترتب المكان خلال عملية التبخير وأنا صامت ولا أرد كي لا أكسر صيامي. عندما وجهت أمي الحديث لي حاولت جاهداً أن أجيبها بالإيحاءات لكن إصرارها علي بالرد دفعني لكسر الصيام والقول مبتسماً: ماذا تفعلين يا أمي؟

(أمي): أبخر غرفتك التي لا يدخلها الهواء.. لا أفهم لم جعلتها

هكذا؟ طمست النوافذ ومنعت دخول نور الشمس إليها وحولتها إلى  
قبر

- هل سنتناقش في الأمر مرة أخرى؟.. كان حديثي معها دائماً  
بابتسام دون عبوس أو تجهم..

(أمي): البخور سيطرد الشرور من الغرفة..

- في الواقع لم يثبت علمياً أو شرعياً أن البخور له تأثير إيجابي بل  
على العكس تماماً يا أمي.. الشيء الوحيد الذي قد تطردينه من  
هنا هو أنا لأنني بدأت أحس بالاختناق..

(أمي): أريد الحديث معك في موضوع.. قالتها وهي لا تزال ترتب  
المكان بعد أن وضعت المبخر على المنضدة..

- أعرف الموضوع فأنت لا تثيرينه إلا مع إشعال البخور خاصة  
كل جمعة..

(أمي): وما مشكلتك مع هذا الموضوع؟.. ما الذي يمنعك؟

لم أجب عليها ونهضت من فراشي وقبلت رأسها وخرجت من الغرفة  
فصيامي قد كُسر وانقطعت عزلتي..

كان ذلك نهاية عصر يوم الجمعة.. أذكر ذلك جيداً لأنني لم أشارك  
أهلي الغداء ذلك اليوم.. نزلت للطابق السفلي ووجدت أخي يشاهد

التلفاز فجلست بجانبه ولم أتحدث معه وشاركته المشاهدة. بعد دقائق من الصمت قال: لقد رأيت (عواد) اليوم؟

- ماذا؟.. (عواد)؟

(أخي): نعم.. رأيت عند باب منزلنا عندما خرجت لرمي القمامة قبل ساعة

- وماذا كان يريد؟

(أخي): لا أعرف.. قمت بالسلام عليه ودعوته للدخول لكنه رفض وركب سيارته ورحل

- ماذا كان يفعل خارج المنزل؟

(أخي): أعتقد أنه كان ينتظر ك ويريد مقابلتك

- هل قال ذلك؟

(أخي): لا لكن لا يوجد تفسير آخر لوقوفه بهذا الشكل

- لم لم يطرق الباب أو يتصل بي؟

(أخي): هاتفك مغلق منذ أيام هل نسيت؟

- نعم كنت في عزلة..

(أخي): لا أظنه أراد طرق الباب كي لا أراه أنا أو أبي بتلك الحالة

- أي حالة؟

(أخي): كان يلبس نظارة سوداء لكن من الواضح أنه تعرض لضربٍ  
مبرح فزرقة الجلد حول عينه كانت جليلة وأعتقد أن شفتيه مجروحتان  
أيضاً

- يبدو أنه نال ما يستحق من أحد زبائنه الذين يجتال عليهم  
(أخي): ربما..

دار الحوار بيني وبين أخي دون أن يلتفت أحدنا على الآخر بل كنا  
نتابع البرنامج المتلفز ونتحدث بهدوء وأريحية عن الموضوع لكن بعد ما  
صمتنا شعرت بالقلق على ذلك الأبله. حاولت تجاهل شعوري بالاهتمام  
وإقناع نفسي بأنه يستحق ما حدث وسيحدث له لكنني في النهاية فتحت  
هاتفي واتصلت به وخرجت لفناء المنزل للتحدث معه بعيداً عن أخي.  
(عواد): مرحباً..

- أهلاً (عواد).. كيف حالك؟

(عواد): الحمد لله.. كيف حالك أنت؟

- أين أنت؟

(عواد): في منزلنا أزور أبي وسأعود اليوم

- هل زوجتك معك؟

(عواد): لا.. قمت بإيصالها لبيت أهلها وسأعرج بها خلال عودتي

- يقول أخي بأنك مصاب..

(عواد): خرجت من المستشفى بالأمس..

- لماذا؟.. هل تعرضت لحادثٍ ما؟

بدأ (عواد) بالبكاء بطريقة غريبة.. بطريقة مؤلمة مليئة بالقهر فأخبرته  
بأنني قادم إليه فلم يرد علي واستمر في البكاء..

وصلت لمنزله الذي لم أزره إلا مرة واحدة عندما عرج (عواد) به في  
إحدى المرات لأخذ شيء ما خلال ذهابنا لإحدى الحالات ولم أدخل  
لداخل منزله قط. قرعت جرس الباب ففتح لي ورأيت وجهه بحالة  
مزرية كما وصف لي أخي وأسوأ فبياض إحدى عينيه كان محمراً ومتجلطاً  
فقلت له:

- أي مصيبة أوقعت نفسك فيها أيها الأحمق؟

أجابني بحزن: لندخل للمجلس أولاً وسأحكى لك كل شيء.

دخلنا للمجلس وبدأ بالحديث مباشرة: بالطبع تعرف أنني بدأت  
أعالج الناس بمقابل في آخر لقاء كان بيننا.. جنيت الكثير من المال  
وكسبت أيضاً شهرة وذاع صيتي لخارج البلاد لدول الخليج المجاورة  
ومنها بدأت تنهال علي طلبات علاج بمبالغ خيالية أكثر بكثير مما كنت  
أتقاضاه هنا ولم أستطع مقاومة إغرائها.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

(عواد): اتصل بي شخص من دولة خليجية وقال بأنه يريد مني علاج

ابنته التي تعاني من سحر فسألته عن الأعراض فوجدت أنها تتطابق مع  
أعراض عاجنها أنا وأنت في السابق  
- أي حالة؟

(عواد): تلك التي كانت تعاني من سحر مدفون والذي وجدته أنت  
تحت الشجرة في فناء منزلها

- وهل كانت مسحورة بسحر مدفون بالفعل؟

(عواد): بالطبع لا.. ألا ترى وجهي؟

- هل ما حدث لوجهك له علاقة بتلك الفتاة؟

(عواد): سأكمل لك وستفهم .. تحمّل والدها نفقات سفري وأرسل  
سيارة لتقلني من المطار فقد كان فاحش الثراء وهذا ما زاد من حماسي  
أكثر لعلاج تلك الحالة بنجاح فهذا بلا شك سيزيد من دائرة زبائني من  
الطبقات المخملية وسأترك علاج متوسطي الدخل للأبد فالمبلغ الذي  
كنت سأحصل عليه منه يعادل ما كنت أتقاضاه من مئة حالة من الحالات  
الأخرى

- ألم تفكر بأنه لم يعرض مثل هذا المبلغ إلا أن حالتها كانت  
مستعصية أم ظننت أنه ساذج؟

(عواد): نعم بالفعل أعتقدت أنه لم يجد معالجاً مناسباً أو أنه غير مُلم  
بالأسعار التي كنت أعالج بها لذا بدا لي عرضه سخياً جداً

- أكمل.. ماذا حدث بعد ما وصلت لمنزل الفتاة؟

(عواد): قصر.. لم يكن منزلاً.. كان قصراً بمعنى الكلمة.. سور عظيم.. حديقة ضخمة جداً.. استغرقتنا الوصول للبوابة الرئيسة بعد تجاوز بوابة السور دقيقة كاملة بالسيارة

- أنت كما أنت يا (عواد).. تنبهر بالأشياء اللامعة.. قلتها مبتسماً..

(عواد): لقد دفعت ثمن هذا الانبهار لا تقلق..

- دعنا من القصر وضخامته وادخل في صلب الموضوع

(عواد): حسناً.. بعد مقابلة قصيرة مع أمها وأبيها وشرحها الموجز عن حالتها طلبت منها مقابلتها فأخبروني بأنها لا تقيم في القصر بل في أحد الملاحق التابعة له.. كان هناك أربعة ملاحق على ما أتذكر وجميعها كالفلل الصغيرة المجهزة بالكامل.. استغربت في بادئ الأمر من أن لا أحد منها أراد الذهاب معي بل اكتفيا بالطلب من أحد العاملين في القصر إيصالي لها وحتى هو لم يدخل معي فقد أوصلني ورحل بعد ما أشار بأصبعه لباب الملحق.. طرقت الباب ولم يجيني أحد وعندما وضعت أذني على درفة الباب سمعت صوتاً خفيفاً لأغنية أجنبية صاحبة بدالي أنها آتية من غرفة بعيدة.

- وماذا فعلت؟

(عواد): لحقت بالعامل الذي أوصلني لأنه عاد سيراً على قدميه

وعندما شرحت له الوضع قال لي «يمكنك الدخول مباشرة فالباب غير مغلق»

- تدخل دون استئذان؟

(عواد): هذا ما قاله لي وهذا ما قمت به وما أن دخلت حتى ازدادت قوة صوت الأغنية التي سمعتها سابقاً وكانت آتية من الطابق العلوي فصعدت درجات السلم بحذر حتى وصلت واستطعت تحديد الغرفة التي كان يصدر منها الصوت وطرقت الباب برفق في المرة الأولى وعندما لم أجد استجابة طرقته بقوة أكبر فتوقفت الأغنية وعم الهدوء المكان.

- ودخلت؟

(عواد): ترددت في بادئ الأمر لكنني أدت المقبض وفتحت جزءاً من الباب بعد ما استأذنت بقول «هل يوجد أحد هنا؟».. رد علي صوت أنثوي قائلاً «ادخل..» فتحت درفة الباب بالكامل وأخذت خطوتين فقط ورأيت فتاة غريبة الشكل تقف محذقة بي بتجهم.

- لم قلت إنها غريبة؟

(عواد): شكلها.. هيئتها.. كانت تلبس ملابس غريبة وجسدها نحيل جداً، عيناها مكتحلتان بشكل مبالغ فيه وأظافرها طويلة ومطلية باللون الأسود والوشوم تملأ ذراعيها ورقبتها. لو أنها لم تتحدث معي بالعربية لظننت أنها أجنبية.. أخذت نفساً من سيجارة كانت بين أصابعها

ونفخت دخانها تجاهي وقالت «هل أنت الشيخ الذي سيقراً علي؟»..  
ارتبكت وقلت «أنا هنا لمساعدتك..» أخذت بعض الخطوات نحو أريكة  
سوداء في الغرفة وجلست عليها واضعة ساقاً على ساق وقالت «ومن  
قال لك إني أحتاج مساعدة؟»

- صف لي غرفتها أكثر..

(عواد): لا أذكر الكثير لكن ما أتذكره هو أن معظم الأثاث كان  
أسوداً.. حتى الجدران والسقف صبغت باللون الأسود عدا جداراً  
واحداً مطلياً بالأحمر.. نعم تذكرت.. الأرض كانت من الرخام الأسود  
كذلك فرش عليه فراء

- باللون الأسود أيضاً..

(عواد): نعم.. تذكرت غرفتك وقتها

- أكمل.. ماذا فعلت بعدها؟

(عواد): تقدمت وجلست على طرف السرير مواجهاً لها وهي تدخن  
وتنظر أمامها في تجاهل تام لي لذا قررت قراءة القرآن بصوتٍ جهوري  
عليها

- هل شخصت الحالة وعرفت علتها؟

(عواد): لم أر شيئاً مما تعلمته منك ظاهراً عليها بدت طبيعية وغير  
طبيعية في الوقت نفسه

- ماذا حدث بعد أن بدأت بالقراءة

(عواد): نهضت من مكانها بغضب وبدأت تبصق علي وتكيل لي  
السياب والشتائم

- هل هي من ضربك؟

(عواد): لا لم تمسني لكنها شغلت أغنية صاحبة وبدأت ترقص أمامي  
بطريقة استفزازية

- وأنت مستمر بالقراءة؟

(عواد): نعم.. شعرت أن قراءتي تؤثر بها بطريقة ما وكنت عازماً على  
قراءة جزء كامل عليها

- وماذا فعلت بعد أن انتهيت من القراءة؟

(عواد): لم ألحق أن أنهي قراءتي فقد كان معها بالغرفة

- من كان معها؟

(عواد): لا أعرف.. شيء.. قوة هائلة.. شخص ما ظهر خلفي وبدأ  
يضربني بعنف.. وجه لي في البداية ضربة قوية خلف عنقي وبعد سقوطي  
على الأرض استدرت نحوه لأراه لكنه انهال علي بالضرب المبرح وتلك  
الفتاة تضحك وترقص حتى أغمي علي

- ألم تتمكن من رؤية ملامحه؟

(عواد): لا.. لم أشعر سوى بلكماته المتكررة التي وجه معظمها لوجهي وصدري.. لم أستيقظ إلا في المستشفى وفي اليوم نفسه تلقيت زيارة من أبيها الذي ناولني مبلغاً كتعويض عما حدث لي وكى لا أتحدث - لا تتحدث عن ماذا؟

(عواد): عن ابنته وأن أتنازل ولا أحرر محضراً أو بلاغاً ضدها بالرغم من أني لم أكن أنوي ذلك.. كنت أريد العودة للديار فقط - الحمد لله أنك بخير (عواد): الحمد لله.. لكن..

- لكن ماذا؟

(عواد): هذه الحادثة حدثت قبل عدة أشهر

- قبل عدة أشهر؟.. ألم تقل بأنك خرجت من المستشفى بالأمس؟.. ثم إن الكدمات على وجهك تبدو جديدة

(عواد): نعم.. ذلك الشيء لا يزال يعتدي علي بين وقتٍ وآخر بعد ما أنام وبعض الأحيان يخرج الأمر عن السيطرة وأصاب بإصابات بالغة تستلزم نقلي للمستشفى

- ألم يُثر ذلك شك الأطباء المعالجين لك؟ ألم يسألوك عن سبب الإصابات؟

(عواد): فترات دخولي للمستشفى متباعدة ولم تثر ريبة أحد ثم

إني كنت أدعي دائماً أني تعرضت للضرب في الشارع وحررت بلاغاً في الشرطة مرة واحدة بعد إصرار أحد الأطباء على إبلاغهم وزودتهم بصفات وهمية لمن اعتدى علي

كان واضحاً أن ما يتعرض له (عواد) هو عبث من شيطان يريد الانتقام منه بسبب تلك الفتاة التي فيما يبدو لها تواصل مع العالم الآخر بطريقة ما وما يحدث معه ما هو إلا نوع من الحماية والتأديب. تيقنت من ذلك عندما رُفِعَ أذان صلاة المغرب ووضع (عواد) يده على رأسه لإصابته بصداعٍ شديد فقلت له:

- هل تتعرض لنوبات الصداع خلال الأذان؟

(عواد): نعم دائماً..

كان لا بد أن أكفر عن ذنب إقحام (عواد) في هذا العالم حتى وإن كان ما قام به بقرار منه لكن إحساسي بالمسؤولية والذنب أكبر من أن أتجاهل عذابه فقلت له:

- كم مدونة دونت خلال عملك معي في السابق؟

(عواد) وهو يعتصر من ألم رأسه: ماذا؟.. لم تسأل؟

- أجبني فقط..

(عواد): ثلاث مدونات..

- هل هي معك الآن؟

(عواد): نعم.. في السيارة

- أحضرها لي إذا كنت تريد مني أن أساعدك في التخلص مما تعاني منه

(عواد): حاضر.. قالها وهو يهيم بالنهوض ويده على رأسه..

أحضر (عواد) المدونات ووضعها أمامي فأخذتها وقلت: سوف تترك هذا العمل من الآن وصاعداً.. هل تفهمني؟  
(عواد): لكن..

- أعرف أن المال يغريك بالاستمرار لكن البقاء على قيد الحياة أهم وأكثر قيمة وقدمك قد زلت في الهاوية ويجب أن تخرج منها قبل أن تغرق

(عواد): أي هاوية؟

- هاوية وقعت فيها أنا ويبدو أنني لم أخرج منها بعد.. كم عرض عليك ذلك الرجل لعلاج ابنته؟

(عواد): مبلغاً كبيراً جداً لكنني لن أعود أبداً لذلك المكان!

- لست أنت من سيذهب له..

(عواد): ولا أنت!.. هذه الفتاة مجنونة وسوف تؤذيك!

- الحامي هو الله.. هل ما زال رقمه معك؟

(عواد): نعم..

- تواصل معه وأخبره بأنك وجدت معالجاً قد يستطيع علاج ابنته  
بشرط أن يضاعف لك المبلغ

(عواد): لن يوافق.. ثم ماذا حدث لمبدئك عن عدم أخذ المال من  
المرضى؟

- سيكون هذا المبلغ ثمن مدوناتك ومكافأة نهاية خدمتك كي لا  
تحتاج للعودة لهذا العمل مرة أخرى

(عواد): لا تقلق لن أعود أبداً.. سأعالج نفسي وينتهي الأمر

- لن تتعافى ما دامت تلك الفتاة تمارس ما تمارسه

(عواد): ماذا تقصد؟

- خلال غيابي أريدك أن تتبع بعض التعليقات لصد هجمات ذلك  
الشيء وهذا ليس علاجاً دائماً لكنه سيعطيني الوقت الكافي حتى  
أتعامل معه ومع من أرسله

(عواد): لا أفهم شيئاً مما تقول..

- فقط كن على طهارة أغلب وقتك قدر المستطاع ونم على الأرض  
بدل السرير واستخدم وسادة قاسية ولا تتناول أي شيء مصنوع  
من القمح.. هل فهمتني؟

(عواد): نعم فهمت لكن أرجوك لا تخاطر بنفسك فعلمنا لن يجدي  
نفعاً معها لقد حاولت

- علمك أنت وليس علمي..

(عواد) بخجل يخالطه بعض الندم: أعتذر عما قلته لك بالسابق..

- لقد قلت أشياء كثيرة لكن هذا ليس وقت مناقشتها الآن.. ذلك  
في الماضي..

نهضت من أمامه وأخذت المدونات معي وقبل أن أهم بالرحيل  
وقف (عواد) ومد يده لمصافحتي لكنني لم أصافحه.. عانقته.. وخلال  
عناقي له قال بحزن وأعتقد أنه بكى قليلاً: كنت أظن أنك لا تعانق إلا  
أصحاب القلوب النقية؟

- وما زلت لا أعانق غيرهم.. قلتها وأنا أربت على ظهره مبتسماً..

أنهيت عناقي لـ(عواد) ونظرت لوجهه المبتسم والمختلط بالدموع  
وقلت وأنا أهز كتفه: ثم إن أمي تحبك ولا أظنها تحبك بلا سبب..

(عواد) وهو يمسح دموعه باسماً: اشتقت لطعامها

- لقد فوت غداءها اليوم لكن أتوقع حضورك الجمعة القادم بعد  
عودتي من السفر

(عواد) بقلق شديد: أرجوك لا تذهب الأمر لا يستحق أن تخاطر

بحياتك

- لن تكون هذه أول مرة.. قلتها مبتسماً وهممت بالرحيل

اتفقت مع (عواد) أن يبلغني حالما يتم الاتفاق مع والد الفتاة على زيارتها مرة أخرى وطلبت منه أن لا يتكفل بأي شيء من تكاليف سفري لتلك الدولة لأنها كانت قريبة.

## محرك العرائس

لن أدخل في تفاصيل كثيرة فما حدث باختصار هو أن والد الفتاة وافق على العرض وبعد أيام كنت في تلك الدولة أجري اتصالاً عليه بعد تجاوزي الحدود للحصول على عنوانه. بعد ما عرفت مكان إقامته طلبت من صاحبي الذي أقلني أن يعود للوطن حالما يقوم بإنزالي أمام بوابة القصر وسوف أتصل به لو احتجت أحداً ليعيدني. بالرغم من رفضه وإصراره على انتظاري في البداية إلا أن إخباري له بأني قد أمضي أسابيع هنا ثبت عزيمته وأقنعه بالعودة.

وصلت للبوابة الرئيسة للقصر قبل العشاء بقليل وكان هناك تعليقاتٌ بالسماح لي بالدخول وخلال دقائق كنت أجلس في المجلس نفسه الذي جلس به (عواد) مع الأشخاص أنفسهم أسمع الحديث نفسه تقريباً لكن ما اختلف هو أن والد الفتاة أخبرني بأنها في الخارج وستعود ليلاً فأخبرته بأني لا أريد مقابلتها في الحال وأني أرغب الإقامة في أقرب ملحق من الملاحق الأربعة لمكان إقامتها وأريد أن يخصص لي مرافق خلال فترة إقامتي ليلبي بعض الطلبات. لم يستغرب والد الفتاة من طلباتي أو يرفضها لكنه علق بقول «لا أظنك ستبقى كثيراً هنا»

- أنا لا أنوي البقاء أكثر من ثلاثة أيام

(الأب): هل تظن أنه يمكنك خلالها علاج (جواهر)؟

- ابتك اسمها (جواهر)؟

(الأب): نعم..

- هل تعرف ما بها من الأساس؟

(الأب): أعتقد أنها مسحورة أو شيء من هذا القبيل فهي منذ أن

عادت من الخارج وهي متغيرة وبهذا الحال

- هل كانت في رحلة دراسية أم سياحية؟

(الأب): ذهبت لزيارة أختها المقيمة هناك مع زوجها وعادت لنا

مختلفة تماماً ويوماً بعد يوم أصبحت تتغير للأسوأ

- هل عرضتها على أطباء؟

تدخلت الأم في الحوار وقالت: لم يعد أحد منا يستطيع الاقتراب

منها..

- هل يتعرض ذلك الشيء لكما أيضاً؟

صمت الجميع ولم يرد علي أحد.. فبادرت بالحديث مرة أخرى

ووجهت كلامي لوالدها قائلاً: هل تملك ابتك كتباً؟

(الأب): هي تحب القراءة نعم..

- أقصد كتباً من نوع آخر.. كتباً لا تباع في المكتبات

(الأب): ماذا تقصد بلا تباع في المكتبات؟

- أخبرني صاحبي المعالج السابق أنها موشومة بوشوم على جسدها.. كيف سمحتم لها بذلك؟

(الأب): عائلتنا لا تمنع ذلك.. ربيت بناتي على التعبير عن أنفسهن

بحرية

- إذاً لا جدوى من سؤالك أين هي الآن فأنت بلا شك لا تعرف

(الأب): أخبرتك بأنها في الخارج وهذا أقصى ما يحق لي معرفته

- حسناً هذا لا يهم الآن.. أين الشخص الذي سيرافقني للملحق؟

(الأب): لاحظت أنك لم تحضر معك أي حقائب أو أدوات..

- أدوات؟.. لن أحتاج إلا لبعض المواد التي يمكن شراؤها من

السوق وسوف أطلب من المرافق أن يحضرها لي

نهض والد الفتاة وخرجت معه خارج القصر حيث نادى على أحد

العاملين ووجهه لإيصالي للملحق المجاور للملحق ابنته والبقاء معي

وتلبية طلباتي كلها.

- أحتاج أن أدخل غرفتها قبل عودتها وقبل أن أذهب للملحق

الخاص بي..

(الأب): لا بأس سيأخذك المرافق هناك..

حضر المرافق وتوجهت معه للملحق الخاص بالفتاة ودخلنا وقادني لمدخل غرفتها وطلبت منه البقاء في الخارج. دخلت.. والغرفة كما وصفها (عواد) تماماً. كنت أبحث تحديداً عن ما إذا كانت تلك الفتاة تملك كتباً من نوع معين وقادني ذلك البحث لرفٍّ على أحد الجدران به مجموعة من الكتب والدفاتر. تصفحتها جميعاً وكانت مجرد كتب ومجلات عادية لكن إحدى المدونات كانت مذكراتها الخاصة وبعد تصفح سريع للصفحات وقعت عيني على هذه الصفحة:

«هناك شعور ينتابني كل ليلة عندما أطفئ أنوار غرفتي وأقرر الخلود للنوم.. لا أعرف إذا كان هناك أحد غيري يمر بنفس ما أمر به كل ليلة.. أشعر دائماً بأن أحداً يراقبني.. يحدق بي من خلال تلك العتمة الحالكة بصمت.. لا يشاركني فراشي سوى أفكارٍ التي تخلق بين خيالاتي وتخطيطي للغد.. تفكير في الماضي والمستقبل.. في الأمس واليوم.. أعتقد أن هذه الأفكار التي تجتاحني كل ليلة ما هي إلا وسيلة للهروب.. للهروب من ذلك الهدوء المخيف في الغرفة والذي يحيط بي من كل جانب ويحتضني بقوة.. خاصة في ليالي الشتاء الباردة.. أتعمد أحياناً التقلب في الفراش فقط لكسر ذلك الصمت والهدوء الخائق بصوت جسدي وهو يحتك بالوسادة واللحاف.. من وقت لآخر أسمع صوتاً أو أتوهم أنني سمعت صوتاً.. صوتاً من آخر الغرفة.. صريراً.. أو شيئاً

مشابهاً له.. هنا تبدأ معاناتي وتتبدل أفكارى الجميلة لهواجس مخيفة تغزو عقلى وتجثم على صدري.. أسوأ ما فى تلك الأصوات هو عدم قدرتى على التنبؤ بموعدها، فبمجرد سماعى لها أول مرة خلال استعراض شريط أفكارى تصيبنى بالشلل التام والتسمر والتجمد المؤلم تقريباً للمرة التالية التى ستباغتني فيها.. أحاول قدر الإمكان تبرير تلك الأصوات بأنها أمر طبيعى وأحاول بصعوبة العودة لتلك الأفكار والخيالات الجميلة التى كنت أتصفحها منذ قليل فى عقلى، لكنى أعود لها لأجدها أصبحت مظلمة ومخيفة ومليئة بالوساوس والقلق.. بعد ما كانت تلك الأفكار هروبي من ذلك الصمت والهدوء المخيف أصبحت هى من يقودني عنوة نحوه.. بعد سماعى لذلك الصوت أصبح الصمت والهدوء مطلبي وجل أمنياتي بعد ما كان هاجسي.. تمنيت أن يبقى الصمت حاضراً حتى أغفو لكن ترقبي لصوت آخر يكسر حاجزه يجعلني فى تكهن مؤلم وتوتر دائم.. صوت أنفاسي أصبح يخيفني.. أتمنى عدم سماعه.. الهدوء المؤقت أسوأ بكثير من الهدوء الدائم.. أشعر أن شيئاً قريباً من وجهي.. يراقبني فى تلك العتمة.. يهيا لي أن أنفاسي ترتد من على وجهه لوجهي.. لا يمكنني الجزم فالظلام دامس.. أغمض عيني خشية رؤية شيء يوقف قلبي حتى وإن كانت العتمة تعمي بصري.. أشعر براحة أكبر بعد ما أغمضت عيني.. أحس بأنها غطاء واقٍ من كل الشرور التى ترتبص بي فى الظلام وتختبئ خلف الصمت.. الخوف يتراكم شيئاً فشيئاً فى قلبي من

شيء أجهله ولا أراه لكنني أحس به.. أحتاج غطاء آخر.. سأرفع اللحاف فوق رأسي.. شعور جديد بالأمان.. أحس بأن الخوف بدأ يزول بعد ما وضعت حاجزاً بيني وبين من يراقبني.. الحرارة الخانقة لأنفاسي تزداد.. أحتاج للنفس.. لا يمكنني الاستغناء عن درعي الواقعي.. ماذا أفعل؟.. سأحاول الاسترخاء واستعادة أفكارى الجميلة.. لا فائدة.. يجب أن أرفع الغطاء وأحرر تلك الحرارة الخانقة لأنفاسي.. سأرفع الغطاء وعياني مغمضتان.. هذا أفضل بكثير.. أحس بنسمة باردة تعيد الحياة لأنفاسي.. كنت كالغريق وقد خرجت للتو من الماء.. أشعر بالنعاس الآن.. سأنام وأخوض تلك التجربة وذلك الشعور المرير مرة أخرى غداً..»

قرأت الصفحة بالكامل في غرفتها واستغربت أنها ذيلت بـ«جواهر ١٩٩١م».. هذا التاريخ يعود لفترة لم تولد فيها هذه الفتاة فلماذا تؤرخها به؟.. أغلقت المذكرات وخرجت من الغرفة وطلبت من مرافقي أخذي للملحق الخاص بي وقد كان مجاوراً للملحق (جواهر).

وصلت للملحق ودخلت مع المرافق الذي أشعل الأنوار وبدأ يشرح لي عن مرافق المكان فقاطعته قائلاً «زودني برقم هاتفك» ففعل ثم أخبرته بأن يحضر لي كمية كبيرة من الملح الخشن ويفضل أن يكون ملحاً بحرياً وليس معالجاً وطلبت منه كذلك أن يحضر لي ديكاً فقال لي متعجباً: «ديك؟»

- نعم ديك؟.. هل هناك مشكلة؟

(المرافق): لا أبدأ يا سيدي..

- هل المكان به طعام؟

(المرافق): نعم يا سيدي فالثلاجة عامرة ودواليب المطبخ كذلك

- أحتاج للأرز فقط..

(المرافق): يوجد كمية وافرة منه هل ترغب في أن أطبخ لك الآن

بعضه؟

- لا.. أحتاجه لغرضٍ آخر..

انقطع حديثنا عندما رفع الأذان لصلاة العشاء وكان صوت الأذان

واضحاً وقريباً منا فسألت العامل المرافق لي وقلت «هل هناك مسجد

قريب من هنا؟»

(المرافق): نعم.. هذا المسجد بناه السيد الكبير على نفقته الخاصة وهو

مجاور للقصر

- هل يصلي فيه؟

(المرافق): ماذا تقصد؟

- ماذا تعني ماذا أقصد؟..سؤالي واضح.. هل يصلي سيدك في

المسجد الذي بناه؟

(المرافق): لا أعرف..

- لا تعرف أم لا تريد القول؟

(المرافق): هل تحتاج شيئاً آخر يا سيدي؟

- نعم.. هل يوجد نظام سمعي في المكان؟

(المرافق): نظام ماذا؟

- جهاز لتشغيل الأغاني

(المرافق): آه.. نعم نعم.. المكان كله موصل بجهاز لتشغيل الأقراص

المضغوطة في غرفة المعيشة هل ترغب في سماع أغنية محددة هناك مكتبة  
كاملة

- هل هناك قرص مضغوط يحتوي على سورة البقرة؟

(المرافق): لا أعتقد..

- أضف ذلك لما طلبته منك سابقاً

(المرافق): متى تريد هذه الطلبات؟

- قبل أن تعود سيدتك (جواهر).. قلتها وقد بدأت بالسير مبتعداً  
عنه وتفحص المكان بنظري..

(المرافق): لن أتأخر فالسوق قريبٌ من هنا..

- هل هناك أحد غيرها يقيم في الملحق المجاور لي.. قلتها ملتفتاً  
إليه..

(المرافق): لا.. السيدة (جواهر) فقط وحدها تقيم في ذلك الملحق  
والبقية خاوية

- حسناً هيا اذهب وأحضر ما طلبته منك بسرعة

(المرافق): حاضر..

- ما اسمك بالمناسبة؟

أنا (صابر) يا سيدي

- حسناً يا (صابر) اذهب ولا تتأخر..:

رحل (صابر) وخلال غيابه بدأت بتجهيز المكان فقد كنت أعد العدة  
لاستقبال تلك الفتاة عندي دون الذهاب إليها لأنني لو فعلت فسوف  
يهاجمني ذلك الشيء الملتصق بها وهو في الغالب شيطان عاشق ذو رتبة  
عالية كون أذاه امتد لـ(عواد) واستمر حتى بعد رحيله وعلى الأرجح أن  
من كان يقوم بمهاجمة صاحبي أحد أعوانه وليس هو وهذا دليل على أنه  
من الأسياد وليس سفلتياً ومواجهته وجهاً لوجه ستكون خطرة.

قد يتساءل البعض لم لم أستخدم الخليط الذي عاجلت به زوجة  
الرجل الذي رأيته مع أخي عندما كنا عند «التمشيخ». الخليط لن ينفعها  
لعدة أسباب أهمها أن هذه الفتاة تبدو راضية ومستمتعة بما يحدث معها  
وسترفض أي علاج يقدم لها وهناك احتمال كبير أنها هي من قامت  
بتحضيره واستدعائه وتسليمه نفسها وهنا يكون العلاج أصعب بكثير  
والشيطان المستحوذ في هذه الحالة يصبح أشد خطورة وأكثر عدائية.

علاج مثل هذه الحالة يكون باستشارة الشيطان المتسلط بحيث يرغب في التعرض بالأذى للمعالج الذي يجب أن يتحصن في ما يعرف بـ«البحر» وهو كالحصن الروحاني الذي لا يمكنه اختراقه ويستمر المعالج في تعذيب ذلك الشيطان عن بعد حتى يرحل. سورة البقرة ستوفر لي بإذن الله الوقاية التي أحتاجها والديك سيكون مثل نظام التنبيه المبكر لو استطاع ذلك الشيء التسلسل للمكان خلال نومي لسبب ما، أما الملح الخشن والأرز فهما لترميم بعض حصانة تلك الفتاة التي وبالتأكيد ستجبر على زيارتي من قبل ذلك الشيطان لمحاولة تخريب عملي وستكون حصانتها محطمة بالكامل وعند مشيها على الملح والأرز ستفقد الكثير من سيطرة ذلك الشيء عليها ولن يدخل معها ويمكنني وقتها الحديث معها بهدوء وتشخيص حالتها بشكل أدق.

عندما عاد (صابر) بالحاجيات التي طلبتها منه قبل منتصف الليل بساعة طلبت منه قبل رحيله إرسال رسالة نصية لهاتفني عندما تعود (جواهر) من الخارج وتدخل ملحقتها. أمضيت الفترة بين رحيل مرافقي وانتظار رسالته النصية في رش الأرض بالملح الخشن والأرز وخصوصاً الزوايا والممر من مدخل الباب الرئيس والمؤدي لغرفة المعيشة وقمت بإطعام الديك بعض الأرز وتركته يجول في المكان كيفما شاء. أعددت بعض الشاي وجلست في غرفة المعيشة أحسسيه وهاتفني بجانبني على المنضدة. بقيت أحسسي الشاي وأراقب الديك وهو ينقر حبات الأرز على

الأرض. كان الهدوء صارخاً ولم يكسر صوت تلك النقرات وصوت  
رشفي من كوب الشاي من وقت لآخر إلا نعمة استلام رسالة نصية  
جديدة. رفعت هاتفي وفتحت صندوق الرسائل الواردة ووجدت  
الرسالة التالية من (صابر):

«السيدة (جواهر) وصلت ودخلت الملحق».

نهضت من مكاني بهدوء وشغلت سورة البقرة وفعلت خاصية  
الدوران الذاتي بحيث لا تتوقف السورة عن التلاوة وعدت لمكاني وما  
هي إلا دقائق حتى سمعت طرقاتاً قوياً على باب الملحق الرئيس. توجهت  
لعبة الباب وفتحته لأجد فتاة حنطية البشرة نحيلة الجسد حافية القدمين  
وتحمل أغلب الصفات الجاذبة للشياطين العاشقة مثل قصر القامة، طول  
الشعر وسواده الحالك، اتساع المسافة بين العينين. وكذلك لاحظت أنها  
عبثت بنفسها لتكون أكثر جذباً للشياطين العاشقة فقد كانت الأوشمة  
تُغطي ذراعيها ورقبتها ومعظم ما ظهر من جسدها المغطى بلباسٍ أسود  
كالليل. أظافرها طويلة ومطلية بالأسود أيضاً وحاجباها قد حلقا ورسما  
مقترنين بعضهما ببعض. لبست في كل أصبعٍ من أصابعها خاتماً واحداً على  
الأقل وقد قامت بتخريم أنفها ووضع بين فتحاته. ذراعاها وسواعدها لم  
تكن بحال أفضل فقد امتلأت بالجروح التي على الأرجح أنها أحدثتها  
بنفسها مستخدمة مشرطاً حاداً. هالتها وحصانتها كانتا محطمتين بالكامل

وشبه معدومتين ومن الواضح أنها حرصت على ذلك. الشيء الذي لفت نظري بحق هو أن الفتاة وعلى عكس ما توقعت لم يظهر على أي جزء من جسدها المكشوف وسم شيطاني من أي نوع وعزوت ذلك لتواري الوسم خلف أحد الوشوم أو أن يكون في مكانٍ خفي تحت ملابسها. الفتاة بدت في حالة غير مستقرة وكأنها مخمورة أو قد تعاطت مخدراً ما وكلماتها التي تفوهت بها متلعثمة ومتقطعة وهي تحاول أن تطلب مني بغضب إطفاء الموسيقى. أجبتهأ بهدوء عند عتبة الباب: لا يوجد موسيقى هنا..

(جواهر): أغلق مصدر الإزعاج أيأ كان!!.. قالتها بغضبٍ وخذر..  
- تفضلي أغلقيه بنفسك.. وأنا أشير لها بالدخول..

دخلت الفتاة بتجهم وعلى عجالة وما أن وطئت أقدامها الحافية على خليط الملح الخشن والأرز حتى توقفت وعانقت نفسها قائلة: لم المكان بارد هنا؟

أغلقت الباب وسرت نحو غرفة المعيشة قائلاً: لأن مصدر الدفء لم يدخل معك..

(جواهر) تراقبني خلال سيرتي نحو غرفة المعيشة وهي لا تزال محتضنة لنفسها: أغلق الصوت..

- تقصدين القرآن؟.. قلتها وأنا أدير قابس مستوى الصوت وأرفعه أكثر..

وضعت كفيها وسدت أذنيها وبدأت تصرخ وتقول: أغلقه!.. أغلقه!  
- اجلسي أمامي وسأغلقه..

جرت الفتاة فوق الملح الخشن والأرز حتى دخلت غرفة المعيشة  
وجلست أمامي وهي لا تزال مغلقة لأذنيها وتصرخ: أغلق الجهاز!..  
بسرعة!

بالطبع لم أكن أستطيع فعل ذلك فسيطانها العاشق لا شك وأنه  
ينتظر عند الباب ليدخل ويفتك بي والتلاوة هي الحاجز الوحيد المانع  
له والحائلة بيني وبين قبضته فعلمي مهما كان لن يستطيع ردع شيطان  
عاشق علوي يريد الانتقام مني وقتلي وكلام الله هو الأقوى والأكثر بركة  
في كل الأحوال. خفضت صوت المشغل لأقل مستوى فظنت (جواهر)  
أني أغلقته فرفعت كفيها عن أذنيها وهي تتنفس بثقل وقالت: من أنت؟  
- أنا المعالج الجديد الذي إستعان به أبوك..

(جواهر): سيكون مصيرك مثل البقية..

- كم شخصاً قبلي حاول علاجك؟.. قلتها وأنا أجلس على  
الأريكة المقابلة لها

(جواهر): لا أذكر.. عددهم كثير..

- كيف حضرته؟.. كتاب؟.. أم شخص حضره لك؟

تغيرت نظرة الفتاة عندما سألتها هذا السؤال فهي قد اعتادت على

طرق العلاج التقليدية والتي تنتهي بفتك ذلك الشيطان بالمعالج الذي  
يقرب منها وقالت: لم لا يستطيع الدخول؟

- تقصدين عشيقك؟

(جواهر): لا أحس بوجوده معي هنا..

- لأنه لا يستطيع الدخول وقريباً سيرحل عنك

(جواهر) وهي تصرخ: سيقتلك مثلما قتل غيرك!

- سنرى.. ما اسمه؟

(جواهر): لم تريد معرفة اسمه؟

- أريد تحديد رتبته وقبيلته

(جواهر): ومن قال بأني سأخبرك؟

- ومن قال إني أسألك؟

(جواهر): تسأل من إذاً؟

- تدمرك لحصانتك جعل قرينك نشطاً جداً وشبه متحرر منك  
وهو الآن يهمس في أذني بكل ما أريد معرفته

(جواهر): أنت كاذب!!

ما لم تعرفه تلك الفتاة أن أصحاب الهالات المفعلة يمكنهم التواصل  
مع الأقران بسهولة خاصة لمن تكون حصانتهم وهالاتهم ضعيفة

ومتهالكة وكنت فقط أريد أن تكون أمامي لأتحدث مع قرينها وليس معها. حصلت على جميع المعلومات التي رغبت بها خلال دقائق قضتها (جواهر) في الصراخ والسب والشتم بعصبية وكنت أعرف أنها لن تنهض وترحل بسرعة لأن تأثير الملح الخشن والأرز ما زال قوياً عليها ولن تستعيد القدرة على الوقوف والمغادرة حتى أنتهي من تحصيل المعلومات بالكامل وهذا ما حدث. عندما لاحظت أن إحدى ركبتيها بدأت تهتز بتوتر علمت أنها بدأت تستعيد شيئاً من قدرتها على الحركة وقلت:

- أخبرني قرينك أن شيطانك العاشق اسمه «(ميجس)»..

في تلك اللحظة بدأ الباب الرئيس يُطرق بقوة شديدة وهذه ردة فعل طبيعية للشيطان المتصنت علينا والعاجز عن الدخول.

(جواهر) باستغراب: كيف عرفت؟

- عرفت أشياء كثيرة غير ذلك.. عرفت أنكِ قمتِ بتحضيره أول مرة من خلال عبثك ببعض الكتب مع مجموعة تعرفتِ عليها عندما كنتِ تزورين أختك بالخارج واعتقدتِ في بادئ الأمر أن المسألة مزحة عندما طلبوا منك تلاوة «قسم التسليم» لـ(ميجس) ومنذ ذلك الوقت وهو مسيطر عليك ويأمرك بتشويه جسدك كي يستحوذ عليك أكثر وأكثر ومؤخراً بدأتِ تستمتعين بذلك وتقبلينه ونسيتِ نفسك تماماً.

رأيت في عيني (جواهر) شيئاً من التأثير عندما ذكرتِها بنفسها قبل أن

تنخرط في هذا العالم وكان ذلك مهماً لعلاجها فلو تخلت عن فكرة قبول هيمنة (ميجس) عليها سيكون علاجها أسهل بكثير.. بعد صمتٍ دام لثوانٍ دمعت خلاله قالت: إنه لا يريد أن يرحل ويعاقبني بشدة لو لم أنفذ رغباته..

- التخلص منه سهل جداً.. المهم أن تكوني أنتِ راغبةً بذلك..

عاد الطرق على الباب بقوة وشدة أكبر من السابق..

التفتت (جواهر) نحو مصدر الصوت بوجه مرعوب وأعين اتسعت من الرهبة..

- تجاهليه وركزي معي.. هل تريدين التخلص منه؟

الطرق مستمر بقوة..

(جواهر) وهي تعيد نظرها نحوي وتقول: أستطيع سماعه.. إنه يهددني..

- لا تقلقي لن يستطيع الدخول إلى هنا إنه يحاول إخافتك فقط..

أريد فقط أن تنطقي بها

(جواهر): أنطق بماذا؟

- برغبتك في التخلص منه..

صمتت (جواهر) وأنزلت رأسها ثم وضعت كفيها على وجهها..

- أعددك بأنه سيرحل لو رغبتِ بذلك..

رفعت رأسها بعد ما باعدت كفيها عن وجهها وقالت: لكنه كل ما

تبقى لي..

- تبقى لكِ في ماذا؟

(جواهر): في الدنيا..

- هو الآن ليس بجانبك ولا يمكنه التشويش على عقلك.. فكري

بعقلانية.. هذا شيطان ولن تري منه سوى الأذى

(جواهر): لست مقتنعة بفكرة التخلي عنه

- لن أستطيع مساعدتك إذاً

(جواهر): أنا لم أطلب مساعدتك على أي حال..

- وأنا لن أساعدك حتى تكوني راغبة في ذلك

أمضينا بعدها بضع دقائق في صمت وتوقف معها الطرق على الباب..

(جواهر) بشيء من التوتر: ألن ترحل؟

- أرحل إلى أين؟

(جواهر): تعود من حيث أتيت..

- سوف أتخلص من عشيقك بطريقة أو أخرى ولن أرحل قبل أن

أفعل ذلك

(جواهر): أخبرتك بأني لا أريد مساعدتك

- أنا هنا لأساعد صديقي بالدرجة الأولى وليس أنتِ

(جواهر): صديقك؟ .. وما علاقته بـ(ميجس)؟

- شيطانك العاشق يدمر حياة كل من يقترب منكِ وصديقي كان

أحد المعالجين الذين حاولوا علاجك في السابق وهو يعاني الآن

من عبث سيودي بحياته

(جواهر): يمكنني الحديث معه إذا رغبت

- الحديث مع من؟

(جواهر): مع (ميجس).. ما اسم صاحبك؟ .. سأطلب منه أن يكف

أذاه عنه

- لا ، شكراً أنا من سيتولى ذلك حتى بعد أن صعبتِ الأمر علي

برفضك العلاج

(جواهر): أنا لا أريد أن أعود وحيدة.. رحيله عني سيبدد كل

جهودي

- جهودك في ماذا؟ .. في تشويه نفسك؟ .. في سلخ هويتك؟ .. أنتِ

مجرد لعبة يتسلى بها لأجل محتوم وسوف تلقين حتفك قريباً

(جواهر): أنت لا تعرف ذلك.. (ميجس) يجنني..

- وهل تحببته أنتِ؟

ترددت (جواهر) بالإجابة قليلاً ثم قالت: نعم.. لا أعرف.. منذ أن دخلت هنا ومشاعري نحوه متضاربة لا أعرف لماذا

- لأن استحواذه عليك تعكر.. مشاعرك نحوه ليست حقيقية..  
ليست سوى مشاعر أسير فقد الأمل بالخلاص وهذا بالتأكيد ليس بحب

(جواهر): ماذا يكون إذا؟

- استعباداً..

عاد الطرق مرة أخرى وبقوة على الباب ففزعت (جواهر) وهي تحيد بنظرها عني وتوجهه نحو مصدر الطرق..

- هل حقاً تريد أن تكوني أسيرة لذلك الشيء؟

(جواهر) وهي تضع كفيها على وجهها: أنت تعبت بعقلي..

- لا أحد يعبت بعقلك غيره.. تخلصي منه الآن قبل فوات الأوان..

(جواهر) تغطي أذنيها بكفيها وتقول: إنه يهمس في أذني.. يهددني..

- هل يهدد الحبيب حبيبه؟.. أفيقي مما أنت فيه..

رفعت (جواهر) رأسها ونظرت لعيني مباشرة بثقة وقالت:

«أريده أن يرحل ويخرج من حياتي..»

صرخ ما كان يطرق الباب بقوة وعم بعدها هدوء لم يعطره إلا التلاوة

المنخفضة لسورة البقرة..

(جواهر) وهي تضم كفيها لقبضتين وتضعهما تحت إبطيها وتهز جذعها للأمام والخلف وتحقق بي: ماذا الآن؟

نهضت من مكاني وقلت: هذه الليلة سنرتاح وغداً ستتخلص منه خلال النهار لأنه سيكون أضعف..

صرخت (جواهر) بقوة ورفعت قدميها فوق الأريكة وقالت مشيرة للأسفل: هناك شيء ما أمسك بقدمي!!

وجهت نظري حيث كانت تشير فتبسمت عندما رأيت الديك ينقر بعض الأرز تحت قدميها. حملته بين ذراعي وقلت مطمئناً لها: لا تقلقي هذا مجرد منبه لي خلال نومي..

(جواهر): منبه؟.. يمكنك الاستيقاظ على منبه الهاتف - لا.. هذا منبه لشيء آخر..

(جواهر): ما زلت أسمع.. قالتها وهي تضع يدها على جبينها وتغمض عينيها في حالة من الدوخان واضحة - ماذا يقول لك؟

(جواهر): يطلب مني الخروج.. - لا تفعلي ذلك أبداً وإلا فسيقتلك.. كلها ساعات وتشرق الشمس وتتخلص منه

(جواهر): لم لا نتخلص منه الآن؟.. لم علينا الانتظار؟

- أخبرتك بأنه سيكون أضعف بعد الإشراق ولن يتطلب الأمر سوى احتسائك لخليط بسيط.. ثم إني لا أملك مكونات الخليط الآن ويجب أن أطلب من (صابر) ابتياعها غداً أول الصباح من السوق

(جواهر): تقصد (صابر) المزارع؟

- لا أعرف ما عمله عندكم.. لقد عينه أبوك لمرافقتي وتلبية احتياجاتي

(جواهر): كيف وجدك أبي؟

- ماذا تقصدين؟

(جواهر): أبي يحضر لي الكثير من المعالجين منذ زمن طويل ولم يفلح أحد منهم في علاجي

- أنا لم أفلح بشيء بعد ثم إن أي تحسن ستحسين به سيكون بفضل ومشيئة الله فقط

حدث أمر غريب عندما ذكرت لفظ الجلالة «الله» أمامها فقد تحركت وكأن شيئاً وكز خاصرتها وأخرجت زفرة بصوتٍ غريب. تصرفٌ لم أره أو أقرأ عنه من قبل ولم أجد له تفسيراً ولم أطل التفكير فيه وقتها وبادرتها بقول: أين تريدان أن تنامي؟

(جواهر): لا أعرف..

- غرفة المعيشة هي أكثر غرفة محصنة وقربك من التلاوة سيرمم هالتك ويجعلك تنامين بشكل أفضل

(جواهر): وأنت أين ستنام؟

- في الطابق العلوي مع منبهي.. قلتها وأنا أرفع الديك للأعلى قليلاً..

(جواهر): حسناً سأحاول النوم بالرغم من وساوسه التي تنخر رأسي - تجاهليه فقط وسينتهي كل شيء قريباً

(جواهر): هل تعدي بذلك؟.. هل تعدي بأنك ستخلصني مما أنا فيه؟

- نعم.. أعدك..

استلقت (جواهر) على الأريكة فقامت بتغطيتها ورش المزيد من الملح الخشن والأرز حولها. حملت الديك وضممته لصدري بيد وباليد الأخرى أطفأت جميع الأنوار وقبل أن أصعد للطابق العلوي لأخذ قسطاً من الراحة في غرفة النوم الرئيسة أمسكت (جواهر) بيدي عندما مررت بجانبها وقالت: هل يمكن أن تبقى معي حتى أغفو.. أنا خائفة..

- حسناً.. هل تريد أن أشعل الأنوار

(جواهر): لا.. أنا أحب الظلام

وضعت الديك على الأرض وجلست على الأريكة المقابلة.. بعد عدة دقائق لاحظت أنها لم تغمض عينيها وبقيت تحدق بي بصمت.

- أغمضي عينيك كي تستطيعي النوم

(جواهر): لا أريد ذلك

- يجب أن تنالي قسطاً من الراحة

(جواهر): لم تهتم؟

- أهتم بهاذا؟

(جواهر): براحتي.. لا أحد يهتم بها

- أهلك يهتمون بها وإلا لما بحثوا لك عن علاج

(جواهر) وهي مستلقية وأعينها تحدق بي: هم لا يفعلون ذلك

لأجلي.. بل لأجل أنفسهم

- وما الفرق؟

(جواهر): إنهم يشعرون بالعار لأنني ابتهتهم.. يرون أنني مصدر حرج

لهم

- لا أظن أن ذلك بدون سبب..

(جواهر): يريدون أن أكون دمية ولا يريدون مني أن أختار حياتي

بنفسي

- لم أستشعر ذلك من حديثي القصير مع أبيك.. لقد بدا لي رجلاً  
يمنح الكثير من الحريات لأبنائه.. أكثر من اللازم في الواقع  
(جواهر): لم أقصد ذلك عندما تحدثت عن اختيار كيف أعيش حياتي  
- أنا لا أرى فتاة مقيدة أمامي.. أنتِ تمارسين ما تريدين بحرية  
دون تدخل أحد

(جواهر): هل تقصد الوشوم والسهر والعيش وحدي هنا؟  
- ومتيقن أن هناك أشياء أخرى لا أعرفها..

(جواهر): لكنني احتجت لما هو أكثر ولم يمنحه لي أحد.. هل تعلم  
بأن أمي لم تعانقني من قبل في حياتها.. حتى أبي.. لا أذكر يوماً أنه ضمني  
لصدره أو أهداني كلمة عطف.. الاهتمام الوحيد الذي يعرفه ويقدمه لي  
هو عندما تكون لي حاجات مادية فقط  
- وما علاقة ذلك بما تقومين به؟

(جواهر) ودمعة قد لمعت في أحد محاجرهما: الشيطان الذي تحاول  
إبعاده عني هو أول شخص عانقني في حياتي.. (ميجس) كان أكثر عطفاً  
علي من أمي وأبي.. يحبني أكثر منهما.. يريدني أكثر منهما  
- الشياطين العاشقة لا تعشق القلوب.. همها الأجساد فقط  
وأظنك تدركين ذلك أكثر من غيرك

(جواهر): لا يهم.. لقد وهبته جسدي عن طيب خاطر مني

- هل تظنين أنك تتحدثين مع أحق؟.. لقد وهبته جسدك بعد أن انتزعه منك مراراً وتكراراً رغماً عنك حتى فقدت القدرة على المقاومة.. لا تخلقي وهماً وتصدقيه.. لست الوحيدة في حياته ولن تكوني الأخيرة.. استيقظي من غيبوبتك

(جواهر) وهي تغمض عينيها مبتسمة: كيف أستيقظ وأنت تريدني أن أنام..

- إذا كانت الشكوك تراودك بتقبل فكرة التخلص منه فسوف نواجه مشكلة

(جواهر) بأعين مغمضة: لا أبداً.. كنت أتحدث فقط.. لا تقلق.. شكراً لأنك أنصت لي..

نهضت ورفعت صوت التلاوة أكثر وصعدت للطابق العلوي ولم أكن أريد أن أكمّن وقتها لكنني كنت بحاجة ماسة للراحة ولو لساعة واحدة وهذا ما قمت به بعد ما وضعت الديك على الأرض وأغلقت الأنوار واستلقيت في الفراش مغمضاً عينيّ منصتاً لتلاوة سورة البقرة الخفيض الآتي من الطابق السفلي. الكمون درجات.. خفيف ومتوسط وعميق والنوع الثالث قريب جداً من النوم ويفصلك عن الواقع جزئياً وقد تمكنت من الوصول لهذه المرحلة من الكمون بعد سنوات من الممارسة فمن تُفعل هالته لا يستطيع النوم نهائياً حتى يعتاد ويتمرن على ترويض جسده للخضوع لدرجات كمون أعمق.

قبل كموني ضبطت منبه هاتفي كي أستيقظ قبل أذان الفجر بدقائق  
لكنني استيقظت وفتحت عيني فجأة على صباح الديك. نهضت مفزوعاً  
من السرير وخلال لحظات من التفكير المتوتر في الظلام الدامس والهدوء  
الجامد أدركت الحقيقة المرعبة وهي أن صوت التلاوة لم يكن يُسمع في  
الأرجاء وقد توقف.

نزلت جرياً للطابق السفلي متوجهاً لجهاز التشغيل وبدأت أضغط  
أزراره بسرعة وتوتر في الظلام لأعيد تشغيله وبالفعل أضاءت أنواره لكن  
مهما كبست على زر التشغيل لم يخرج صوت فحاولت إخراج القرص من  
مكانه لتفحصه.. ولم أجده.. لم أجد القرص المضغوط.. المشغل فارغ..  
استدرت ببطء خلفي موجهاً نظري للأريكة التي استلقت (جواهر)  
عليها فلم أجدها هي الأخرى.

علمت وقتها أنني ارتكبت خطأً جسيماً بالصعود للطابق العلوي وترك  
تلك الفتاة تصارع وساوس شيطانها العاشق وحدها. خطأ لا يقترفه  
المعالجون الهواة وكنت سأدفع ثمنه لا محالة. الوقت كان ضيقاً وخياراتي  
باتت محدودة وفي تناقص. لم ألق أن أتخذ أي قرار لأن شيئاً ما أطبق على  
عنقي في الظلام ورفعني وألصقني بقوة في الجدار. لم يكن الأمر لغزاً  
فهذا بالتأكيد (ميجس) وقد تمكن من الدخول بعد ما أغلقت (جواهر)  
التلاوة وسيفقتني بلا شك.

بعض الشياطين تحب التلاعب بضحاياها قبل أن تنتزع أرواحهم

لكن ومن خلال قبضة (ميجس) وإحكامه على عنقي بقوة هائلة أيقنت أنه لن يمنحني رفاهية التلاعب بي قبل قتلي لمدة طويلة وسيهشم عنقي في أي لحظة. رأيت بصيص أملٍ طفيفاً وأنا أصارع الموت معلقاً ومثباً في جدار غرفة المعيشة المظلمة عندما بدأ ذلك الشيطان يهمس في أذني. لم يتحدث معي بالعربية لأنه فيما يبدو لم يكثرث إذا كنت سأفهم كلامه أو لا لكنها كلمات ضاق بها صدره وكان يريد إخراجها. اللغة التي تحدث بها لم تكن إحدى اللغتين اللتين أجيدهما من لغات العالم الآخر والتي حرص (عمار) على تلقيني وتعليمي إياهما خلال فترة بقائي معه بل كانت لغة جديدة علي. تحدث (ميجس) بنبرة غاضبة لكن بصوت خفيض في أذني اليسرى بعبارة لم أستطع فهم شيء منها سوى كلمة واحدة.. «كومن تاج».. وهي المرادف لاسم (جواهر) بلغة العالم الآخر العامة فالأسماء لا يتغير نطقها في عالمهم مهما اختلفت اللغة مثل ما يحدث في عالمنا تماماً. دنت ساعة موتي ولم أملك حتى القدرة على نطق الشهادة. أغمضت عيني متقبلاً نهائيتي مستحضراً خالقي وخالق ذلك الشيطان المطبق على أنفاسي ودعوته بقلبي أن ينجيني.

سقطت على الأرض.. أخذت شهيقاً قوياً أعاد لي أطراف روعي التي همت بالرحيل عن جسدي.. اعتدلت في جلستي واضعاً يداً على عنقي واليد الأخرى على صدري المرهق من انقطاع الهواء وعينا ي تجوبان غرفة المعيشة المظلمة في رهبة وحذر. بالرغم من أن المكان شبه معتم ولم تصله

إلا إنارة خفيفة من نافذة كبيرة تطل على فناء الملحق الخارجي المنار إلا أني  
تمكنت من رؤية ما يحدث أمامي بوضوح وسماعه بشكل أوضح. تقلب  
الأثاث وتطير في كل ركن ومن الواضح أن عراقاً عنيفاً بين كينونتين  
مخفيتين قد نشب. أحدهما بلا شك كان (ميجس) والآخر فيما يبدو أتى  
لنجدتي.. لكن من هو؟.. ولمن ستكون الغلبة؟

## في ضيافة الشيخ

مع اشتداد العراك بين الكينونتين بدأت بعض معالمها تظهر وتشكل تدريجياً حتى اتخذت شكلاً كاملاً على هيئة كلبين يعتركان بضراوة أحدهما أبيض اللون والآخر أسود وبذلك استطعت التفريق بينهما ف(ميجس) كان لا بد أن يكون الكلب الأبيض فهذا هو اللون المفضل للأسياد عندما يقررون التشكل أما الآخر وبسبب اختياره اللون الأسود فهو غالباً من الجن وليس شيطاناً وهذا ما أثار استغرابي خلال مراقبة عراكهما لأن الجن نادراً ما يتصادمون مع الشياطين لأي سبب لأنهم مؤمنون ويتجنبونهم قدر الإمكان.

الكفة بدأت ترحج لـ(ميجس) مع استمرار النباح والزججة والصدام المستمر بينه وبين ذلك الكلب الأسود لأن الشياطين العاشقة من طبقة الأسياد تملك قوة استثنائية خاصة إذا كانت معمرة ولم أكن أستطيع مد يد العون خاصة وأني لم أتيقن حتى الآن من نوايا الطرف الآخر تجاهي فقد أكون واهماً في مسألة أنه أتى لمساعدتي وأدفع ثمن أي تحرك غير مدروس تجاهها لذا قررت البقاء مكاني وانتظار نتيجة النزال الذي بدا أنه سيحسم لمصلحة (ميجس).

أطبق الكلب الأبيض بأنيابه على رقبة الكلب الأسود وثبته للأرض وأخذ يهزه بعنف وهو يزجر بوحشية فنهضت بثقل لأخرج من المكان لكن وقبل أن أبدأ بالتحرك نحو باب الخروج رفع أذان الفجر وافتتح بـ«الله أكبر» ممدودة بصوتٍ جهوري بعث الطمأنينة في قلبي والفرع والجزع في الكلب الأبيض الذي لفظ عنق الكلب الأسود النازف من بين أنيابه وبدأ يعوي بطريقة غريبة ونبرة متقطعة يخالطها بعض الصياح وكأنه متوجع من شيء ما. لم يبقَ (ميجس) في المكان خلال الأذان واختفى على الفور تاركاً الآخر على الأرض ينزف بغزارة. سرت نحوه بحذر واقتربت منه وكان كأني كلبٍ مصاب وبالرغم من ظلمة المكان الجزئية إلا أنني أذكر بوضوح لسانه المتلوي وصوت أنفاسه اللاهثة.

حاولت على قدر استطاعتي إسعافه وإيقاف نزف عنقه لكن نبع الدماء لم يتوقف حتى بعد ربطتي له بقطعة من القماش وسقيه بعض الماء. حملت الكلب الأسود ووضعت على الأريكة وهو يلهث ويتنفس بسرعة وقد كان جليلاً لي أنه يحتضر. بقيت بجانبه بلا حيلة أراقبه بصمت حتى تذكرت معلومة من علمي الذي لا ينتفع به وخرجت للخارج وتوجهت لأقرب مكان فيه تربة وحملت بعضها بين كفي وعدت له مسرعاً ووضعت حفنة التراب على رقبته وتراجعت بضع خطواتٍ للوراء وأنا أشاهد الكلب وهو يتلوى ويصدر بعض الأصوات كالأنين. توقفت الأصوات وتوقف الكلب عن التلوي ولم ينهض ولم يتحرك

فظننت أنه مات لكن وقبل أن أسير عائداً نحوه قفز بسرعة من أمامي خلف الأريكة. لم أجد شيئاً لأفعله أو أقوله في تلك اللحظة سوى «هل أنت بخير؟». ما أن أتممت سؤالاً إلا ورأيت شخصاً عارياً أسمر البشرة يقف من خلف الأريكة وهو يقول «شكراً..»

لا أنكر أني ارتبكت قليلاً مع أنها لم تكن أول مرة أتعامل فيها مع كينونة متشكلة لكنني قلت: العفو.. من أنت؟

أنا (صمصام) نُصبت وقرنت بك لحمايتك..

- من قبل من؟

(صمصام): شيخ «المراجيم» الشيخ (غيبان)..

- .. (غيبان)؟ .. لم يعين حراسة علي؟ .. أليس من مصلحته أن أموت كي يتحرر من عهده لي؟

(صمصام): أنا أنفذ أوامر الشيخ فقط..

- أنت لست بشيطان أليس كذلك؟ .. أنت من الجن.. ومسلم

(صمصام): نعم.. نحن نأتمر للشيخ (غيبان) شياطين وجناً

- كيف للجن المسلم أن يتبع شيطاناً كافراً؟

(صمصام): لم يطلب الشيخ منا ترك عقيدتنا لذا لا نمانع أن نجتمع

تحت رايته..

- الشياطين والجن لا تجمعهم راية.. إلا راية دم مثل التي يرفعها

شيخكم.. كلكم قتلة ومجرمون لا تختلفون بعضكم عن بعض

(صمصام): الشيخ طلب مني إحضارك في حال تعرضت لأذى..

- إحضاري إلى أين؟

(صمصام): لمكان تجمع القبيلة..

- لم أتعرض للأذى والحمد لله.. يمكنك العودة الآن لشيخك

(صمصام): أنا لم أبارحك منذ أن عدت لمنزلك بعد مبايعة الشيخ

لك..

- فهمت الآن.. اختارك (غيبان) لأنك من الجن وهم أكثر قدرة

على التخفي من الشياطين ولذلك لم أشعر بوجودك

(صمصام): اختارني لأني الأفضل في ما أقوم به..

- لا أعتقد أنك تقصد الحماية فذلك الشيطان العاشق كاد يفتك

بك لولا أن لطف بك الله ورُفِع الأذان لصلاة الفجر

(صمصام): لو لم أكن مأموراً بحمايتك من الشيخ (غيبان) لفتكت

بك أنا الآن.. قالها وهو يزمجر بخفة.

- شيخك بايعني على الولاء لذا فأمرني نافذ عليك كما هو عليه

بدأ ذلك الجنى بالتحرك نحوي وبدأت معاملة تتضح أكثر حتى وقف

أمامي وكان كأني رجل يمكن أن تقابله في الشارع.. عيناه جاحظتان

ومحمرتان وبشرته السمراء صافية وخالية من الندب والشعر. لم يتحدث

معي وبقي يحدق بي ظناً منه أنه سيرهيني لكنه عندما رأى أنني لم أكن  
مكثراً له قال:

«يجب أن تذهب معي الآن للشيخ..»

- أخبرتك بأني لن أذهب معك إلى أي مكان.. يجب أن أجد الفتاة  
وأساعدتها

(صمصام): الفتاة هي من ساعد ذلك الشيطان على الدخول هنا  
بإيقاف التلاوة

- توقعت ذلك لكنني لا ألومها فقد تركتها وهي لا تزال تحت تأثير  
(ميجس)

(صمصام): هي الآن ليست هنا لقد رحلت معه وبقاؤك لا فائدة منه  
وسيعرضك للخطر

- كيف أرحل والفتاة مخطوفة؟!.. ماذا أقول لأهلها؟!

(صمصام): هناك من سيحل مكانها..

- عن ماذا تتحدث؟

لم يجيني (صمصام) لكنني رأيت خلفه ظل شخص يظهر تدريجاً.. لقد

كانت (جواهر) تسير نحونا فقلت بتعجب: انظر.. لقد عادت!

أجابني دون أن يلتفت عليها: هذه ليست هي لكنها ستحل مكانها

كي لا تقع في مشكلات مع أهلها

- هل هي جن متشكل؟

(صمصام): شيطانة متشكلة من قبيلتنا..

- وإلى متى ستبقى هنا؟

(صمصام): إلى أن يأمر الشيخ بأمرٍ آخر..

كانت خياراتي محدودة وبقائتي لم يكن له نفع في غياب (جواهر) لذا وافقت على مضض للذهاب مع (صمصام) حيث كان يريد أخذي. الانتقال والتنقل مع الجن يختلف عنه مع الشياطين فهي تدخلك بعد موافقتك في حالة أشبه بالإغماء حتى تصل بك للمكان المنشود على عكس الشياطين التي تحلق بك في عنان السماء وعلمت لاحقاً أن الجن يملكون القدرة على نقل البشر بطريقة الشياطين نفسها أيضاً لكنهم يفضلون غالباً الطريقة الأولى لأسباب ما زلت أجهلها.

استيقظت من إغماءتي التي أدخلني فيها (صمصام) في صحراء مفتوحة أول الصباح والشمس لا تزال تشق الأفق البعيد. معلوماتي كانت محدودة عن قبيلة «المراجيم» لكنني أعرف أنهم يستوطنون «الدهناء» وكثبان الرمال الحمراء التي أحاطت بي أكدت لي ذلك. كنت وحدي ولم أرَ الجنّي الذي نقلني في المكان ولم أعرف ما الذي يجب علي القيام به فنهضت وبدأت بالسير شرقاً معتمداً على موقع الشمس في الشرق. توقعت أنني سوف أقابل أحداً أو ألتقي بأحدٍ قبل أن تشتد حرارة الشمس لكن ذلك لم يحدث حتى بعد أن مشيت لساعات تحت

حرارتها المحرقة. لم يكن هناك أي معالم للمدنية أو الحياة في تلك الرقعة الشاسعة وحتى الشجيرات الصغيرة التي مررت بها من وقتٍ لآخر كانت قليلة ومحدودة. اضطررت لخلع جزء من ملابسي وتغطية رأسي بها لحمايته من حر الشمس التي تعامدت في السماء. دخلت في صراعٍ مع نفسي بين الوقوف أو الاستمرار في المشي. قررت تجاوز أكبر مسافة أستطيع قطعها خلال النهار لكن قواي بدأت تخور مع اقتراب العصر وجلست فوق أحد الكثبان الرملية أستعيد بعض عافيتي.

لمحت في الأفق البعيد شيئاً مختلفاً عن بساط الصحراء الرمي الأحمر.. شيئاً كالسيارة أو البنيان الصغير وكنت شبه واثق أن ذلك الجسم لم يكن موجوداً خلال سيرتي لكنني لم أستطع الجزم. قررت تغيير مساري والتوجه نحوه مجازفاً بذلك بما تبقى لي من طاقة ذلك اليوم على أمل أن أجد بعض الماء أو شخصاً يساعدني. مع تقلص المسافة بيني وبين ذلك الشيء في الأفق اتضح لي أنه كان منزلاً طينياً صغيراً وسط الصحراء فخاب أملي أن أجد أحداً داخله أو بعض الماء ومع ذلك أكملت المسير نحوه حتى وصلت لبابه الخشبي المتهالك. لم أتردد في الدخول والاحتفاء مما تبقى من حر النهار فدخلت ووجدته منزلاً مكوناً من غرفة واحدة صغيرة خالية من الأثاث. مجرد جدران طينية مشققة وعلى يساري كان هناك فقط ما يشبه الحوض الحجري المرتفع. ألقىت نظرة داخل ذلك التجويف لعله يكون بئر ماء لكنني لم أرَ له قاعاً فقد كان مظلماً جداً. صرخت بداخله

وأكد لي صدى صوتي أنه عميق وعلى الأرجح فارغ وجدرانها صخرية وليست ترابية. حاجتي للماء دفعتني للخروج والبحث عن صخرة أو حجارة أرميها داخل البئر. كان لا بد أن أتقن من خلوه من الماء.

قد يظن البعض أنني وجدت مرادي بسرعة لكن ما حدث هو أنني وعلى اتساع تلك الصحراء الحمراء لم أجد حجراً واحداً فاضطرت للعودة وخلع حذائي الأيمن ورميه داخل ذلك التجويف. رميت الحذاء ووجهت أذني منتظراً سماع صوت ارتطامه لأحدد ما إذا كان هناك ماء في القاع أم لا.. انتظرت وانتظرت ولم أسمع شيئاً وكان ذلك التجويف بلا قاع. أقنعت نفسي بآني لم أركز جيداً وأنا لم أنتبه للصوت فخلعت الحذاء الآخر وقبل أن أرميه ووجهت أذني داخل التجويف ثم رميته وكما حدث في السابق بقيت لأكثر من دقيقتين متصلتين دون أن أسمع شيئاً.

جلست في إحدى زوايا المكان الذي أنير بنور الشمس المخترقة لشقوق الباب الخشبي المتهالك وكسر صغير جداً في سقف المنزل الخلفي وبعد دقائق من الصمت والتفكير تمكن التعب مني أخيراً واستلقيت على الأرض الرملية وأغمضت عينيّ وغموت.. نعم غموت ولم أكنم.. كانت هذه المرة الأولى التي أنام فيها بشكل طبيعي منذ أن قام (عمار) بتفعيل هالتي. لم أعرف السبب وقتها لكنني علمت لاحقاً أن قوة هالتي في ذلك المكان قد تبددت وكان طاقتها سُحبت أو تدمرت بالكامل.

هل تعرف ما الذي يمكن أن يخيفك لدرجة تجعل قلبك يريد

التوقف؟.. أن تستيقظ في مكانٍ مظلم وأنت لا تذكر أين أنت ولم أنت هنا وكيف وصلت.. هذا ما حدث معي عندما فتحت عيني ليلاً في ذلك المنزل الصغير وسط الصحراء الحمراء. أصبت بالجزع الشديد.. ظننت لوهلة أني فقدت بصري وهدوء المكان الصارخ لم يزدني إلا جزعاً ورهبة. لم أكن أسمع سوى أنفاسي المتسارعة والمتقطعة ولم أشعر بشيء سوى بنبضات قلبي المؤلمة وقطرات العرق الساخنة التي بدأت تنساب على جبينني. مع اعتدال الرؤية في عيني واعتيادهما على الظلمة بدأت أرى بعض النور في الخارج يتسلل من بين شقوق الباب الخشبي فنهضت وخرجت مبتعداً بضع خطوات عن المكان وجلست على الرمال تحت سماءٍ امتلأت بالنجوم المشعة يتوسطها قمرٌ شبه مكتمل.

بقيت وحدي أتأمل النجوم والأفق بصمت لدقائق حتى سمعت أو همى لي أي سمعت أحداً يناديني. لم أتمكن من تحديد اتجاه أو مصدر الصوت في بادئ الأمر لكنه عندما تكرر عرفت بأنه كان يأتي من المنزل الطيني الصغير الذي خرجت منه للتو. لم أستطع فهم مضمون النداء بالكامل فقد كان الصوت خفيفاً محمولاً على ريح الصحراء ونسيمها البارد العابر عند مسامعي. حسب ما أتذكر كانت مجرد كلمات مقتضبة ومتقطعة مثل «تعال» أو «عد». نهضت من مكاني ووجهت نظري لدرفة باب المنزل نصف المفتوحة وبدأت بالسير ببطء نحوها. قد تكون الريح وقد يكون شيئاً آخر لكن مع تقديمي نحو المنزل أخذت درفة الباب

تتحرك وتتسع. وقفت أمام مدخل المنزل الطيني أحدق بتلك الغرفة المظلمة وأنا في حيرة من أمري والخوف والارتباب يتصارعان في جوفي. فجأة وبدون مقدمات خرج رجلٌ من المنزل ووقف أمامي مما دفعني للترجع مفزوعاً للوراء والسقوط على الرمال. اعتدلت بسرعة لكني لم أقف وبقيت أنظر لذلك الرجل المحدق بي حتى تحدث معي وقال: أريد الحديث معك..

نهضت ونفضت الرمال من علي وأنا أقول: ومن أنت؟

(الرجل): تربطني بعهدٍ ولا تعرف من أنا؟.. أي نوع من السحرة أنت؟.. قالها وهو يمد إناءً كان بيده تجاهي..

- لم أعرفك بلا سنامك يا شيخ (غيبان) ثم أنا لست بساحر.. قلتها وأنا آخذ الإناء من يده وقد كان ماءً شربته بنهم من شدة العطش..

(غيبان): لم تعبت إذاً بتلك الطلاسم؟

- لحظة ضعف وانتهت..

(غيبان): لم ينته شيء.. اتبعني..

دخل شيخ «المراجيم» للمنزل الطيني وبمجرد دخوله أضاء المنزل وكأن الشمس أشرقت بداخله. رميت الإناء الفارغ جانباً ودفعت درفة الباب عند وصولي لعتبة المنزل ولشدة قوة النور لم أستطع رؤية شيء

بالداخل لكنني سمعت (غيبان) يقول:

«النور القوي يُعمي أكثر من الظلمة..».

أجبتّه وأنا أعطي عينيّ بظهر كفي قائلاً: نعم وصلت المعلومة.. هل  
يمكنك تخفيف ذلك الضوء؟

تراجعت أشعة النور تدريجياً حتى أصبح المكان مناراً بطريقة مكنتني  
من رؤية (غيبان) وهو جالس في إحدى الزوايا يشير لي بالاقتراب  
والجلوس أمامه. جلست وأنا أنتظر تبريراً لوجودي في هذا المكان لكن  
الحوار الذي بدأه معي كان غريباً وبعيداً كل البعد عما توقعت وقال:  
حررني من عهدي معك..

- أحررك كي تقتصص مني؟.. لا لن أفعل

(غيبان): لا تظن أنك تستطيع الهرب من سخطي للأبد.. يمكنني أن  
أقضي عليك وقتاً أشاء

- وما الذي يمنعك؟.. إتيانك بي إلى هنا لم يكن عبثاً وأريد معرفة  
السبب

(غيبان): لقد بحثت في تاريخك ومعك حق أنت لست ساحراً أنت  
شيء أكثر خطراً علينا

- ماذا تريد مني؟.. لن أحررك ولن ترهبني بكلامك

(غيبان): أنا لا أحاول إخافتك بل أحاول تحذيرك..

- تحذيري من ماذا؟

(غيان): عبثك المستمر بعالمنا لن يأتي لك إلا بالمصائب وكذلك  
أهلك لن ينجوا من الخطر

- لا تتحدث عن أهلي ولا تجرهم للموضوع!

(غيان): اختيارك لقبيلتنا لتوفر لك الحماية دليل على ذكائك وخبثك  
فأنت تعرف أننا أقل قبيلة التزاماً بالقوانين وسوف نتجاوزها ونكسرهما  
دون أدنى اكرثا للتعبات لكن ما لا تعلمه أن هذا بين القبائل فقط  
وليس أمام «المجلس»..

كانت هذه أول مرة أسمع فيها عن «المجلس» فكل علمي السابق  
كان حول القبائل من الجن والشياطين وتناحرها فيما بينها لكن لم أكن  
أعلم بتنظيم أعلى يحكمهم. سألت (غيان) عن ماهية هذا «المجلس»  
وعلى عكس توقعي مرة أخرى تحدث عنهم بكل أريحية وتفصيل قائلاً:  
«المجلس دائرة تتكون من خمسة أعضاء يرأسها الأب الكبير وهم  
من يديرون شؤوننا ويوجهوننا وكلمتهم هي العليا والكثير من الجن  
والشياطين أنفسهم لم يلتقوا بهم لكن جميعهم يعرفونهم ويهابونهم فهم  
من يجلون ويربطون في أدق تفاصيل حياتنا ولا يجتمعون إلا مع أكبر  
شيوخ القبائل فقط وفي أوقات نادرة ومحدودة.. وزعيم «المجلس»  
وقائدنا وزعيمنا جميعاً لا يلتقي بأحد وتواصلنا معه يأتي من خلال  
الأعضاء الخمسة فقط.»

- وما علاقتي بكل هذا؟

(غيان): عندما كنت أجمع المعلومات عن ماضيك ترددت أقوال كثيرة ذكرت أنك قابلت أعضاء المجلس في السابق والشائعات تقول أيضاً إنك التقيت بأبينا الكبير وتحديث معه.. هل هذا صحيح؟  
- لا ، غير صحيح..

(غيان): أهميتك بالنسبة لي ناجمة عن هذه المعلومة فإذا كانت غير صحيحة فلا قيمة لك عندي وسأقتلك  
- ما زلت أتساءل كيف ستقتلني وقد قطعت عهد الولاء لي؟

(غيان): بأن أتنازل عن مشيخة القبيلة لابني الأكبر وبذلك ينكسر العهد بيني وبينك وأقتلك بكل سهولة

كان مع (غيان) حق فالعهد الرابط بيني وبينه هو لشيخ قبيلة «المراجيم» فقط وتنازله عن تلك المشيخة سيكون كصك عفو من عهدي معه ويمكنه بذلك قتلي بسهولة. قلت وأنا أحاول أن أخفي توتري:  
- حسناً.. لم التردد؟.. هيا نفذ تهديدك

(غيان): الشيء الوحيد الذي منعني من التنازل عن مشيخة القبيلة ونزع روحك هي شائعات مقابلتك لأبينا الكبير في الماضي ومساعدة المجلس لك في قتل أحد زعماء القبائل  
- كانت زعيمة وليس زعيماً..

(غيان): ماذا؟! .. إذاً فالكلام صحيح!

- نعم صحيح.. كان اسمها (جند) وقد غدرت بأخيها (جسار)  
وانترعت منه زعامة قبيلة «الكثبان»

تغيرت ملامح (غيان) وتبدلت من الثقة في الحديث لرهبة واضحة  
مني بالرغم من أنني لم أقل شيئاً يستحق الخوف بهذا الشكل. بعد صمت  
ثوانٍ أمضاها (غيان) محققاً قال: من أنت ليساعدك المجلس الأعلى  
ويتحدث معك أبونا الكبير؟

- أنا كما قيل لي سابقاً «مجرد سافل علوي حكم العالم السفلي...»..  
لكن كل ذلك انتهى الآن..

(غيان): لم ينته شيء.. تدخلك بين الأمير (ميجس) وعشيقته الإنسانية  
أعادك لدائرة الخطر مرة أخرى..

- أمير؟.. كنت أظنه من الأسياد فقط

(غيان): لا.. (ميجس) أمير من أمراء قبيلة «الثلما» وهو يبحث  
عنك ويطالب بدمك وقبيلتي لن تستطيع حمايتك من بطش «أمير» من  
الشياطين وخاصة أميراً من قبيلة «الثلما».. كل ما أستطيع أن أوفره لك  
هو مكان لتختبئ فيه»

- وإلى متى سأبقى مختبئاً؟

(غيان): ربما إلى الأبد..

- ماذا؟!.. ماذا عن أهلي؟!

(غيان): لقد عينت بديلاً متشكلاً عنك ليحل محلك وهو من أخبرني بأن الأمير (ميجس) أتى لمنزلك للبحث عنك وعلم بأنه ليس أنت وأنه شيطان متشكّل

- ألم يستجوبوا تابعك؟

(غيان): بلى لكنه أخبرهم بأنك أنت من تركته مكانك قبل رحيلك وهو لا يعرف عنك شيئاً..

مكتبة أحمد  
telegram @ktabpdf

- وهل صدقوه؟

(غيان): ولم لا يصدقونه؟.. (ميجس) مقتنع بأنك مجرد شخص عبث معه بجهالة منه ولا يريد شيئاً سوى الانتقام منك بقتلك

- ما زلت لا أفهم سر إبقائك لي على قيد الحياة وتعريض نفسك للخطر خاصة وأنت قلت للتو إنك تستطيع التملص من عهدي بالتنازل عن مشيخة القبيلة وحكاية علاقتي الماضية بالمجلس لم أستوعب كيف ستفيدك

(غيان): كنت أمام خيارين.. التنازل عن المشيخة والاقتصاص منك أو مساعدتك والحصول على شيء أكبر من مشيخة قبيلة «المراجيم»  
- حدد تلك الفائدة..

(غيان): كونك أقمت علاقة مع «المجلس» في الماضي حتى وإن

كانت وجيزة وحديثك مع أبينا الأكبر وخروجك حياً يعني أنك شخص  
يهمهم بقاؤك على قيد الحياة

- هل تفكر بمقايضة سلامتي بمنصب أعلى؟

(غيان): نعم بالضبط..

- لا تكن واهماً.. ما حدث معي في الماضي كان له ظروفه الخاصة  
وفي الغالب أنهم نسوا أمري ومن أكون

(غيان): لا أحد في عالمنا ينسى أي شيء وما فعلوه معك لم يكن  
إحساناً..

- أعرف بأنه لم يكن إحساناً لكنه بالتأكيد لم يكن عربون محبة أيضاً

(غيان): هل تريد الخروج من هنا أم لا؟.. أم تريد البقاء طيلة حياتك  
في هذا المكان؟

- لا ، بالطبع أريد الخروج وبأسرع وقت

(غيان): إذا أعطني الإذن بأن أكون وسيطاً لك في حل مشكلتك مع  
الأمير (ميجس)..

- ماذا عن الفتاة؟

(غيان): عن أي فتاة تتحدث؟.. مشكلتك أكبر بكثير مما تتصور

وفي الغالب ستبقى مع الأمير (ميجس) طيلة حياتها والشيطانة التي تحل  
مكانها الآن سوف نستدعيها قريباً

- لقد وعدتها بأني سأساعدتها..

(غيبان): انسَ وعدك لها القوانين العليا تمنعنا من التدخل بين «أمير»  
ومعشوقته

- شيخ «المراجيم» يتحدث عن القوانين؟

(غيبان): لا أحد يعيش بدون قانون حتى لو كان قانون «الغاب» كما  
تسمونه في عالمكم وتعرض قبيلتي لقبيلة مثل قبيلة الـ«ثلما» انتحار  
- الفتاة يجب أن تعود لأهلها..

نهض (غيبان) ووقف أمامي وهو يقول: الحديث في هذا الموضوع  
مضیعة للوقت كل ما أستطيع تقديمه لك الآن هو مكان تقييم فيه بأمان  
وراحة فقط

- أمان ربما.. لكن راحة؟.. لا أعتقد

(غيبان): ما الذي ينقصك؟

- لا أعرف عنكم ولكن البشر يحتاجون للماء والطعام

(غيبان): لا تقلق سيصل الزاد والشراب كل يوم مع (صمصام)..

- الجنى الذي عينته لحراستي؟

(غيبان): نعم وهو سيلبى لك كل طلباتك حتى أصل لحلّ مع  
(ميجس) وأخرجك من هنا وتحررنى من عهدي لك وينتهي كل شيء

- وكم سيستغرق ذلك؟

بدأ النور يزداد في المكان وبدأت معالم (غيبان) تختفي وهو يقول: لا تستغرب لو استغرق الأمر سنوات..

نهضت من مكاني وأنا أصرخ فيه قائلاً: ماذا؟!.. سنوات؟!  
انقشع النور وعادت الظلمة للمكان وعم معه الهدوء..

## غفوات على حجر الشيطانة

لم يهزني حديثي مع شيخ «المراجيم» عن الخطر المهدد لحياتي مثلما هزتني عبارته الأخيرة وهي أنني قد أبقى في هذا المكان المعزول لسنوات. بدأ جحيم الثلاث السنوات التي قضيتها مع (عمار) يعاودني مرة أخرى ولم أكن مستعداً أو متقبلاً لذلك أبداً. شعرت بالضيق وخرجت من المنزل الطيني الصغير وبدأت بالسير مبتعداً عن المكان. لم تكن لي وجهة محددة أو نية لشيء كنت أريد فقط الابتعاد عن سجنني الجديد ولم أكثرث للعواقب. ابتعدت كثيراً حتى ظهر (صمصام) من خلفي متشكلاً بهيئة ذلك الرجل الأسمر لكنه هذه المرة اكتسى برداءً أبيض ناصع ونادى علي قائلاً: إلى أين؟

التفت عليه بعد ما تعرفت على صوته وقلت: إلى حيث أريد!.. أنا لست أسيراً عندكم!

(صمصام): ألم يشرح لك الشيخ وضعك الجديد؟

- بلى وشرحه لا يعني موافقتي!

(صمصام): هل تعرف أين أنت؟

- يمكنني التخمين..

(صمصام): أنت بعيد جداً عن أي بشر يمكنك الوصول إليه سيراً  
على الأقدام

- هل تعرض علي أن تقلني وتوصلني لأقرب تجمع بشري؟

(صمصام): لا.. أنا أخبرك فقط بأنك ستموت لا محالة لو قررت  
استئناف المسير

- ربما يجب أن أموت كي أرتاح

(صمصام): أنت مسلم مثلي وتعرف ماذا ينتظرك بعد الموت..

ابتسمت.. لا أعرف لماذا لكنني ابتسمت.. الإنسان غريب.. يأنس  
بأي شيء.. عندما كنت وحدي كانت الدنيا ضيقة جداً لكن عندما أتى  
هذا الجنى وتحدث معي خف الضيق عني بالرغم من أن حديثه كان عن  
الموت وعذاب الآخرة نوعاً ما. أخذت بضع خطوات تجاهه وهو يراقبني  
بصمت ووجه خالٍ من التعابير وقلت:

وماذا تقترح أن أفعل الآن؟

(صمصام): تأكل وتشرب.. الشيخ أمرني بإطعامك كل يوم..

- لا أرى معك أي كيس للطعام

(صمصام): كيس ماذا؟

لا أعرف لماذا لكنني في تلك اللحظة انفصلت عن الواقع وبدأت

لا آخذ شيئاً على محمل الجد وبت أتعامل مع الأمر بخليط من العفوية والسخرية ربما لأنني سئمت التوتر والقلق وقررت أن لا أكثرث لشيء وأن آخذ الحياة كما ترمي بنفسها علي. بدأت بالسير عائداً نحو المنزل الطيني وعند تجاوزي لـ(صمصام) الواقف بثبات قلبت له:

- هيا لنعود لقصي كي تطعمني؟

لم يتحرك الجنى الموكل بالبقاء معي لكنه قال دون أن يوجه نظره نحوي: لا تبدو سعيداً..

توقفت عن المشي وقلت له: سعيد؟.. هل ترى أين أنا؟.. ربما يكون هذا المكان بالنسبة لكم جنة لكنه بالنسبة للبشر جحيم!

(صمصام): ما الذي ينقصك كي تصبح سعيداً في هذا المكان؟

- لا أعرف.. ربما بعض المسليات لكسر الأيام الطويلة التي سأقضيها هنا.. ولا تقل بأنك ستطعمني فالأكل ليس مصدر تسلية دائماً.. ربما للبعض لكن ليس بالنسبة لي.. قلتها بخليط من الغضب والتهمك

(صمصام): ما الذي سيجلب لك السلوان هنا؟.. قالها بهدوء وبرود

بعد ما التفت نحوي

- لا تشغل بالك أنا معتاد على العزلة على أي حال

(صمصام): لا أريد أن أفشل في مهمتي مرة أخرى..

- أنت لم تفشل.. أنا ما زلت على قيد الحياة ألا ترى؟.. انس الأمر  
اقترب (صمصام) مني ومد لي ورقة خضراء وقال: تناول هذه..  
ابتسمت وقلت له: شكراً لكن البشر يتناولون أشياء أخرى يبدو أنك  
قد خلطت بيني وبين كائن آخر  
(صمصام): هذا ليس طعامك..  
- ماذا إذا؟

(صمصام): تناولها فقط.. رجاء..

مددت يدي وأخذت الورقة ووضعتها في فمي وبدأت ألوكها وأنا  
أقول: هل يمكنني العودة الآن؟  
(صمصام): نعم..

بدأت بالسير نحو المنزل الطيني الصغير ولاحظت أن هناك نوراً يخرج  
من شقوق الباب مثلما حدث عند زيارة (غيبان) لي فتوقعت أنه عاد مرة  
أخرى لكن وعندما دفعت درفة الباب ودخلت رأيت شيئاً بهرني. رأيت  
المكان وقد تغير تماماً، كان نظيفاً وجدرانه وكأنها قد طليت للتو بالدهان  
الأبيض وقد فرش بالسجاد والأثاث الفخم بالإضافة لفراشٍ أرضي  
من الواضح أنه من قماشٍ فاخر والوسادة الكبيرة التي كانت عليه مريحة  
بمجرد النظر إليها. كل شيء تغير إلا ذلك التجويف المشابه للحوض  
الحجري فقد كان كما رأيته أول مرة والغريلة التي حلت بالمكان لم تطله

أو تصل إليه. خلال نظري وتمعني حولي بانبهار تحدث (صمصام) من خلفي وقال: هل أنت راضٍ؟

أجبتُه دون أن أحيِد بنظري عن جوف المنزل الباهر: بداية جيدة.. ماذا لديك أيضاً؟

(صمصام): تفضل بالجلوس على تلك الأريكة وسأخبرك..

جلست على أريكة لا يمكن وصف جمال نقوشها ونعومة ملمسها وأنا أراقب كيف تحول ذلك المنزل الصغير المكون من غرفة واحدة إلى تلك الجنة المُصغرة. لم أبالغ حين أسميتها جنة فكل شيء كان براقاً ويتلتمع والنور الأبيض غطى المكان دون أن أستطيع تحديد مصدره. شعور غريب بالراحة أحسست به وقتها ولم أحس به منذ زمن طويل.

(صمصام): هل تريد مني تقديم الطعام الآن؟

- لا.. يبدو أن ورقتك قد أخذت حيزاً في معدتي ولم أعد أشعر بالجوع

(صمصام): ماذا عن الماء؟

- كنت أشعر بالعطش وماء الإناء الذي أعطاني إياه شيخك لم يروني بالكامل لكن الآن.. لا.. لا أشعر بالعطش..

(صمصام): جيد.. لتحدث الآن عن مهمتي

- التي فشلت فيها أو التي ستفشل بها؟.. قلتها ساخراً

(صمصام): هل تسخر مني يا سيدي؟

انتبهت أن هذه أول مرة يناديني فيها (صمصام) بـ«سيدي» وهذا دليل ومؤشر أن تعليقات شيخ قبيلة «المراجيم» كانت صريحة بشأن كسب رضاي فقلت ضاحكاً: لا لا ، أنا أمازحك فقط .. هات ما عندك ..

(صمصام): مهمتي هي أن تكون سعيداً وراضياً خلال فترة إقامتك

هنا وأن لا تشعر بالضجر حتى تنتهي فترة الضيافة

- تقصد الحبس؟

(صمصام): لا .. أقصد الضيافة .. أنت ضيف الشيخ ..

- حسناً ماذا تقترح كي أكون سعيداً هنا؟

(صمصام): حدثني عن ما تحب ..

- أحب الكتب والقراءة لكن لا مزاج لي للقراءة الآن

(صمصام): أعتقد أنني أعرف ما سيعجبك يا سيدي

- الأمر متروك لاجتهادك ..

(صمصام): بعض الجن والشياطين يُسخرون لهذه الأغراض من

البشر وهي تجيد ذلك

- عن ماذا تتحدث؟

لم يرد (صمصام) علي لكنه اختفى بسرعة خاطفة بعد وميض كالبرق

لمع أمامي. بقيت وحدي لثوانٍ حتى رأيت درفة الباب تتحرك وتدخل علي سيدة بشعرٍ أسود طويل وأعين زرقاء واسعة. بالرغم من ملاحظتها الجميلة إلا أنها كانت غريبة الشكل ذات مخالبٍ طويلة نوعاً ما. بقيت أحدق بها حتى جلست أمامي على ركبتيها وهي تقول: أنا هنا حسب طلبك..

- أنا لم أطلب شيئاً..

(السيدة الغريبة): أتيت لأنك تبحث عن السلوان وسوف أقدمه لك

- يبدو أن (صمصام) لم يفهم قصدي

(السيدة الغريبة): ألا تحب القصص والحكايا؟

- قصص؟

(السيدة الغريبة): نعم.. أنا أجيد رواية القصص والحكايات المسلية

للشعر

- شيء مثير للاهتمام.. وما نوع القصص التي ترويها؟

(السيدة الغريبة): أي نوع يستهويه قلبك..

- أنتِ من الجن أم الشياطين؟

(السيدة الغريبة): ألا يمكن رؤية الفرق؟

- تتحدثين كالجن وتشكلك شيطاني.. عيناك تدلان على ذلك..

أعتقد أنك شيطانة

(الشيطانة): أصبت في التخمين أنا منبهرة..

- هذا لم يكن تخميناً.. كان تحليلاً منطقيّاً ولا تحاولي الغواية معي بالإطراء

(الشيطانة): لا أحتاج لغوايتك إلا إذا كنت أنت من يبحث عنها..

كانت تلك الشيطانة تتحدث بعينها الزرقاوين الواسعتين أكثر من لسانها ومن الواضح أنها تمارس مهنة غواية البشر بشكل احترافي وكنّت هدفاً لها ولم أكن مستعداً أن أقع ضحية لها فطلبت منها الرحيل لكن شيطانة مثلها لم تكن لتستسلم بتلك السهولة وحاولت محاولة أخيرة.

(الشيطانة): سأرحل تلبية لرغبتك لكن هل تأذن لي بطلب..

- لا

(الشيطانة): اجعله رجاء إذاً..

- ماذا تريدان؟

(الشيطانة): أن أحكي لك حكاية واحدة فقط من قصصي وإذا لم

تعجبك فسأرحل بلا عودة

- حسناً لا بأس.. هاتي ما عندك..

قامت تلك الشيطانة بالحبو تجاهي حتى أصبحت عند قدمي ثم

وضعت يدها ذات المخالب الطويلة على ركبتني وقالت مبتسمة: يُحكى

أن..

قاطعتها وأزلت يدها من علي قائلاً: تحدثني دون أن تلمسيني..

(الشيطانة): أمرك.. قالتها وهي لا تزال تبتسم..

بدأت تلك الشيطانة برواية قصة عجيبة وغريبة. كنت مشدوهاً بها وسارحاً في تفاصيلها. لا أعرف هل كان السبب تحديقي بعينها وتبسمها خلال حديثها أم أن القصة التي روتها بالفعل كانت جميلة وساحرة. لم ينقطع تركيزي إلا عندما وكزنتي بمخلبها على فخذي ضاحكةً وهي تقول: ما رأيك بالقصة يا سيدي؟

- هل انتهيتِ؟.. قلتها وأنا أستيقظ مما كان أشبه بالتنويم المغناطيسي

(الشيطانة): نعم هل أعجبتك؟

- لا أنكر أنها كانت شيقة

(الشيطانة): حسناً سأذهب الآن.. قالتها وهي تمهم بالنهوض

- إلى أين؟!!

عندها علمت أنني وقعت في قبضتها وأنها قد غرست أول ناب في عنقي بعد سرد تلك القصة. عادت وجلست وهذه المرة اقتربت مني أكثر ووضعت رأسها على حجري وهي تبتسم وتقول: هل ترغب في سماع قصة أخرى؟

لم يكن الرفض خياراً معها فوافقت بهز رأسي كالأبله..

سردت قصتها الثانية وكانت أجمل وأطول من السابقة وما أن انتهت حتى طلبت أنا دون سؤالٍ منها قصةً ثالثة وكأني مدمن يبحث عن جرعة من مخدر. استمرت تلك الشيطانة بسرد القصص والحكايا علي حتى أشرقت الشمس وخفت نور الغرفة وقالت: لقد حل الصباح ويجب أن أذهب..

- لا تذهبي فأنتِ لستِ شهرزاد وأنا لست شهریار لیسکتنا الصباح عن الكلام المباح..

كنت في حالة حمق وغباء عجيبة..

ضحكت وهي ترفع رأسها الذي وجد طريقه وقتها لصدري قائلةً: «أنا لا أروي قصصاً في النهار ثم إنك بحاجة للنوم سوف أعود في المساء أعدك بذلك».

سارت نحو الباب واختفت قبل أن تصل إليه..

أحسست بعد رحيلها بكم الإرهاق الذي لم أحس به خلال وجودها ولم أستطع حتى النهوض والاستلقاء على الفراش ونمت مباشرة على الأريكة. لم يوقظني أحد أو يعكر صفو منامي العميق لذا استغرقت ساعات طويلة في النوم على تلك الأريكة المريحة والتي تتسع لشخصين. فتحت عينيّ ليلاً وكان النور في المكان خفيفاً بمقدار ضوء بعض الشموع ولم يكن لونه أبيض بل مائلاً للحمرة. اعتدلت في جلستي وأنا أدعك النعاس من عينيّ وتدرجياً زادت الإنارة حولي لدرجة مريحة للعين

مكتتي من مشاهدة ظهور مائدة كبيرة أمامي بها أصناف كثيرة من الطعام والفاكهة وكأنها كانت تنتظر استيقاظي. نزلت بكسل وبدأت أتناول الطعام والشراب بهدوءٍ وحدي. أمضيت أياماً طويلة في روتين يومي متكرر سلب عقلي وإدراكي بالزمن بين قصص تروى على لسان تلك الغاوية وموائد طعام تقدم لي عندما أستيقظ.

أذكر تماماً في إحدى الليالي وبعد انتهائي من الطعام أني قلت «الحمد لله» وخرجت للخارج لفرك يدي ببعض الرمال للغسل وعندما بدأت بالسير عائداً للمنزل الطيني الصغير رأيت الوهج الأبيض ينير من داخله فعلمت أن هناك من حضر. دخلت ولم أجد المائدة ولم أجد أحداً كذلك. جلست على الفراش وتمددت للراحة لكنني فزعت عندما رأيت يد تلك الشيطانة تمتد على صدري وهي تهمس في أذني قائلة: هل نبداً؟

نهضت من مكاني بسرعة وأنا أصرخ فيها: من أين أتيت؟! .. لم تسللين علي هكذا دائماً؟!!

كانت تحب الألاعيب كثيراً ولم أعتد عليها أو آلفها أبداً.. كان هناك شيء يحول بيني وبين ذلك.

ابتسمت وهي تمد ذراعها فوق رأسها وقالت: كنت أريد مفاجأتك..

أجبتها بغضب: تفاجئيني أم توقفين قلبي؟!

(الشيطانة): امسح ذراعك.. قالتها مشيرة لذراعي الأيسر والذي

خُدش بمخلبها خلال نهوضي السريع وكانت الدماء تسيل منه..

- لا تغيري الموضوع.. قتلها وأنا أمسح الدم النازف على ذراعي  
بكفي الأيمن

نظرت لي بابتسامة خبيثة وهي تربت على الوسادة وقالت: تعال  
واقترب مني..

دنوت منها واستلقيت مرة أخرى بجانبها وما أن وضعت رأسي على  
الوسادة وبالقرب من صدرها حتى بدأت تمسح على جبيني وتداعب  
شعري بمخالبتها كعادتها وتقول: لدي حكاية جميلة لك اليوم..

- عن ماذا؟

(الشيطانة): عن عشيقين افترقا رَغماً عنهما..

- موضوع مستهلك..

(الشيطانة): أعدك بأنك لم تسمع مثل هذه الحكاية من قبل

بدأت تروي حكايتها وهي تداعب غرقي بأناملها بينما أغمضت عيني  
وأنا منصت لها وكما حدث مع قصصها الأخرى اندمجت أشد الاندماج  
وكان صوتها الهامس في أذني أقرب للسحر. اختتمت القصة ففتحت  
عيني لأراها تقترب بشفتيها في محاولة لتقبيلي فدفعتها بقوة وقلت: لا  
تحاولي شيئاً كهذا معي!

(الشيطانة): لم؟.. ألا تحب النساء؟.. قالتها مبتسمة بخبث..

- لا أحب الشياطين!.. قلتها وأنا أنهض من الفراش وأسير نحو باب الخروج..

توقفت في منتصف الغرفة عندما قالت تلك الشيطانة من خلفي وهي لا تزال على الأرض: ألم تكن (جند) شيطانة؟

التفت إليها بوجه متجههم وقلت: من أين تعرفين هذا الاسم!؟

(الشيطانة): الجميع في القبيلة يعرفون الآن قصتك يا (خوف).. لقد أخبرنا الشيخ بكل شيء..

شعرت لسبب ما بالغدر ونهرتها بقوة وطلبت منها أن لا تعود مرة أخرى فنهضت من مكانها وابتسامتها الخبيثة لا تزال على محياها وخرجت دون جدال. ومرة أخرى لم أكن أعرف لم الشياطين تختار الاختفاء مرة ومرات أخرى تخرج كالبشر سيراً على الأقدام أعتقد أن المسألة لها علاقة بحالتها المزاجية.. لا أعرف. لم أبقَ مع أفكارى كثيراً ودخل علي (صمصام) وكان الوقت قبل الفجر بقليل وقال:  
«ما الأمر يا سيدي؟».

أجبتهم بمتعاض وقلت: أريد مقابلة (غيان)؟!!

(صمصام): لماذا؟!.. هل قصرت معك بشيء؟

- أريد معرفة متى سأخرج من هنا!

(صمصام): أوامر الشيخ هي بإبقائك هنا حتى يقرر مقابلتك

- أنا من يريد مقابله!.. لن أبقى هنا حتى يأذن هو بمقابلي!  
(صمصام): أرجوك.. لو نقلت له رغبتك فسيعرف بأني فشلت في مهمتي

- الأمر ليس عنك أو عن تقصيرك في عملك!.. أنا أريد مقابله وفي الحال!

(صمصام): حسناً سأنقل له رغبتك..

- جيد.. وأخبره بأن لا يتأخر وإلا فسأترك المكان

(صمصام): ألم تجد سلواناً مع القصاصة؟

- هذه الشيطانة تجاوزت حدودها معي ولا أريد رؤيتها مرة أخرى!

(صمصام): أمرك..

رحل الجنى وتركني وحدي في حالة من الغضب والتوتر فأنا لم أكن أريد أن أبقى أسيراً ومحتجزاً في ذلك المكان لأي سبب. جلست على الأريكة ولم أكن أظن أن (غيان) سيزورني في اليوم نفسه لكنه ظهر أمامي بعد حوارى مع (صمصام) بنصف ساعة تقريباً وقال: ما بك؟.. لم طلبت مقابلي؟

نهضت من مكاني وقلت بتجهم: أريد الخروج من هنا!

(غيان): لقد شرحت لك الوضع ألم تفهم كلامي؟

- لم تحدث عني عند أفراد قبيلتك؟

(غيان): عن ماذا تتحدث؟

- الجميع هنا يعرفون قصتي ويعرفون لقبى السابق!

(غيان): الجميع؟.. لا أحد يعرف عنك شيئاً سوى (صمصام) وقد أخبرته بذلك كي يقوم بتلبية رغباتك بشكل أفضل.. ثم إن القبيلة ممنوع عليها الوجود في هذه المنطقة ولا أحد يسمح له بالاقتراب منك - لكن..

أدركت أن تلك الشيطانة لم تكن سوى (صمصام) وقد تشكل بتلك الهيئة ظناً منه أنه سيرضيني. هاجسه للنجاح في مهمته جعله يفعل ذلك. لم أذكر أي تفاصيل أخرى لـ(غيان) وحولت الموضوع للحديث عن (ميجس) وقلت: هل وصلت لأي شيء يخص أمير «الثلما»؟ (غيان): ما زال الوقت مبكراً على القول لكن البوادر لا تبشر.. - كيف؟.. تحدث بالتفصيل..

(غيان): لم أستطع التواصل مع «المجلس» لطلب وساطة لك والبحث عنك من قبل أتباع (ميجس) مستمر وسيجدونك عاجلاً أم آجلاً

- وإذا وجدوني فماذا ستفعل أنت؟

(غيان): أخبرتك أن قبيلتي ليست نداءً لقبيلة الـ«ثلما» وحلفائها

- ستسلمني لهم إذاً..

(غيان): الوضع اختلف الآن..

- لم أبقيتني هنا إذاً ما دمت لا تنوي حمايتي؟! .. كلامك يناقض نفسه في كل مرة نتحدث فيها يا شيخ (غيان)!

(غيان): لقد تنازلت عن مشيخة القبيلة اليوم لابني.. أمرك الآن

بيده..

كان وقع تلك الكلمات قوياً علي، كمن سمع نص الحكم عليه بالإعدام وينتظر موعد القصاص. لم أجادله ولم أتفوه بشيء سوى: هل لي بطلب أخير..

(غيان): ماذا تريد؟

- لقاء أخير مع أهلي..

(غيان): لا يمكنني منحك ذلك.. المتشكك الذي يحل مكانك سيبقى

معهم حتى نوهمهم أنك مت بحادثٍ ما

- متى تنوون التخلّص مني؟

(غيان): الشمس ستشرق بعد قليل.. ستكون تلك آخر إشراقة

تشهدها

- ستقتلونني ليلاً؟

رحل (غيبان) الشيخ السابق لقبيلة «المراجيم» ولم يعطني إجابة..  
جلست على الأريكة ولم أخرج من المنزل الطيني.. لم أحاول الهرب..  
تقبلت مصيري بشكل غريب.. بدأت أسترجع حياتي الماضية في عقلي  
بشكلٍ سريع وأقتنع بأن هذه النهاية الطبيعية للحياة التي عشتها.. وقد  
تكون تأخرت كثيراً.

خلال جلوسي ظهر أمامي (صمصام) وقبل أن يتحدث معي  
ابتسمت وقلت له:

هل أتيت لتروي لي بعض القصص؟

(صمصام): كنت أقوم بمهمتي فقط..

- أي مهمة؟.. إلهائي حتى أعدم؟

(صمصام): هذه كانت أوامر الشيخ.. هل ترغب في تناول الطعام؟

- كيف سأعدم؟.. هل تستخدمون المشانق أم السيوف؟.. قلتها  
ساخراً ومتهكماً..

(صمصام): لا يحق لي الإجابة..

ابتسمت وأنا أراقبه وهو يخنفي ويتبخر أمامي. الشمس بدأت تشرق  
في ذلك الوقت وأشعتها أخذت تحترق شقوق الباب الخشبي المتهالك  
والهدوء يعم المكان. كنت مرهقاً لكن النوم هجرني. شعور مؤلم أن تنتظر  
الموت. خلال سرحاني في أشعة الشمس التي بدأت ترتفع تدريجياً سمعت

صوتاً.. صوت شخص يحدثني.. الصوت أتى من التجويف الحجري في المكان. لم أسمع في المرة الأولى ما قاله لذا نهضت وتوجهت للتجويف وأطلت برأسي قائلاً: هل هناك أحد؟

جاءني الرد.. رد عجيب ومثير.. شخص أو شيء ما يقول:

«يبدو أنك وصلت لطريق مسدود وهذا هو الوقت المناسب للحديث

معك؟»

- من أنت؟

أنا (تبريز) أميرٌ من قبيلة «المناجيط»..

لم أسمع بتلك القبيلة من قبل لكن استخدامه للقب «أمير» يشير إلى أنه من الشياطين العلوية المنحدرة من السلالة النقية. حنيت رأسي في التجويف أكثر وقلت:

ولم أنت في هذا التجويف؟.. هل تسكن هنا؟

(تبريز): أنا سجين..

- من قام بسجنك هنا؟

(تبريز): قبيلتي سلمتني لشيخ الـ«مراجيم» ليقوم بحبسي بعيداً عن

أعين القبيلة..

- لم لم يقتلوك؟

(تبريز): قتلنا ليس بالأمر السهل أو الهين فنحن من عرق الأب

الأكبر وأقصى ما يمكن القيام به في حقنا هو حبسنا إلى أن نموت  
وقبيلة «المراجيم» مناظة بذلك منذ مئات السنين وهذه الحفرة هي  
المكان المخصص لحبس الأمراء ومعنا أيضاً مجموعة من الجن المعمرين  
والشياطين العلوية

- معنى ذلك أنك لست وحدك؟.. كم عددكم؟

(تبريز): أكثر مما تستطيع أن تُحصى..

- وما الذي تستفيده قبيلة «المراجيم» من حبسكم؟

(تبريز): أشياء كثيرة على رأسها السكوت عن جرائمهم وأخذ الأمان

من القبائل التي تستعين بها

- هذا يناقض ما قاله شيخهم.. لقد تحدث وكأنه عاجز أمام قبائل

الأمراء عندما طلبت منه تخليصي من قبيلة «الثلما»

(تبريز): وهل صدقته؟.. قالها وهو يطلق ضحكة دوت بصدى

قوي..

- لم يكن بحاجة لخداعي كي يقتلني.. كان يمكنه فعل ذلك في أي

وقت

(تبريز): لقد أبقى على حياتك فقط عندما علم بعلاقتك السابقة مع

«المجلس» وعندما يثس من المساومة بك عندهم قرر التخلص منك

وتنازل عن المشيخة لابنه فمن الواضح أنه يُكن لك الكثير من الحقد

والامتعاظ لأنك ربطته.. وبالمنااسبة هو لا يزال مربوطاً بعهد معك لكن قرار إعدامك يجب أن يصدر من شيخ القبيلة وهذا كان سبب تنازله عن المشيخة.. إنه يتلاعب بك لآخر لحظة في حياتك وقد نجح في ذلك حتى الآن

- ألم يخطر ببال (غيبان) أنكم قد تتواصلون معي مثلما تفعل الآن؟  
(تبريز): نحن لم نكن لنستطيع التواصل معك ولديك حلف قائم مع شيخ القبيلة ولحسن حظنا يبدو أنه نسي ذلك وقدرته علينا لا تمتد لتكميم أفواهنا

- وهل لديك حل لما أنا فيه؟

(تبريز): نعم وهذا سبب حديثي معك الآن..

- ولماذا ستساعدني؟

(تبريز): هل تعرف قانون العالم الآخر؟

- لا يوجد شيء بلا مقابل..

(تبريز): تماماً..

- وما هو المقابل الذي تريده؟.. أن أحرك؟

(تبريز): ليس أنا فقط.. جميع السجناء هنا

- أنت تتحدث مع بشر أعزل ثم إني لا أرى قفلاً على هذا التجويف

(تبريز): سأرشدك إلى الطريقة التي ستحررنا بها

- تعلمت أن لا أثق بالشياطين أبداً.. كيف أتيقن من مساعدتك لي بعد تحريرك؟

(تبريز): هل أمامك خيار آخر؟.. أنا منصت..

- نعم.. أنا أتقبل مصيري..

(تبريز): ماذا عن وعدك لتلك الفتاة؟

أعرف أن الأمر قد يبدو غير عقلاي لكن وعدي لـ(جواهر) وفكرة أنني سأتركها تقضي بقية حياتها في غياهب العالم السفلي بعد أن قطعت لها وعداً بمساعدتها وعدم التخلي عنها أزعجتني كثيراً وربما هو عقلي الباطن يبحث عن حجة كي أعيش وأتمسك بالحياة ولو حتى بأمل ضئيل. أجبت (تبريز) وقلت:

ما علاقة مساعدتي لك بوعدتي لها؟

(تبريز): أنت لا تدرك حجم الكارثة التي ستتسبب بها عندما نخرج..

- هل يحق لي أن أسأل؟

(تبريز): أول سجين دخل هنا كان منذ ألف عام ونحن نتراكم منذ ذلك الوقت ووصلت أعدادنا لمئات الألوف من أمراء الشياطين العلوية والجن المعمر وتراكم معنا كره وغل عظيم لجميع القبائل.. نحن لا نريد الخروج لنهرب.. نريد مسح القبائل كلها وسنبداً بـ«المراجيم» مروراً بـ«الثلما» ومنتين بأي قبيلة في الجزيرة

- وهل سيسمح «المجلس» بذلك؟ .. هناك قوانين..

(تبريز): كل قانون يمكن ثنيه وكسره إذا توفرت القوة الكافية..  
سنحكم الجزيرة وسنفرض أنفسنا عنوة والمجلس لن يعترض..

- و (جواهر)؟

(تبريز): (كومن تاج) ستعود لأحضانك..

- أريدها أن تعود لأحضان أهلها وليس لي..

(تبريز): هل سنضيع الوقت في الحديث عن هذه الإنسية؟ .. أطلقنا!

- حسناً.. حسناً.. كيف؟

(تبريز): عندما يحضرون لك الطعام ارمِ تفاحة من طبق الفاكهة في  
التجويف وتنحّ جانباً..

- تفاحة؟ .. فقط..؟

(تبريز): نعم ولا تنم فموعد إعدامك سيكون بعد غروب الشمس  
وإذا غفوت فلن يحضروا لك مائدة الظهر وستفوت الفرصة عليك  
وعلينا للخلاص

- لكن..

(تبريز): لكن ماذا؟

- ألم يسمع أحد حوارنا هذا الآن؟.. أقصد (صمصام)..

(تبريز): لا تقلق فهذا المكان مُصمت ولا أحد يستطيع استراق السمع منه.. لا تفكر بشيء سوى البقاء مستيقظاً حتى تأتيك المائدة الأخيرة..

- لا تقلق لن أنام..



## تفاحة الشيطان

كان الوقت لا يزال في أول الصباح وموائد الطعام كانت تصلني في العادة عند أول الظهر وكما قال (تبريز) فإن موائد الطعام لا تُقدم لي خلال نومي حتى أستيقظ ولم يكن بيني وبين موعد إعدامي سوى مائدة الظهر لذا كان من المهم أن أبقى مستيقظاً حتى يحين وقت تقديمها فمئذ أن تبددت هالتي في ذلك المنزل أصبحت أنام بشكل أسهل وأسرع من السابق وفي بعض الأحيان بشكل مفاجئ وكأني أغط في غيبوبة لذلك كنت متوجساً من ذلك كثيراً.

ظننت أن المسألة سهلة في بادئ الأمر بالرغم من الإرهاق والتعب الشديدين اللذين كنت أحس بهما. لم أملك وسيلة لمعرفة وتحديد الوقت مما جعل الزمن بدا وكأنه لا يتحرك ولن ينتهي. تجنبت الجلوس أو الاستلقاء وأخذت أتجول في المكان لطرده النعاس الذي يباغتني في كل حين.

ملل.. شعرت بمللٍ خانق.. بين كل نفس ونفس كنت أثناء وأهز رأسي بقوة وأصفع وجنتي.. بدأت أتكى على الجدار بظهري متجنباً

الجلوس على تلك الأريكة المريحة والمغرية. لم تدم مقاومتي طويلاً وأقنعت نفسي بأن الجلوس للراحة فقط لن يضر وسوف أقاوم النوم جالساً.

ما أتذكره هو أنني جلست ورمشت فقط ولم أر نفسي إلا ليلاً و(صمصام) أمامي ينتظرنى وما أن رأني قد فتحت عيني حتى قال: لقد حان الموعد..

نهضت مفزوعاً وقلت بتوتر شديد: لا! لا! انتظر!

(صمصام): وقتك نضب وحن وقت الرحيل..

- أرجوك تمهل لي طلب أخير!

(صمصام): ماذا تريد؟

- أن أتناول الطعام!

(صمصام): لا يمكنك ذلك الآن..

- شيخ القبيلة منحني حق طلب أخير وأنا أريد تناول الطعام قبل

أن أموت!

(صمصام): الشيخ والأمير (ميجس) والقبيلة كلهم في الخارج

ليشهدوا إعدامك ولا وقت لذلك..

- ماذا؟!.. (ميجس)؟!.. ما الذي أتى به إلى هنا؟!!

(صمصام): أتى بطلب من الشيخ (غيبان)..

- ولما يطلب منه (غيان) الحضور؟

(صمصام): روحك هي ثمن ارتقاء وتقرب لشيخنا عند قبيلة «الثلما» فلم يعد لك حاجة عنده والأمير (ميجس) سوف يحفظ له هذا الجميل بلاشك

- لست متفاجئ من خبث شيخكم..

(صمصام): الزم حدودك عندما تتحدث عن الشيخ (غيان)!

- أنت كنت دائماً حريصاً على إتمام مهامك وقد قصرت بعدم تقديم مائدتي الأخيرة لي!.. قلتها بارتباك شديد في محاولة لإقناع ذلك الجنى المصمم على جري لساحة الإعدام..

(صمصام) بغضب: أنا لم أقصر بشيء وكنت دائماً أقوم بمهامي على أكمل وجه!

رده الغاضب أعطاني أملاً في تحييده عن تصميمه فالغضب أول مؤشر على تزعزع الثقة بالنفس وغياب الحكمة وكان لا بد أن أستغل تلك النقطة لأقصى حد فقلت له:

- بقي شيء بسيط وتكون قد أنجزت مهامك بشكل مرضٍ للجميع بمن فيهم أنا

(صمصام): إحضار مائدة طعام الآن ليس بالأمر البسيط..

- لا أريد مائدة.. أريد تفاحة فقط.. تفاحة لسد رمقي.. لا أريد الموت جائعاً

صمت (صمصام) بوجهه البارد والمتبلد وهو يحدق بي وأنا أنتظر رده بقلبي شديد وهلع يكاد ينفجر من عيني فلم أكن أعرف إذا كان على علم سابق بأن تلك التفاحة هي مفتاح الخلاص لـ (تبريز) والمساجين المحبوسين معه في ذلك الحوض حتى تحدث وقال: حسناً.. لك ذلك تنفست الصعداء برده وفي لمح البصر كانت تفاحة حمراء ممدودة لي على كفه وهو يقول: هيا تناولها لنرحل..

أخذت التفاحة من يده وحدثت بها الثوان ثم وجهت نظري للتجويف على يميني ورميتها فيه وأخذت خطوتين للوراء. ما حدث بعد ذلك يصعب وصفه لكنني سأحاول..

خرج من فوهة التجويف ما يشبه الانفجار البركاني من الدخان والصرخات العالية وخرج منها أيضاً زوبعة من مئات بل آلاف الكرات المضيفة كالشهب والتي اندفعت بقوة وسرعة هائلة في سربٍ ضخمة ومتصل وحطمت في طريقها للخارج الباب الخشبي المتهالك وجرفت معها (صمصام) أيضاً. جريت لإحدى زوايا المكان وجلست محتضناً نفسي وأنا أسمع الصرخات بالخارج وكانت في ما يبدو أنها معركة طاحنة بين قبيلة «المراجيم» والمساجين في التجويف.

بعد ما يقارب العشر الدقائق من الفوضى والصراخ توقف كل شيء فجأة وعم الهدوء المكان. هدوء لدرجة أنني كنت أسمع نسيمات ورياح الصحراء بالخارج. لم يكن هناك صوتٌ في الجوار عدا صوت إحدى

درفتي الباب المحطمة وهي ترتطم بين الجدار ومدخل المنزل بفعل  
تلاعب الريح بها.

كنت في حيرة من أمري.. هل أبقى في المنزل أم أخرج؟

وقفت مكاني.. لم أتحرك.. جلست بنظري في المنزل الذي عاد لحالته  
الأولى أول مرة كمنزل طيني قديم.. بدأت بالسير بخطواتٍ حذرة  
للخارج حتى وصلت لعتبة الباب واتكأت على ما تبقى من درفة الباب  
المحطمة أبحث بنظري في الأفق ولم أر سوى صحراء وكثبان رملية ممتدة  
تحت سماء منيرة بقمير نصف مكتمل محاط بمئات النجوم المتلألئة.  
«أمرك عجيب..»

هذا ما سمعته آتياً من خلفي فالتفت بسرعة نحو الصوت ورأيت  
منظراً أو بالأحرى شخصاً لم أظن يوماً أني سأراه مرة أخرى.. كان  
الرجل الأنيق من الجزيرة التي تركني عليها (جسار) يقف مبتسماً ومحدقاً  
بي وكفوفه مدسوسة في جيوب بنطاله الأسود. لم يخرج من شفتي سوى  
كلمة واحدة: «أنت؟!»

سار الرجل الأنيق وهو لا يزال مبتسماً حتى وصل عندي ثم أخرج  
كفه الأيسر من جيبه ووضعها على كتفي وهو يقول:

«لنأخذ جولة في هذه الصحراء الجميلة كي نتحدث..»

سرت معه بهدوء وبدون أدنى مقاومة أو تعليق حتى صعدنا على أحد  
الكثبان الرملية الكبيرة وجلس هو عليها وأشار لي بالجلوس بجانبه.

جلست بوجه قلق ومتوتر وهو ينظر في الأفق أمامه وابتسامته لم تفارقه  
وبقي هكذا لدقائق ثم قال:

«كيف لشخص مثلك أن يحدث كل هذه المشكلات في عالمنا.. وليس  
مرة واحدة فقط بل مرتين.. أمرك عجيب حقاً»  
- أنا لم أفعل شيئاً باختيارى..

(الرجل الأنيق): أخبرناك يا ابن آدم أنك مخير ولست مسيراً..

- ماذا حل بـ(تبريز) ومن معه من السجناء؟

(الرجل الأنيق): ماتوا جميعاً لمخالفتهم القانون

- إذاً فالنصر كان حليف «المراجيم»..

(الرجل الأنيق): لا.. هم لحقوا بهم أيضاً لفشلهم في التعامل معك

وتركك تتسبب بفتنة كادت تطيح بمعظم القبائل في المنطقة

- ولم لم تتدخل قبلها وتحل المشكلة بنفسك؟

(الرجل الأنيق): هذا ليس جزءاً من عملي..

- ما هو عملك إذاً؟.. أن تبني قبيلة كاملة وآلاف المساجين بدل أن

تقتل شخصاً واحداً؟

(الرجل الأنيق): هم أستطيع قتلهم أما أنت فليس لي عليك سلطان..

حاول أن تفهم هذا يا ابن آدم..

- كيف ليس لك علي سلطان وأتباعك كانوا سيعدمونني؟

(الرجل الأنيق): أنا لست هم.. فهم مخيرون ومكلفون مثلك..

- ومن تكون أنت؟

لم يرد الرجل الأنيق علي واكتفى بالصمت والتحديث مبتسماً بالأفق..  
قبل أن أبادر أنا بالكلام تحدث هو وقال: يجب أن تتوقف عن ما تفعله..

- وما الذي أفعله؟.. أنا حتى لم أعد أعرف ما إذا كنت بالفعل  
أمامي الآن وتحدث معي أم أن هذا من نسج خيالي

(الرجل الأنيق): يقال إن العاقل خصيم نفسه لكنك تملك خصوماً  
كثراً..

- ليس لدي خصومة مع أحد

(الرجل الأنيق): أنت لم تعد خائفاً وهذا واضح لكنك بلا شك تائه  
وألد خصومك هو أنت..

- تائه عن ماذا؟.. طريق العودة ليس بالأمر الصعب

(الرجل الأنيق): التيه الذي أعنيه هو تيه الوجدان.. أنت تعبت مع  
المجهول دائماً لأنك سئمت الواقع وهذا لا بأس به إلا إذا بدأت تتخطى  
الحدود المرسومة لك

- حديثك ألباز كالعادة..

(الرجل الأنيق): الإنسان يكون ضحية أفكاره إذا مال للخوف أو التيه والاتزان بينهما لا يكون إلا بمنهج واضح ليسير على الصراط القويم..

- وأيهما أخطر؟

(الرجل الأنيق): كلاهما ضياع..

- كيف أسير على الصراط وأنا لا أراه؟

(الرجل الأنيق): لم لا تخبر الناس بما شاهدت؟

- لن يصدقني أحد وأنت تعرف ذلك

(الرجل الأنيق): ألا تكفي شهادتك؟

- شهادتي؟.. الناس يحتاجون دليلاً مادياً ملموساً وحتى لو قدمت

لهم ذلك فمن المحتمل جداً أنهم لن يصدقوا أيضاً وسيقومون

بتأويل الموضوع ويفسرونه بالطريقة التي تلائم عقولهم وتناسب

معتقداتهم وعلى أية حال تصديق الناس ليس من اهتماماتي

(الرجل الأنيق): الشهادة دليل قوي ألستم أنتم من يأخذون به لإدانة

المجرمين والحكم عليهم بالسجن أو حتى الإعدام أحياناً.. هل طلبوا

دليلاً ملموساً عندما قاموا بذلك

- ماذا تقصد؟.. ومن تعني بهذا الكلام؟

(الرجل الأنيق): لم كل هذا التشكيك في إخوتك؟ .. إن بعض الظن  
إثم .. قالها بتهكم ..

- إذا كان بعض الظن إثماً فهذا يعني أن أغلبه حق ..

ضحك الرجل الأنيق مداعباً ربطة عنقه الحمراء وملفتاً علي وهو  
يقول:

لطالما أعجبتني يا ابن آدم!

- متى سأعود؟

(الرجل الأنيق): تعود إلى أين؟

- إلى حياتي الطبيعية؟ .. أم أنك تنوي إبقائي هنا للأبد

(الرجل الأنيق): لم لا .. عرضي السابق ما زال قائماً ..

- ورفضني كذلك ..

(الرجل الأنيق): أنت لا تعرف حقيقة سير الأمور من حولك وهذه

نعمة أحسدك عليها

- وما الذي يدور حولنا؟

(الرجل الأنيق): أمور كثيرة تسمونها أنتم «خوارق للطبيعة» ..

- وماذا تسميها أنت؟

(الرجل الأنيق): أموراً طبيعية فقط .. تحدثت قبل ألف عام تقريباً مع

شخصٍ مثلك كان يرى أن طيران الإنسان أمر خارق للطبيعة لكن اليوم  
الأمر طبيعي بالنسبة لكم  
- الأمر يختلف ..

(الرجل الأنيق): عقولكم هي التي تختلف لكن الحقيقة ثابتة ..  
- وما هي تلك الحقيقة؟

(الرجل الأنيق): أنكم لا تعرفون شيئاً على الإطلاق ..

صمت الرجل الأنيق وصمت معه ففي كل مرة أتحدث فيها معه  
يدخلني في دوامة أخرج منها كما بدأت .. لم يدم صمتنا طويلاً وعاد  
للحديث محدثاً نفسه وهو ينظر للأفق:

«غرور الإنسان يجعله يظن بل يتيقن من أنه الكائن الوحيد في هذا  
العالم وحتى الكون بأكمله ومجرد افتراض أن أحداً قد يشاركه الوجود  
في هذا الكون الواسع هو أمرٌ مرفوض تماماً وسيحاربه بكل ما أوتي من  
جهل. لا تؤمن لكن لا تنفِ .. فلا يقين دون دليل والبيئة على من ادعى  
وأنتم تدعون أنكم تعيشون وحدكم فأثبتوا ذلك مثلما تطلبون منا أن  
نثبت لكم أنكم لستم القطرة الوحيدة في بحر الأبعاد والأكوان.

- لم يطلب أحد منكم أي إثبات ..

(الرجل الأنيق): أسوأ معيار يمكن أن تقيس به الأمور هو نفسك .

. أنا لا أتحدث عنك ..

- حتى وإن كنت تتحدث عني فصدقني نحن البشر لسنا بخطر عليك في هذا الزمن.. ربما مستقبلاً لكن بالتأكيد ليس الآن..

ابتسم الرجل الأنيق وقال:

«بعض إخوتك يا ابن آدم لن يغفر لك جريمة التفكير فيما هو حولك وحتى لو ناقضت نفسك وأخبرتهم أنهم على صواب والحق معهم فسوف يهاجمونك بحجة أنك تستهزئ بهم فهم بارعون في رؤية السواد في الثوب الأبيض وسوء النية في الطفل الرضيع وأنا فخورٌ بهم فهؤلاء أقرب لي من نفسي وأبنائي الخمسة وأعول عليهم الكثير..»

- لم تخبرني بهذا الكلام؟.. لم تتحدث بشكل مباشر وبصراحة؟

(الرجل الأنيق): أنت قطعت عهداً كثيرة على نفسك وكسرت عهدوداً أكثر لكن العهد الذي لم تكسره ويجب أن لا تكسره أبداً هو الجدال مع هذه الفئة المغيبة عقولها والغائبة عن الحياة حولها. الوقت المهدور في نقاش الأحمق ستخسره أنت وليس هو فاستحضر ذلك في كل مرة تناقش فيها أحدهم فالذكاء الإنساني له حدود بعكس الغباء الذي لا حدود له ومجال الإبداع فيه مفتوح ولن تتفوق أبداً في صراع أحد أطرافه أحمق.

- لا أعرف هل أنت تنصحني أم تحذرنني أم تتلاعب بي

(الرجل الأنيق): أنت لست مركز الكون يا ابن آدم..

بعد دقائق من الصمت عاودت الحديث معه وقلت: هناك فتاة..

قاطعني قائلاً: نعم أعرف.. سبب كل المشكلات التي أحدثتها

- نعم.. أين هي؟

(الرجل الأنيق): معنا..

- يجب أن تعود لأهلها!

(الرجل الأنيق): فكر بنفسك ولا تنشغل بغيرك فأنت لست في وضع

أفضل منها

- لست مكرثاً لما سوف تفعله بي المهم أن تعود الفتاة لأهلها سالمة

لقد قطعت لها وعداً بذلك

(الرجل الأنيق): البشر غريبون.. قالها وهو ينظر ويمسح على ربطة

عنقه الحمراء ويشد طرفها للأسفل..

- غريبون لأننا نفي بوعودنا؟

(الرجل الأنيق): لا.. لسببٍ آخر..

- لا يهمني هذا الحديث المهم أن تعود الفتاة

(الرجل الأنيق): لن تعود.. ثم إنك ستنساها بمجرد عودتك

- هذا لن يحدث.. ثم إن (ميجس) يبحث عني ليقترض مني

(الرجل الأنيق): انس أمره لقد لقي حتفه مع قبيلة «المراجيم»..

- لكن أنا لن أنسى الفتاة أبداً

(الرجل الأنيق): هل أنت واثق؟ .. قالها موجهاً نظره نحوي ..

- أنا أعرف نفسي وأعرف الهوس الذي أصاب به للحفاظ على  
وعودي يجب أن تعرف ذلك

(الرجل الأنيق): أنت لست في موقع يؤهلك لتهديدي يا ابن آدم ..

- أنا لا أهددك لكنني قطعت وعداً لها وسأفي به

(الرجل الأنيق): حسناً .. سوف أعطيك فرصة لتثبت كلامك .. قالها

وهو يعود بنظره للأفق أمامه ..

- كيف أثبت شيئاً كهذا؟

(الرجل الأنيق): لا يوجد شيء بلا مقابل .. وهذا هو المقابل الذي

أطلبه منك .. أن تذكرها كل يوم

- كيف؟ .. لم أفهم ..

(الرجل الأنيق): كونك لم تفهم فهذا لا يعني أن المسألة صعبة الفهم ..

- هل تلمح إلى أي غبي؟

(الرجل الأنيق): هذا الأمر متروك لك وحتى ذلك اليوم ستبقى

الشيطانة المتشكلة مكانها .. هي سعيدة بتشكلها على أي حال وتعيش

حياة طبيعية

- حياة طبيعية؟ .. قلتها بسخرية وتهكم ..

(الرجل الأنيق): نعم.. لا تقلل من قدرة الشياطين المتشكلة على أخذ أماكنكم والتعامل معكم دون أن تشعرُوا بهم

- هل هناك الكثير منهم؟

(الرجل الأنيق): شياطين متشكلة كبشر؟.. نعم.. أكثر مما تتصور..

- لأي غرض تندسون بيننا؟

(الرجل الأنيق): أغراض وأهداف كثيرة.. أهمها هو أننا نستعد..

- تستعدون لماذا؟

(الرجل الأنيق): ليومِ غفلٍ عنه الكثير من إخوتك يا ابن آدم لكنه قادم لا محالة..

- وكيف نستعد نحن له؟

(الرجل الأنيق): لو كان لروحك ثمن.. فهل تبيعها؟.. أم تشتريها؟

- الحياة أغلى من أن نبيعها وأرخص من أن نشتريها..

(الرجل الأنيق): إجابة جيدة يا ابن آدم..

- أنت لا تنوي إعادتها أبداً أليس كذلك؟

(الرجل الأنيق): فقط في حالة إثباتك أنك لم تنسها يا سيد (خوف)..

- لدي سؤال آخر..

(الرجل الأنيق): أسئلتك لا تنتهي.. قالها وهو ينهض من مكانه..

- لم نهضت؟

(الرجل الأنيق): لا أستطيع البقاء معك إلى الأبد.. قالها ضاحكاً متهاكماً..

- كيف سأعود؟

(الرجل الأنيق): مثلما عدت في المرة السابقة.. وكانت هذه آخر عبارة سمعتها منه قبل أن يختفي من أمامي كالريح..

عدت سيراً نحو المنزل الطيني ودخلت فيه واستلقيت على الأرض الرملية الباردة ونمت في الحال..

استيقظت في غرفتي على فراشي ولم أرَ المتشكل الذي قالوا بأنه كان محل مكاني.. والغريب أن أول ما خطر ببالي هو أي ما زلت مسجلاً في قسم الجوازات كمسافر في تلك الدولة الخليجية ولم أعد بعد ويجب أن أعالج هذا الأمر.

كان الوقت أول الصباح وصوت دقات عقارب ساعة منبهي القديمة هو الشيء الوحيد المسموع في هدوء غرفتي السوداء المصمتة حتى سمعت أمي تنادي علي وعلى أخي من الطابق السفلي لتناول الإفطار كالعادة.

نهضت وجلست على طرف السرير أفكر..

منذ ذلك اليوم أصبح اسم (كومون تاج - Komontage) جزءاً لا يتجزأ من حياتي.. حاولت أن يكون الاسم حاضراً معي بأكبر قدر ممكن كي لا أنساه وبالفعل لم يغب عني منذ ذلك اليوم قط. بعد بضع سنوات وقبل اقترابي من العقد الرابع من عمري بأشهر قليلة.. تلقيت اتصالاً على هاتفي الذي لم أغير رقمه.. كانت (جواهر).. لقد عادت سالمة لأهلها بعد الغياب.. كانت تشكرني.. لم يكن حديثاً طويلاً لكنه كان همماً أزيح عن كاهلي.

إذا كنت ممن قرأ اسمها أو كتبه في الماضي يوماً فأنا أشكرك بالنيابة عنها لتذكرها معي.. هي ممتنة لك دون أن تعرفك.. وأنا ممتن لك دون أن أخبرك..

## المُنْتَهَى

الجنون مخرج شرعي جميل.. أتمنى أن أكون مجنوناً.. أتمنى ذلك بحق..  
لكني قابلت من وُصفوا بأنهم أكثر جنوناً وغبابة مني خلال حياتي  
القصيرة وأحب أن أقول لكل «غريب» مميز في زمن «النُّسخ» المكررة  
نحن لا نسير مع القطيع ولا نعوم مع التيار ولدنا مختلفين وسنموت  
مختلفين. قد نُجبر على الاختباء أحياناً والتخفي في الظلام والتبرؤ من  
مبادئنا وإنكارها لنسمح لها بالنمو والانتعاش بعيداً عن معاول الهدم  
الجاهلة.. كل شيء فان وسيفنى إلا الحقيقة.. الحق ثابت والزمن متغير  
لكن ماذا عن الإنسان؟

الحياة بها فراغات وفجوات كثيرة وأسئلة لم يُجب ولن يُجاب عليها..  
مثل قصصنا.. الغيب نعمة لا نعيها كما قال الرجل الأنيق..

من أكثر التوجيهات التي أسمعها من المحيطين بي هو «يجب أن تكون  
طبيعياً وتخفف من غرابة تصرفاتك» وعندما أسأهم «ما معنى أن أكون  
طبيعياً؟» تأتيني الإجابة غالباً بـ «أن تصبح مثلنا تماماً» لذا أسأل الله كل  
يوم أن لا أكون طبيعياً أبداً.

الجهل مرضٌ معدٍ وينتقل بالوراثة والشفاء منه يتطلب مصادماً فكرياً قوياً فعاري الفكر لا يجيد النقاش بلباس المنطق ويستبدل رجاحة العقل والحجة ببذاءة اللسان. لن يعترف أحدٌ بوجودك إذا رهنت ذلك الوجود برأي الناس وراهننت على قبولهم له. أهم سمات التحضر هي القدرة على التغير وإذا كنت ترى أن غيرك في ضلال فادعُ له بالهداية فهذا هو الإيمان الحقيقي وعدا ذلك فما هو إلا انعكاسٌ لما في جوفك ولا تجعل ثقتك بنفسك تنسيك ثقتك بالله أبداً فمبدأ السفية كان وما زال أن المتهم مدان حتى تثبت إدانته.

أريد أن أكون واضحاً في السطور الأخيرة من هذا الجزء من مذكراتي.. أنا لا أبحث عن تصديق أحد فلا تطلب مني دليلاً ولا أبحث عن رضا أحد فلا تحاول أن تقدم لي تبريراً. أنا مكثفٌ بالإشارة تجاه الطريق المؤدي للحقيقة من وجهة نظري ولم ولن أرغم أحداً على شيء في يومٍ من الأيام فحاول أن تقوم بذلك أنت أيضاً.

تُخلد الأفكار بعد موت المفكر ويموت الأحمق وهو يحاول قتلها.. لا خوف على ضياع علمٍ مكتوم ولا بقاء جهالة مستفحلة. أتوق من وقتٍ لآخر للعودة.. لليوم الذي تعطل فيه تلفاز.. حُرّم بسببه طفلاً من مشاهدة برامج المفضلة وقاده ذلك الحرمان لمكتبة أبيه ولكتابه الأول..

لكنه رحل.. رحل بلا عودة..

فعلياً لا يوجد «نهاية» لأي قصة أو حكاية.. مجرد توقف للأحداث  
في زمنٍ معين..

لذا سأتوقف عن سردها هنا ولن أتوقف عن كتابتها أبداً.. سأكتبها  
بيدي اليسرى كما اعتدت دوماً.. لكن سيبقى السؤال الذي يراودني  
ويضج به عقلي دائماً هو:

هل الموت وأنت تكتب من حسن الخاتمة؟.. خوف

مكتبة أهد

telegram @ktabpdf

ف  
خو



أسامة المسلم

«منحاز لنفسي ومتعصب لأفكاري .. لا أملك وقتاً أصرفه لتفنيد  
وجهة نظري ف خلفها حاقد ناقم .. ولا ذرة احترام أقدمها لمتغطرسٍ  
متعالٍ .. مكفٍ بجنوني .. متعايش مع غربتي وغرابتي .. أجد  
التظاهر بالإنصات لكل أحمق مشبع بالثقة .. لكنني في الحقيقة لا أكرث ..  
لأنه أصغر من أن أراه .. وهو أغبى من أن ينتبه ..»

خوف

- مشكلتنا لم تكن يوماً الالتزام أو التفريط ..
- مشكلتنا كانت وما زالت «التطرف» في أحد الاتجاهين..
- البقاء في الوسط مفهوم لم نتقن التعامل معه حتى الآن..
- تطرفنا في الكرم وحوثناه لتبذير وإسراف ..
- تطرفنا في النصح وجعلناه ترهيباً وتخويفاً ..
- تطرفنا في الحب فأصبح تملكاً واستحواداً ..

أسامة المسلم

الخوف له رائحة ..

جاذبة كالمسك ..

## خانقة كالدخان ..

## المُقَدِّمة الأَخيرة

هناك صراع أزلي بين ما هو منطقي وما هو حقيقي ..

وللأسف تم أدلجتنا وبرمجتنا على الخلط بينهما وخرجنا بمفهوم مدمر وهو أن كل شيء حقيقي لا بد وأن يكون منطقياً أو على أقل تقدير يحمل الكثير من «الواقعية» وهذا المفهوم نواة للكثير من الجهل المتفشي بيننا عما يدور حولنا.

من المنطقي بالنسبة لمعظمنا أن يتغلب الخير على الشر دائماً ولذلك صدقنا هذه «الفرضية» وتعاملنا معها على أنها حقيقة حتمية ستتحقق طال الزمن أو قصر لكن يؤسفني أن أخبرك بأن هذا غير صحيح فالخير والشر يستمدان قوتها ممن يؤمنون بهما وانتصار أحدهما على الآخر مرهون بالدرجة الأولى بقوة إيمان من يحمل راية دون الأخرى.

وهذا يثير سؤالاً آخر .. هل الجهاد خير أم شر ..؟

وهل للجهاد وجود من الأساس ..؟

هل هو مقصور فقط على الجهاد بالقول والعمل أم يشمل كذلك

المعتقد والفكر ..؟

الجهاد في اختيار العقيدة عند البعض يعتبر كفراً بواحاً وعند البعض

الآخر يعتبر حرية شخصية وكذلك فالإيمان بمعتقد أو بمنظومة قومية معينة يسلب منك حق اتخاذ قراراتك وتصبح بلا اختيار منك خيراً بالنسبة للجماعة وشريراً في نظر جماعة أخرى.

الإنسان مجبول في كثير من الأحيان على عدم الاعتراف بأنه على خطأ حتى لو أدرك وتيقن من ذلك فإنه يفضل أن يبقى على الخطأ الذي دافع عنه وآمن به ومارسه طويلاً على أن يتراجع عنه وهذا الأمر سيكون لا بأس به لولا أن بعض هؤلاء البشر «الخطائين» يسير من خلفهم مجموعة بل في بعض الأحيان حشود غفيرة من المصدقين لهم والذين ساروا وراءهم مغيبين لعقولهم مؤمنين بهم حد الكفر بغيرهم لسنوات طويلة وقد يتبهنون متأخرين ويحاسبونهم أشد الحساب على أعمارهم التي أهدرت بسبب تفسيرات وتأويلات خاطئة.

وخشية من سخطهم وانقلابهم عليهم والاقتصاص منهم يستمر هؤلاء المضللون بالدفاع عن منهجهم الخاطئ باستماتة وينبذون أي تصحيح أو تجديد لفكرهم المعطوب فصاحب الفكرة الخاطئة يهون عليه ضلال الناس على أن يسقط من أعينهم وبين أيديهم.

وهذا يقودنا لسؤال آخر ..

ما هو أفضل بديل للحقيقة؟

الإجابة .. كذبة يصدقها الجميع ..

فالكذبة التي يتفق الكل على حقيقتها أقوى وأطول عمراً من الحقيقة  
التي لا يؤمن بها سوى القلة ..

تغيير قناعة شخص مصدق بأمر ما أو فكرة معينة أسهل بكثير من  
إقناع المتردد في قبولها. لأن المتردد لا يتخذ قراراً حاسماً في معظم  
شؤون حياته سواء كان صحيحاً أو خاطئاً فهو معطل من كل النواحي  
الفكرية والجسدية والحديث معه مضيعة للوقت لأنه حتى وإن اقتنع  
فسيتردد بالتصريح والاعتراف بذلك وإن اعترف فسيستخاذل في تغيير  
سلوكه بناءً على هذه القناعة الجديدة وإن فعل فسيتردد في إقناع غيره  
بها والقائمة تطول ولا تنتهي من تلك المطبات والحفر التي تجعله  
متذيل الطريق متأخراً عن اللحاق بالركب الفكري السوي ليقع  
فريسة سهلة لمن يسمون أنفسهم بـ «المفكرين» لأنهم يسلمون عقولهم  
لهم دون تحفظ أو مساءلة لما يطرخونه.

التفكير والتفكير ليسا تخصصاً علمياً بل طبيعة بشرية .. ومن ينسب  
لنفسه لقب «مفكر» أو لغيره يؤكد أنه لا يفقه معناها ..

أشياء كثيرة تخيفني .. أعترف بذلك .. لكن مصدر ذلك الخوف لم  
يكن يوماً جنناً أو شياطين .. بل بشراً .. بشراً يسرون معنا وبيننا ..

يفرقون تلاحمنا ويبددون قوتنا ويعززون فرقتنا بأفكارهم المسمومة ..  
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ..

من مبدأ: «الأقربون أولى بالمعروف» بالطبع ..

الخوف ذكاء فطري وغريزي .. وما نسميه شجاعة غالباً ما هو إلا  
اندفاع غير محسوب النتائج من مجموعة من الحمقى الذين لا يجيدون  
استخدام عقولهم .. الشخص الذي يحسب الاحتمالات والعواقب  
لكل تصرف يقوم به ويضع الخوف أمامه كرادع هو إنسان يملك عقلاً  
نشطاً ومتقدماً وليس لدي أدنى شك بأن العكس صحيح.

لذا عزيزي القارئ ..

كن خائفاً .. خائفاً جداً

ووفر شجاعتك لشيء يستحق ..

لأن نهايتك قد تكون على يد أكثر من تثق برأيهم ونصيحتهم ..

فلا يوجد شيء أكثر رعباً وقسوة في هذه الدنيا من البشر ..

«هذه المدونة توثق الفترة التي قضيتها بعد العهد الذي قطعته للرجل  
الأنيق بتذكر «جواهر» حتى تعود لأهلها وتم إعادة صياغة المذكرات  
بقالب روائي متعدد الخطابات لتحاكي الأحداث من جميع الزوايا  
ووجهات نظر الشخصيات . . .»

## الْعُودُ الْيَابِسُ

بعد صلاة الظهر وفي باحة منزلنا .. جلست متفرصاً عند نبتة أمي  
المفضلة .. «جهنمية مجنونة» كما يطلق عليها .. وقد طرحت جميع  
أزهارها وتساقط معظم أوراقها فجأة مما تسبب بحزن والذتي ودفعتني  
لمحاولة إنعاشها. وبينما كنت أقوم بذلك دخل (عواد) من باب المنزل  
الرئيس الذي تركته مفتوحاً لأخي القادم في الطريق إلينا مع زوجته  
لزيارتنا بعد ما أنجبا طفلهما الأول.

(عواد) : ماذا تفعل؟

أجبتته دون أن ألتفت إليه أو أنهض وعيناي تتأملان النبتة شبه العارية :  
«أحاول علاج ما يمكن علاجه .. ما الذي تفعله أنت هنا؟ .. ألم  
تصلك الحوالة المالية؟»

(عواد) : بلى بلى .. ليس هذا سبب قدومي

- ماذا إذا؟

تجاهل (عواد) سؤالي وعاد لموضوع النبتة وقال : جدد لها السهاد ..  
قلت وأنا أحمل من على الأرض إحدى الأوراق الساقطة وأقربها من  
عيني : «هذه النبتة حزينة فقط ..»

(عواد) بشيء من التهكم : حزينة؟

- نعم .. سقوط أوراق النبتة قبل موسمها مؤشر للضيق والمهم وعلاجه فقط يكون بالحديث معها من وقت لآخر بتودد وستستعيد عافيتها .. المزارعون قديماً كانوا يتحدثون بشكل يومي مع الأشجار التي لا تثمر ويقيمون حولها تجمعاتهم العائلية حتى تخرج من حزنها .. النباتات كائنات تشعر وتحس حتى وإن لم تنطق وتعبر عن ذلك

(عواد) ساخراً : تقصد مثل الحديث مع النمل؟ .. للعلم لقد جربت طريقتك ولم تنجح بالمناسبة

نهضت واقفاً وظهري مدارك (عواد) وقلت : أنا لم أقل بأن الطريقة ستنجح مع الجميع

(عواد) : وهل هذه الحجة التي تبرر بها كل علمك الذي لا ينتفع به على حد قولك؟

وجهت وجهي تجاهه وقلت بنظرة يفهمها (عواد) : ماذا تريد؟ .. ولم أتيت في هذا الوقت؟

(عواد) : حسناً .. حسناً .. أفهم تلك النظرة .. لا تغضب .. لقد أتيت لأحدثك في موضوع هام

وقبل أن يبدأ (عواد) بحديثه فُتح الباب ودخل أخي وزوجته

وهي تحمل بين يديها ابنتها المولودة حديثاً وحينما شاهدت (عواد)  
استعجلت بالدخول تاركة أخي يتقدم نحونا قائلاً: السلام عليكم

(عواد): وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

تقدمت باسماً وعانقت أخي قائلاً: أهلاً بالأب الجديد وبمن جعلني  
عماً

(أخي) وهو يفك عناقني: ومتى سترد لي الجميل؟

(عواد): لا تفتح هذا الموضوع معه كي لا تفسد مزاجه ولا أستطيع  
الحديث معه طيلة اليوم

- لا تقلق فلا أحد يفسد مزاجي غيرك .. وأخي بالذات لا يمكنني  
الاستياء منه مهما قال

(أخي): أتمنى ذلك لأني أيضاً أريد الحديث معك في أمرٍ خاص

(عواد): حسناً إذا .. لن أقاطع هذا الاجتماع العائلي وسأعود في وقت  
لاحق

- وماذا عن الموضوع الهام الذي أتيت من أجله؟

(عواد): يمكننا تأجيله للغد

(أخي): لم لا تبقى وتتناول الغداء معنا على الأقل؟ .. أمي لو علمت  
بأنك أتيت ورحلت بسرعة ستستاء منا

(عواد) وهو يهم بالرحيل: بلغها سلامي ووعدني بأني سأزورها قريباً

(أخي) باسمًا : رافقتك السلامة إذاً

رحل (عواد) فتوجهت أنا وأخي لمجلس الرجال حيث كانت الضيافة اليومية موجودة وجلسنا معاً نتجاذب أطراف الحديث والذي تخلله سؤالي عنه وعن حياته الجديدة ولم يفوت هو الفرصة لمحاولة إقناعي بالإقدام كذلك على الزواج بالرغم من معرفته المسبقة عن رأيي بهذا الموضوع.

- دعك من هذا الأمر الآن وأخبرني عن الموضوع الحقيقي الذي تريد الحديث معي فيه

(أخي) بشيء من التردد : سأتكلم لكن أرجوك حاول أن تفهم أن ما سأقوله هو لمصلحتك ولأني أحبك

- أعرف هذه المقدمة .. هل سنذهب لشيخ جديد؟

(أخي) : لا لا .. لقد انتهينا من هذه المرحلة

- وما المرحلة الجديدة الآن؟

أدخل أخي يده في جيبه وأخرج علبة حوت مجموعة من الأقراص ومدّها لي ..

نظرت إليها دون أخذها وقلت : ما هذه؟

(أخي) ويده لا تزال ممدودة لي : لقد تحدثت مع صديق لي وشرحت له ما تعاني منه ..

قاطعته قائلاً : ما أعاني منه؟

(أخي) محاولاً انتقاء كلماته : أقصد حالتك

- تعبيرك هذا أسوأ من سابقه .. لكن أكمل على كل حال ..

(أخي) : صديقي هذا متخصص وبارع في مجاله وقد وصف لك هذه

الأقراص وأخبرني بأن ..

أخذت العلبة وألقيت عليها نظرة وفي الحال عرفت محتواها ولن

توصف .. كان عقاراً لمعالجة الذهان ..

رميت بالعلبة جانباً وقلت : صاحبك هذا طبيب نفسي ..؟

(أخي) : نعم وهو ..

- لا تكمل .. أنا لا أعاني من الفصام

(أخي) : أنت تتحدث مع نفسك معظم الوقت .. أمي أخبرتني بذلك

وتقول أيضاً بأنك تتكلم طيلة الليل في غرفتك

- وهل كل من يتحدث مع نفسه مصاب بالذهان؟ .. أمي تبالغ

كعادتها في تفسير الأمور ..

(أخي) : ليس فقط أمي من لاحظ .. وحديثك مع نفسك ليس

محصوراً على غرفتك وأنت تعرف ما أعني

- وأعرف كذلك أنك لا تعرف حقيقة سير الأمور من حولك

وهذه نعمة أحسدك عليها

(أخي): لا تراوغي بالحديث فكل شيء واضح وحديثك الدائم مع نفسك ليس له سوى تفسير واحد

تبسمت وقلت بنبرة متهكمة: وهو أني مجنون .. لم ليس على الهاتف مثلاً ..؟ ربما أنا على علاقة مع فتاة ولا أريدكم أن تعرفوا

(أخي): أنا أتحدث بجدية .. قرص واحد يومياً سوف يبعد عنك تلك الهلوسات

- انتقلنا من دجل «التمشيخين» إلى دجل «أطباء النفس» ..

(أخي): هل أصبح الطب الحديث دجلاً الآن؟ .. أنصت لنفسك .. أنت ترى الجميع على خطأ وأنت وحدك على صواب وهذه من صفات .. قاطعته قائلاً: المجانين .. قلها لا تخجل ..

(أخي): لم لا تحاول الإنصات لي بهدوء وتفهم ما أحاول إيصاله لك؟  
- الرأي السديد لن يجد قبولاً أو أذنًا صاغية إذا كان صاحبه فظاً أو متعجرفاً ..

(أخي) متهكماً: تقصد مثلك؟

الصمت عن الكلام في بعض المواقف يتطلب عقلاً واعياً وبصيرة استثنائية يفتقدها الكثير للأسف .. لذلك صمت .. لأنني لم أعود من أخي أن يخاطبني بتلك الطريقة ولم أرد أن أحتد معه في النقاش لأنني أعرف أنه يتحدث بدافع حب وليس شيئاً آخر.

(أخي) : أنت فقط تحتاج بعض المساعدة وهذا الدواء ..

قاطعته مجدداً وقلت : لو كان لدي مشكلة فستكون روحانية وليست نفسية أو جسدية وعلاجها سيكون من خلال علومها فقط .. علم النفس ما هو إلا محاولة قاصرة للإلباس العلم الروحاني لباساً علمياً «مجرداً» .. كمن يحاول البحث في إعجاز القرآن وربطه بالنظريات العلمية معرضاً الدين للشك والسخرية.

(أخي) : علاج روحاني؟ .. اسمح لي يا أخي بأن أقول لك إن هذا هو الهراء الذي لا يقبله العقل .. ترفض الدين والعلم وتؤمن بهذه الهرطقات؟

- معظم الأمراض التي يطلق عليها «نفسية» ما هي إلا أمراض روحانية وطب النفس الذي تؤمن به هو في أضله دجل وأدويته ما هي إلا مجموعة من العقاقير المخدرة والمسكنات القوية لتثبيط الأعراض دون علاج العلة الأساسية وهذا هو الدجل الحقيقي لكن المسميات العلمية البراقة أعطته قبولاً عند البسطاء ومن هم على شاكلتك ..

(أخي) متهكماً : الأطباء دجالون إذاً؟

- ليس كلهم .. لا تحاول خلط كلامي لمصلحتك .. الشخص الذي يتحدث معك لساعات مدعياً اهتمامه بك وتفهمه لك وفي النهاية يصرف لك مجموعة من المهدئات والمخدرات

كي تنام وتنسى علتك الأساسية ليس بطبيب ولا يختلف عن  
«التمشيخ» الذي يهز رأسه منصتاً لك ولشكواك متظاهراً  
بالاهتمام وفي النهاية يصرف لك الدواء الوهمي من زيوت ومياه  
ملوثة ببصاقه .. جميعهم دجالون مهما اختلفت مسمياتهم

(أخي) وهو يهيم بالنهوض : كما تشاء .. لقد حاولت

قبل أن يخرج أخي من المجلس للتوجه لوسط المنزل حيث كانت  
زوجته وأمي قلت له :

«أنا لا أنكر أهمية الطب الحديث في علاج العلل وإنقاذ الكثير من  
الأرواح والقضاء على الأوبئة التي تفتك بالبشر لكن هذا لا يعني أنه  
لم يقف عاجزاً عند العديد من الحالات التي سماها «مستعصية» بحجة  
أنه لم يكتشف لها علاجاً بعد وأنه لا توجد علوم أخرى تستطيع علاج  
ما عجز عنه .. مشكلتي مع الطب الحديث ومناصريه أنهم يعطلون  
ويرفضون أي بديل لا يسير على منهجهم ويرون أنه خزعبلات.

استدار أخي وقال : هم على الأقل لا يتلاعبون بأرواح الناس...

- هل تعرف أن مئات الآلاف من الأشخاص يموتون سنوياً  
بسبب الأخطاء الطبية .. ماذا تسمي هذا؟ .. أليس تلاعباً  
بالأرواح؟

(أخي) : أسميه تلاعباً بالألفاظ لإثبات وجهة نظرك .. العلم هو  
الأصل والأساس

تبسمت وقلت : والإحصاءات «العلمية» أثبتت أن أكثر مكان يموت  
فيه الناس هو المستشفيات .. ليس أرض المعركة .. ليس الشوارع ..  
ولا حتى بيوتهم .. بل بيوت الرحمة التي من المفترض أنها أنشئت  
لإنقاذ حياتهم .. فكر بهذه المعلومة قليلاً .. نحن فئران تجارب عند  
الكثير منهم لا أكثر .. بعضنا سيشفى بأمر الله وكثير منا سيهلك  
بأخطاء خلقه

(أخي) قبل أن يغلق الباب خلفه : لنرَ لمن ستلجأ أولاً حينما تحتاج  
عملية جراحية

قلت محدثاً نفسي باسمًا : «سألجأ إلى الله أولاً ثم لجراح ماهر بالطبع ..»  
بقيت أفكر بحواري الذي دار مع أخي وتفهمت لم لم يستوعب المقصد  
من كلامي .. أنا لست معترضاً على الطب الحديث ولا أنكر أهميته في  
تحسين حياة البشرية لكنني أرفض غطرسته وتعاليه على العلوم المعالجة  
الأخرى وتعطيله لها بحجة أن لا علم آخر يمكن أن يساهم في تحسين  
حياة الناس الصحية عدا علب العقاقير وأنصال المشارط.

أخرجت هاتفي المتنقل واتصلت بـ (عواد) وأخبرته بأني متفرغ له الآن  
لو كان قريباً ولم يتعد وما زال يريد الحديث معي وخلال دقائق وصل

عند باب منزلنا فخرجت له وركبت معه وانطلق بالسيارة لوجهة لم  
يخبرني بها.

- هيا أخبرني الآن .. ما هو موضوعك المهم؟

(عواد) وعيناه على الطريق أمامه : «حالة ..»

بالرغم من أنني اتفقت مع (عواد) بعد ما حدث له مع (جواهر) قبل  
أكثر من عام ألا يعود للعلاج ولا يستقبل أي حالة تُعرض عليه إلا أنه  
استمر من وقت لآخر بجلب بعضها لي وكان يتحجج بالقول إنه لا  
يعالجها بنفسه ويريد مني أنا أن أعالجها ومهما حاولت الممانعة إلا أن  
تنفيذ طلبه كان أهون وأسهل من الإنصات لتوسلاته. (عواد) بالرغم  
من كل سلبياته إلا أنه كان رجلاً طيباً وعطوفاً في طبيعته ولا يملك  
القدرة على تجاهل من يحتاجون العون منه خاصة إذا كان يعرف أنني  
يمكن أن أقدم لهم المساعدة. وفي الحقيقة حينما أعانده وأرفض يلجأ  
لأمي والتي لسبب ما تحبه ويدعي أنني أضايقه وهي بدورها تضغط  
علي لإرضائه وهنا يوقعني في فخه وأستجيب له.

- حدثني عن هذه «الحالة» قبل أن نصل ..

(عواد) : منزل عائلة كبيرة .. كبيرة العدد بسيطة الحال .. فحالتهم  
المادية متواضعة لذلك فالمنزل مكتظ ومزدحم جداً .. يقيمون في حي  
متواضع ودخل رب الأسرة محدود ..

- لم أكن أسألك عن حالتهم المادية .. -

(عواد): ذكرتها لك كي تفهم لم المشكلة غريبة .. بالرغم مما أخبرتك به للتو إلا أن أفراد تلك العائلة وطيلة سنوات عيشهم بعضهم مع بعض كانوا منسجمين جداً ولا يعانون من أي مشكلات أو خلافات بينهم وروح المودة والمحبة هي رأس مالهم الحقيقي لدرجة أن أهل الحارة التي يقطنون فيها كانوا يحسدونهم على ذلك التناغم والانسجام فيما بينهم

- ما زلت لا أرى المشكلة ..

(عواد): سأخبرك الآن .. تغير كل ذلك قبل عدة أشهر .. بدأت الخلافات تنشب بينهم ووصلت لحد الشجار والتشابك بالأيدي بشكل يومي .. الأخ يضرب أخته والأب يهدد زوجته بالطلاق بشكل متكرر وزوجات الإخوان متذمرات ويطالبن بالرحيل أو الطلاق .. مشكلات تزداد يوماً بعد يوم وكلها مستجدة ولا يوجد سبب واضح لنشوبها

- أنا لست أخصائياً اجتماعياً يا (عواد) وهذا النوع من المشكلات يُحل بالمحاكم أو الجمعيات المختصة

(عواد): أنا متيقن أن العلة روحانية ..

- ومن أين أتيت بهذا اليقين؟

(عواد) : من نقل لي المشكلة صديق لأحد الإخوة الكبار في المنزل وأخبرني بأن صاحبه شخص هادئ جداً ولم يعهدوا عنه أبداً رفع الصوت أو الشجار مع أي أحد لكنه قبل أسبوع ضرب أخته الصغيرة بشكل وحشي وتسبب لها بإصابات بالغة وكان كالمجنون ولم يفصل بينها ويبعده عنها إلا تدخل أهل الحي .. هذا ليس أمراً طبيعياً وأنا واثق أن هناك سبباً يستلزم حضورك للتعرف عليه

- وما رأيك أنت؟

(عواد) : أعتقد أن الموضوع له علاقة بـ .. لا أعرف ..

- هل فحصت المنزل؟

تردد (عواد) بالإجابة وبدا عليه التوتر خشية سخطي عليه لأنني حذرته من ممارسة أي عمل ميداني دون الرجوع لي لكن الإجابة كانت واضحة على وجهه فقلت : وماذا وجدت؟

(عواد) : لم أجد شيئاً خارجاً عن المألوف .. المنزل طبيعي ولا توجد أي علامات سلبية

- إذاً فنحن متفقان أن المشكلة هي مصدر لشحنة سلبية في المنزل تؤثر على أمزجة القاطنين فيه

(عواد) : هذا كان خدسي الأول لكنني لم أجد شيئاً

- لم تجد شيئاً مما تعلمته مني

(عواد): أنت من توقفت عن تلقيني وحرمتني العلم

- هل نسيت ما حدث عند المنزل المسكون؟ .. ذاكرتك ليست  
ضعيفة حسب علمي

(عواد): ألن تغفر لي تلك الزلة وتتجاوزها وتعيد لي مدوناتي؟

- هذا الموضوع انتهى وأغلق إلى الأبد .. وانس فكرة طلب علم  
أكثر على يدي .. فأنا لا أفهم سبب إصرارك على ذلك

(عواد): لا أستطيع منع نفسي من طلب المزيد؟

- هذا عذر وليس بسبب ..

(عواد): وما الفرق؟

- العذر تبرير مقنع لك وليس لي .. والسبب حجة مقنعة لي ..

(عواد): أفهم من ذلك أنه لا يوجد أمل؟

- لن تكتفي من شيء لا تحتاجه من الأساس .. لذا انس الموضوع

(عواد): لقد تغيرت .. صدقني تغيرت

- لا أحد يتغير يا (عواد) .. لا أحد يتغير .. ربما يتظاهر بذلك

لفترة وجيزة لكنه في النهاية لن يستطيع أن يتحول لشخص

جديد فالإنسان مجبول على اتباع التراكبات التي نشأ عليها

(عواد): أنا لست إنساناً سيئاً لهذا الحد

- أنا متيقن من ذلك .. ولأنك لست سيئاً فهذا العالم لا  
يلائمك .. لقد وصلت لأقصى حد يمكنك تحمله والتعامل معه  
وهذا كافٍ ..

## حَدِّ السَّكِينِ

بعد عدة دقائق وصلنا للحي الذي يقع فيه المنزل وكان كما وصفه لي (عواد) .. حياً متواضعاً ومكتظاً بالناس والمحلات الشعبية منتشرة في جميع أرجائه وهذا النوع من التجمعات في العادة يكون مصدراً للطاقة الإيجابية والتأثير عليه يستلزم مصدراً سلبياً قوياً مناهضاً ومعاكساً له هذا إن صح تخميني المبدئي أن سبب المشكلة هو مصدر طاقة سلبي مشوش لتوازن البيت وسكانه.

ركنا السيارة أمام المنزل وما أن ترجلنا منها حتى تأكدت شكوكي وشعرت بتلك الطاقة تتأجج وتنبثق من داخل المنزل وتخرج من بين شقوقه معكرة هالتي ومزاجي. بعد ما استأذنا من صاحب البيت قمنا أنا و(عواد) بصحبة بعض رجال الأسرة بالتجول في أركانه وغرفته وكانت المهمة صعبة بعض الشيء فعدد النساء والأطفال الذين كان لزاماً علينا انتظارهم للانتقال من غرفة لأخرى قبل الكشف عليها يجعلنا نستغرق بعض الوقت.

لم يبالغ (عواد) حينما قال بأن المنزل مكتظ وما أثار عجبني هو أن رب الأسرة قال لي إن من أراهم أمامي ليسوا كل سكان البيت فبعضهم موجود بالخارج خاصة الصغار لأن وجود الجميع وسط المنزل في

الوقت نفسه شبه مستحيل لذا يحدث نوع من «التفويج» وتبادل الأماكن على مدار اليوم. لم أتصور يوماً أنني سأشاهد أحداً يعيش بهذه الطريقة ومع ذلك شعرت بأنهم متكيفون رغم ما يحدث لهم مؤخراً. تحديد مصدر تلك الطاقة السلبية لم يكن سهلاً لأن جدران وأثاث المنزل تشبعت منها وكان ذلك مشتتاً لي فأنا لا أبحث عن الشحنة بل مصدرها وهي قد تكون في أي مكان ونابعة من أي شيء أو شخص لكن ما حسم لي الأمر هو حينما دخلنا الغرفة المخصصة لاستقبال الضيوف من النساء ووقفت في منتصفها. وقتها شعرت بأن الطاقة كانت أقوى من أي مكان آخر في أرجاء المنزل ولسوء الحظ لم ألبس خاتمي الذي يحتوي على حجر مبدد للطاقة السلبية وأستعين به عندما أرغب بالخروج والاختلاط بالناس في حال صادفت هالة نجمية أو قوية مفعلة.

لاحظ (عواد) أنني تشتت بعض الشيء وقال : ما بك؟ .. هل أنت بخير؟

- أحضر لي بعض الماء في الحال

بعد ما تناولت كفايتي استعدت تركيزي وجلت بنظري في الغرفة حتى وقعت عيني أسفل مني فنزلت متقرصاً ماسحاً بكفي على قطعة من صوف الخراف المدبوغ بسطت على الأرض للزينة وقلت : من أين اقتنيت هذه القطعة؟

أجابني أحد الواقفين وقال : لا أعرف ..

- يهمني أن أعرف من أين حصلتم عليها

هم الرجل بالخروج قائلاً : سأحاول أن أسأل أخواتي لأعرف متى  
ومن أين حصلنا عليها؟

لم يغب الرجل طويلاً حتى عاد وأخبرنا بأن أحد أبناء إخوانه ابتاعها  
من محل زودني بعنوانه وحينها لففت القطعة وحملتها وناولتها لـ  
(عواد) وقلت : شكراً .. لقد انتهينا ..

(عواد) : إلى أين؟ .. ألن تكشف على بقية غرف المنزل؟

- لم يعد هناك حاجة لذلك .. مصدر العلة بين يديك

سرت مبتعداً عن (عواد) وتوجهت لرب الأسرة وهو رجل طاعن في

السن وقلت له وبعض أبنائه يسمعون : شكراً لاستقبالنا يا عم .. بعد

إذنك سأخذ قطعة الفراء هذه معي قبل خروجي

(الرجل المسن) : لكنها قديمة ومنتسخة يا بني ..

- لا بأس .. لكنني لا أستطيع أخذها دون إذنك

(الرجل المسن) : هي لك شريطة أن تبقى كي نُضيفك

وافقت بعد ما طلبت من (عواد) وضع القطعة في السيارة وعدم تركها

في المنزل دقيقة واحدة وما حدث خلال استضافتنا هو أن المنزل وأفراد

العائلة بدت عليهم في الحال مؤشرات التحسن والراحة وكأنهما

ثقيلاً انجلي من على صدورهم ولم يكونوا مدركين للسبب.

مع حلول المغرب ركبنا السيارة وطلبت من (عواد) التوجه للمحل الذي باع تلك القطعة للعائلة وخلال الطريق قال بوجه مكتئب :  
أشعر بالضيق ..

- لماذا؟ .. ما بك؟

(عواد) : تذكرت فجأة أُمِّي رحمها الله وضاق صدري على فراقها وكأنه  
أول يوم

- القطعة بدأت تبث طاقتها علينا .. ركز حتى نصل

(عواد) : هل هي عمل سحري؟

- لا .. لكنها مشحونة بطاقة سلبية هائلة وأريد معرفة السبب

وصلنا للمحل وقد كان متخصصاً في بيع السجاد الصناعي بالأمتار ولم يكن لديه أي شيء طبيعي يبيعه سوى مجموعة من قطع الفراء عُلقَت عند مدخل المحل وتلك القطع أيضاً كان يصدر منها شحنات سلبية لكن ليس بنفس قوة القطعة التي كانت بحوزتنا. بعد سؤال صاحب المتجر عن مصدر تلك القطع بدت عليه علامات التوتر ورفض إخبارنا. شعرت بأن الأمر له علاقة بأمور غير قانونية لا أكثر فطمأنته بأننا مجرد تجار مثله من خارج المدينة ونريد الحصول على الفراء بالجملة للتجارة فيه ومع ذلك لم يوافق حتى أغويته بالمال فأخبرني بأنه يحصل عليها من مسلخ غير مصرح له يقع خارج حدود المدينة فطلبت

من (عواد) التوجه إليه في الحال وخلال الطريق قال : أَلن تشاركني  
بما تفكر به ..؟

- ما زلت أفكر ولم أصل لنتيجة حاسمة بعد كي أشاركك إياها  
.. لكن هناك فكرة أخرى طرأت ببالي ونحن نتحدث مع ذلك  
البائع وسأشاركك بها

(عواد) : ما هي؟

- إعادة ترميم غرفتي

(عواد) : هل قررت أخيراً التخلي عن الجدران السوداء؟

- لا .. لكن بعض القطع تحتاج إلى استبدال

(عواد) : كنت أظنك تفكر بقطعة الفراء ومشكلة العائلة المسكينة  
وليس تجديد أثاثك

- بعض الأفكار الجميلة تولد في ظروف مؤلمة وقبيحة .. وقطعة  
الفراء هي سبب رغبتني بتجديد أثاث غرفتي

(عواد) : تتحدث بالغاز كالعادة ..

وصلنا للعنوان الذي زودنا به تاجر السجاد أول العشاء وكان أشبه  
بالمزرعة الخاصة القديمة والمتهالكة ولم نر أي نور على سورها وبعد  
النزول من السيارة والاقتراب أكثر من البوابة خرج لنا رجل من  
جنسية آسيوية وكان يحاول ترهيبنا للابتعاد عن المكان لكنني تحدثت

معه بثقة وأخبرته بأني من طرف شخص يتعامل معهم وأريد شراء فراء منهم ولسبب ما اطمأن وصدقني ودعانا للدخول.

وكما أخبرنا بائع السجاد فقد كان المكان مسلخاً غير قانوني للذبائح وغالباً تلك المواشي مريضة وغير صالحة للاستهلاك الآدمي لكن ذلك لم يكن همي فقد كنت أريد رؤية طريقة التعامل معها وذبحها وكما توقعت كان وحشياً جداً والأشلاء متناثرة في كل مكان ومما شهدت فإن العاملين هناك ليسوا جميعاً مسلمين والخراف التي تنتظر النحر كانت تقف في بركة كبيرة من الدماء ترتجف رعباً وتُسحب بعنف عبر تلك البركة الحمراء حين يجين دورها.

خرجنا بعد جولة قصيرة متحججين بغلاء الأسعار وقبل ركوب السيارة قال (عواد) : أنا مصدوم مما رأيت بالداخل ..

- أقول لك ولكل مصدوم من أفعال بعض البشر هذه الأيام ويشعر بأن ذلك شيء مستجد طراً على سلوك البشرية فجأة في هذا الزمن إنه لا جديد في الأمر سوى إدراكه المتأخر

(عواد) : وهل ستشرح لي الآن ماذا استنتجت من زيارتنا الدموية هذه؟

- أخرج قطعة الفراء أولاً وارم بها على الأرض

نفذ (عواد) ما طلبته فأخرجت قداحة وأضرمت النار في الغرورة وراقبتها تحترق لثوانٍ ثم قلت وأنا أتأمل النار تلتهمها :

«أشرح لك ماذا؟ .. خراف معذبة ومريضة عاشت متألمة ومرعوبة وقتلت بلا رحمة .. كل هذه الطاقة السلبية أين تظنها ستذهب؟ .. في لحمها وشحمها وفرائها وكل قطعة من جسدها .. ويبدو أن خروفنا الذي يحترق أمامنا عانى بطريقة أشد قسوة من غيره .. ولا أستبعد أن سفرة السكين التي ذبح بها لم تكن حادة»

صمت (عواد) ونظر لي كعادته بنظرة أريد تصديقك لكنني لا أريد ..

أجبت على تلك النظرات وأنا أتأمل لهب الفراء المشتعل وقلت :

«لذلك أنت لا يمكن أن تكون تلميذي .. ليس لأنك تشك أو لا تصدق بل لأنه ليس مقدراً لك .. أنت أعمى عن كثير من الأمور منذ الولادة .. ومهما شرحت لك فلن ترى ما أراه ..»

(عواد) : أنا أحاول جاهداً أن أرى لكن لن أنكر أنني أحياناً لا أستطيع

سرت متوجهاً للسيارة وأنا أقول : مثلما أنني لا أستطيع رؤية ما تراه أمي فيك لتحبك ..

تبسم (عواد) وركب السيارة وأدار المحرك وعاد بنا للمدينة ..

الطريق لم يكن قصيراً وظلامه فيما يبدو استحث (عواد) على الحديث

وفتح موضوع جانبي قائلاً : ماذا قصدت حينما قلت بأني أعمى منذ  
الولادة؟

- ألم تتساءل يوماً لم يختلف تصديق وتقبل بعض الناس للظواهر  
الماورائية من شخص لآخر حتى وإن كان ما سمعوه أو شاهدوه  
هو الشيء ذاته؟

(عواد) : لاختلاف عقولهم ربما ..

- العقل لا علاقة له بالموضوع .. الفرق هو في الاستعداد ونسبة  
البصيرة التي يملكونها أو بالأحرى اكتسبوها بعلم أو دون  
علم منهم .. لذا ترى بعض الناس مهما شرحت له وقدمت له  
الدلائل والحجج الواضحة لا يستطيع استيعاب كلامك وفهمه  
ليصل لمرحلة التصديق وعلى النقيض تجد البعض الآخر لا  
يستلزم منك سوى شرح بسيط وربما كلمة واحدة لتجده فاهماً  
متفهماً لكل ما تقول مستوعباً لكل قطرة من حديثك كالإسفنجة  
الجافة العطشة للماء

(عواد) : إذا كان الشرح وافياً فلا أرى سبباً لعدم الاقتناع ..

- وضوح خط وحروف الرسالة لا يكفي إذا كان مستقبلها لا  
يجيد القراءة .. ستكون بالنسبة له كالشفرة المعقدة .. أو سيصفها  
بالألغاز

(عواد) : هل تقصدني بهذا الكلام؟ .. أنا مقتنع أن الشرح الجيد كفيلاً بإيصال أي رسالة أو معلومة إذا كانت وافية ومباشرة دون مراوغات لفظية

- سأوضح لك بمثال الأعمى الذي سألتني عنه .. تخيل معي ثلاثة أشخاص بعمر الثلاثين يجلسون معاً على مائدة طعام .. يملكون الخلفية العلمية والدينية والاجتماعية نفسها .. أحدهم مصاب بالعمى منذ الولادة والآخر أصيب به وهو في الخامسة عشرة والأخير مبصر ونظره سليم .. يلتقط المبصر تفاحتين حمراوين من على المائدة ويمد إحداهما لكل من صاحبيه .. يقوم كل واحد منهما بالإمساك بها وشمها وتقليبها بين كفيه أخذين قزمة منها متذوقين حلاوتها .. هما الآن متساويان في المعرفة فيما يخص تلك التفاحة .. لكن حينما يقول المبصر إن التفاحة حمراء .. ماذا سيحدث؟ .. الذي أصيب بالعمى بعد الولادة سيفهم مباشرة مقصد المبصر لأنه رأى اللون الأحمر من قبل وسيستعين بذاكرته لتذكرها .. لكن الأعمى منذ الولادة سيقول : «ما هو اللون الأحمر؟» .. أخبرني الآن يا (عواد) .. كيف نشرح لهذا الشخص الأعمى منذ الولادة اللون الأحمر؟ .. كيف للمبصر هنا أن يوصل المعلومة .. هل هناك شرح مهما كان وافياً أو مفصلاً يمكنه إيصال تلك المعلومة له بحيث يمكنه معرفة ورؤية ما يراه صاحباها؟

صمت (عواد) بوجه متفكر يحدق بالطريق المظلم أمامه لفترة من الزمن ثم قال بنبرة هادئة : لا .. لا يمكن ذلك ..

- وهنا تكمن معضلتي معك ومع الكثير .. أنا أرى أشياء لا أستطيع وصفها لكم لأنكم مصابون بالعمى منذ الولادة .. ولو كنت سأنقل علمي لأحد غيري فيجب أن يكون مبصراً لها مثلي أو على أقل تقدير كان مبصراً وأصيب بالعمى لاحقاً

لم يجادلني (عواد) بعد هذا النقاش وبقي صامتاً طيلة الطريق حتى أنزلني عند باب بيتي عند العاشرة مساءً تقريباً وقبل توديعه اتكأت بمرفقي على طرف نافذته المفتوحة وقلت : «أنت لم تكن ولن تكون مستعداً أبداً يا (عواد) ..»

(عواد) : ليس بالضرورة أن يكون أنا .. انقله لغيري .. شخص مبصرٍ أو أصيب بالعمى لاحقاً بعد الولادة كما تقول  
- لن أكون كـ (عمار) ..

(عواد) : (عمار) كان يريد نقل علوم السحر لك

- وقد فعل وإلى هذا اليوم لا أستطيع التخلص من هذا الدنس

(عواد) : لكنه نقل لك معها علماً آخر ليس بدنس .. «علم الأولين» ..  
لم لا تورثه وحده دون علوم السحر؟

- التداخل والتشابك بينهما كبير ولن يستطيع شخص محدود التفكير والقدرات التفريق بينهما وسينزلق لا محالة في الآخر

(عواد): هل بحثت؟

- لا ولن أفعل .. لأنني وإن وجدت المبصر أو من كان مبصراً فغالباً لن يحمل صفة أخرى أهم من إبصاره ..

(عواد): وما هي؟

- الثقة .. كون الشخص مناسباً لا يعني أنه أهل للثقة كي يستخدم هذا العلم لمنفعة الناس وعدم استغلاله لمنافعه الشخصية

(عواد): وكيف تعرف الشخص الموثوق به من غيره؟

- بالعِشرة والمخالطة .. وأنا لا أملك الوقت أو الصبر لمعاشرة أحد

(عواد): لقد خالطتني وتحملتني حتى وثقت بي

تبسمت وقلت: ومن قال بأني أثق بك أيها الشيخ المتقلب؟

(عواد): أنت تعرف ما أقصد

- انس هذا الموضوع الآن لكن لا تنس أن تتصل بالبلدية غداً

وتبلغ عن ذلك المسلخ المشبوه والمخالف

(عواد): سأفعل ..

- رافقتك السلامة

استدرت وهممت بالتوجه لباب المنزل لكن (عواد) استوقفني قائلاً :  
معلمي .. أنا أسف ..

- «أسف على ماذا» .. قلتها دون أن أوجه نظري ناحيته ..

(عواد) : على أي لست كفوفاً لأكون تلميذك ولأنقل علمك .. لم أكن  
أريد تخيب أملك

- قد لا تكون أفضل تلميذ لكنك بلا شك أفضل صديق .. بشري  
على الأقل ..

(عواد) باسماً : عدنا للالغاز مجدداً .. تصبح على خير

دخلت المنزل ومررت بنبتة أمي الحزينة ومسحت على ما تبقى من  
أوراقها وسحبت كرسيّاً وجلست بجانبها أتحدث معها ..

«كيف حال الحزينة اليوم؟ .. لا تقلقي لن أدخن بجانبك لأنني أعلم  
بأن ذلك يضايقك بالرغم من منفعته لك ومشاعرك عندي أهم من  
متعتي اللحظية .. أنا أعرف لم طرحت أوراقك .. بسبب أننا ربطنا  
أغصانك .. لكن ذلك كان لمصلحتك .. كي تنمي بشكل معتدل ولا  
تميل إلى الجدار ..»

بالطبع لم تجبني الشجرة وإلا وقتها كنت سأيقن من كلام أخي بأني  
مصاب بالذهان لكن تأملي بها ذكرني بمزرعة أصحابي التي قاطعتها  
ولم أعد أذهب إليها بسبب صدماتي المتكررة مع زوارها.

أنا أتقبل غالباً أي شيء من أصدقائي مهما كان لكن في الشهور الأخيرة بدأ بعضهم يدعو أشخاصاً جدداً ليسوا معتادين علينا وبالتأكيد ليسوا معتادين عليّ وعلى طريقتي بالتفكير والكلام ولسوء حظهم أني لست من النوع المجمال أو المهاود خاصة عندما أسمع الآراء المستفزة لذا آثرت الانسحاب من المكان بهدوء والتخلي عن تلك المعارك المجهدة لي.

وبالرغم من محاولات أصدقائي إقناعي بالعودة إلا أني بدأت أشعر أني لن أنسجم معهم خاصة حينما بدؤوا مؤخراً يستخدمون عبارات مثل: «لن ندعو متدينين للمزرعة» أو: «نعرف أنك لا تحب الموضوعات الدينية» .. خيبة حقيقية عندما يظن - من اعتقدت أنهم أقرب الناس إليك وأكثر من من المفترض أن يفهموك - أنك كاره للدين فقط لأنك لا تستسيغ المتاجرين به. أعرف أن هذا الموضوع بات كالأسطوانة المشروخة لكنه شيء كنت وما زلت أواجهه كل يوم وزاد عليه نوع جديد من العقليات التي أثارت غياني مؤخراً بشكل مستفز.

## مزرعة الحرّية

اجتماعاتنا في تلك المزرعة كانت محصورة على عدد معين من الأصدقاء المقربين ومعرفتنا بعضنا ببعض تعود للمرحلة الثانوية وربما قبلها مع بعضهم لذا فعلاقتنا أقل ما يقال عنها متينة وقوية ولا يمكن أن يفسدها اختلاف في وجهات النظر والتي لا بد وأن تطرأ من وقت لآخر لكننا أحياناً نحظى ببعض الضيوف العابرين ولا يتردد أصحابي في فتح موضوعات شائكة أمامهم ولم أتردد أنا بدوري بالمشاركة معهم في إبداء رأيي مهما كان غريباً ومرفوضاً.

بالطبع لم تكن جميع مواجهاتي ونقاشاتي مع زوار المزرعة سلبية فقد التقيت بأشخاص عقولهم ناضجة ومتفتحة ولا أقول ذلك لأنهم اقتنعوا بكلامي أو أن آرائي نالت استحسانهم ولكنهم كانوا يملكون قدراً كافياً من الثقة بأنفسهم كي يناقشوني بهدوء وعقلانية. لكن للأسف هؤلاء كانوا قلة والسواد الأعظم كان من النوع الأول.

تحدث في مرة أحد هؤلاء الزوار العابرين وهو صديقٌ قديم لـ (يوسف) .. أبو (وله) سابقاً .. عن أضرار التدخين لأن أغلب الموجودين وقتها كانوا يدخنون، بدأ حديثه بشكل جيد عندما ذكر أضراره الصحية والاقتصادية والجميع منصتون له وأعقاب السجائر

تتدلى من أفواههم وأطراف أصابعهم وأنا كنت أحدهم لكن عندما لم يجد في أعيننا التأثير المأمول الذي سعى إليه حوّل الموضوع من منطلق صحي اقتصادي إلى منحى ديني وبدأ يستعين بآيات قرآنية لتعزيز وجهة نظره وهذا ما استفزني وأرغمني على التدخل بعد ما كنت مجرد مستمع غير آبه.

لم أستفز بسبب إقحام الدين في الموضوع ولكن أثار حفيظتي كيف أن ذلك الشخص تلبسه كي يصل إلى عقول المستمعين بلي أعناق النصوص وتطويعها لتوافق مع وجهة نظره لكن تدخلني بدد جهوده حتى وإن كانت تلك الجهود بنية حسنة كما سيبرر له البعض.

أثار الرجل قضية حرمة التدخين شرعاً بعد ما لم يجد الأثر المطلوب من استعراضه لأضراره على المال والصحة واستشهد بآية: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» .. البقرة - ١٩٥ « فقاطعته قائلاً: «إِذَا فَالتدخين حرام لأنه مضر بالصحة؟»

أجاب بكل ثقة: «نعم!»

ألحقت سؤالي بسؤالٍ آخر وقلت: ماذا عن المشروبات الغازية؟

(الرجل): ماذا عنها؟

- هل هي حرام أيضاً؟

- (الرجل): طبعاً لا

- على أي أساس حرمت التدخين ولم تحرم المشروبات الغازية؟

(الرجل) : التدخين ضرره ثابت ويسبب الكثير من الأمراض وعلى رأسها السرطان

- العلم الحديث أثبت أن المشروبات الغازية لها الأثر نفسه في التسبب بكثير من الأمراض ومن ضمنها السرطان

(الرجل) : التدخين ليس به منفعة غذائية لكن تلك المشروبات بها نفع بسيط وتعتبر من الأغذية

- غير صحيح .. نسبة المنفعة الغذائية من المشروبات الغازية تعادل الصفرة والسكر الأبيض المكرر الموجود بها والذي يعتبر المكون الرئيس لها أثبت العلم أيضاً أنه مثبط للمناعة ومحفز للخلايا السرطانية وغذائها الرئيس كي تنمو وبعض الأبحاث أشارت كذلك إلى أنها أكثر ضرراً من التدخين نفسه

(الرجل) بنبرة غاضبة : ماذا تريد أن تقول؟! .. هل تقول إن التدخين حلال أو إن المشروبات الغازية حرام؟

- أنا لا أملك جرأتك في التحليل أو التحريم لكنني أريد أن أفهم مبدأك والقاعدة التي بنيت عليها استنتاجك بتحريم شيء دون الآخر .. أعطني شيئاً واحداً .. واحداً فقط يختلف فيه التدخين المحرم من وجهة نظرك عن المشروبات الغازية التي هي حلال من وجهة نظرك أيضاً

(الرجل) وصوته بدأ بالارتفاع : يبدو أنك زنديق ومدلس وتريد تميع

الدين والتشويش على الجميع!!

- تم اعتدت عليها .. لنرجع لسؤالي .. هل لديك إجابة مقنعة

عليه؟

- (الرجل) : التدخين هدر للمال! .. قال تعالى: (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا

إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ)!

- ولم هو هدر للمال؟

(الرجل) : لأنه بلا منفعة أو فائدة!! .. قالها بصوت عالٍ ومحتقن ..

- وما فائدة المشروبات الغازية؟ .. قلتها بكل برود ..

لم يرد الرجل وبدأ يصرخ ويهاجمني شخصياً ويشكك في ديني وأنا أراقبه

مبتسماً وبعض أصحابي يحاولون تهدئته بقول: «اهدأ يا شيخ» .. لم يتغير

شيء .. لم يتغير شيء على الإطلاق.

بالطبع «البعض» قد يفهم من هذا المثال أني أروج للتدخين وللمعاصي

إلى آخر ذلك. لا أبداً .. التدخين عادة سيئة ومضرة بالصحة جداً

ومسبب رئيس للسرطان وحارق للمال مثلما يحرق تبغ الملوث

بالمبيدات رئاتنا .. لا خلاف على ذلك البتة .. وأنا لم أدع ولن أدعو

أحداً لتجربته بل أحذر منه وبشدة ولا أدعو إليه مطلقاً.

الشيء الوحيد الذي أدعو إليه وأروج له وبقوة هو «التفكير» .. شيء

حُرْم منه الكثير .. أو أنهم اختاروا غيرهم ليفكروا عنهم.

بعض الناس للأسف في هذا الزمن تحولوا إما لأبواق مرددة أو حجارة صامته مصمته جاهزة للنحت أو القذف بها تجاه الغير. لا أحد يريد أن يفكر لأنه يخشى نتيجة تفكيره وهذا أمرٌ طبيعي لأننا تربينا على أن النفس أمانة بالسوء فقط ونسينا أو تناسينا أنها أيضاً ولدت على الفطرة السوية وتفسد بسبب مؤثرات خارجية وتكون غالباً أفكار أنفس أخرى غيرها.

في أحد الأيام دار نقاشٌ بيني وبين دكتور جامعي متخصص في علم الاجتماع له مقالات كثيرة في نشر وتعزيز الإيجابية وكان الموضوع يدور حول المشكلات الزوجية وارتفاع نسبة الطلاق، موضوع عام لا يحتمل الحدة في النقاش وبالفعل كان الحوار بيني وبينه سلساً حتى أخبرته بأن العلم النظري بالغ كثيراً في نتائجه المزعومة وخاصة فيما يختص بدعوات الإيجابية والتفاؤل.

عارضني كثيراً في تلك النقطة واستشهد بالجلسات النفسية التي تُعطى لأصحاب الأمراض النفسية المزمنة ومن مروا بصدمات قوية وكيف أنها ساعدتهم على تجاوز أزماتهم فقلت له : «ذلك هو الوهم الحقيقي بعينه ..»

(الدكتور) : وهم؟! .. التفاؤل والإيجابية وهم؟!!

- أخبرني .. كيف تُظل من نافذة الحياة والموت يطرق بابك؟

(الدكتور) : بمَ تهرطق؟

- وكيف تجرؤ كشخصٍ صحيحٍ ومعافٍ أن تُقنع مريضًا بالتفاؤل  
وتقبل فكرة الموت أو حتى تطلبها من أقربائه؟ .. الإيجابية مهمة  
لكنها عندما يتم المبالغة فيها وتصل لحد المثالية تصبح عبئاً ثقيلاً  
أثقل من المرض نفسه

لم يعجبه كلامي وأصر على أن بث الإيجابية عن طريق تكثيف الحديث  
عنها سبب في اكتسابها فقلت له :

- المرفه لا يحق له الحديث عن الفقر، والأمين المطمئن في منزله  
ووطنه لا يحق له الحديث عن مآسي الحرب .. البعض عين  
نفسه متحدثاً عن أمورٍ لم يجربها قط وبدأ يقدم النصائح لتجاوز  
عقباتٍ هو نفسه لم يمر بها لكنه قرأ عنها أو شاهد برنامجاً وثائقياً  
أو تقريراً إخبارياً عنها. أشعر بالأسى الشديد علي من فقد أمه  
أو أباه أو أخته أو أخاه ويأتيه شخصٌ لم يمر بالتجربة نفسها  
ويطلب منه تجاوز حزنه وأن المسألة عابرة وسينسى مع الوقت.

رد عليّ بكل ثقة وقال : هذا من باب الموااساة ..

- لذلك أقول بأنك تبيع الوهم والمصاب سيشتري سلعتك لأنه  
بحاجة إليها أو لأنه يعتقد ذلك حتى يكتشف العكس .. غريب  
يتعلق بقشة إن صح التعبير ..

(الدكتور) : تجديد الإيمان بالله ليس وهماً أو سلعة

هنا علمت أن الرجل قد حوَّصر عندما أدخل «الدين» في الموضوع ..  
فقلت له :

- نعم الإيمان بالله هو أساس أي طمأنينة وراحة نصل إليها لكن  
الموضوع لو لاحظت كان عمن يبيعون وهم الإيجابية للناس  
وأنت أحدهم خاصة وأنت قد ألقت عدة كتب في الإيجابية  
وتطهير النفس والنهوض بها من قيعان الإحباط والسلبية  
ووجدت أن نقاشي معك سيهدد مصدر رزقك ولقمة عيشك  
ويهدم أساس وجودك وبضاعتك فقامت بكل ما يقوم به أي  
شخص لا يملك حجة وبينه أو منطقاً قوياً وأقحمت الدين  
في الموضوع كي تكتسب حصانة تلقائية ويصبح النقاش  
أمام الحاضرين بيني وبين الدين وليس معك .. حيلة قديمة  
ومكشوفة.

أعلن دكتور علم الاجتماع انهزامه عندما وصفني بعد هذا الكلام  
وبكل برود بـ «المجنون» .. تخيل .. رجل بتلك المؤهلات العلمية  
يصل لهذه المرحلة من إقصاء الغير فقط لأنني واجهت منطقته بمنطقي.  
الناس عموماً يشعرون بالارتياح عندما يلصقون بك ملصقاً يصفك  
ويصنفك بالمجنون أو المختل عقلياً أو على أقل تقدير بشخص غير  
سوي فهم بذلك يضعون أنفسهم بطريقة غير مباشرة في الخانة المقابلة  
وهي بالطبع رجاحة العقل والحكمة والرزانة.

تزامن انتهاء ذلك النقاش بدخول أحد الأصدقاء ليدعونا للتفضل على العشاء الذي أعده لمناسبة ما تخصه وضمت تلك الوليمة جميع أصدقائنا في المزرعة بالإضافة لبعض المدعوين «الجدد» من طرف صاحب الدعوة وقد كان من بينهم رجل لنقل عنه إنه «متحمس» بعض الشيء ولا تظهر عليه «خارجياً» أي من علامات التدين المعروفة كي لا نقع في تهمة التصنيف الفكري ونكتفي بالتصنيف الشكلي فقط.

لفت نظري ذلك الرجل الذي جلس أمامي خلال العشاء حين نهره وبقوة ابنه المرافق له عندما أخذ شيئاً من المائدة بيده اليسرى ولم يكتفِ بالنهر فقط بل وبخه بطريقة محرجة أمام الجميع. لم تكن هنا المشكلة.. المشكلة كانت أن ابنه لم يتجاوز في عمره السابعة تقريباً ونظرات الطفل المنكسرة أثارَت حنقي على ذلك الأب.

منظر مثير للاشمئزاز ومخجل أن ترى شخصاً راشداً يتهجم على طفل صغير بالكلام أو الضرب لأنه فقط مارس طفولته بعفوية وبراعة مهما كانت الأسباب والمبررات.

لم أكن أستطيع التدخل لنصرة طفلٍ على أبيه لكنني بدأت أستخدم كلتا يدي في الأكل أمامهما وأنا أبتسم للطفل. لم أسلم أنا أيضاً من تعليقٍ جانبي بأن الأكل باليسرى حرام. الحقيقة المرة هي أننا تربينا على معلومة خاطئة تماماً فالأكل باليسار ليس حراماً.. نعم ليس حراماً

لكن الأكل باليمين سنة حولها الناس لواجب ومع مرور الزمن نسينا  
أو تناسينا الفرق.

هذه المواقف لا مفر منها إذا كنت ستحتك بالناس ..

من باب العدل وكى لا يقال بأني أخص فئة دون أخرى في التدليس  
يجب أن أشير لنوع آخر من الدجالين «الجدد» وهم من يمتطون «العلم  
الحديث» ويستخدمونه لتمرير أجندتهم وأفكارهم فهم وكما يستعين  
البعض بالدين لإحراج الناس وثنيهم عن المجادلة يستخدمون المبدأ  
نفسه باستخدام العلم.

مثال على ذلك من يعززون أحاديثهم بكلمة: «أثبتت الدراسات» أو:  
«أثبت العلم الحديث» أو: «تفيد الاحصاءات» ولو بحثت خلف تلك  
الادعاءات لما وجدت بحثاً أو إحصائية أو شيئاً علمياً يدعم ادعاءهم.  
هذا الأسلوب الخبيث في الطرح يرفع قابلية التصديق عند المستمع  
البسيط ويجعل من المتحدث منارة علمية مشرقة تنير لهم ظلمات الجهل  
ولعرفة المتحدث «المحتال» بأن أغلب من يستمعون إليه أو يقرؤون له  
لن يبحثوا خلفه للتحقق من صحة ادعائه. خلق لنا ذلك فئة جديدة  
من الدجالين المعاصرين نافسوا بأسلوبهم المبتكر «التمشيعين»  
و«المشعوذين».

التطرف هو التطرف مهما اختلف المنهج والمنطلق فهو ليس مقتصرًا  
على ممتهني الدين والمتاجرين به فالمجرم متطرف والمتهور في قيادة

السيارة متطرف وأهل «العلم» غير الديني لهم نصيب كبير في هذا  
التطرف والتضليل بالتعصب لـ «آرائهم».

الخط الفاصل بين الرأي والقناعة والتطرف هو تعاملك مع من لا  
يؤمن برأيك وقناعاتك فإذا كنت لا تأبه بمن يصدقك أو يكذبك  
وتطرح تلك الآراء من باب العلم بالشيء فأنت في خانة الاتزان أما إذا  
وجدت نفسك تتحول إلى «بركان ثائر» في كل مرة يتم فيها مناقشة ما  
تؤمن به فأنت متطرف بكل ما تعنيه الكلمة. وإذا تعدى الأمر إلى إيذاء  
الغير لفظاً أو عملاً أصبحت إرهابياً.

هناك نوع جديد من الإرهاب .. وقبل الحديث عنه يجب أن أقر  
وأعترف أنني في المراحل الأولى من حياتي كنت أظن أن بعض أصحاب  
الفكر المتدين هم سادة القمع الفكري وربما كان ذلك صحيحاً في  
مرحلة سابقة لكن مؤخراً وتحديداً في السنوات الأخيرة ظهرت فئة  
في مجتمعي لم تكن كثيفة اللحى أو قصيرة الثياب ولم يظهر عليها معالم  
التدين الخارجي بقوة لكنها كانت تحمل الفكر المشوه نفسه والمنطق  
العقيم نفسه في الجدل وطرح الآراء.

لا أعرف ما هو التصنيف المناسب لهم فهم متلونون على الدوام  
وممارستهم لذلك «الإرهاب الفكري» متجددة ومتقلبة لكن بالهدف  
والتوجه أنفسهما وغالباً ما يكون لأهداف شخصية وذاتية للارتقاء  
اجتماعياً ومادياً بشكل زائف.

أبرز الامثلة التي قابلتها من هذه النوعية من «المدلسين الجدد» كان مدرساً معتمداً في تطوير الذات تم دعوته لإلقاء محاضرة في الكلية التي أعمل بها وحسب ما نقل لي من أحد زملائي فإن هذا المدرب أيقونة في مجاله وصاحب فكر جميل وآراؤه باهرة فيما يتعلق بمجال «تخصصه».

جلست بين الجموع في تلك المحاضرة أنصت لذلك «المدرّب» وهو يتكلم ويحدث الحاضرين وشيئاً فشيئاً تحول كلامه لخزعبلات. أنا لستُ متخصصاً في «علم» تطوير الذات لو جاز التعبير لكنه مجالٌ قرأت فيه على استحياء وما تحدث عنه ذلك الرجل لم يكن سوى خليطٍ من الحق والباطل ولا أعرف هل تعمد ذلك أو كان جهلاً غير مقصود.

كان يضرب أمثلة خاطئة ويثير نقاطاً مغلوبة ويستشهد بمعلومات غير صحيحة وأنا أستمع له متعجباً منه ومن جرأته ومن اندماج الحاضرين الغافلين المصدقين له. لم أكن بصدد مناقشته ولم يكن مجال النقاش مفتوحاً من الأساس خلال المحاضرة لكن كان لا بد أن أحدث شرحاً ما في ذلك السد المنيع من الأكاذيب.

أنهى «المدرّب» محاضرتَه وبدأ يهز رأسه مبتسماً وهو يراقب الجمهور المصفق له بحرارة وهممت بالنهوض والرحيل لكن كلمة منظم اللقاء بأن فقرة الأسئلة والنقاش سوف تبدأ جعلتني أراجع وأنتظر لعلّي أتمكن من تصحيح مفاهيمي التي هشمها هذا المدعي بمغالطاته.

انتقل الميكرفون من سائلٍ لآخر حتى وقع بين يديّ فوقفت وعلى  
عكس البقية الذين استهلوا أسئلتهم بنفخ ذلك المحاضر أكثر مما كان  
منفوخاً بالمديح والإطراء سألته مباشرةً وقلت :

«ذكرت خلال حديثك أن مدينة ((لاس فيغاس)) هي عاصمة  
القمار في العالم عندما استخدمتها كمثال لتعزيز مفهوم التخصص  
في العمل ..»

رد (المدرّب) ضاحكاً مستظرفاً : نعم وهذا كان مجرد مثال وليس دعوة  
لممارسة القمار!

ضحك الحاضرون من «طرفة» (المدرّب) فأتبعتها بتعليق بسيط وقلت :

- لكن عاصمة القمار في العالم هي مدينة ((مكاو)) بالصين وليست  
((لاس فيغاس)) كما أسلفت

تبسم (المدرّب) وقال : المهم المثال وليس المعلومة ..

- كيف تقول ذلك؟ .. لقد زودتنا بمعلومة خاطئة وأنت رجل

تحاضر بشكل دوري أمام آلاف الناس الذين يستمعون إليك  
فخطؤك ليس كغيرك

تجاهلني (المدرّب) المُحرج وقال موجهاً كلامه للحضور : هل هناك  
سؤال آخر؟

لم أكن أنوي الاستمرار لكن بدا لي أن الحاضرين ما زالوا مقتنعين أن هذا الرجل صاحب علم كبير وأعجوبة زمانه فأكملت حديثي عبر الميكرفون وقلت :

«نعم أنا لدي سؤال إذا لم تخش الوقوع في إحراج آخر..»

التفت (المدرّب) المحاضر علي بابتسامة مصطنعة وقال : «لا أبدأ تفضل .. وأنا لم أقع في أي إحراج ..»

- جيد .. حسناً إذا .. جرب الإجابة على هذا السؤال كي نستفيد من علمك العزيز .. حدثتنا كثيراً خلال المحاضرة عن رحلتك الدراسية للخارج وعن الشهادات التي حصلت عليها والمدن والدول التي زرتها والمناصب التي توليتها والمشاريع الخاصة التي أنشأتها وهذا أمرٌ جميل لكن ما هي إنجازاتك؟

(المدرّب) : ماذا تقصد؟ لقد ذكرتها للتو ..

- كل ما ذكرته وأسميته بـ «إنجاز» كان منفعة شخصية لك .. أسست مراكز تدريب خاصة في عدة مدن تدر عليك الأرباح لكن ما هو الإنجاز «العلمي» أو «العملي» .. هل قدمت شيئاً غير النظريات الشفهية التي ذكرتها والتي تتمحور كلها عن تطوير الذات أو بمعنى آخر كلام منمق مريح لنفسية القارئ فقط دون أن يُسمن أو يُعني من جوع؟ .. هل السؤال واضح؟

وكما جرت العادة تحول الموضوع لشخصنة وتهجم الرجل علي لفظياً  
وقال : «وماذا قدمت أنت؟!»

أجبتة مبتسماً وبكل برود : «أنا لم أقف على منصة جامعاً الناس حولي  
مدعياً شيئاً من الإنجاز كي أقدم القرائن على ذلك لكن أنت أمضيت  
ساعة كاملة في الحديث عن نفسك وعن إنجازاتك ..»

(المدرّب) بتجهّم : هل تحاول السخرية مني؟!!

- العفو .. أنا لست هنا للتقليل من شأنك لكن صدقاً لا أرى  
أنك حققت شيئاً يستحق أن يُجمع له هذا الكم من الناس  
لينصتوا له .. لقد أُلغيت محاضرات الظهيرة في الكلية لأجلك ..  
ما الفائدة؟ .. عامل البناء الذي شارك في بناء هذه القاعة  
صاحب إنجازٍ أكثر منك فعمله موجود ومحسوس ويمكن رؤيته  
واستخدامه والاستفادة منه ومنفعته ملموسة ومستمرة .. الخباز  
الذي أعد الفطائر المصفوفة هنا كضيافة أنفع منك فإنجازته  
نراه وسنستفيد منه .. ما منفعتك أنت وعلومك النظرية؟

(المدرّب) : هذه ليست أول مرة أهاجم بسبب شهاداتي العلمية فهي  
مصدر حسد من الكثير وأنت لن تكون آخرهم

حاول أن تدرك أن شهاداتك إضافة شخصية لك وحدك فقط وليس  
لنا كمجتمع إلا إذا خرجت بشيءٍ مادي ننتفع به وأما الكلام والتنظير  
فهما مجرد مضيعة للوقت .. وأرجوك لا تقل لي بأن ذلك ساعد الكثير

في تجاوز منحهم وعلاج مشكلاتهم فانت لا تختلف عن أي مسكن أو  
مهدي يؤخذ بشكل مؤقت حتى يصل العلاج الحقيقي .. وإذا كنت  
سأحسد أحداً فأنا أحسد من يملك صبراً للاستماع لك لأكثر من عشر  
دقائق

يمكنكم تصور ما حدث بالطبع .. لم أحصل على إجابة وأنهى منظم  
الحوار الحديث بشكر «المدرّب» على تخصيصه جزءاً من وقته الثمين لنا  
وتم تسليمه درعاً و«شهادة شكر» مع التقاط بعض الصور التذكارية  
معه.

نقاشات عقيمة نخوضها كل يوم على أمل إحداث فرق لكننا  
نكتشف أن الهوة أكبر مما نظن .. غرور الإنسان يمنعه من رؤية حقيقة  
نفسه .. فالتعالي والتكبر هوايات يجب أن يارسها الناقصون ويحاكيها  
ويقلدها الفاشلون.

أبسط نقاش في أبسط موضوع ينتهي غالباً بالتسفيه أو الإقصاء.  
المجنون في هذا الزمن ليس من غاب عقله بل من غاب كُله عن النمط  
السائد في المجتمع ورفض العوم مع تياره لذا فمصطلح «مجنون» لم يعد  
مذمة من وجهة نظري بل وسام شرف وشهادة بالتفرد عن القطيع.

مشكلتنا لم تكن يوماً الالتزام أو التفريط ..  
مشكلتنا كانت وما زالت «التطرف» في أحد الاتجاهين ..  
البقاء في الوسط مفهوم لم نتقن التعامل معه حتى الآن ..  
تطرفنا في الكرم وحولناه لتبذير وإسراف ..  
تطرفنا في النصح وجعلناه ترهيباً وتخويفاً ..  
تطرفنا في الحب فأصبح تملكاً واستحواذاً ..  
والقائمة تطول ..

«تحدثت عن نفسي كثيراً أليس كذلك؟»

في الواقع الحديث كان معظم الوقت وفي مجمله عن غيري لكن  
الحديث عن الغير يعتبره البعض حديثاً غير مباشر عن ذاتك وتلميحاً  
لها بصيغة: «أنا أفضل» أو: «أنا أعلم» .. لا أبداً لست أفضل أو أعلم  
من أحد لكنه مجرد وصف موجز لما أخوضه من صراعات شبه يومية  
عندما أقرر الاختلاط بالناس لذا فالعزلة هي أجمل رفيق لي ومن أجمل  
العادات التي أمارسها وألام عليها.

## الماء الرّاكد في قاع الجُمجمة

بعد حديثي أو «فضفضتي» الطويلة للنبته الحزينة أشعلت سيجارة  
ووجهت حديثي لها باسمًا :

«أعتذر.. لكنني أحتاج لهذه اللقافة بعد هذا الحديث الطويل معك..»  
لم أكن بالطبع أتوقع منها أن تجيب.. لكن هناك من أجنبي.. صوت  
مألوف عليّ أتى من ورائي قائلاً :

«يا إنك نفخت راسي وراسها بحلطمتك..»

نهضت مفزوعاً من مكاني ملتفتاً خلفي مسقطاً الكرسي والسيجارة  
من يدي باحثاً بنظري عن المتحدث الذي تسلل لمنزلي.. وفوجئت..  
بأنه يقف أمامي.. ضاحكاً بثغره يحدق بي بأعينه الصفراء قائلاً :

«وحشتني يا (خوف)..»

جف ريقِي والدم بعروقي واتسعت عيناي عجباً وصدمة مما شاهدته..  
لقد كان (دجن).. يقف باسمًا لي بأسنان ناصعة البياض وأنف مستل  
كالسيف.. لم أستطع الحديث وبقيت أحدق به في حالة من الدهول  
حتى استطرد هو وقال : «شفيك تبحلقت فيني؟»

- لماذا؟

(دجن) : ليش ايش؟

- أنت ميت!

(دجن) بنبرة متهكمة: صحيح .. ميت فيك

- كيف عدت؟ .. ولماذا؟

(دجن): هذا بدال ما تاخذني بالأحضان وتقول: «فقدتك يا أعز

الناس ..»

لم أتمالك نفسي وصرخت به قائلاً: جاوب!

(دجن): اركد .. اركد .. وقصر صوتك الناس نايمة

أدرت ظهري له وسرت تجاه مدخل المنزل وأنا أردد: أنا أهلوس! ..

أنا أهلوس!

دخلت البيت وتوجهت لغرفتي مباشرة وأغلقت الباب خلفي

وجلست على طرف فراشي الأرضي محتضناً رأسي بكلتا يدي محدثاً

نفسي: ما الذي يحدث لي؟

خلال ذلك لمحت علبة الأقراص التي قدمها لي أخي نهار ذلك اليوم

وبجانبتها كأس من الماء .. يبدو أن أمي متفقة معه وعلى علم بها وهي

من أحضرها إلى هنا .. لكن ذلك لم يشغل بالي بقدر الشرخ البسيط

على طرف الكأس .. كان يجدر بي إخبار أمي بأن الكؤوس والضحون

حتى وإن كان بها شرخ صغير أو فاقدة لقطعة منها مضررة روحانياً

ويجب رميها. لكنها لن تنصت لي وستيقن أكثر أني أشكو من علة عقلية.

أخذت العلبة وقلبتها بيدي وقلت : «أنا لست مريضاً .. أنا متعب فقط ..»

أجابني صوت (دجن) القادم من إحدى زوايا غرفتي قائلاً : «واجه حقيقتك .. الحقيقة اللي تحاول تهرب منها من زمان وهي أنك مريض .. بالعربي مشموخ ..»

التفت نحوه وقلت بهدوء دون جزع من ظهوره مجدداً : هذا يعني أنك مجرد وهم ولست حقيقة ..؟

(دجن) مبتسماً : أيوا .. من كثر ما وحشتك مخك الملحوس رجعني

- أنت تتلاعب بي كعادتك وموجود بالفعل .. أليس كذلك؟

(دجن) سائراً نحوي واقفاً أمامي : للأسف لا يا خوبي .. أنا موجود إلا بمخك .. اعتبرني زي ضميرك .. ضميرك الميت

- أنا لست مجنوناً! .. وأنت حقيقة! .. وهذه حيلة من حيلك!

(دجن) : طيب لا تصيح وحاول تنام وترتاح

- ليس قبل أن أجمدك وأثبت أنك حقيقة ..

(دجن) باسمياً باسطاً كفيه : تفضل .. جمدي ..

- دجن .. دجن ..

(دجن) مقرباً مني أكثر وبنبرة متهكمة : شبك لبيك الخلا كله بين إيديك!

وقتها لم يكن هناك مجال للشك والتشكيك بالحقيقة فقلت بخليط من الخيبة والحسرة : «معنى ذلك أنك بالفعل من نسج خيالي ..»

(دجن) وهو يجلس بجانبني على طرف الفراش : شفيك؟ .. كنك زعلان وكان ودك أني أكون حقيقة

- لا أبداً لست مستاء ..

تجهم (دجن) فجأة وقال بخليط من العصبية والتهكم : أكيد «لست مستاء» .. والدليل أنك سأحت اللي ذبحتني يوم اعترفت لك بلسانها بكل برود ولا كأن كان بينا عشرة!

قلت وأنا أنهض من مكاني حاملاً علبة الدواء بيدي متوجهاً لمكتبي الصغير بالغرفة : لقد كنت حزينا لخبر موتك لكنني لم أكن سأقتل أحداً لأجلك أو لأجل غيرك ..

(دجن) مستلقياً على فراشي الأرضي مسنداً رأسه للوسادة : لأنك رخمة ..

قلت وأنا أجلس على المكتب : وماذا تريد مني الآن؟

(دجن) : أنا اللي وش أبي؟ .. أنت اللي مطلعني من قبري

- أنا لا أريدك حولي ولا أريد رؤيتك

(دجن) بنبرة ساخرة : لا، تكفى .. خلني جنبك

- اغرب عن وجهي! .. ألا تفهم!؟

(دجن) بسخط : ومن زين وجهك عشان أقابله!؟ .. أنت اللي

اصرفني!

- وكيف أصرفك وأنت مجرد خيال .. أي طلسم سيزيلك

ويخرجك من رأسي وحياتي!؟

(دجن) : مشيراً بسبابته لعلبة الأقراص بيدي : هالمرة ما تحتاج طلاس

رفعت العلبة أمام نظري وقلت : تقصد ..

(دجن) : أي أقصد أنك مشموخ ولازم تأخذ علاجك عشان ما تأذي

المسلمين

فتحت غطاء العلبة وتأملت محتواها بصمت ..

(دجن) وذراعاه خلف رأسه : حبة وحدة باليوم .. وما راح تشوفني

بعدها

- لن أتناول هذا السم مهما حدث ..

(دجن) واضعاً ساقه على الأخرى محركاً قدمه يميناً وشمالاً : خلاص

خلك على خبالك طول عمرك واخلني جالس معك .. واطلب لنا

أكل .. جاي على بالي رز

تجهمت وأفرغت محتوى العلبة على راحة يدي ..  
(دجن) قافزاً من على الفراش ملوحاً بكفه المفتوحة : هيه .. هيه! ..  
حبة وحدة بس! .. لا تسوي فيها المتأثر بالتنمر وتنتحر!  
رفعت كفي الممتلئة بالأقراص وقلت : ولم لا؟ .. الموت أهون من  
العيش بلا عقل ..

(دجن) : يا ليل .. رجعنا للهياط .. خذ حبة وحدة بس واخذ بعدها ..  
وأنا بمشي من الحين بس فكنا من الدراما حقتك

اختفى (دجن) ..

وهذا دفعني للتساؤل ..:

كيف يحدث هذا وأنا لم أتناول القرص بعد ..

هل يمكن أنه بالفعل عاد وهذه إحدى حيله؟ ..

لكنني نطقت اسمه ولم يتجمد ..

أم أني بلغت من الذهان والهلوسة مبلغاً جعلني أغير الأحداث حولي  
فقط لأقنع نفسي بما هو موجود وليس موجوداً ..

أعدت الأقراص للعبة ولم أتناولها ..

وضعت اللعبة على سطح الطاولة ونهضت متوجهاً لدورة المياه في  
غرفتي وأخذت حماماً ساخناً طويلاً وخرجت بعدها متوجهاً لدولاب  
ملابسي وخلال ارتدائي لملابسي سمعت طرق باب غرفتي .. كانت  
أمي .. أتت للاطمئنان عليّ ..

(أمي) من وراء الباب : هل أنت بخير يا حبيبي؟

- بخير يا أمي ..

(أمي) : هل يمكنني الدخول؟

- أنا أبدل ملابسي الآن

(أمي) : ما به صوتك؟

- ما به؟

(أمي) : تبدو متعباً .. صارحني .. هل أنت بخير حقاً؟

زفرت .. كنت أعرف أنه مهما قلت وفعلت لن أستطيع منح أمي راحة

البال التي تستحقها ..

- نعم يا أمي أنا بخير لا تقلقي .. فقط إجهاد بسيط من يومي  
الطويل مع (عواد)

(أمي) بتردد : مع من كنت تتحدث قبل قليل؟

- مع نفسي ..

(أمي) : هل أخذت دواءك ..؟

- نعم .. أخذته

(أمي) : اصدقني القول ..

أكملت ارتداء ملابسني وفتحت الباب لأجدها تقف بوجه امتلاء  
خوفاً وقلقاً ولم أقل لها شيئاً واكتفيت بمعانقتها وتقبيل رأسها محاولاً  
طمأنتها علي ..

رحلت أمي .. عدت لغرفتي .. أخذت علبة الدواء من فوق سطح  
مكتبي وجلست على طرف فراشي الأرضي ..

تكلمت مع الشخص الوحيد المنصت لي .. نفسي .. وقلت : «كنت  
أتمنى يا أمي بحق أن أريح بالك وأطمئنك علي لكنني لا أستطيع .. لا  
أستطيع أن أكون شيئاً فات الأوان أن أكون عليه ..»

صوت يحدثني من المكان نفسه الذي حدثني منه (دجن) سابقاً  
ويقول :

«ومن قال لك إن الأوان قد فات ..؟»

لم أفزع ولم أجزع هذه المرة .. لا أدري هل هو لأنني وصلت لمرحلة متقدمة من التبلىد أم لأنني تعرفت على صاحب الصوت مباشرة من أول كلمة نطق بها .. نبرة صوته المميزة والتي لم أسمعها إلا مرتين في حياتي .. وهذه كانت الثالثة ..

التفت نحوه وقلت ببرود : وماذا تريد أنت؟

تقدم (الرجل الأنيق) وهو يشد على ربطة عنقه الحمراء باسمًا ويقول : هل هذه طريقة لائقة للترحيب بصديقٍ قديم؟

- أنت لا تظهر إلا في قمة المصائب .. فما هي الكارثة التي أتيت لحلها هذه المرة؟

توجه الرجل الأنيق تجاه مكثبي وسحب الكرسي وجلس عليه واضعاً ساقاً على ساق وقال : «هدئ من روعك يا (خوف) .. لم يحدث شيء .. بعد ..»

- لا تنادني بهذا الاسم ..

(الرجل الأنيق) : بماذا تحب أن أناديك؟ .. المستشار؟ .. أم المحاضر؟ .. أو ..

- ماذا تريد؟

(الرجل الأنيق) : انهض وأعد لنفسك قدهاً من القهوة السوداء كي  
تخفف بها توترك ونستطيع الحديث بهدوء  
- لا حاجة لي بها الآن

(الرجل الأنيق) : لكن أنا بحاجتك ..  
- أنت محتاجني ؟ .. أي العوبة تريد أن تمررها علي هذه المرة؟

(الرجل الأنيق) : لا أحتاجك بالمعنى الذي فهمت لكن لدي مهمة  
أريد إنجازها وأنت أنسب شخص يمكنه القيام بها  
- أنا لست خادماً عندك

(الرجل الأنيق) مشيراً لي بسبابته : لن يكون بلا مقابل وأنت تعرف  
ذلك

- وفر عروضك لغيري

استأنف الرجل الأنيق حديثه وكأنه لم يسمع شيئاً وقال :

«هناك أمور لا نستطيع القيام بها إلا من خلال بشر مهما بلغت قدراتنا  
وسيطرتنا .. هذه هي السنة المسنونة من سنين ..»

- استعن بغيري .. لا شك بأنك تملك الكثير من الخدم من البشر  
والذين يتمنون خدمتك وتلبية رغباتك الشيطانية

(الرجل الأنيق) : صحيح .. لكنهم ليسوا مثلك

- أنا لست مختلفاً عن أحد ولا تحاول إغوائي بهذا الكلام

(الرجل الأنيق): بل مختلف يا (خوف) .. أنت الوحيد من بينهم الذي  
ينبذ كل شيء نعمل من أجله ونسعى إليه ومع ذلك لا يريد الرحيل ..  
أنت ترفض التحالف معنا والدخول لعالمنا وفي الوقت نفسه تقف عند  
عتبة الباب وترفض المغادرة ..

- هذا إن كان لكم وجود من الأساس ..

(الرجل الأنيق): هل ما زلت تشك بوجودنا؟ .. هل ما زلت تريد  
دليلاً وإثباتاً؟

- اكتشفت مؤخراً أن المرء يمكنه نفي أو إثبات أي شيء بالأدلة  
ذاتها .. البراهين لم تعد مصدراً موثقاً لليقين .. أغلب الحقائق  
التي نؤمن بها ليست مبنية على أدلة قاطعة بل الإيمان المطلق بها  
وبوجودها وهذا لأننا ببساطة لا نعرف شيئاً على الإطلاق

(الرجل الأنيق): فما الضير إذاً بمجاراتي والإنصات لما أريد قوله لك؟  
- الضرر هو أنني سأغرق أكثر في هاوية صنعتها لنفسي ..

(الرجل الأنيق): هل تطمح للخروج منها؟

- أنا وأنت نعرف أن ذلك مستحيل .. كل ما يمكنني القيام به  
للتكفير عن ذنبي هو محاولة حماية غيزي من الوقوع في الحفرة  
نفسها

(الرجل الأنيق): ألهذا بدأت تكتب مذكراتك مؤخراً؟

- هل أنت خائف من محتواها؟

(الرجل الأنيق) باسمًا: الخوف ليس شعوراً مألوفاً عليّ .. ثم إن ما مررت به مجرد خيال أليس كذلك؟ .. لا يوجد أبجل من خيال عشناه إلا واقع لم نعشه بعد ..

- ماذا تقصد؟

(الرجل الأنيق): رحلتك لم تنته .. وسنبقى حولك نراقبك .. لن نؤذيك .. لأننا واثقون من أنك ستؤذي نفسك بنفسك

- أنا أجدد العهد الذي قطعته مع نفسي كل يوم وهو أنني لن أتفوه بطلسم آخر من الطلاسم التي قلبت عالمي رأساً على عقب وأن أرمي تلك الحياة خلفي للأبد وأحاول استعادة ما تبقى من حياتي «الطبيعية» قدر المستطاع

(الرجل الأنيق) بنبرة متهكمة بعض الشيء:

«حياة طبيعية؟ .. كي تحظى بحياة طبيعية يجب أن تعيش وسط أناس طبيعيين .. انظر وابحث حولك .. هل تراهم؟ .. مشكلتك كانت وما زالت أنك أنت الطبيعي بينهم وليس العكس ..»

- لكنني مريض .. وأعرف أن (عمار) هو من تسبب في مرضي حينما خلط واقعي المؤلم بعلمه المسموم .. وقد حان الوقت أن أفصل بينها

(الرجل الأنيق) : هذه ليست أول مرة تخوض فيها هذا الصراع مع نفسك وتكتشف لاحقاً أنك على خطأ

- لا .. أنا من يقنع نفسي بأني على خطأ .. هناك أمور كثيرة يختلقها عقلي كي يخفف عني مصيبي ويبرر الجنون الذي يحيط بي ويجاوب الاستحواذ عليّ

(الرجل الأنيق) : هل هذا هو التبرير الذي وصلت إليه؟

- نعم .. الخيال مهرب .. محاولة لتفسير واقع مر .. وأنت أحد تلك الخيالات .. وسأثبت لك ذلك

مددت يدي وحملت علبة الدواء المستقرة على سطح الطاولة خلف الرجل الأنيق وفتحت الغطاء وهزتها مخرجاً حبة واحدة على راحة يدي اليسرى دافعاً بها تجاه فمي المفتوح مبتلعاً القرص في الحال.

(الرجل الأنيق) باسماً : اشرب بعض الماء ..

توجهت لفراشي وشربت كأس الماء بأكمله وحينما استدرت للخلف لم أجده .. اختفى .. وكأنه لم يكن ..

## السَّابِقُ وَالْمَسْكُوبُ

العقل وعاء .. يستقبل الخبيث والطيب .. ونحن من نختر ما نسكبه في عقول غيرنا حسب نوايانا .. (عمار) اختار أن يقدم لي أخبث ما في وعائه لكن شاءت الأقدار أن يسكب معه بعض العلوم الحميدة اختلطت مع ذلك الفصد النجس .. ومحاولة التخلص من محتوى أي وعاء بالقوة قد تقود لكسره .. ووعائي سُرخ حينما حاولت وبدأت أفقد شيئاً من عقلي .. لا شك في ذلك.

لذا قررت البدء بنقل بعض علمي الحميد هذا لوعاءٍ آخر .. فعقلي قد يتهشم وأفقده في أي لحظة ويضيع معه ذلك العلم النادر وغير المدون لكن كان لزاماً عليّ أولاً أن أجد الوعاء المناسب.

الموضوع لم يكن سهلاً وأنا لم أبذل جهداً كافياً للبحث والتقصي لأنني كنت مؤمناً بأنني سأجد الشخص المناسب حين يقدر لي ذلك ومع هذا وبعد معرفة (عواد) بتوجهي الجديد اقترح عليّ أن يساعدني في البحث .. وليته لم يفعل.

كان من وقت لآخر يحضر لي شباناً غربيين وبالرغم من أنني نبهت عليه ألا يوضح لهم شيئاً عن طبيعة ما هم مقبلون عليه ويكتفي بإخبارهم

أنهم يجرون مقابلة لو وظيفة مساعد لي في أعمالى الخاصة إلا أن خياراته التي جلبها كانت أبعد ما يكون من وعاء مناسب .. أقل ما يقال عنهم أكياس مستخدمة.

أنا لا أنتقص منهم لكن الحقيقة كانوا مجموعة غريبة .. أغلبهم متصنع عابث أو فارغ يبحث عن التسلية .. لم ألمس الجدية من أيّ منهم هذا وهم يعتقدون أنهم يقدمون على وظيفة ويخرجون أفضل ما عندهم.

أذكر تحديداً إحدى تلك المقابلات والتي أجريتها في مجلس منزلي مع شاب في أول العشرين من عمره يدعى (حمزة) تخرج من الجامعة في تخصص الكيمياء بالرغم من أن ظاهره أوحى لي بتخصص آخر .. على أي حال .. أحببت أن أفهم طريقة تفكيره بعد حوار قصير معه فسألته سؤالاً بسيطاً .. في مجال تخصصه بالطبع وقلت : «هل تعرف مادة الكحول؟»

(حمزة) : نعم بالطبع

- هل تراها مادة نجسة أم طاهرة؟

استغرب الشاب من سؤالى في بادئ الأمر لكنه أجاب بثقة قائلاً :  
نجسة بالطبع

- هل هذه إجابة علمية أم دينية؟

(حمزة) : لا يوجد فرق

- كيف لا يوجد فرق؟

(حمزة): العلم والدين لا يتعارضان

هنا أدركت أن الشاب الجميل لن يكون وعاء مناسباً لكنني أحسبت أن أستمر بالنقاش معه من باب إرسال رسالة له ولـ (عواد) الحاضر لتلك المقابلة فقلت :

صحح لي هذه المعلومة بحكم تخصصك إن كنت مخطئاً .. ألم يعجز العلماء عبر التاريخ عن إيجاد مطهر أقوى من الكحول .. أليس الكحول أقوى مطهر ولا يوجد له مثيل في التعقيم؟ .. فكيف يكون نجساً؟

هنا أصيب الشاب بما يعرف بصدمة القناعات مما جعله يتلعثم ويتوتر ويبدأ الغرق في بحر أفكاره ومبادئه فأكملت حديثي لإنقاذه كي لا يصاب بنكسة حادة وقلت :

«النجاسة في الخمر وليست في الكحول الذي يضاف إليه .. خلط الخمر بالكحول ألصق به صفة النجاسة لكنه في أصله طاهر وأصبح الناس يصفون الخمر بالكحول في بعض الأحيان ويستخدمون مصطلحات مثل «تعاطي الكحول» بدل «تعاطي الخمر» .. وهذا خلط منبعه الجهل ..»

(حمزة): لكن الكحول مسكر بحد ذاته

تعاطي الكحول وحده ميمت وليس مسكراً .. أنا كنت أتحدث عن طهارة  
ونجاسة عين الشيء وأنت انتقلت لمسكر وغير مسكر .. هل ترى كيف  
أن عقولنا تحيد عن أصول الموضوعات لموضوعات جانبية مشتتة لفكرة  
النقاش الأساسية .. لن أدخل في تفاصيل صناعة الخمر لكنني أردت  
بضرب هذا المثال توضيح معضلة الفهم السطحي أو كما أسميه «فهم  
القشور» .. الإيوان بشيء يستدعي ويستلزم فهماً أعمق من ذلك

(حمزة) : هل معنى ذلك أني لن أحصل على الوظيفة؟

تبسمت له وقلت : الخسارة لنا لكن العمل المطروح يستلزم شخصاً  
واعياً بذهنه وليس ثملاً بأفكاره ..

لم يعجب الشاب بكلامي بالرغم من أني لم أسئ له شخصياً وتحدثت  
في العموم ونهض بوجه متجهم تاركاً المجلس وتبعه (عواد) لإيصاله  
للباب. في تلك اللحظة تشكل خيال (دجن) بجانبني وشاركني النظر  
لباب المجلس وقال :

«يا خي دامك ما تبينه من أول صرفه وخلاص .. ما يحتاج كلام  
السكراري اللي قلته ..»

- لم عدت؟

(دجن) ملتفتاً إلي باسماً : جاي فزعة ..

- لست بحاجة لك .. ارحل

(دجن) : خذ دواك وامش ..

- لقد رميت العلبة ..

(دجن) : كل هذا لأني وحشتك؟

- لن أتناول هذه السموم .. حتى لو كان الثمن تحمل بقائك

المزعج معي

(دجن) بنبرة متهكمة وساخرة : مدري من متحمل الثاني

قلت وأنا أراقب (عواد) يعود : هل من الممكن أن تتركني الآن؟ .. عد

لاحقاً كما تشاء لكن ذهني ليس مستعداً لك في الوقت الحالي

(دجن) وخياله يضمحل : طيب لا تشدها يا خبير الكحول ..

جلس (عواد) بجانبني وقال : ماذا فعلت؟ .. لقد كان الشاب متحمساً

للو وظيفة ومؤهلاً جداً لها

- وظيفة ماذا؟ .. هل نسيت الهدف من هذه المقابلات؟ .. ثم من

أين أتيت به؟ .. إنه لا يفقه شيئاً حتى في تخصصه

(عواد) : الشاب خلوق ومهذب ومن عائلة محترمة

- أنا أحاول إيجاد تلميذ لتعلم علم روحاني وليس عريساً لابتي

(عواد) : أنا أرى أنك استعجلت

- وأنا أرى أننا نضيع الوقت والجهد مع عرسانك .. سنتوقف ..

لا تجلب لي أحداً بعد اليوم

(عواد): أفضل .. الأمر لم يكن سهلاً من الأساس والخيارات محدودة

بالحديث عن الخيارات .. لم كل الذين جلبتهم لي في السابق ذكور؟

(عواد): ماذا تقصد؟

أقصد ما قلته ..

(عواد): هل كنت تريد امرأة؟

أريد شخصاً مناسباً سواء رجلاً أو امرأة

(عواد) بشيء من التهكم : وهل ستكون مدرستك هذه مختلطة؟

ولم لا؟

(عواد): أعوذ بالله .. وأين سأقابل الفتيات لأجلهن لك؟

أغلق الموضوع يا (عواد) فكلامك يسبب لي الصداع أحياناً

مضت الأيام ولم يُفتح هذا الباب مجدداً ولم أخرج من المنزل إلا عندما

اتصل بي (عواد) هاتفياً ليخبرني بأنه يريد مني مرافقته للذهاب معه

للسوق لأنه يريد شراء بعض الحاجيات لمنزله.

- تعرف يا (عواد) أني لا أحب الخروج إلا للضرورة

(عواد): أعرف لكن زوجتي أعطتني قائمة طويلة تتطلب مني

الذهاب لعدة محلات وسأشعر بالملل

- وأنا سأكون مصدر تسليتك؟

(عواد) ضاحكاً: لا لم أقصد .. أنا أحب الحديث معك

- ما الحكاية؟ .. هل تحتاج للمال؟

(عواد): لا أبداً .. ما بك؟ .. ألا يمكننا الخروج بشكل طبيعي كصاحبين؟ .. لا يشترط أن يكون خروجنا معاً مرتبطاً بعمل أو حالة في الحقيقة لم تكن هذه أول مرة يتصرف فيها (عواد) بتلك الطريقة فهذا يحدث عندما يغيب عني لعدة أيام ولا أكون بحاجة له. أعتقد فقط أنه يشعر برغبة للتواصل معي بشكل أكبر.

- حسناً يا (عواد) سأكون بانتظارك ..

بعد أقل من ساعة وصل (عواد) عند باب منزلي فخرجت وركبت معه وقضينا بقية اليوم في التسوق ..

نهاية اليوم وتحديداً حينما أويت لفراشي قبل منتصف الليل بقليل سمعت (دجن) يحدثني من إحدى زوايا الغرفة قائلاً: «ليه تبي تنقل علمك ..؟»

أجبتُه وأنا مضطجع على جانبي مسندٌ رأسي للوسادة محدقٌ بباب الغرفة ومديرٌ ظهري له: هل لديك رأي آخر؟

(دجن): أنا أشوف أنك تخليه في راسك وتدفعه معك .. لا تصير زي (عمار) .. لا تتحول للشخص اللي ضيع حياتك

تبسمت وقلت : ما هذه الحنية؟

(دجن) : أنا أتكلم جد .. ما راح تقدر تفصل الخبيث من الطيب ..

واللي بتعطيه جزء من علمك مرده ياخذ جزء من لعنتك

نهضت مسنداً ظهري للجدار خلف فراشي محققاً أمامي متفكراً

بصمت ..

(دجن) مستأنفاً حديثه : ثم تعال قللي .. وين بتعلمهم؟ .. في مجلس

أبوك والابغرفتك؟ .. اسمع .. ركز على شغلك وحياتك وخل سالفه

نقل العلم ذي عنك .. أنت كلما زانت الجلسة وهدت حياتك رحت

ودورت لك شيء يقلبها فوق تحت

- تهدأ؟ .. نعم والدليل أنني أتحدث معك الآن

(دجن) : لا جد .. متى ناوي تصير زي الأوادم؟ .. لازم يعني تحيك

مصيبة تهجدك؟

- السير وحيداً باختياري نحو الهاوية خير لي من المشي مغيباً مع

القطيع ..

(دجن) : يا ذا القطيع اللي أشغلتننا فيه .. لا تمشي معه بس انثبر مكانك!

- ولم لا تسير وترحل أنت؟

(دجن) : تبيني أمشي؟

- نعم إذا تكرمت

(دجن) : بعد شوي اصبر ..

صمت متفكراً بينما بقي (دجن) يحوم في غرفتي يعبث ويفتش في

حاجياتي فقلت : ماذا تفعل؟

(دجن) وظهره مدارلي : لا تخاف ماني سارق شي

وجهت نظري للسقف وقلت محدثاً نفسي ودجن في الوقت ذاته : أفكر

في الانتقال ..

(دجن) ملتفتاً إليّ : تنقل وين؟

- منزل جديد .. أستقل ..

(دجن) : أمك ماراح تخليك .. هي وأنت يمها وتحت عينها تحاتيك ..

تبيها تخليك تعزل؟ .. انس!

- أمر أمي سهل .. المهم أن أجد مكاناً مناسباً .. أعتقد أنني سأبني

وأصمم المنزل بطريقتي

(دجن) : أنا من سمعتك تقول لـ (عواد) أبي بنات وأنا شاك

بوضعك ..

- دجن ..

(دجن) : لبيه

- أنا متعب .. ارحل .. أريد أن أنام ..

تبسم (دجن) وقال : أنا موجود أصلاً عشان أمشي؟ .. غمض  
عيونك بس وما راح تشوفني أو تسمعني  
اضطجعت على جانبي الأيسر وأنزلت أجفاني المرهقة وبعد دقائق  
انزلت في نوم عميق ..

صباح اليوم التالي فتحت عيني لأجد (دجن) مستلقياً بجانبني على شقه  
الأيمن متوسطاً كفيه يحدق بي باسماً ويقول : حلمت فيني؟  
قلت وأنا على وضعي بهدوء : يبدو أنني سأذهب للصيدلية اليوم ..

(دجن) : علاجك ما ينصرف إلا بوصفة يا مفهي

نهضت مسنداً ظهري للوسادة متأملاً الجدار أمامي : ارحل .. ارحل يا  
(دجن) وكف عن إزعاجي ..

(دجن) وخياله يضمحل : زين .. زين .. أشوفك بعدين ..

التقطت هاتفي ونظرت للساعة .. كانت السادسة صباحاً .. نمت  
كثيراً على غير العادة ..

خلال تمعني بشاشة الجوال أضاء رقم (عواد) بوجهي ففتحت الخط  
وقربت الهاتف من أذني قائلاً : ليس من عادتك أن تتصل في هذا  
الوقت الباكر ..

(عواد) : أنا بالأسفل

- ما الذي أتى بك في هذه الساعة؟ .. جميع من في المنزل نائمون

(عواد) : لكن أنت مستيقظ .. هيا افتح لي الباب أنا بانتظارك

نهضت بثاقل وأخذت وقتي بالاغتسال نزلت بعدها للطابق السفلي  
متوجهاً لباب المنزل ..

(عواد) وهو يدخل حاملاً بعض الأكياس : أخيراً! .. كل هذا كي  
تفتح لي الباب!

- كنت أستشير نفسي بالأأفتحه من الأساس

(عواد) متوجهاً للمجلس رافعاً الكيسين للأعلى : كنت ستخسر لو لم  
تفعل

أغلقت الباب وسرت نحو النبتة ووجدت أن أوراقها بدأت تزهر من  
جديد فمسحت بيدي على أحد أغصانها قائلاً :

«الذبول لا يعني الموت .. جميعنا يمكننا البدء من جديد ..»

(عواد) منادياً عليّ من الداخل بصوت مرتفع : هيا! .. الأكل سيبرد!

دخلت المجلس ورأيت (عواد) قد افترش الأرض وبسط عليها غطاءً  
بلاستيكياً وضع فوقه مجموعة من الأطباق والصحون الورقية امتلأت  
بأصناف من الطعام أغلبها من البيض المطهي بطرق متعددة يتوسطها  
هضبة من أرغفة الخبز فقلت متعجباً : ما هذا؟

(عواد) : ماذا تظن؟ .. إفطار

- ولم كله بيض؟

(عواد) : هل لديك مشكلة مع البيض؟ .. تعال وسم باسم الله ودع

عنا الحديث

- ليس لدي مشكلة مع بيضك لكن لدي مشكلة مع الأكل في هذا

الوقت

(عواد) : وقت ماذا؟ .. نحن في الصباح الباكر معنى ذلك أنه وقت

الفطور

- من قال ذلك؟

(عواد) : هذا هو المتعارف عليه

- بل هذه هي المشكلة

(عواد) : مشكلة ماذا؟ .. لا تبدأ أرجوك وتعال كل ولا تسد نفسي

بفلسفتك

تبسمت وجلست أمام (عواد) وبدأت بتناول الطعام كاسراً عادتي

اليومية بعدم الأكل بعد الاستيقاظ مباشرة ولم أخبره بوجهة نظري عما

يسمى بالوجبات الثلاث وأن الإفطار ليس وجبة مهمة كما يظن الكثير

بل قد تكون ضارة في بعض الأحيان .. إحساسنا الدائم بأننا يجب

أن نأكل في كل وقت هو عادة سيئة زرعت فينا وروجت لها شركات الأغذية لتكون أدوات استهلاكية لمنتجاتهم فقط .. امتناع الإنسان عن الطعام لأطول فترة خاصة بعد الاستيقاظ له فوائد صحية جمة ويمنح الجسم فرصة لترميم وإصلاح نفسه وتنظيفه من السموم المتراكمة لكن ما أن يبدأ بالأكل تتوقف هذه العملية وهذا سبب تدني الحالة الصحية للبشر في العصر الحديث بشكل عام وانتشار أمراض مثل ارتفاع ضغط الدم والسكري بشكل وبائي طال حتى الصغار.

.. ربما (عواد) محق أنا أتفلسف كثيراً ..

خلال تناولنا لتلك الوجبة الثقيلة والدسمة من أصناف البيض قال (عواد) وهو يمضغ لقمة كبيرة في فمه : لحيتك أطول مما أذكر بالأمس .. تبسمت وقلت : بالعادة أنا من يقول لك هذا الكلام وليس العكس .. ييباً لك .. لحيتي كما هي (عواد) : لا، أنا واثق ..

- ربما نمت .. ما المشكلة؟

(عواد) : لا يوجد شعر ينمو بتلك السرعة .. وأشعر كذلك بأن شكلك مختلف قليلاً

أجبتة مماًزحاً : ربما خسرت بعض الوزن

(عواد): لا ليس هذا .. هناك شيء مختلف فيك ولا أستطيع وضع يدي عليه

- ماذا تريد أن تقول؟ .. أو بالأصح ماذا تريد مني أنا أن أقول؟

(عواد): لا أعرف لكن هناك شيء مريب بك اليوم .. أنت لست الشخص نفسه الذي تسوق معي بالأمس

- أنت لا يعجبك شيء يا (عواد) .. لو رفضت الخروج معك كنت ستستاء وحينما خرجت بصحبتك تقول بأني متغير .. هل هذا ما تتحمله زوجتك كل يوم؟ .. كان الله في عونها

(عواد) غامساً قطعة خبز في أحد الأطباق : حسناً .. حسناً .. انس الأمر

تبسمت وأكملت طعامي معه وسبب ابتسامي هو أن (عواد) لم يكن واهماً أو مخطئاً فهو بالفعل لم يقابلني بالأمس بل قابل ما يعرف بـ «المهندس» وهم نوع من الجن يستخدمون للسحرة .. يستعان بهم ليتشكّلوا ويحلّوا مكانك في غيابك أو حضور اجتماعات أنت لا ترغب في حضورها ومؤخراً هذا بدأ يحدث معي كثيراً ولم أعد أستطيع الوجود في كل مكان وانشغالاتي بدأت بالازدياد ووقتي شحّ وقل ومعظم تلك المهام زوتيني ممل وبعد أن سئمت الخروج المتكرر بدأت أدرب مجموعة من البدائل المندسين ليحلّوا مكاني في تلك المناسبات.

بالعادة تشكلهم يكون متقناً شكلاً وسلوكاً لكن من وقت لآخر يحدث بعض الخلل والتفاوت في إجادة المحاكاة ولا ينتبه لذلك الا المقربون من الشخص الأصلي والذين يقابلونه بشكل يومي ومنتظم أما العابرون فلا يلحظون ذلك بسهولة.

ما دفعني لهذا هو أنه وبعد ما قررت عدم اللجوء للشياطين وطلاسمهم أبداً حصرت تعاملي مع الجن المسلم فقط وهذا لا يندرج تحت مسمى ممارسة الشعوذة لذا قطعت بعض العهود مع عدد من شيوخ قبائلهم للتسخير والاستعانة والحماية بمقابل، خاصة وأن اسمي معروف لديهم ولم تكن موافقتهم صعبة المنال.

ما قمت به تلك الفترة كان ضرورة مؤقتة حتى أستطيع التدرج في الخروج من عالمهم .. هذا لو استطعت.

قد يتساءل البعض عن كيف أني أشك بوجود (دجن) والرجل الأنيق وأنا أستعين بالجن وأتعامل معهم .. شكلي هنا ليس بحقيقة وجود الشياطين ككينونات من عدمه بل حقيقة تعاملي معهم. ما أنا واثق ومتيقن منه هو تعاملي مع الجن لكن الشياطين هي التي يتتابني شك من وقت لآخر بأني أراهم وأتحدث معهم.

بمعنى آخر .. الحقيقة وما أظنه خيالاً أو وهماً بدأا يختلطان علي ..

على أي حال عهدي مع الجن هو فقط محصور على تسخير الخدم لي وفي

المقابل قدمت لهم ما يريدون .. ولن أفصح عن نوعية الطلبات التي يطلبها شيوخ قبائلهم لكنها في الغالب سهلة المنال والتوفير.

بعد ما انتهينا من الإفطار الثقيل رفع (عواد) السفرة وهم برمي ما تبقى من الخبز في القمامة لكنني منعتهم واستوقفته قائلاً: لا ترم شيئاً ..

(عواد): لماذا؟

أخذت الخبز وتركته بالخارج تحت الشمس وعدت وجلست بجانب (عواد) الذي سألني: ماذا تفعل؟

- رمي النعم جحود جالب للفقر .. الفقر الذي تشتكي منه دوماً

(عواد): هل تعيرني؟

- لا .. لكنني حينما أحثك على الإنفاق تقول بأنك لا تملك شيئاً

.. هذا الخبز الذي تريد رميه يمكنك تجفيفه وطحنه وإطعامه

للطيور .. والحال نفسها مع الأرز وغيره .. هذا هو الإنفاق

الذي أعنيه عندما أقول لك أنفق .. الصدقة لا تكون بالمال فقط

(عواد): أنا الآن متيقن من أنك لست على طبيعتك .. بالأمس كل

أحاديثك طبيعية واليوم عدت ..

قاطعته قائلاً: لطبيعتي ..

لم يتوقف (عواد) عن الحديث في هذه المسألة وكان مصرّاً على نقاش

الموضوع والتحقيق معي عن سبب التباين بين سلوكي بالأمس

واليوم .. يبدو أن «المُندس» هذه المرة لم يتقن عمله ولم يحاكِ سلوكي بشكل جيد فأنا لا أستخدم جنياً واحداً بل أكثر من مسخر وقد يكون هذا الخادم أقل كفاءة ممن سبقوه. ولكي أشتت ذهن (عواد) وأجعله يجيد وينسى هذا النقاش اتبعت أسلوب الصدمة بالحقائق والتشكيك بالنفس فقلت: «كنت أظنك تكره الفواكه ..»

(عواد): وما زلت .. لكن ما علاقة ذلك بحديثنا الآن؟

- لم إذا لم تطلب من صاحب المطعم ألا يضع لك فاكهة في البيض؟

(عواد): فاكهة؟ .. لم يكن به سوى قطع من الطماطم

- أعرف ..

(عواد): وما دخل الطماطم بالفاكهة؟ .. الطماطم خضار .. وأنت من لا يجيها ولست أنا لذا طلبت منه ألا يضعها في طبقك فقط

- الطماطم فاكهة وليست خضاراً .. هل رأيت أنك تستعجل في الحكم على الأمور؟

سرح (عواد) أمامه متفكراً في الزوبعة الفكرية التي خلقتها له ثم قال: حقاً؟

- نعم .. الطماطم تصنف من الفواكه .. لذلك يا (عواد) أغلب ما تراه وتظنه حقيقة هو مبني على المعطيات التي تؤمن بها أنت فقط وليس الحقيقة المطلقة .. أنت اتخذت قراراً مسبقاً بأنك لا تحب

الفواكه مع أنك تحب الطماطم جهلاً منك أن الطماطم تصنف  
كفاكهة وهذا ما جعل تصرّيحك الأصلي مغلوطاً وخاطئاً بالرغم  
من أنه قناعة ذاتية خاصة بك .. هل فهمت؟

(عواد) وقد اكتمل ضياعه الذهني : حسناً .. هل هناك شاي؟

تبسمت وأنا أنهض : نعم .. سأحضر لك إبريقاً كاملاً كي تهضم ما  
تناولته للتو

بقيت مع (عواد) نتجاذب أطراف الحديث في موضوعات متفرقة  
تمحور جُلها عن حياته الزوجية والوظيفية وتذمره تارة وامتنانه لها تارة  
أخرى. فقد رزق في ذلك الوقت بأربعة أطفال، أكبرهم فتاة التحقت  
بالمحلة الإعدادية مؤخراً وأصغرهم صبي رضيع في شهره الأولى.  
وبالرغم من أنه كان يعمل في وظيفة حكومية إلا أنني لم أتوقف عن  
صرف مكافأة شهرية له بجانب راتبه لأنني كنت أعرف أن ما يتلقاه لم  
يكن يكفيه ليعيش حياة كريمة وكنت أخبره بأن ذلك المبلغ هو مقابل  
معاونته لي في علاج الحالات التي كنت من الأساس غير متحمس  
لمباشرتها لكنني استمررت كي لا يشعر بأني أتصدق عليه ..

خلال حديثنا شاركت (عواد) الفكرة التي راودتني مؤخراً وقلت :  
«أعتقد أنه قد حان الوقت كي أجد منزلاً مستقلاً ..»

(عواد) : هل قررت الزواج أخيراً؟ .. يبدو أن حديثي عن الحياة الزوجية حمسك أن تهجر العزوبية

- تقصد تدمرك المستمر؟ .. لا .. ليس هذا سبب رغبتني بالانتقال

(عواد) : ماذا إذا؟

- أعتقد أن مصدر قلق أهلي عليّ وبالذات أمي سببه وجودي معهم في المنزل نفسه .. لعل ابتعادي عنهم يدخل بعض الطمأنينة في قلوبهم حينما لا يرون مني ما يزعجهم .. ثم لنكن واقعيين .. لقد تجاوزت الثلاثين من العمر وحن الوقت أن أستقل بنفسني

(عواد) : هذا هو العذر الذي ستقدمه لأهلك لكنني أريد الحقيقة

تبسمت وقلت : ستعرف لاحقاً ..

(عواد) : البيوت المعروضة للبيع أو الإيجار كثيرة .. جديدة ومستخدمة

- لا .. أريد بناءه بطريقتي ولا أظن أنني سأجد منزلاً جاهزاً

بالتصميم نفسه الذي في ذهني ويهمني أن يُنجز بسرعة

(عواد) : سلمه لمؤسسة تعمیر خاصة .. وإذا كنت تملك المال فلن

يستغرق الأمر طويلاً

- المال ليس مشكلة ..

(عواد) : حسناً سأبدأ البحث من اليوم عن شركة يمكنها تحقيق طلبك لم يمضِ شهر حتى تمكن (عواد) من إيجاد الشركة المناسبة ورتب لي مع بعض مهندسيها عدة اجتماعات شرحت فيها لهم التصميم والتصوير في ذهني فيما يخص عدد وأحجام الغرف ورغبتي كذلك في وجود قبو عميق مهياً بالكامل بجميع وسائل العيش كما لو كان جناحاً مستقلاً. تكلفة المنزل ارتفعت شيئاً فشيئاً مع كل إضافة أقدمها وأطلبها لكني لا أنكر أن احترافيتهم ودقتهم في تنفيذ كل طلباتي مهما كانت غريبة وغير مألوفة لهم نالتا إعجابي.

خلال أقل من أربعة أشهر ظهرت معالم البيت الذي كان في منطقة قريبة من حي أهلي وكنت أزوره من وقت لآخر لتفقد تطور وسير العمل فيه بعكس (عواد) الذي جعل من زيارة الموقع مهمة يومية ينهيها بتقرير يقدمه لي كل مساء.

(عواد) بعد جلوسه في المجلس معي مساء أحد الأيام : كل شيء يسير على ما يرام .. لكننا لم نجد نوعية الرخام الأسود الذي طلبته بعد

- من المهم أن تكون غرفتي مثلما طلبت

(عواد) : أعرف .. أعرف .. سوداء كالتابوت .. حتى أنني قمت بطلب جهاز تكييف باللون الأسود بالرغم من ندرته وصعوبة الحصول عليه

- والجدران؟

(عواد) : سْتُصْبِغُ قَرِيباً بِالْكَامِلِ بِاللُّونِ الْأَسْوَدِ وَالسَّقْفِ كَذَلِكَ لَكُنْنَا  
نَنْتَظِرُ وَصُولَ بَرَامِيلِ الطَّلَاءِ

- جيد .. وأريدها كذلك أن تغلف بعوازل للصوت

(عواد) : هل تنوي إقامة حفلات صاخبة فيها؟

قلت متهكماً : وتكون أنت المنسق لتلك الحفلات؟ .. بالطبع لا .. لا

أريد أي متلصص أن يسترق السمع خلسة

(عواد) لا داعي إذاً للطلاء الأسود فبعض العوازل سوداء

- اطلِ الغرفة ثم ركب العوازل

(عواد) : ولم التبذير؟

- هل ستناقشني حقاً؟

(عواد) : حسناً .. سأعمل على إنجاز ذلك

- وأنا سأذهب معك غداً لتفقد ما تم إنجازه حتى الآن

(عواد) : ماذا عن الغرفة التي في الطابق الأرضي؟ .. هل نصبناها

باللون ذاته؟

- لا يهم .. اختر أنت الألوان حسب ذوقك وحينها ينتقل إليها

أصحابها يمكنهم تغييرها لو رغبوا

(عواد) باستغراب : أصحابها؟ .. هل تنوي تأجيرها؟

- ستكون مخصصة للتلاميذ ..

(عواد) باستغراب : تلاميذ؟ .. ظننتك تخليت عن فكرة نقل علمك؟

- أجلتها فقط .. وجزء من أسباب انتقالي هو أنني لم أكن لأستطيع  
تعليم أحد وأنا لا أزال أقيم مع أهلي

(عواد) : هل يعني ذلك أنك تريد مني بدء البحث عن تلاميذ مجدداً؟

- لا .. لست مستعجلاً لهذا الحد .. سأتركه للأقدار

(عواد) ناهضاً وهو يهم بالرحيل : حسناً كما تشاء .. هل تريد مني  
شيئاً آخر؟

- فقط لا تنس أن تعرج بي غداً قبل ذهابك للموقع

(عواد) : حاضر

خرج (عواد) وبعد رحيله بدقائق توجهت خروجاً من المجلس  
وحيثما فتحت الباب رأيت أمي تقف خلفه وعيناها محمرتان ولا معتان  
بالدموع فعلمت بأنها سمعت بعض ما دار بيني وبين (عواد).

(أمي) بغصة : متى كنت تنوي إخباري؟

- أخبرك بماذا يا أمي؟

(أمي) : لا تتغاب .. لن أسمح لك بالانتقال وتركي

تبسمت واحتضنتها لتهدئة روعها قائلاً : ولم لا؟

(أمي) وهي تفك عنقي وينبرة مستاءة : أنت تقيم معنا وبالكاد أراك  
فماذا سيحدث لو انتقلت لمنزل آخر؟! .. ستختفي من حياتي تماماً!  
أمسكت بمعصمها وسرت معها لوسط المجلس وأجلستها مقبلاً  
رأسها قائلاً : وأنا لن أخرج دون رضاك .. أخبريني ما الذي سيجعل  
خروجي أهون عليك

(أمي) : لا شيء سيهون عليّ هذا الأمر .. وهو لن يحدث!

- أخي خرج من المنزل ولم تجدي صعوبة في فراقه

(أمي) : أخوك له عذره فقد تزوج ويزورني بانتظام مع زوجته أما أنت  
فأنا أعرفك وأعرف أطباعك .. ستختفي بالأسابيع والأشهر عليّ دون  
أن تتصل أو تهتم

تبسمت وقلت : وإن وعدتك بالأغيب؟

(أمي) متأففة بعبوس وأعين دامعة : لا يكفي! .. ولست مقتنعة  
بصدقك!

جلست بجانبها واضعاً ذراعي حولها مقبلاً وجنتها : وما الذي  
سيقنعك؟

(أمي) : إن كنت تريد الخروج من هنا فلن تخرج إلا ومعك شريكة

- شريكة؟

(أمي) : نعم .. أن تتزوج .. مثل أخيك الأصغر .. فقط في هذه الحالة سأطمئن عليك وسأسمح لك بالخروج من منزلنا!

ضحكت وشعرت بشعور الفتاة التي يخشى عليها أهلها من الانحراف لو باتت وحدها خارج المنزل ومع ذلك تفهمت شعور أمي وقدمت لها الإجابة التي طال انتظارها لها وقلت : «حسناً يا أمي .. موافق ..»  
(أمي) وهي مصدومة وغير مصدقة لما سمعت للتو : «هل أنت صادق في كلامك أم تجاري حديثي فقط؟!»

قلت باسمياً : نعم موافق لكن بشرط .. أن أختارها أنا

(أمي) : ولم لا تكون من اختياري؟ .. لدي قائمة طويلة يمكنني ..

قاطعتها قائلاً : أمي .. من ستقيم معي يجب أن تكون متفهمه لطريقة وأسلوب حياتي وهذه الإنسانية لن أجدها في قائمتك مهما كانت طويلة ومتنوعة .. دعيني أختار من أرى أنها ملائمة لي وبعدها قومي أنتِ بتقييمها كما تشائين .. ما رأيك؟

(أمي) : هل تعدني بأنك لن تُقدم على الزواج دون علمي أو موافقتي؟

- لن أجرؤ .. لكن أمهليني بعض الوقت لأجدها

(أمي) : أمهلك عامًا واحدًا فقط .. وعاهدني على أنك إذا لم تتزوج بعد

انقضائه بأنك ستعود للعيش معنا

عانقتها باسمياً وقلت : سأبذل كل جهدي لتحقيق رغبتك ..

## اللبنة الأولى

في اليوم التالي حضر (عواد) في الصباح الباكر على مواعده وتوجهت معه للمنزل شبه المكتمل وبعد ترحلنا من السيارة ودخولنا الطابق الأرضي جلت بنظري لثوانٍ متفحصاً مداخل الغرف والمرافق الأخرى بما فيها مدخل القبو وقلت : «كل شيء يبدو متقناً وكما أريد..»

(عواد) : ماذا عن الطابق العلوي؟

- سيكون لي بالكامل

(عواد) : ألا ترى أن تصميم الطابق الأرضي أهدر المساحة

- ماذا تقصد؟

(عواد) : حسب طلبك لقد صممنا خمس غرف بدورات مياه مستقلة

ومطبخ ومجلس كبير للضيوف أخذ معظم المساحة

- هذا ليس مجلساً للضيوف

(عواد) : ألن تستقبل ضيوفاً؟

- هناك مساحة كافية بالخارج .. ابن ملحقاً لهذا الغرض .. لا أريد

استقبال أحد بالداخل إلا للحاجة أو الضرورة

(عواد): حاضر كما تشاء .. بالمناسبة لقد تلقيت اتصالاً وأنا في الطريق

إليك

- اتصال ماذا؟

(عواد): لقد وصلت شحنة الرخام الأسود التي طلبتها وسوف نبدأ

بتركيبها غداً

- جيد ..

(عواد): كذلك الدهان الأسود لكننا لن نقوم بطلاء الغرف إلا لاحقاً

- هل تعرف أي الغرف التي أريدها مصممة دون نوافذ؟

(عواد): نعم .. غرفة نومك الرئيسة بالطابق العلوي والسرداب

- قبو وليس سرداباً ..

(عواد): أياً كان .. في الحقيقة لا أفهم حاجتك له

- سيكون ذلك مكان عزلتي السنوية

(عواد): العزلة التي ما زلت لا أفهمها ولا الغرض منها

وجهت نظري لـ (عواد) وقلت: وما الذي لا تفهمه فيها؟

(عواد): انقطاعك وعزلاتك كثيرة على مدى العام لكن هذه العزلة

بالذات لا أرتاح لها

تبسمت وقلت: لأنها في رمضان؟

(عواد) : نعم .. لم تختار الشهر الفضيل بالذات لتختفي؟

- ألا يوجد من هم يعتكفون في المساجد خلال الفترة نفسها؟

(عواد) : في المساجد وليس السرايب

- لكل منا طريقته ..

(عواد) : إذا لا تلمني لو أسأت الظن بك من وقتٍ لآخر بسبب بعض

سلوكياتك التي لا أفهم المقصد أو الهدف منها

- نستطيع تقنين وتحسين ما نفعل أو ما نقول لكن من المستحيل أن

نتحكم في فهم من يرانا أو يسمعنا .. وأنا لا ألومك على شيء

عدا تعطيني الآن بهذا النقاش ..

(عواد) : حسناً .. حسناً .. أنا خارج

- وأنا سأصعد للطابق العلوي لتفقدته ..

(عواد) وهو يهم بالخروج لباحة المنزل : سأتحديث مع العمال قليلاً

وسوف أتصل كذلك بالمهندس كي يصمم لك ذلك الملحق الذي

طلبت

بعد خروجه هممت بالسير نحو السلم الإسمنتي غير المنتهي وسط

المنزل وقبل أن تحط قدمي على أول سلمة سمعت (دجن) يحدثني من

الخلف قائلاً : «وش ذا البيت المخيس؟»

قلت وأنا أصعد السلم بخطوات بطيئة ونظري للأعلى : وما الذي لا يعجبك فيه؟

(دجن) من ورائي بعد ما تبعني : ضيق ومخنوق وكله دواعيس

تبسمت وأنا أضع قدمي على آخر سلمة : هل نسيت بيت (عمار)؟

(دجن) : بيت (عمار) أهون من ها الحوسة

قلت وأنا أجول بعيني من حولي متفحصاً ما تم إنجازه : في المرة القادمة

سأخذ رأيك يا صاحب الذوق الرفيع

(دجن) : لازم .. لأن واضح أنك كنت تهبد ويس وأنت تصمم

تجاهلته وأكملت المعاينة ..

(دجن) : طيب وين غرفتي؟

وجهت نظري له وقلت : غرفتك؟

(دجن) : أي .. مو أنا بسكن معك؟

- (دجن) .. أنا لا أملك الوقت أو المزاج لتهريجك ومزاحك الآن

(دجن) : ومن قال لك إني أمزح؟ .. ترى حتى إحنا نحتاج أماكن

ننام فيها .. تفكرنا عيال شوارع ما نسكن إلا بالخلا؟ .. ما تسمع عن

البيوت المسكونة؟

- أعرف أن بعض الكينونات تفضل البقاء داخل البيوت المشيدة  
لكن ..

(دجن) بشيء من السخط : لكن إيش؟! .. والا تبيني أنام بالمطبخ؟! ..  
لا شريك أنام بالحمام .. مو هذا مكاننا؟!  
- ما بك؟ .. لم أنت ثائر هكذا؟

(دجن) : مدري أحسك مو زي أول .. تغيرت  
قلت متهكماً : تغيرت؟ .. كيف؟

(دجن) آخذاً بضع خطواتٍ للأمام ملوحاً بكفيه للأعلى تارة ومشيراً  
بها لمدخل جناحي تارة أخرى قائلاً : باني بيت طويل عريض مليون  
غرف وسرايب .. وتقول لـ (عواد) ليه ما تجيب بنات .. و  
مقاطعاً : مهلاً! مهلاً! .. عن ماذا تتحدث أيها الاحق؟! ..  
(دجن) : لا تستعبط عليّ .. محد فاهمك مثلي!

كظمت غيظي واستجمعت عقلي مدركاً أنني أتحدث مع وهم من نسج  
خيالي وقلت : ماذا تريد الآن؟

(دجن) بنبرة مشبعة بالزهو والانتصار : أبي غرفة ..

أشرت بسبابتي للطابق السفلي وقلت : هنالك خمس غرف بالأسفل ..  
اختر أي واحدة تشاء بشرط ألا تزعجني عندما أكون مع أحد فلست  
وحدك من سيقم هنا

(دجن) : ناوي تسوي حفلات بعد

زفرت ولم أجب عليه ..

(دجن) : ترى عادي أقدر أتشكل وأصير معكم

- .. (دجن) اصمت أرجوك ..

(دجن) : طيب خلاص يا حساس أنا بروح أشوف غرفتي وقل

لخويك ما يصبغها أسود مثلك .. ماني ناقص كتمة زيادة

نزل (دجن) من السلام ليصعد بعده مباشرة (عواد) وعلى وجهه نظرة

تساؤل وهو يقول : مع من كنت تتحدث؟

- كنت على الهاتف .. هل انتهينا؟ .. أريد الرحيل

(عواد) : يومي لم يبدأ بعد .. يجب أن أنتظر شحنة الرخام والدهان

- أعدني للمنزل ثم عد إلى هنا

(عواد) : حسناً هيا بنا ..

بعد مضي أشهر قليلة اكتمل المنزل وأصبح جاهزاً للسكنى بعد أن تم

تأثيثه بالكامل ولم يتبق سوى نقل بعض متعلقاتي الشخصية من غرفتي

بمنزل أهلي الذي قضيت فيه معظم عمري وحرصاً مني على مشاعر

أمي وأبي تدرجت بالانتقال وأصبحت أبات يوماً في المنزل الجديد

وآخر مع أهلي وشيئاً فشيئاً بدأت أزيد المدة حتى لا يشعروا بابتعادي

عنهم فجأة. وخلال تلك الفترة كنت كذلك أنقل بعض حاجياتي

بالتدرج نفسه وفي أحد الأيام وتحديدًا وأنا أنقل بعض كتبي لفت نظر  
(عواد) الذي كان يساعدي في حملها صندوق كبيرٍ سحبته من إحدى  
زوايا غرفتي وقال : ما هذا الصندوق؟

لم أجهه وفتحته أمامه كاشفاً عن خمسة كتب متهاكة قام هو بالتقاط  
أحدها وتقليبه بيده مكرراً سؤاله : ألم ننته من نقل مكتبتك الأسبوع  
الفات؟

- بلي

(عواد) : ما هذه الكتب إذاً؟

أجبتُه بكل برود : كتب سحر ..

انتفض (عواد) رامياً بالكتاب على الأرض قائلاً بخليط من التوتر  
والسخط : أعوذ بالله! .. أعوذ بالله! .. كيف تحتفظ بهذا الرجس وتنام  
معها في الغرفة نفسها؟!

تبسمت وقلت : أنام معها؟

(عواد) وعيناه على محتوى الصندوق من الكتب المهترئة : لم لم ترمها أو  
تخلص منها؟

- بالرغم من كل الشرور والفساد بداخلها إلا أن هناك بعض

السطور المفيدة التي يمكن إخراجها من ذلك المستنقع اللزج

(عواد): عندما يكون الضرر أكثر من المنفعة يفقد الشيء ضرورته  
وحاجته ومن الأولى تركه وتجنبه

- في كل الأحوال لا يمكنني ذلك حتى وإن رغبت فالتخلص  
منها لا يتم إلا بموتي وهي بحوزتي أو بتوريثها لأحمق مثلي  
يرضى بأخذها طواعية

(عواد): ولم يجب أن تورثها لأحد؟

- لأنه سيصاب باللعنة نفسها التي أصبت بها يوم أخذت الكتاب  
من قريبي العجوز وتدمرت حياتي بعدها

(عواد): ماذا عن حرقها؟

- هذا لن يفيد أيضاً لأن ذلك سيفتح باباً أشد فتكاً من علومها  
الفاسدة المدونة على صفحاتها .. كل كتاب ربط به حرس من  
الجن والشياطين الموكلين بحمايته من العبث ولو أحرقتة كما تقول  
فسوف أجد نفسي في معركة معهم وهؤلاء يقف خلفهم قبائل  
وأبي عبث بالكتب التي أوكلوا بحمايتها ستدفعهم للاقتصاص  
من الفاعل وأهله وذريتهم لأجيال قادمة وأنا لا أملك الجرأة  
للمخاطرة

(عواد): والدفن؟

- الدفن لا يفيد مع هذه الكتب فأنا بالنسبة لحراسها القائم البشري  
عليها ولن يسمحوا لي بالتخلي عنها

(عواد): وكيف وقعت هذه الكتب النجسة بين يديك؟

- أهذاها لي (عمار) قبل رحيلي عن منزله أول مرة بالرغم من أنني  
قرأتها سابقاً في مكتبته لكنه وكما قال: «إذا كنت لن تستخدمها  
فاعتبرها ذكرى مني..» وأنا بكل غباء قبلتها مجاملة له لأنني  
أردت الرحيل بسرعة بعد السنوات الثلاث التي قضيتها محبوساً  
عنده ولم أفكر بأي تبعات قد تلحقني بسبب قبولها

(عواد): وهل تنوي نقل هذه اللعنة كما تسميها لتلاميذك؟ .. ألهذا  
تريد مني أن أجلب لك ضحايا تلصق بهم لعنتك؟

- (عواد) .. قم بتأجيل هذا التحقيق إلى أن ننتهي من النقل

(عواد): أنا لن أمس هذه النجاسة

قلت وأنا أرمي عليه حقيبة: انقل هذه إذاً ..

(عواد) محتضناً الحقيبة التي ارتطمت بصدره: أخبرني قبلها على ماذا  
تحتوي!

أجبتة وأنا أحمل الكتب وأضعها في كيس بلاستيكي كبير: ملابسي  
الداخلية .. هل لديك مشكلة في نقلها أيضاً؟

(عواد) حاملاً الحقيبة بوجه متجههم وهو يهيم بالخروج : لا .. فهذه  
النجاسة أهون من تلك

اكتملت عملية النقل ولم يتبقَّ في غرفتي القديمة سوى فراشي الأرضي  
وأثاثي وبعض كتبتي التي آثرت إبقاءها في حال قررت قضاء ليلة أو  
أكثر في منزل أهلي ولم أفرغها إلا من حاجياتي وملابسي ومجموعتي  
الخاصة من الكتب. مع مرور الأيام ومببتي أكثر في منزلي الجديد  
وقضاء فترات أطول فيه انتابني شعور بالراحة والاستقرار فعزلتي  
السابقة لم تكن مكتملة وتزداد اكتمالاً حينما يرحل (عواد) آخر النهار  
وأبقى وحيداً في ذلك المنزل الواسع. كانت أوقاتاً ظن الكثير أنها عملة  
وشاقة لكنها بالنسبة لي أجمل من أي وقت مضى قضيته في حياتي.

بالطبع لم يتركني خيال (دجن) أستمتع بتلك العزلة دائماً وكان يظهر  
لي من وقت لآخر ويختلق معي موضوعات جانبية أو يفتعل نقاشات  
وجدالات فارغة ولم أكن أستاء كثيراً فلربما هذه كانت طريقة عقلي  
للتعامل مع عزلتي وإحساسي الميت غالباً.

لم ينقطع (عواد) عن عادة المرور بي كل صباح محملاً بالأكياس لتناول  
الإفطار معه فهو يعلم مسبقاً أنني لا أنام كثيراً وحينما أرغب بالراحة  
أقوم بتشيط هالتي المفعلة بأحد خواتمي وأدخل فيما يشبه الغيبوبة التي  
قد تمتد لساعات طويلة لكنني لا أقوم بذلك إلا مرة في الشهر أو مرتين  
كحد أقصى أو إذا بذلت مجهوداً غير اعتيادي استنزفني لسبب ما.

تلقيت اتصالاً مبكراً من (عواد) صباح أحد الأيام لكنه هذه المرة طلب مني النزول للذهاب لمكان ما لتناول الإفطار. قلت وأنا ممسك بهاتفني بيد وباليد الأخرى أقلب صفحات كتاب في حجري : «عادة الإفطار اليومي هذه بدأت تزعجني يا (عواد) ..»

(عواد) : صدقني هذا المكان سيعجبك ..

- لم لا تحضر الطعام هنا كالعادة بدل أن تجعلني أخرج في هذا

الوقت الباكر؟ .. أنا حتى لم أكمل قهوتي الصباحية

(عواد) : لا .. تناول الطعام في المكان نفسه له رونق مختلف

زفرت متأففاً وقلت : حسناً .. سأفسد صباحي لنرى هذا الرونق الذي

تحدث عنه

كنت حقيقة يومها لا أريد الخروج وفكرت بإرسال «مُندس» ليرافقه

لكن لعلمي المسبق بأن الجن المحاكي يجد صعوبة في التظاهر بالأكل

والشرب قررت ألا أفعل كي لا أدخل في نقاش مطول آخر مع

(عواد). ركبت السيارة وأغلقت الباب قائلاً :

«لم لا تأخذ زوجتك معك لمثل هذه المشاوير؟»

(عواد) وهو يقود السيارة مبتعداً عن المنزل : لأنها تسهر وتنام لوقت

متأخر وأنا عكسها تماماً

- وما ذنبي أنا؟

(عواد) باسماً : صدقني ستشكرني حينما تتذوق شطائر هذا المطعم

- بيض أيضاً؟

(عواد) : وأنواع أخرى .. لكن البيض هو أفضل ما يتقن منها

- علاقتك بالبيض تستحق البحث والدراسة

لاحظت أن (عواد) يقود بسرعة على غير عادته فقلت متسائلاً : ما

بك؟ .. هدى قليلاً .. البيض لن يفقس ويطير

(عواد) دون أن يخفف من سرعته : لا أريد أن نتأخر فالمطعم يزدحم في

وقت قصير وقد لا نجد طاولة شاغرة

- يزدحم؟

(عواد) : نعم .. المكان يكتظ بالناس من الساعات الباكرة صباحاً

وهذا ما يجعل تجربة الأكل فيه أكثر متعة

هنا بدأت أتحمس أصابع يدي سارحاً أمامي بقلق ..

لاحظ (عواد) ذلك وقال : ما بك؟

- نسيت أن ألبس خاتمي

(عواد) ضاحكاً : نحن ذاهبون لتناول الإفطار وليس لحضور مناسبة

لم يفهم (عواد) مقصدي وسبب قلقي فمند أن فعل (عمار) هالتي وأنا

لا أستطيع الوجود في أماكن التجمعات المزدحمة لأنني قد أصادف هالة

نجمية تدخلني في حالة مزرية ومع بحثي في هذا الأمر وجدت أن بعض الأحجار والمعادن حينها تدمج معاً تعطي مزايا روحانية متعددة من ضمنها توفير نوع من الحاجز المانع والمشتت لتأثير تلك الطاقة الوهاجة وتخفف من أثرها علي بشكل كبير وتجعلني مسيطراً على نفسي أكثر.

لذا وعلى مر السنين جمعت وصغت مجموعة من الخواتم بمعادن وأحجار مختلفة لعدة أغراض من ضمنها نبذ تأثير طاقة الهالات النجمية وخروجي دون أحد تلك الخواتم كان مخاطرة.

## الوعاء المشروح

وصلنا للمنطقة التي يقع فيها المطعم وكان من الواضح ومن قبل أن نصل إليه أنه سيكون مزدحمًا لأن الشارع الذي دخلناه كان كالسوق وانتشرت به المحلات بكافة أنواعها على جانبيه فقلت لـ (عواد) :  
«انس فكرة أن أنزل معك ..»

(عواد) وهو يركن السيارة عند طرف الشارع : لماذا؟ .. المطعم قريب ولن نمشي مسافة طويلة؟  
- مستحيل أن أخاطر

(عواد) مازحاً : تخاطر بماذا؟ .. لا تقلق لن تصاب بالتسمم  
فتحت النافذة وقلت : أحضر الطعام معك ولنعد به للبيت  
(عواد) : لكنني سأتأخر عليك .. فالطلبات الخارجية تأخذ وقتاً أطول  
لتجهز

- اترك محرك السيارة يعمل فقط وخذ كل الوقت الذي تريد ..  
(عواد) وهو يهم بالنزول : حسناً كما تشاء لكنك ستفوت عليك متعة  
الأجواء المزدحمة ..

قلت وأنا أشير لمحل يبيع البوظة : إن كنت تريد حقاً الاستمتاع  
فاجلب لنا بعض البوظة من ذلك المحل

(عواد) ناظراً للمحل وبنبرة متعالية : لم أعد طفلاً كي أتناول المثلجات  
تبسمت وقلت : اختلاف وتغير اهتماماتك وتفضيلاتك اليوم لا  
يستلزم بالضرورة تنكرك وانقلابك على ما كنت تُحبه وتستمتع به  
بالأمس ..

(عواد) : على أي حال ماذا تريد أن أحضر لك من مطعمنا؟

- أي شيء عدا البيض .. وأحضر لي ماء

(عواد) : ألا تريد مشروباً غازياً؟

- ماء فقط يا (عواد) ..

نزل (عواد) وسار مبتعداً نحو المطعم المنشود وخلال مراقبتي له  
تحدث (دجن) من المقعد الخلفي قائلاً : أخبرك تحب البيض .. ليه  
قلت له ما تبي

أجبتة دون أن ألتفت إليه متأملاً المتاجر حولي : تجربة الأشياء الجديدة  
لها منافع مدفونة

(دجن) : ومخاطر مجهولة ..

- نعم .. أتفق

(دجن) متهكماً : على طاري الأكل .. ما ولهت على هريسة (عمار)؟

أجبتة ونظري يجول بين المحلات المزدهمة : لا هي ولا أنت ..

(دجن): ليه أنا موجود هنا أجل ..؟

قلت وأنا ألمح صيدلية ضمن المحلات التي تأملتها : لأنك من صنع عقلي .. ربما حتى من البداية ..

(دجن) ضاحكاً : أي صح !

- الجن والسحرة الذين قابلتهم واحتككت بهم وتعاملت معهم حقيقة لا جدال في ذلك .. لكن الشياطين ..

(دجن) : حبيبي .. أنا موجود .. أقصد كنت موجود وجزء من حياتك .. مثل ما كانت (جند) و(جسار) وكل الشياطين اللي شفتمهم وقابلتمهم لا تحاول تقنع نفسك بأننا كنا وهم

- ماذا عن «الرجل الأنيق»؟

(دجن): أنيق؟ .. من هذا؟ .. ما أعرفه

- متيقن؟

(دجن): أي متيقن .. ما أعرف إلا ناس مبهدلة مثلك

كنت أتحدث مع (دجن) بلساني لكن ذهني انشغل بشخص لفت نظري بين الحشود .. شاب في أواخر العشرين من عمره يلبس لباس رجل أمن خاص وقف ينظم الازدحام أمام أحد المحلات الذي تجمع الناس حوله بالعشرات. شدتني ملامح وجهه المشبعة بالضيق .. هالته القوية .. تبسمه للناس مجاملة وعبوسه مع نفسه .. وما لفت نظري

حقاً هو أنه فجأة ترك ما كان يقوم به ووجه اهتمامه لقطعة مسحت بجسدها على ساقه قام برفعها والطبطة عليها والسير بها لمحل بقالة تاركاً عمله والناس خلفه ليشتري لها بعض الطعام.

نزلت من السيارة بعد ما أغلقت المحرك والأبواب وتوجهت للشاب الذي وقف يراقب القطة تتناول محتوى علبة تونة أفرغها لها على قارعة الطريق وحينما أصبحت أمامه قلت : ألن تعود لعملك؟

رفع الشاب نظره نحوي وتأملني لثوانٍ ثم قال : من المفترض أن أقول أن لا دخل لك بما أفعل أو لا أفعل لكن...

- لكن ماذا؟

(الشاب) : هناك شيء غريب في نظرتك لي .. من أنت؟

- أنا فقط أريد معرفة لم ساعدت هذه القطة

(الشاب) : لأنها تحتاج المساعدة

- هناك الكثير من القطط في الشارع لم اخترتها هي بالذات؟

(الشاب) : لأنها لجأت لي ولا أستطيع تجاهلها

- إذا فأنت لا ترد من يطلب مساعدتك حتى لو كان ذلك سيُلحق بك الضرر ..

(الشاب) : عن أي ضرر تتحدث؟

في تلك اللحظة قوطع حوارنا حينما اقترب منا رجل مهرولاً بوجه  
عابس وصرخ في الشاب قائلاً: «كيف تترك مكانك؟!؟! من سمح  
لك بأخذ استراحة؟!.. ألا ترى الزحام?!»

(الشاب): الزحام موجود كل يوم فما الجديد؟

تجهم الرجل والذي اتضح أنه مدير الشاب أو صاحب المحل وقال  
بعبوس: الجديد هو أنك مفصول!

نزل الشاب متقرفصاً ومسح على رأس القطة قائلاً بهدوء وبلا  
اكتراث: شكراً..

(المدير): تشكرني على ماذا يا أحمق؟!.. ألا تسمع؟!.. أنت مفصول؟!!

نهض الشاب وهدق بحدة في مديره السابق وقال: وأنت تريد مني  
التوسل أو أن أتحسر وأحزن؟.. هذا لن يحدث.. عد لمحللك قبل أن  
أعطيك شيئاً يستحق التحسر عليه

تغيرت ملامح المدير وقال قبل أن يعود أدراجه: أنت مختل عقلياً ولا  
مكان لك بين الناس الطبيعيين!

وجهت نظري وحديثي للشاب الذي نزل متقرفصاً مرة أخرى ماسحاً  
على ظهر القطة وقلت: لم لا تزال تعمل هنا وأنت تشعر بكل هذا  
الضيق؟

تحدث الشاب مع نفسه ونظره على القطة: كل هذا لأنني أطعمت قطة؟

- لم أنت متعجب؟

(الشاب) وهو لا يزال سارحاً بالقطة : متعجب من عقله الذي لا يستطيع رؤية أن تصرفي طبيعي جداً

- لا تتوقع من مشوه الفكر أن يتقبل فكرة سوية ولا ممن نشأ وتربي

على التناقض أن يستسيغ الحياة الطبيعية .. كثرة المسوخ تجعلهم

يظنون أنهم طبيعيون ومن يختلف عنهم يستحق النبذ والإبعاد

اكتفى الشاب بالصمت وبدا الحزن على وجهه فتداركت الأمر

وقلت : «ما رأيك بأن تصبح تلميذاً عندي ..؟»

(الشاب) ناظرألي بوجه مشوش : تلميذك؟

- لنعد لموضوعنا ..

(الشاب) متظاهراً بعدم سماع آخر سؤال وجهته له قائلاً : أي موضوع؟

تبسمت وقلت : موضوع القطة .. لم ساعدتها؟

(الشاب) بوجه متعجب من سؤالي خلال نهوضه مجدداً : ولم أنت

مهتم بها؟

- أنا مهتم بك أنت .. أجبني فقط كرماً لا أمراً

(الشاب) : لا أعرف .. أحاول القيام بما أستطيع لمساعدة أي أحد

سواء قطة أو غيرها ..

- وماذا تستفيد؟ .. ما هو المردود الذي يعود عليك من تقديم المساعدة؟

(الشاب) : في الحقيقة لم أفكر بالأمر كخدمة بمقابل .. لكن هناك شعور ينتابني عندما أقدم العون والمساعدة .. شعور بالارتياح .. أحياناً أرى أن من يسمحون لي بمساعدتهم هم من يساعدونني وليس العكس .. كون حياتي لا تسير حسب ما أريد وأتمنى فهذا لا يعني ألا أساهم في صنع حياة أفضل لغيري .. هل تفهم ما أقصد؟

- أفهم تماماً ما تعنيه ..

(الشاب) : لكن لم تسأل؟

- مجرد تساؤل .. للتحقق

(الشاب) : من ماذا؟

- مما أنا متيقن منه يا (ماجد) ..

(ماجد) بعجب شديد خالطه بعض التوتر : كيف عرفت اسمي؟ ..

هل كنت تراقبني؟

- لا أبداً .. لقد عرفت اسمك للتو فقط

(ماجد) : كيف؟

- منذ متى وهو محرر؟ .. ومن حرره؟

(ماجد) : تقصد القط .. لا أعرف .. هو موجود منذ أيام مع مجموعة

أخرى من القطط الشاردة .. هل أنت صاحبه؟

مددت يدي بكف مفتوحة وقلت : أعطني هاتفك

(ماجد) : لماذا؟

- لا تقلق لن أسرقه

(ماجد) مخرجاً هاتفه المحمول من جيبه ماداً إياه لي : لم أقصد .. لكن ..

أدخلت رمز الأمان في هاتفه واتصلت على هاتفي الذي تركته بالمنزل  
ثم أعدته له وقلت : هذا رقمي الخاص ..

(ماجد) آخذاً هاتفه بانبهار : وتعرف رمز أمان هاتفي كذلك ..؟  
من أنت؟

- أنا من يقدم لك فرصة لتغيير حياتك .. ليس بالضرورة  
للأحسن .. لكنها ستتغير بلا شك

(ماجد) : ولم أريد تغييرها؟

- لأن هذه ليست حياتك .. وأنت تستحق فرصة أفضل ..

(ماجد) : ظروف قاسية وكلما حاولت تغييرها تعقدت حياتي أكثر ..

- التغلب على الظروف القاسية لا يكون بمحاولة تغييرها أو  
التحكم بها فهذا أمر لن تقدر عليه غالباً وسيستنزف منك الكثير

لكن ما يمكنك فعله هو تغيير طريقة تعاملك معها وبذلك  
ستتمكن من تجاوزها بأقل خسائر ممكنة.

(ماجد) : وكيف أقوم بذلك؟

- فكر بعرضي .. اعتبره عرض عمل وأنا مجرد شخص يريد  
توظيفك .. اتصل بي حينما تريد سماعه

(ماجد) : وإذا لم أجد أن عرضك هذا مغرٍ أو يستحق حتى سماعه؟

- في النهاية هذا شأنك وقرارك لكن تذكر أن مسببات ضياع  
الفرص الثمينة على الإنسان كثيرة لكنني لم أجد شيئاً أشد وأكثر  
تأثيراً من الغطرسة

تركت الشاب المشوش مما سمع وشاهد وسرت عائداً لأجد (عواد)  
يقف ينتظرنى بجانب السيارة وكيس الطعام مستقر فوق سقفها ومن  
الواضح أنه مستاء.

(عواد) بعبوس : عوداً حميداً!

فتحت السيارة عن بعد بالمفتاح وقلت باسمي : هل تأخرت عليك؟  
(عواد) أخذاً المفتاح من يدي : لا أبداً كنت مستمتعاً بالوقوف تحت  
حر الشمس

ركبت السيارة قائلاً : لا تبالغ .. ما زلنا في أول الصباح  
(عواد) حاملاً الكيس متوجهاً لمقعد السائق : ألم تقل بأنك لا تريد

النزول في الزحام؟ .. لم كنت تقف بالقرب من ذلك المحل المكتظ  
بالناس؟

قلت وأنا أغلق الباب مسنداً ظهري للمقعد سارحاً أمامي بوجه  
مبتهج : أعتقد أنني وجدته ..

(عواد) مغلقاً الباب هو الآخر : وجدت من؟

- تلميذي الأول ..

(عواد) : كنت أظن أنني تلميذك الأول

- سيكون الأول مكرراً إذاً

(عواد) : ولم لا يكون الثاني؟ .. لا تعقد الأمور .. ثم على أي أساس  
اخترته؟

- أنا لم أختره بعد لكن هناك شيء غريب ومميز به في الوقت ذاته

(عواد) : مثل ماذا؟

- قرينه محرر وهو لا يعلم بذلك .. وقرينه مؤمن كذلك وهذا ما

زاد الأمر غرابة فهو لا يبدو متديناً ليتأثر به

(عواد) : وهل هذا ممكن؟ .. أقصد أن يتحرر القرين دون علم صاحبه

- نظرياً مستحيل .. لكن ..

(عواد) : لكن ماذا؟

- هناك حالات نادرة جداً لا أعتقد أن أيّاً منها تنطبق عليه

(عواد): وهل اخترته فقط لأن قرينه محرر؟

- لا.. حديثي القصير معه شدي لطريقة تفكيره وأريد أن أتحدث معه أكثر

(عواد): لم لم تدعْ لمرافقتنا إذاً؟

- يجب أن يتخذ هو القرار عن قناعة وبعدها سنرى .. عد بنا للمنزل قبل أن يبرد بيضك

(عواد) بتجهم وهو يدير المحرك : لقد نفذ البيض وأحضرت شطائر أخرى

ضحكت وقلت : ألهذا أنت مستاء؟

(دجن) من المقعد الخلفي : البيض عشق وش عرفك أنت؟

عدنا للمنزل ومضت بضعة أسابيع على لقائي الأول بـ (ماجد) ولم يتصل أو يتواصل معي مطلقاً فتبادر لذهني أنه لم يجد في عرضي له ما يغريه ولعله عاد واعتذر من مديره واستعاد وظيفته بالرغم من أني لم أر في شخصيته من خلال حديثي القصير معه أنه من ذلك النوع المتنازل.

خالف (ماجد) ظني بعد مضي ما يقارب الأشهر الثلاثة وتواصل معي هاتفياً في وقت متأخر من الليل .. أجبت على اتصاله وقلت : «وقت غريب للاتصال ..»

ارتبك (ماجد) واستوعب أنه بالفعل لم يحسن اختيار وقت الاتصال  
وقال بنبرة متوترة : أعتذر .. لم أدرك أن الوقت غير مناسب لأنني  
بالعادة ..

قاطعته قائلاً : لا تنام كثيراً وتجد صعوبة في الدخول للنوم  
(ماجد) : نعم صحيح .. طبيبي النفسي أخبرني بأني أعاني من فرط في  
التفكير وهذا هو السبب .. الدواء الذي يصفه لي يساعدي أحياناً  
- تقصد المخدر ..

(ماجد) : هو مهدئ كما ..

قاطعته مجدداً وقلت : كما أخبرك الطيب ..

(ماجد) : نعم

صمت وتركت المجال له ليتكلم لكنني لم أسمع منه سوى بعض  
الأنفاس تبعها بقول : على أي حال أكرر اعتذاري لإزعاجك .. سوف  
أتصل بك غداً في الصباح إذا كان ذلك يناسبك

- الوقت الآن هو أنسب وقت .. سأرسل لك موقع منزلي

وسأكون بانتظارك

(ماجد) : لا لا .. لا أريد أن أكون فظاً فلا بد أنه وقت نومك

- أنا مثلك .. لا أنام كثيراً .. سوف أعد قهوة ريشما تصل .. استجد

باب المنزل مفتوحاً .. ادخل وتوجه للملحق على يمينك ..

سأكون بانتظارك هناك

أغلقت الخط وقمت بإعداد قدحين من القهوة والجلوس في الملحق  
بعد ما أشعلت ناراً في المدفأة فقد دخلنا فصل الشتاء وبقيت أحسني  
قهوتي بهدوء حتى سمعت الباب الرئيس يُغلق فعلمت بوصوله. طرق  
(ماجد) باب الملحق بالرغم من أنه لم يكن مغلقاً فقلت له : تفضل ..  
دخل الشاب المتوتر وجلس أمامي على كرسي هزاز كنت قد اقتنيته مع  
أثاث المنزل الجديد وأشرت له بتناول قهوته ففعل وعيناه تحومان حول  
الملحق ذي الجدران الحجرية وقال : مكان جميل ..

باغته بسؤال وقلت : هل تؤمن بالجن؟

ارتبك (ماجد) من السؤال ووضع قدح القهوة على الطاولة أمامه ولم  
يجب واكتفى بالتحديق بي فقلت : ما بك؟ .. ألم تعجبك القهوة؟  
أجاب (ماجد) علي وكأني لم أسأله عن شيء وقال : أنا مهتم بالعمل  
الذي عرضته علي لكن لا بد أن أعرف نوعيته قبل أن أوافق  
- كم كنت تتقاضى في عملك السابق؟

(ماجد) : ما كان يكفيني

- ما رأيك فيمن يقول إن المال ليس مصدراً للسعادة؟

(ماجد) : المال قد لا يكون المصدر الوحيد لها لكن هذا لا يعني أنه لا  
يقيك من التعاسة ..

- إجابة جيدة .. هل أنت متزوج أو تعيل عائلة؟

(ماجد) : لا وإلا لما قلت لك إن راتبى السابق كان يكفينى

- وما هو تعريفك للكفاية؟

(ماجد) : أن أوفر مأكلي ومشربي وسكني و ..

قاطعته قاتلاً : سأضاعفه لك

(ماجد) : لكن مقابل ماذا؟

- مقابل أن تعمل عندي

(ماجد) : أقصد في ماذا تحديداً؟

- هل يهم؟

(ماجد) : بالتأكيد يهم .. هل هو عمل «مشروع»؟

تبسمت وقلت : يعتمد على تعريفك لكلمة «مشروع»

(ماجد) : تعريفي هو التعريف المعروف .. ألا يخالف القانون على أقل

تقدير

- ماذا لو خالف معتقداتك الخاصة؟

(ماجد) : هي قانون كذلك

- أنا أتبع قوانيني الخاصة لأن العالم الذي أعمل فيه مختلف .. عالم

يسير على نهج ومنهج مغايرين تماماً لما أنت نألفه

(ماجد) : لن أعطيك موافقة قبل أن أفهم

(ماجد) : لا وإلا لما قلت لك إن راتبى السابق كان يكفينى

- وما هو تعريفك للكفاية؟

(ماجد) : أن أوفر مأكلي ومشربى وسكنى و ..

قاطعته قاتلاً : سأضاعفه لك

(ماجد) : لكن مقابل ماذا؟

- مقابل أن تعمل عندي

(ماجد) : أقصد في ماذا تحديداً؟

- هل يهم؟

(ماجد) : بالتأكيد يهم .. هل هو عمل «مشروع»؟

تبسمت وقلت : يعتمد على تعريفك لكلمة «مشروع»

(ماجد) : تعريفي هو التعريف المعروف .. ألا يخالف القانون على أقل تقدير

- ماذا لو خالف معتقداتك الخاصة؟

(ماجد) : هي قانون كذلك

- أنا أتبع قوانيني الخاصة لأن العالم الذي أعمل فيه مختلف .. عالم

يسير على نهج ومنهج مغايرين تماماً لما أنت نألفه

(ماجد) : لن أعطيك موافقة قبل أن أفهم

- ما رأيك أن ترى بنفسك وبعدها تقرر؟

(ماجد): أرى ماذا؟

- هل تعاملت بالسحر من قبل؟

(ماجد): سحر؟ .. هل أنت ساحر؟

- حاول أن تجيب فقط ولا تسأل كي لا نطيل الحديث ..

(ماجد): لا لم أتعامل مع سحرة من قبل

- ولا مشعوذين؟

(ماجد): وما الفرق؟

- هل عملت مع معالجين روحانيين؟

(ماجد): ما هذه الأسئلة الغريبة .. أفصح عما تريد دون لف أو

دوران .. ثم لم تحدق بي هكذا وتنفحصني بأعينك؟

- قرينك مؤمن وهذا شيء نادر .. هل أنت متدين؟

(ماجد): لا

- غريب .. في العادة الأقران يتأثرون بأصحابهم .. عدم محاولته

الهرب بعد تحرره وبقاؤه معك أمر مثير للاهتمام ... أريد

التحدث معه

(ماجد): مع من؟

- مع (دجام) .. قرينك

(ماجد) : قرين ماذا؟ .. عن ماذا تتحدث؟ .. ثم لم تستأذني وكأني  
أملك خياراً؟

- لأنه قد لا يتجاوب معي دون موافقتك .. هو ليس كافراً  
لأسخره أو أفايضه

(ماجد) : لا أفهم شيئاً مما تقول لكنني سأجاريك وأسمح لك بالحديث  
معه

حينها أغمضت عينيّ وصمت لعدة دقائق ثم قلت : فهمت ..  
(ماجد) بتهكم : هل تحدثتما؟

- هو تحدث ..

(ماجد) : في ماذا؟

- بعض ما أريد معرفته لكنه لم يفصح عن سبب تحرره وهذا أمر  
متوقع

(ماجد) : وماذا عرفت؟

- أنك تملك مؤهلات علمية أكبر بكثير من العمل الذي كنت  
تزاوله

(ماجد) : الحاجة أحياناً تحرمنا حق الاختيار

- وماذا كنت ستختار لو ملكت ذلك الحق؟

(ماجد): أن أعمل في مجال تخصصي على الأقل

- حتى وإن كنت تعيشاً في عملي؟

(ماجد): الرجال يعملون كي ينجزوا وليس كي يستمتعوا

- إجابة جيدة ..

(ماجد) بنبرة خالطها التشكيك والتهكم في أن مصدر معلوماتي هو

قرينه: وماذا أخبرك عني أيضاً؟

- أنك تعاني من مرض صدري مزمن؟

(ماجد) وشكته يتحول لتوتر: من أخبرك بذلك؟

- قرينك .. حاول أن تستوعب ما يحدث كي لا تتيه .. كم أمضيت

من عمرك تبحث عن علاج؟

(ماجد): سنوات طويلة

- وهل استفدت؟

(ماجد): لا .. أخبروني أنها حالة مزمنة ويجب عليّ التأقلم معها

- كل داء وله دواء .. قبل رحيلك اليوم سوف أزودك بالعلاج

وستعافى تماماً بإذن الله

(ماجد) : بهذه البساطة؟ .. الأطباء أخبروني أن لا علاج جذرياً

لحالي هذه

- لا علاج عندهم وليس عندي ..

(ماجد) : وما المقابل؟

- أن تقوم بالمثل لغيرك ممن يحتاجون المساعدة

(ماجد) : أنا لست طبيباً ولا أملك العلم الذي يحولني لذلك

- سأمنحك هذا العلم وعليك حملة وتحمل تبعاته

(ماجد) : وإن لم أستطع؟

- هالتك مؤهلة لذلك وهذا أحد أسباب اختياري لك

(ماجد) : هالتي؟

- هالتك غريبة .. مشتتة وقوية في الوقت ذاته .. وقرينك محرر

وأنت تقول بأنك لم تتعامل مع سحر أو روحانيين من قبل ..

هل كنت تزور شيوخاً ليقروا عليك؟

(ماجد) : لا .. نعم ..

- حدد .. نعم أم لا

(ماجد) : عندما كنت صغيراً كانت أمي تأخذني لأحد الشيوخ بانتظام

ليقرأ عليّ بسبب المشكلة الصدرية المستعصية التي أخبرتك عنها

- تقصد التي أخبرني عنها قرينك .. وماذا حدث؟

(ماجد): بعد أشهر من التردد عليه توقفنا فجأة

- لم؟

(ماجد): «قبضت عليه الشرطة» ..

وضعت كفي على فمي مخفياً ضحكة باغتتني لكنني لم أستطع وفلتت بعض القهقهات مني اضطررتني لوضع قده قهوتي على الطاولة كي لا ينسكب علي ..

(ماجد) بعجب : ما المضحك؟

أجبتة ملوحاً بكفي قائلاً : لا أبداً .. تذكرت شيئاً من الماضي فقط ..  
أكمل ..

(ماجد): لا يوجد شيء لأكملة .. هذه فقط المرة الوحيدة التي راجعت فيها شيوخاً

- هل تعاني من علل أخرى؟

(ماجد): لا

- لم تراجع طبيباً نفسياً إذاً؟

صمت الشاب لثوانٍ وبدا عليه الارتباك فقلت : تعاني من أرق مزمن وصداع متكرر بدون سبب أو علة جسدية واضحة .. تصاب

بالإرهاق حد الإغماء في التجمعات البشرية وتعاني من عطش شديد  
أو همك لفترة أنك مصاب بمرض مثل السكر لكن وكالعادة تحاليلك  
الطبية تنفي ذلك .. تعاني من الكوابيس .. ترى أشياء لا تعرف إن  
كانت حقيقة أو خيالاً .. تظن أنك تملك القدرة على التنبؤ بالمستقبل  
لأنك ترى وتسمع في ذهنك أموراً لم تحدث بعد لكنها تحدث لاحقاً  
وبالتفاصيل ذاتها بما فيها إحساسك من وقت لآخر بمن سيرحلون  
عن الدنيا .. تكشف الكاذب بسهولة وعقلك يحدثك دوماً عن نوايا  
الأشخاص وظنونهم فيك لذلك لا تثق بأحد بسهولة أو بالأحرى لا  
تثق مطلقاً .. ت

قاطعني (ماجد) بعد ما كان ينصت لي بوجه مصدوم وقال بنبرة جزة  
ومرتفعة : توقف! .. أرجوك توقف!

- ما بك؟

(ماجد) ماسحاً عرق جبينه بكفه رغم برودة الجو : لا أريد سماع المزيد  
- لماذا؟ .. هل أنا مخطيء؟

(ماجد) : من أنت؟! .. من أنت؟!!

- أنا مجرد شخص يريد تقديم عمل لك ..

بدأ (ماجد) يتنفس بثقل وكأن نوبة هلع داهمته وأخذت عينه اليسرى  
ترمش بسرعة فقلت : قرينك المحرر يجب تشييطه كي تتخلص من كل  
هذه الأعراض .. أنت فاقد السيطرة عليه وتتركه يلهو كما يشاء

(ماجد) وهو مشوش : أنا لا أفهم شيئاً مما تقول وأشعر أني أحلم  
أخرجت علبة سجائري من جيبى ومددت له واحدة وقلت : خذ ..

(ماجد) : هل تريد قتلي؟ .. هل نسيت علتي الصدرية؟

- لا لم أنسها وهي ستنتهي بعد ما أعطيك العلاج .. هذه السيجارة  
لعلاج شيء آخر

(ماجد) : لا، شكراً .. أنا أكره التدخين ورائحة السجائر

أشعلت السيجارة وأخذت نفساً منها وقلت : يؤسفني أن أخبرك بأن  
هذا سيتغير

(ماجد) : لن يتغير لأنني لا أريد

- هل تظن أني أدخن رغبة أو رفاهية؟

وضع (ماجد) كفيه على رأسه وأغمض عينيه بوجه عابس ..

- صداعك هذا سببه قرينك فهو يعلم بأنني أحاول مساعدتك  
للسيطرة عليه وتقويض هيمنته عليك

(ماجد) وهو في حالة تألم : هل يمكن أن تحضر لي أي مسكن فأنا لم  
أحضر دوائي معي

مددت سيجارتي المشعلة له وقلت : نفساً واحداً فقط وإذا لم تتحسن  
فسأحضر لك ما تريد

مد (ماجد) يده الراجفة المأ وأخذ السيجارة واستنشق نفساً منها أتبعه  
بسعال قوي لكن عبوس وجهه زال وبدا عليه التحسن قليلاً وقال :  
لقد خف الألم ..

- وبماذا تشعر أيضاً؟

(ماجد) بتعجب : بقليل من النعاس .. لم أشعر بالنعاس منذ سنوات  
أخذت السيجارة من يده وقلت : مفعول الدخان على أمثالنا لا يختلف  
عن تأثيره على النحل المنزعج .. للأسف تأثيره على أصحاب الهالات  
القوية والمفعلة إيجابي روحانياً لكنه مؤذٍ جسدياً وهذه هي المقايضة  
(ماجد) : مقايضة ماذا؟

- المقايضة بين راحتك النفسية والجسدية .. أنا لن أطلب منك أن  
تدخن لكنني أوضح لك الخيار الذي يمكنك أخذه لو احتجت  
أن تسيطر على بعض الآثار الجانبية لهالتك القوية وقرينك المحرر  
والذي ما زلت لا أعرف كيف تحرر دون علمك

مد (ماجد) يده وأخذ السيجارة من بين أصابعي وبعد أن قلبها أمام  
نظره لثوانٍ أخذ نفساً آخر منها ثم قال وهو ينفخ سحابة من الدخان  
بوجه مستاء : بالرغم من أنني لا أفهم شيئاً مما تقول عن الهالة والقرين  
إلا أنني لا أظن أنني سأستسيغ طعمها ..

- لست مجبراً على تقبلها لكنك تحتاج قبولها ..

(ماجد) : مطفئاً السيجارة في المنفضة : لا .. هذا الخيار لا يصلح لي  
- جرب إذاً التخفيف من السكر والنوم على الأرض هذا  
سيساعدك .. ليس بالسرعة والقوة أنفسهما كاستنشاق الدخان  
لكنه سيفيد قليلاً

في تلك اللحظة لا أعرف ما الذي حدث لكن نبرة الشاب تغيرت  
معى وتحولت من الشتات والتعجب لنبرة واثقة وثابتة وقال : أريد  
التحكم به ..

- تتحكم في مَنْ؟

(ماجد) : قريني ..

- كنت أظنك لا تعرف عن ماذا أتحدث

(ماجد) : كل ما أعرفه أنني لم أشعر بالراحة التي أشعر بها الآن منذ  
سنوات طويلة .. لا أطباء أو أدوية عاجلت أو خففت عني وفي النهاية  
أجد كل هذا الفارق من مجرد استنشاق دخان سيجارة .. أنا لا أعرف  
من أنت ومن تكون لكنني أشعر بأن حياتي ستتغير على يدك وأريد أن  
يحدث ذلك مهما كانت العواقب

- وعدتك بأن حياتك ستتغير إذا كنت جاهزاً لما أنت مقبل عليه

(ماجد) : أي شيء أهون مما أنا فيه

- كنت أظنك مكثفياً ومقتنعاً بحياتك

(ماجد) : وتبدد كل ذلك بنفس ..

- نفس السيجارة؟

(ماجد) : لا .. نفس أمل نفخته أنت في جوفي .. أمل بأن أعيش حياة خالية من الألم وسأكون ممتناً لك لو أكرمتني بالمزيد ومنحتني القدرة على السيطرة على قريني وأوجاعي

- ستمكن من القيام بما هو أكثر من ذلك .. ستكون قادراً على التواصل والحديث معه وهذا قد يكون مربكاً في البداية ..  
لكن ..

(ماجد) مقاطعاً : هل سيؤذيني؟

- قرينك مؤمن لذا لا أعتقد .. هناك خيار ربطه لو أحببته لكن ذلك يستلزم طلاسماً وأنا لن أقوم بذلك لأنني هجرتها للأبد

صمت (ماجد) لأنه دخل مجدداً في دوامة من الشتات بسبب تسارع المعلومات وكثافتها لذا قررت إنهاء يومه الأول بقول : يكفي هذا اليوم .. عد لمنزلك ولا تفكر كثيراً فيما دار بيننا

(ماجد) : هل سأندم يوماً ما على قراري هذا؟

- حتى وإن حدث .. لا يحق لك التذمر من أمرٍ لم تجبر عليه وتملك حرية الاختيار فيه .. ما زلت على البر ويمكنك التراجع

(ماجد): لا .. أنا مقتنع بقراري .. فقليل من نستطيع الحديث معهم دون تحفظ وقلة منهم من يفهمون ما نقول كما نعني .. هذا ما شعرت به خلال حديثي القصير معك .. وأرغب بالمزيد ..

تبسمت وقلت : وأنا كذلك وجدت شعوراً مختلفاً خلال حديثنا ..  
فالتعامل مع الأذكى أمر مريح جداً ..

(ماجد): هل أعود غداً؟

- لا .. علاج صدرك سيستغرق ثلاثة أيام .. سأصف لك خليطاً تناوله بانتظام كل صباح على الريق ولا تأكل أو تشرب شيئاً بعده لخمس ساعات وفي اليوم الرابع عد لي تمام الساعة صباحاً وسأكون بانتظارك

(ماجد): هل ستخبرني وقتها بنوعية ومواعيد عملي؟

- عملك سيكون غير منقطع بل على مدار الساعة .. سوف تنتقل للعيش معي هنا .. هل لديك مانع؟

(ماجد): لا أبداً فأنا أقيم مع صديق لأنني لم أعد قادراً على تحمل نفقات دفع إيجار سكن مستقل

.. موعدا إذا بعد ثلاثة أيام .. وأحضر كل حوائجك معك لتبدأ

يومك الأول الحقيقي

(ماجد) : كمساعد لك؟

- كتلميذي ..

# تَذَكَّرْ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ أَنَّكَ لَنْ تَخْرُجَ

حضر (ماجد) في الموعد المتفق عليه وكنت أنا و(عواد) في انتظاره بعد ما شرحت له كل ما دار بيني وبينه ولفت نظري بعد دخوله باحة المنزل أنه يجير حقيبة حوت ملابسه فيما يبدو وأنه مرهق بعض الشيء وحينما وقعت عيناه علينا وضع حقيبته على الأرض بجانبه وأخذ يتنفس بثقل.

- لماذا تأخرت ..؟

(ماجد): لم يكن الأمر بيدي .. واجهت بعض العقبات

(عواد): لم تبدو متعباً؟

(ماجد): المسافة لم تكن قصيرة

- هل أتيت مشياً على أقدامك؟

(ماجد): نعم .. لم أجد من يقلني ولم أحب أن أتأخر في يومي الأول

- لكنك تأخرت ..

(ماجد) ناظر الساعة يده : سبع دقائق بعد السابعة لا تعتبر تأخيراً

- سبع دقائق كافية لحدوث الكثير

(ماجد): هل سيؤثر ذلك على قبولي كتلميذ عندك؟

- كيف حال صدرك؟

(ماجد) : لم أمش مسافة كهذه من قبل في حياتي أو بالأحرى لم أكن  
أستطيع دون أن أشعر بضيق أنفاسي .. أنا ممتن لك

(عواد) : كان يمكنك أن تتصل بي لأقوم بإيصالك بدل قطع كل هذه  
المسافة

(ماجد) : أنا لا أعرفك كي أتصل بك

- هذا (عواد) .. زميلك

(ماجد) : تشر فنا يا شيخ ..

(عواد) : أنا لست شيخاً

(ماجد) : المذرة لكنني رأيت لحيتك ولبسك وخمنت أن ..

قاطعته وقلت بنبرة متهكمة : (عواد) حالة خاصة .. يعاني مما يعرف  
بأزمة الهوية فلا تستغرب لو رأيتته غداً وقد حلق ذقنه بالكامل ولبس  
بدلة وبنطالاً

(عواد) بتجهم : هل يمكن أن نبدأ بما هو أهم وتغيير الموضوع عني  
وعن ملابسي؟

(ماجد) باسماً : على أي حال تشر فنا يا (عواد)

- اذهب معه وسوف يرشدك لغرفتك وبعد ساعة سوف نجتمع

استقر (ماجد) في غرفته واستحم وبدل ملابسه وخلال ساعة اجتمعنا  
نحن الثلاثة كما هو متفق عليه في المجلس الوحيد في الطابق الأرضي

والذي أصبحنا نطلق عليه «مجلس الدروس» ودار بيننا حوار طويل  
شرحت فيه لـ (ماجد) ما سوف يتلقى من علوم خلال فترة إقامته  
وشرحت على أن تلك العلوم ستكون محصورة في «علم الأولين» وأن  
هدفي الأول والأخير هو أن أجعل منه معالجا روحانياً يخدم الناس  
بتلك العلوم لا أكثر ولا أقل وسألته بعض العلوم الأخرى من باب  
العلم فقط وليس الممارسة وأي متاهة يجد نفسه ينحدر فيها يجب عليه  
أن يتجنبها ولا ينزلق فيها.

بدأت معه منذ اليوم الأول .. كنا نمضي ساعات طويلة في الحديث في  
كل مجال يمكن تغطيته وهو بدوره كان يسأل ويستفسر كثيراً وبالرغم  
من الكم الهائل من المعلومات التي تلقاها إلا أن (ماجد) ملك ذهنًا  
صافياً ومنتقياً استوعبها كالإسفنجة ولم يكن يملك الكثير من الأفكار  
المضادة التي عطلت تقدمه مثلما حدث مع (عواد) والذي كان في بادئ  
الأمر يشعر بالغيرة من اهتمامي بـ (ماجد) لكن مع الوقت تقبل فكرة  
أنه لن يستطيع أن يكون مثله وشيئاً فشيئاً نمت بينهما صداقة فرضتها  
العشرة وسجية (ماجد) وسهولة التعامل معه وتفهمه لأي اختلاف.

اجتماعاتي مع تلميذي الجديد لم تكن لها مواعيد محددة خاصة وأنا نقيم  
في المنزل نفسه وكلانا لا يخرج كثيراً فـ (عواد) هو من كان مسؤولاً عن  
توفير احتياجاتنا وبالرغم من أن (ماجد) كان يتلقى راتباً شهرياً أودعه  
في حسابه الذي أنشأته له إلا أنه لم يصرف منه شيئاً طيلة فترة إقامته معنا

فقد كان مكتفياً بالقليل ونهمه لتلقي العلم أنساه أي ملهيات أخرى.  
خلال الأشهر الأولى حرصت أن أشرح له كل ما يتعلق بالأقران  
المحررة وكيف يمكنه السيطرة على قرينه والتواصل معه وكانت  
مرحلة صعبة عليه خاصة حينما تمكن من الحديث معه بمساعدتي  
وشرحت له كذلك علوم الأحجار والخواتم وكيف يمكنه استخدامها  
للتحكم بهالته وتأثيرها عليه وعلى غيره.

دروس الهالة والأقران كانت من أهم وأصعب الدروس التي تلقاها  
(ماجد) لكنه لم يخذلني وكان عند حسن ظني به واستوعبها بسرعة  
وخلال وقتٍ قصير أصبح متفاهماً مع قرينه ومهيماً عليه وكان ذلك  
دون استخدام أي طلسم فكل العلوم التي كنت أنقلها له حصرتها في  
علوم الأولين فقط لأنني كنت أريد خلق نسخة أفضل مني يمكنها نفع  
الناس دون إلحاق الضرر بنفسه.

المعضلة الوحيدة التي واجهتها مع نفسي هي أنني لم أكن أريد نقل علمي  
لشخص واحد فقط لأنني بذلك أخاطر بضياعه ف (ماجد) وبالرغم  
من أنه وعاء مناسب جداً لذلك إلا أنه في النهاية عرضة للموت أو  
الانحراف ومصير علمي سيكون مرهوناً ومربوطاً بمصيره لذا بدأنا  
نبحث عن تلاميذ آخرين وبالفعل قمنا باستقطاب عدد منهم بمختلف  
الأعمار والأجناس و (ماجد) كان بمثابة المعاون لي في تعليمهم لكن  
وللأسف معظمهم لم يكونوا مؤهلين عقلياً أو جسدياً لتحمل الرحلة

الطويلة وكان عدد الانسحابات كبيراً بالرغم من أننا انتقيناهم بعناية عالية لكن ظروفهم الاجتماعية كانت عائقاً حقيقياً منعهم من تكريس وقتهم وأنفسهم لهذا النوع من التعليم.

في النهاية وبعد غربة طويلة بقي معنا شابان وفتاة كانوا يملكون مقومات جيدة للمواصلة بالرغم من بعض القصور في قدراتهم لكن خامتهم العقلية لم تكن سيئة لذا أوكلت مهمة تهيئتهم لـ (ماجد) ليصل بهم لمستواه نفسه قبل أن ينتقلوا جميعاً لمرحلة متقدمة أكثر معي.

مضت عدة أشهر أخرى وتمكن (ماجد) بمعاونة (عواد) من إيصال التلاميذ الثلاثة لمستوى يجعلهم جاهزين للمرحلة المتقدمة ووقتها بالفعل انتقل الشابان للإقامة معنا استعداداً لذلك واكتفت الفتاة بالحضور أوقات الدروس فقط لكن ما حدث هو أن الشهر الفضيل أقبل علينا وهنا كانت أول مرة يسمع فيها (ماجد) بعزلي الرضائية حينما أخبرته بأنه يمكنه أخذ إجازة مع بقية التلاميذ لو أحبوا لكنه رفض وأثر البقاء في المنزل والاهتمام به خلال عزلي فسمحت له خاصة وأن (عواد) يغيب هو الآخر في الفترة نفسها للاعتكاف لكنني وجدته يتحدث معي بطريقة مختلفة قبل توديعي عند مدخل القبو وقال: «هل حقاً ستغيب لشهر؟»

- نعم وما المشكلة؟

(ماجد): لا أبداً لا يوجد مشكلة لكن ..

- قل ما يدور في صدرك ولا تكتفم

(ماجد) : لقد أكرمتني بتعليمي كما كبيراً من العلوم ووسعت مداركي لأرى ما كنت أظنه وهماً ولم أعد أجد غرابة ومشقة في تفسير معظم ما يجده الناس مجهولاً وخيفاً والعزلة - والصيام - بشتى أنواعها كانت من ضمنها لكن .. هذه العزلة بالذات .. وفي هذا التوقيت .. لا أفهم الغرض منها

تبسمت وقلت : (عواد) سينعزل أيضاً طيلة الشهر

(ماجد) : هو سيعتكف في مسجد لكن أنت ..

- اسمع يا (ماجد) .. مهما تلقيت مني فلن أتمكن من نقل كل ما

عندي لك فعلمي ملوث .. فيه الغث والسمين .. وما أحاول

نقله لك هو الطيب منه فقط .. أنا لست منزهاً بلا أخطاء ..

ارتكبت الكثير منها وما زال هناك أغلال تقيدني .. لدي عهود

وديون متراكمة وسأبقى أسدها مدى حياتي .. هذه العزلة

ضرورة لا مفر منها إلى أن أسدد ما علي

(ماجد) : لأول مرة منذ انتقالي لا أفهم ما تقول ..

قلت وأنا أفتح باب القبو : لعل ذلك أفضل .. أراك صباح العيد

(ماجد) : معلمي ..

- نعم يا (ماجد) ..

(ماجد) : لا تخبرني عن سبب اختفائك في رمضان لكن أعطني شيئاً  
لأفكر به حتى تعود .. شيئاً له علاقة بما تنوي القيام به الآن

صمت لثوانٍ وأنا أحرق بأعينه المتعطشة لعلم كنت أنوي ألا أعرضه  
له لكنني قررت أن أختبر ثقتي به وقلت : هل لاحظت من قبل اختفاء  
الكثير من قطط الشوارع في رمضان؟

(ماجد) بخليط من التساؤل والعجب : آه .. لا

- فكر بهذا الأمر خلال غيابي .. وكل عام وأنت بخير

نزلت للقبو تاركاً (ماجد) مع أفكاره وظنونه ..

مضى الشهر .. خرجت من القبو ومن عزلتي .. وجدت (ماجد) يقف  
عند الباب صباح العيد بانتظاري .. استقبلني بعناق أتبعه بقول : كيف  
كانت عزلتك؟

أجته وأنا أفرك ذقني بسباتي وإبهامي : أحتاج أن أحلق ذقني كي لا  
أكون كـ (عواد)

تبسم (ماجد) وقال : (عواد) اتصل بي وقال إنه قادم في الطريق  
وأحضر معه إفطار العيد

- لا تتحمس كثيراً سيكون بيضاً كالمعتاد

ضحك (ماجد) ورافقني للسلم المؤدي للطابق العلوي مروراً ببهو

المنزل وخلال سيرنا قلت : سأذهب لغرفتي لأغتسل وأحلق ذقني  
ريثما يصل (عواد) إذا لم تكن تريد شيئاً

تغيرت ملامح (ماجد) وكان واضحاً أنه متردد في الحديث عن  
موضوع ما وقال : سأكون في انتظارك ..

- ما بك؟

(ماجد) محاولاً إخفاء استيائه : لا شيء .. لا تشغل بالك الآن

- تعرف أني لن أضع قدمي على السلمة الأولى قبل أن أسمع منك  
لذلك لا تضيع وقتي ووقتك .. ما الذي حدث في غيابي؟

(ماجد) : فقط أمر واحد يا معلمي ..

- ما هو؟



(ماجد) : جميع التلاميذ رحلوا ..  
تبسمت وقلت : ولم أنت مستاء هكذا؟

(ماجد) : لم أكن أريد أن أخذلك

- وما علاقتك أنت برحيلهم؟ .. هذا كان قرارهم

(ماجد) : لم أكن أريد أن يذهب مجهودنا هدرًا هكذا

- ما حدث في مصلحتنا .. من الأفضل أن يحدث الآن قبل أن

يتلقوا علماء حقيقياً وينهلوا ما يمكن أن يشكل خطراً علينا

وعليهم .. رحيلهم مبكراً نعمة وليس نقمة وأنا لا أعول على  
أحد وتذكر أن النار تطرد خَبَثَ الحديد

(ماجد): فهمت .. لكن لن أنكر أن أسباب رحيلهم هي ما أثارت  
سخطي .. أسباب غريبة مثل السأم والانشغال

- تقصد أسباباً تافهة

(ماجد): نعم

- جيد .. وفروا علينا الوقت

(ماجد): لكنني عاجلت الأمر ولم أرضَ أن تعود دون أن يكون هناك  
بديل

- ماذا تقصد؟

(ماجد): لقد وجدت شخصاً مناسباً وأمضيت الشهر بأكمله أعلمها  
كل ما يمكنني كي تكون جاهزة لبدء المرحلة الثانية

- تعلمها؟ .. فتاة؟

(ماجد): نعم .. أعرفها من عملي السابق وقد تواصلت معها خلال  
خلوتك واكتشفت أنها تركت العمل فعرضت عليها أن تكون معنا

- أنت مدرك أننا لسنا شركة للتوظيف

(ماجد) : نعم نعم أفهم ذلك لكن صدقني هي ذكية وفطنة وتحب ..

قاطعته قائلاً : تحب ماذا ..؟

(ماجد) : تحب العمل ومجتهدة جداً ولن تخذلك

- لا يهمني خذلانها فهي ستخذل نفسها لو فشلت لكن يهمني  
أمانتها

(ماجد) : من هذه الناحية أنا أضمنها

- لم أرك متحمساً لشخص بهذا الشكل من قبل

(ماجد) : لأنها تستحق وسترى بنفسك ما أعني حينما تقابلها

- ومتى سيكون ذلك؟

(ماجد) : وقتاً تشاء

- رتب معها موعداً الليلة

(ماجد) : الليلة؟ .. لكن اليوم عيد وقد ..

- نعم الليلة .. أم أن هذه مشكلة لها وظروفها لا تسمح؟

(ماجد) : لا لا أبداً ستكون موجودة

- سوف أنزل الساعة التاسعة مساءً وأتوقع وجودكما في «مجلس

الدروس»

(ماجد) : حاضر يا معلمي .. هل ستنضم إلينا على الإفطار؟

- لا .. بلغ سلامي لـ (عواد) وأخبره بأني سأتصل به غداً  
صعدت لغرفتي وبدأت بتبديل ملابسني حينها ظهر (دجن) وقال : ما  
تشوف أن اللي قاعد تسويه غلط؟  
أجبتة دون أن ألتفت إليه وقلت : وأنت بألف خير يا (دجن) ..  
(دجن) : جاوبني ..

- ومنذ متى أخطائي تهملك؟  
(دجن) : أنا أتكلم جد .. أنت قاعد تتحول لـ (عمار) بدون ما تحس  
- لا تقارني بذلك المشعوذ

(دجن) : وليه لا؟ .. ترى أنا الوحيد اللي يعرف أسرارك وماضيك  
الي مثل لون غرفتك .. تفكر سالفة العزلة ذي بتمشي عليّ مثل  
المسكين (ماجد)؟

- ما رأيك فيه بالمناسبة؟  
(دجن) : (ماجد)؟ .. عاجبني وأحسه أركد منك بس قرينه غثيث ..  
ليه حررتة؟

- هو كان محرراً حين التقيت بـ (ماجد)

(دجن) : ومن حرره؟  
- يدعي أنه لا يعرف

(دجن): كيف ما يعرف؟ .. العملية هذي ما تتم بالصدفة .. ما هي ..  
قاطعته قائلاً: أعرف .. وفي الوقت نفسه أصدقه .. بعض السحرة  
المتخفين كشيوخ يحررون أقران الأطفال من باب العبث حين يرون  
أن هالاتهم قوية أملاً منهم أنهم سينخرطون في الشعوذة مثلهم يوماً ما  
حينما يبحثون عن حل لتبعات هذا التحرير لكن يبدو أن (ماجد) تقبل  
حاله أو بالأحرى لم يفهم ما يحدث معه وظن أنه مرض نفسي  
(دجن) بتهكم: وتسمونا إحنا شياطين ..

على ذكر الشياطين .. لم لم تظهر لي خلال عزلتي؟ .. ألم تُسلم؟  
صمت (دجن) ولم يرد واكتفى بالنظر لي بوجه مرتبك ..  
سرت لدورة المياه وبدأت أحلق ذقني متجاهلاً (دجن) الذي تبعني  
ووقف خلفي صامتاً يراقبني وأنا أملاً كفي ببعض الماء لأغتسل.  
استدرت نحوه وقلت وأنا أمسح وجهي المبلل بمنشفة: الشيطان  
الذي يسلم ماذا يطلق عليه؟

(دجن): ما أدري ..

- أعتقد «جن» ..

(دجن): يمكن .. ما يفرق .. له تسأل؟

- لأن الجن لا يربط بطلاسم الشياطين

(دجن): شقصدك؟

- لا أقصد شيئاً ..

(دجن): لا تضع السالفة ووقف ..

- أتوقف عن ماذا؟

(دجن): سالفة نقل العلم ذي .. خله يموت معك

- ولم أنت مهتم هكذا؟

(دجن): ما يكفي اللي صار لك؟ .. تبي تبلى غيرك بمصيبتك مثل

ما سوى قريبك الشايب

قلت متهكماً: لم أرك عطوفاً هكذا من قبل يا شيطان

(دجن) بغضب: أنا مو شيطان!

- هل تعرف لم لا أحسم صحة وجودك من عدمها بالرغم من أني

أستطيع ذلك بكل سهولة؟

(دجن): ليه يا سيد (خوف)؟

- لأن تحققي من عدم وجودك مصيبة لكن تيقني من وجودك

مصيبة أكبر

صمت (دجن) ورأيت في ملامحه معالم الضيق فخرجت من دورة المياه

وقلت له خلال وقوفه متسماً: أريد أن أنام ..

(دجن): تصرفني؟ .. أنت ما تنام

استلقيت على فراشي الأرضي ومددت يدي تحت وسادتي وأخرجت  
خاتمين لبستهما في خنصريّ وقلت : «أنا لم أعد ذلك الرجل الذي  
تعرفه .. أنا مختلف اليوم ..»

(دجن) : صحيح .. كنت أول تقول : «الذيادة ما تنام» .. وكنت فعلاً  
ذيب

استلقيت على فراشي مغمضاً عينيّ قائلاً : «واليوم ماذا ترى؟  
(دجن) : سَلَق ..»

لم أجب عليه .. واكتفى هو بقول : «كالعادة .. لا إحساس ولا  
ضمير ..»

واكتفيت أنا بتجاهله باسماً وغطت في نوم عميق ..

## رُضَابُ الْعَقْرَبَةِ

بعد استيقاظي من نومي العميق خلعت خاتمِي وأعدتها لمكانها واستحمت وبدلت ملابسِي وأعددت لنفسي قهوة سوداء وسحبت كتاباً من الرف المستقر فوق فراشي الأرضي وبقيت أقرأ حتى قاربت الساعة التاسعة مساءً فأغلقت الكتاب وأعدته لمكانه ونزلت للطابق الأرضي وتوجهت مباشرة لـ «مجلس الدروس» لأجد (ماجد) يجلس وبجانبه فتاة لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها تلبس الكثير من الحلي واستغربت في بادئ الأمر من صغر سنها والتفاوت العمري بينهما لكنني لم أناقش ذلك معهما وجلست في المكان المخصص لي في صدر المجلس أراقبهما بصمت.

نظرات الفتاة كانت حادة وثاقبة ولم يبْدُ عليها التوتر أو الخجل فقد كانت واثقة من نفسها لدرجة فاقت الحاجة. استغللت فترة الصمت تلك في تفحص هالتها والتي كانت فوق المتوسطة لكن مدمرة بالكامل وهذا أول عائق سيقف أمامها لتصبح أحد تلاميذي لكن ومع ذلك لم أتسرع بالحكم عليها فالهالة المدمرة يمكن ترميمها لكن ما أثار فضولي وقتها هو سبب وصولها لتلك الحالة. بعد برهة من الهدوء تحدث (ماجد) وقال: «هذه (هاجر) يا معلمي .. التي حدثتك عنها ..»

- انزعني حليك ..

نزعت الفتاة أقراطها وخواتمها وسلسالاً تدلى من عنقها ..

بعد ما أمعنت فيها لثوانٍ قلت : حسناً .. سنقبلها ..

استغرب (ماجد) من موافقتي السريعة وقال بوجه متفاجئ : ألا تريد توجيه بعض الأسئلة لها قبلها؟

- ألا ترى أنت أنها مناسبة؟

(ماجد) : بلى لكن ..

- إذا سوف نثق باختيارك ونبدأ المرحلة المتقدمة منذ اليوم

(هاجر) : أنا لذي بعض الأسئلة ..

(ماجد) بنبرة مكبوتة خالطها بعض السخط : المعلم هو فقط من يسأل ونحن من نجيب!

(هاجر) : ولم لا يحق لي السؤال؟ .. كيف ستتعلم إذا؟

(ماجد) : كل شيء وله وقته! .. وأنت لست مهياًة الآن لطرح الأسئلة!

(هاجر) : لم أنا هنا إن لم أكن مؤهلة .. ثم من أعطاك الحق بالحديث

عني؟ .. أستطيع الاعتناء بنفسني والكلام موجه للمعلم وليس لك

تجلت وقتها على وجه (ماجد) ملامح الصدمة من كلام وتصرف

(هاجر) معه وكأنه يرى شخصاً جديداً لا يعرفه يتحدث معه وهنا

أيقنت أن تلك الفتاة لم تكن هينة بل تملك ذكاءً كبيراً مكنها من إيهامه  
بما يريد أن يرى ويسمع حتى تصل لمبتغاها واللقاء بي فمن الواضح أن  
(ماجد) خلال فترة تدريبه معي كان على تواصل معها ويحدثها بكل  
ما يحدث بيننا منذ اليوم الأول وهي وجدت في نفسها رغبة ملحّة بأن  
تكون مثله واستخدمته كي تصل لمأربها.

لم أكن مستاء من طريقته بل على العكس تماماً وجدت أنها متمكنة في  
التلاعب والتحايل وسوف تحاول ممارسة تلك الألاعيب عليّ لثقتها  
بأنها تستطيع خداعي مثلما خدعته ولأني مؤمن بأن الإنسان قد يتلون  
لغرض ما، لكنه لا يتغير أبداً قررت منحها الفرصة للمحاولة وقلت :  
«دعها تسأل ما تشاء ..»

(هاجر) بعد ما رمقت (ماجد) بنظرة انتصار : شكراً يا معلمي ..

تجهّم (ماجد) وبادلها بنظرة استياء وتوعد ..

(هاجر) : لدي مجموعة من الاستفسارات والطلبات

- أنا منصت ..

(هاجر) : في البداية أريد الانتقال إلى هنا .. أريد غرفة مثل (ماجد)

- هل ظروفك الاجتماعية تسمح لك بذلك؟

(ماجد) : ألم تقولي بأنك لا تستطيعين الانتقال؟

- اترك هذا النقاش بيننا يا (ماجد) ..

(ماجد): حاضر

(هاجر): ليس لدي أي عائق أو مانع يمنعني من الانتقال والعيش هنا

- وماذا أيضاً؟

(هاجر): ما فهمته من (ماجد) هو أننا سنتعلم السحر

- فهمك خاطئ.. لا شيء مما تعلمه أو ستتعلمانه له علاقة بالسحر

(هاجر): أنت تسميه «علم الأولين» لكنني أراه لا يختلف عن السحر

- رأيك لا يهم

(هاجر): وكيف تثق بمن لا يهمك رأيهم؟

- في أي مرحلة دراسية أنت الآن؟

(هاجر): التحقت بالجامعة هذا العام

- في أي تخصص؟

(هاجر): التاريخ

- اختياراً أم إجباراً؟

(هاجر): باختياري بالطبع.. أنا أعشق التاريخ.. لكن ما علاقة ذلك

بسؤالي عن الثقة؟

- سأطرح عليك سؤالاً.. وحاولي أن تستوعبيه قبل أن تجيبي عليه

(هاجر): أنا لست غبية.. أنا ذكية.. وجدداً.

- أنتِ ذكية .. لكنكِ تجعلين ذلك عائقاً أمام تطورك .. المبالغة  
في تقدير الذات هي أهم عامل في تدني مستوى الإنجاز .. لذا  
أنصتي ولا تجادلي

(هاجر): حسناً أنا منصتة

- إلى أي مدى تثقين بمن دونوا ونقلوا التاريخ إلينا بثتى أنواعه؟  
(هاجر): أثق بهم على العموم لكن لا شك أن بعضهم لم يكن أميناً في

نقله

- إذا فهي ليست ثقة مطلقة ..

(هاجر): بالتأكيد لا .. الثقة الكاملة والمطلقة التي لا تستوجب الشك  
لا يمكن منحها لأشخاص لم تقابلهم من قبل ولم تحتك بهم لتعرف  
أطباعهم ودرجة نزاهتهم ..

- ماذا لو تم تزكيتهم لك من قبل أناس عاشرهم؟

(هاجر): لا أظن أن ذلك كافٍ .. فعدد من نقلوا التاريخ بالتتابع  
كثروا ولا يمكن الوثوق بهم جميعاً ناهيك أن التاريخ غالباً لا يكتبه إلا  
المتصرون

- لذلك مزبلة التاريخ امتلأت ..

(هاجر): ماذا تقصد؟

- ألا تجدين أن كلامك هذا ينسف مصداقية تخصصك؟

(هاجر): لا .. هناك ثقات نقلوا لنا التاريخ الصحيح

- ومن أين حصلوا على هذه التزكية؟ .. خط النقل طويل ومتعدد النواقل .. هل جميعهم ثقات؟ .. فساد شخص واحد منهم فقط كفيل بتغيير الحقيقة وتلوينها

(هاجر): ماذا تريد أن تقول؟

- إن الثقة لا تُمنح بالتزكية بل بالمعاشرة .. أنا أثق بـ (ماجد) لأنني عاشرته لكنني لن أثق بك فقط لأنه قام بتزكيتك

(هاجر): معنى ذلك أنك لا تثق برأي (ماجد) في

- وهل ستعتمدين على رأيه كي تثبتي نفسك؟

تجهمت (هاجر) وقالت: بالطبع لا! .. أنا لا أحتاجه!

- إذاً لا تحدثيني عن تزكيتك وعن الثقة الآن واتركي تصرفاتك مع

مرور الأيام تتحدث عنك مثلما تتحدث عنك الآن

صمتت (هاجر) منزلة رأسها ولم ترد ..

قراءتي لتلك الفتاة لم تكن خاطئة وتوقعت منها هذا النوع من الجدل بالرغم من أننا لم نخضعها لأي اختبار أو تدقيق حقيقي إلا أنها أثرت إثارة موضوعات قد تهدد بقاءها معنا. عيناها كانتا تصرخان نمرداً

وهي تحاول إظهار الانصياع والتفهم ومع ذلك أعجبتني شجاعتها وإقدامها لكن ذلك قد لا يكون مفيداً لها أو لنا في المسار والطريق اللذين ننوي المضي فيهما ومع ذلك فسحت لها المجال للتحدث لأن الترميم الذي أنوي القيام به لها لن يقتصر على هالتها فقط بل سيشمل جميع نواحي شخصيتها لأنني رأيت فيها نقيضاً حميداً لـ (ماجد) وهذا ما أحججه كي أضمن أنها لن تكون تابعة له لكن كان من الضروري أن تتبني أنا وألا تتمرد عليّ لاحقاً.

- هل لديك استفسارات أخرى؟

(هاجر): لدي لكني لا أريد أن أزعجك فمن الواضح أنك لا تتقبل النقاش والحوار

- لا تحولي قصور فهمك عليّ .. ثم إن ما تقومين به ليس نقاشاً أو حواراً

(هاجر): ماذا تسميه إذاً؟

- جدالاً .. وهناك فرق كبير بينهما .. أنت مستمعة متحفزة للرد ولست منصتة ترغب في التعلم .. ولن تتعلمي شيئاً مني لو استمررت على هذا النهج .. المنصت يُنصت ليفهم وليس ليرد .. المنصت المناقش يريد أن يصل للحقيقة في النهاية أما

المستمع المجادل فيريد أن يكون على حق في النهاية .. هل  
فهمت الفرق؟

(هاجر): فهمت ..

- فهمت أم أنك تدعين الفهم ..؟

(هاجر): صدقني فهمت .. وكيف أغير من طريقتي في النقاش؟

- المناقش الجيد هو من يملك سيطرة تامة على عواطفه خلال  
حواره مع الآخر ويتحدث بعقله فقط لذا تجددين نبرته هادئة  
ووثيقة مهما تعالت الأصوات من حوله ويميل للصمت عندما  
يكون الطرف الآخر غوغائياً منجرافاً خلف عواطفه .. أنت  
لست غبية كما اتفقنا لكن ينقصك التواضع ومعرفة مقامك كي  
تسمح لمن هم أعلم منك بتلقينك ما تجهلين

(هاجر): أنا متفتحة وأتقبل كل الآراء والأجناس هذا ما يقوله عني  
كل من عاشرفي

- طبول المطبلين لا تُطربُ إلا الطُّرُشُ ومزامير الشامتين لا  
يترأقص عليها إلا الأفاعي .. ولم يكن هذا ما عينته

(هاجر): لم أفهم ..

(ماجد): المعلم يقصد ألا نحكم على الشيء من المرة الأولى

- ولا هذا ما قصدته .. دائماً ما يقال لنا: فكر قبل أن تجيب لكن

قليل من يطبق هذه القاعدة حتى وإن حاول فهي ليست عادة  
تمارس بل مهارة تكتسب ..

(هاجر): وكيف نكتسبها؟

- بالحوار بشكل منتظم مع شخص يملكها.. وأن تضعي كبرياءك  
جانباً ولا تجادلي بل تناقشين كما أخبرتكِ سالفاً.. هذا هو السبيل  
الوحيد لتغيير طريقة تفكيرك ونظرتك للأمر ..

(هاجر): أنا مقتنعة بأني أملك عقلاً واعياً

- كونك تملكين عقلاً واعياً فهذا لا يعني أنك تجيدين استخدامه..  
وحتى لو أجدت استخدامه في الماضي فليس من الضروري  
أنه لا يزال يعمل كما عهدته .. فحتى العقول تصدأ من قلة  
الاستخدام .. التواضع هو أساس التعلم

(هاجر): وهل من التواضع قبول رأي لست مقتنعة به؟

- أنت الآن تجادلين ..

(هاجر): هذا من حقي

- الحق الوحيد الذي تملكينه في حضورني هو الخروج من الباب  
وعدم العودة مجدداً عدا ذلك فأنا مركز الكون هنا .. لن تتعلمي  
شيئاً من شخص تجادلينه فأنا لا حاجة لي بك أو بأرائك ..  
الأرض لا تختار البذور التي تُغرس فيها .. المزارع هو صاحب

الاختيار والقرار الأخير .. وكل ما عليها هي أن تحتوي تلك  
البذور بصمت حتى تنمو خلال سقي ذلك المزارع لها حتى  
تصبح بستاناً مليئاً بالثمار .. هل لديك اعتراض أو .. مجادلة؟

(هاجر) : لا يا معلمي ..

- وأنت يا (ماجد)؟

يهز (ماجد) رأسه بالنفي ..

- بالحديث عن الزراعة .. هل يستطيع أيُّ منكما إخباري ما هي  
أكبر صحراء في العالم؟

تفاجأ الاثنان بالسؤال الخارج عن نطاق حديثنا لكن (هاجر) أجابت  
بقولها: الربع الخالي .. لا لا .. الصحراء الكبرى شمال إفريقيا  
(ماجد) : ((أنتاركتيكا)) ..

(هاجر) : ما هذه الإجابة الغبية؟ .. هذه ليست صحراء فهي مليئة  
بالثلوج

- إجابة ماجد صحيحة ..

(هاجر) : كيف؟ .. القطب المتجمد الجنوبي خالٍ من الرمال ودرجة  
الحرارة فيه منخفضة

- هذا ما عنيته بالتفكير الخاطيء .. لقد ربطت كلمة «صحراء»

بالرمال وحرارة الأجواء لذلك كانت نظرتك قاصرة ..  
تعريف الصحراء هي الأرض الجرداء الخالية من معظم معالم  
الحياة والمسطحات الخضراء .. فقط لا أكثر ولا أقل .. لذلك  
فأكبر صحراء في العالم هي القطب المتجمد الجنوبي كما قال  
(ماجد) ..

(هاجر): طريقة غريبة في التفكير

- هذه هي الطريقة الصحيحة غير المؤدجلة والتي من خلالها  
ستمكنين من تعلم أمور وعلوم جديدة ويجب على كل منكما أن  
يفكر بها .. لا تكتفِ بما يقال ويملى عليك .. وسع مداركك ..  
لا تقبل أي شيء فقط لأن الكل يتفقون على صحته

صمت الاثنان ولم يجادلا ..

- ما رأيكما بظاهرة التصحر؟ .. هل تشكل خطراً على العالم؟

(هاجر): نعم وهي بسبب الاحتباس الحراري الحالي وتسبب نقص

الأكسجين

- هل قمت بقياس مستويات الأكسجين في العالم؟

(هاجر): لا لكن هذا ما يقا..

قاطعتها وقلت: ما يقال .. ما يروج ..

(هاجر) : لكنها حقيقة .. التصحر يتسبب في نقص النباتات والأشجار  
وهي المصدر الوحيد للأكسجين المتجدد في العالم وتناقصها سيقود  
البشرية للهلاك لو لم نتدخل ونوقف عبث الإنسان بها

- الإنسان؟ .. هل تعتقد أن العالم يسير ويتأثر بنا لتلك الدرجة؟

(هاجر) : نعم

- ما رأيك أنت يا (ماجد)؟

(ماجد) : كلامها غير صحيح .. كنت مؤمناً بالنظرية نفسها حتى  
فكرت بطريقة مختلفة حينما تناقشنا بالموضوع سابقاً

(هاجر) : طريقة ماذا؟ .. هذا الموضوع بالذات لا خلاف عليه

- نصف أكسجين العالم يأتي من البحار .. والنباتات هناك تنفس  
أيضاً وتنتج كميات كبيرة منه وهي بمأمن من عبث «الإنسان»  
حتى الآن لذلك كل ما يروج عن نقص الأكسجين هو حملة  
هستيرية منظمة لا أكثر

(هاجر) : وما الغرض منها؟

- أن نشغل

(هاجر) : نشغل عن ماذا؟

- عمّا هو أهم ..

صمت الاثنان مجدداً فأتبعت كلامي :

اكل ما أريده منكما هو التفكير .. وليس قبول كل ما يملى عليكما ..  
هذه هي الطريقة الوحيدة كي تخرجنا من القطيع وتقوداه ..»  
(ماجد) : أشعر أن ذلك سيكون صعباً

(هاجر) : أتفق مع (ماجد)

- المسألة سهلة .. فقط لا تنظرا للأمر من زاوية واحدة .. افسح  
المجال لعقولكما للتفكير بزوايا أخرى ..

(هاجر) : هل لي بسؤال آخر؟ .. لكنه شخصي بعض الشيء

- أسألي ..

(هاجر) : هل تقبل النقد في عملك أو النصح في أساليبك؟

- أغلب النقد غيرة وأكثر النصح تطفل .. فمن لديه عمل مُثمر لا  
يملك وقتاً لنقد أعمال غيره ..

(هاجر) : ألا تؤمن بأهمية النصيحة؟ .. ألا تظن أنها مصدر جيد

لتطوير النفس وتحسينها ونحن بحاجة إليها؟

- منذ زمن طويل لم أر ناصحاً ينصح نفسه .. نحتاج هذا أكثر ..

فليس من الضرورة أن يكون لك في كل موضوع رأي وفي كل

موضع قدم .. لو اكتفى الناس بنصح أنفسهم لتغير عالمنا للأفضل

(ماجد) : صحيح .. معظم من نصحوني خلال حياتي تحدثوا معي  
بفوقية وتعالٍ غريبيين .. يتصنعون الوعي ويتظاهرون بالعمق وهم في  
الواقع عكس ذلك

- التظاهر بالعمق سطحية والترفع عن عامة الناس انحطاط ..

(هاجر) : أذكر مديرة مدرستي بالثانوية كانت تعامل الطالبات  
بالأسلوب المتعالي نفسه حينما تنصحن وتتكلف كثيراً خلال حديثها  
وتعاملها معنا ومع غيرنا

- غالباً الإنسان ذو التفكير السطحي يميل للتعقيد والتكلف في  
معظم ممارساته الحياتية ظناً منه أنها سيظهرانه بمظهر العميق  
المتفرد غير مدرك أنها يجعلانه يبدو كالبغل المتأنق

(هاجر) : أتفق في نقطة «البغل» هذه خاصة وأنها تمكنت من إقناع  
الكثير من زميلاتي بقصورهن ودفعتهن للوم أنفسهن على فشلهن  
- هن كذلك مخطئات .. فجلد الذات للأسف أصبح «منهجاً» عند

البعض كي يريح نفسه وضميره من العمل والتغير للأحسر  
فمبدأ: «أنا سيء مهما فعلت» أسهل بكثير من: «يمكن أن أكون  
أفضل ..»

(هاجر) : وإلى متى سنتنظر حتى تتحقق أحلامنا...؟

- الأبواب لا تفتح بالانتظار .. الكثير ينتظر أحلامه لتحقيق والقليل من ينهض لبحث عنها والنادر هو من يصنعها بنفسه ..

(ماجد) : وإن كنا مقتنعين بحالنا ولا نريد تغييره؟

- القناعة لا تعني تعطيل الطموح والرضا لا يناقض السعي .. لا بد للإنسان أن يبدأ من نقطة ما ..

(هاجر) : ومتى سنبدأ نحن؟

- لقد بدأنا بالفعل .. نقاشنا هذا هو أول درس لكما معاً وسيتبعه المزيد في الأيام القادمة .. سوف أبدأ بنقل علوم ثقيلة على مسامعكما وأعمق من إدراككما والهدف من ذلك هو أن تصبحا معالجين .. معالجين فقط .. لا أكثر ولا أقل .. مفهوم؟

هز الاثنان رؤوسهما بالموافقة ..

تركتها بعد ما وجهت (ماجد) بمساعدة (هاجر) في الانتقال لغرفتها وتوجهت أنا بدوري للطابق العلوي ودخلت غرفتي لأجد (دجن) كعادته ينتظرنى وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة صفراء أتبعها بقول :  
« أنت ذكية أجل ..؟ »

أجبت ببرود وأنا أبدل ملابسي : عن ماذا نتحدث؟

(دجن) متحدثاً بطريقة ساخرة ومتهكمة : التلميذة الجديدة .. الحب

الجديد

- ليتك لم تكن من صنع خيالي كي أربطك ..

(دجن): لا تستهبل .. واضح أنك خقت عشان كذا وافقت عليها  
والاهي ما تنفع لشيء

- أنت مخطئ .. الفتاة تملك ذكاء يفوق عمرها وهالتها جيدة  
بالرغم من تدميرها بشكل كبير

(دجن): وحلوة ..

- هذا لا علاقة له بقبولها

(دجن): شكلك ما شفت نفسك يوم جلست قدامها .. أول شيء  
قلته: «موافق .. موافق» .. حتى من قبل ما تنطق البنت .. طيب ائقل  
شوي

جلست على طرف فراشي الأرضي وقلت: كما قلت لك أنت مخطئ ..

(دجن): قل قسم

- (دجن) هذا ليس وقتك .. احتفظ بأوهامك لنفسك

(دجن): محد راعي أوهام غيرك .. أنا بكبري وهم من عقلك .. لكن  
اللي متأكد منه أنك بتجيب العيد كالعادة .. ترى مو أول مرة أشوف  
هالوجه

- أي وجه؟

(دجن): وجه العاشق المفتون .. هذي نفس الخشة اللي شفتها لما جاتك (جند) أول مرة عند بيت (عمار) .. نسيت والا حاب أذكرك كيف لعبت فيك وخلتك ملطشة بعد ما طيحتك بغرامها؟

- أنا لم أحب (جند) قط ..

(دجن): أي واضح .. والدليل أنك ساحتها بعد ما اعترفت لك بلسانها أنها قتلتني ..

- ماذا كنت تريد مني أن أفعل؟ .. أقتلها؟

(دجن): احبسها! .. انفها! .. أو على الأقل كفين على السريع ما كانوا بيضرونك أو بيكلفونك شيء! .. لكن أم قرون كانت مسيطرة عليك لدرجة أنك حتى ما عاتبته بكلمة! ..

- بالنسبة لمجرد «وهم» فأنت تحمل الكثير من الضغينة ..

(دجن) بتجهم ونبرة غاضبة: تنحرق أنت وياها ما هميتوني!!

- هي احترقت بالفعل .. وبقيت أنا ..

(دجن): لا تستعجل جهنم تنتظرك!

تجاهلته وبدأت أبحث في جيبي ..

(دجن) بعبوس : وش تدور؟!!

- دوائي كي تغرب عن وجهي ..

(دجن) : لا ما يحتاج بروح بنفسي!

اختفى (دجن) وبقیت أفکر بکلامه بهدوء ..

## هذا ما حدث معنا

ترويض (هاجر) استغرق مني بعض الوقت .. وأنا أستخدم هذا المصطلح ليس انتقاصاً منها بل لأنها بالفعل في أيامها الأولى معنا كانت كالفرس الجامحة في آرائها وأسلوبها في الحديث معنا ومعني بالذات. وكأنها لم تتعود على تلقي الأوامر والتوجيهات وفي الوقت نفسه كانت راغبة بشدة في أن تبقى معي كتلميذة وتتعلم مني وهذا ما جعلها متقلبة المزاج لوقتٍ طويل قبل أن يستقيم سلوكها وتعتاد على التصرف بانضباط أكثر. كذلك ما زاد من اندفاعها بالحديث من وقت لآخر هو شعورها بأنها في منافسة مع (ماجد) للتقرب مني وهذا بالطبع لم يكن الحال أو الجو الذي كنت أريد خلقه ولم يكن هذا الأمر مهماً لأحد غيرها وأنا لن أنكر أن طول بالي عليها كان لأني رأيت فيها صفات إيجابية كثيرة تخوها أن تكون معالجة ممتازة وإلا لكنت قد أنهيت وجودها منذ اليوم الأول.

بعد مضي عدة أسابيع على التحاق (هاجر) تلقيت اتصالاً من أمي تذكرني فيه بأن المهلة التي اتفقنا عليها قد انتهت منذ عدة أشهر وقد حان الوقت أن أتزوج وإلا يجب عليّ أن أعود وأقيم معهم كما كان الاتفاق. كنت قد نسيت الأمر برمته وصدمت حينما قامت بتذكيري

وفي لحظة ارتباك قلت :

«أنا تقدمت لخطبة فتاة بالفعل يا أمي ..»

بالطبع كانت ردة فعل أمي متضاربة بين الفرح واللوم والعتاب والبكاء .. اختلطت مشاعرها ولم تعرف كيف تعبر عنها لكن ما كانت متيقنة منه أنها كانت تريد مقابلة تلك الفتاة التي استطاعت أخيراً تقييدي وأسري وأنها لا بد أن توافق عليها وإلا فتهي من سوف تقوم بالاختيار نيابة عني.

قطعت لها وعداً بأنها سوف تزورها قريباً وتلتقي بها وأخبرتها كذلك بأني لن أكون حاضراً كي تتمكن من «فحصها» كما تشاء وبالرغم من عدم اقتناعها بالسبب إلا أن شوقها للقاء تلك الفتاة التي أسرت قلبي طغى عليها وعلى جدالها معي ووافقت في نهاية المطاف.

أغلقت الاتصال وأنا في حيرة .. هل أرسل لها «مندساً»؟ .. الجن يمكنه التشكل كإناث لكنه ذلك قد لا يكون مقنعاً لأمي ولا يتمكن من إيهامها بأني بحق وقعت في الحب. بعد تفكير مطول وجدت نفسي بحاجة إلي شخص حقيقي .. شخص ماكر يملك مهارة الإقناع ويملك لساناً ملتويًا مثل طرقة ولم يكن حولي وقتها أحد يملك مثل تلك الصفات سوى (هاجر) فقررت أن أستعين بها. استدعيتها وجلست معها في «مجلس الدروس» وشرحت لها الموضوع بالكامل.

(هاجر) بابتسامة خبيثة : وهل من مهام التلاميذ الزواج من معلمهم؟  
- من قال إنه زواج؟ .. هذه مجرد خطبة صورية وأريدك فقط أن  
تقنعي أمي أنك فتاة مثالية ومناسبة لي

(هاجر) : أهذه الدرجة تخاف من أمك؟

كنت مضطراً وقتها لتحمل وقاحتها وهي بدورها لم تفوت الفرصة  
لاستغلال حاجتي لها ومارست معي كل أنواع الجدل وإثبات  
عجزني في هذا الموقف لكنني كظمت غيظي وقضمت وابتلعت  
كبريائي وقلت :

- أنا أحبها لذلك أراعي مشاعرها .. وهذا أمر من الواضح أنك  
لا تفقهين فيه شيئاً

(هاجر) : هل أحببت من قبل؟ .. هل تؤمن بوجوده من الأساس؟

- هل لديك سؤال مفيد؟

(هاجر) : نعم لدي .. لم كثير من حالات الحب تفشل؟

- لأنها تخلو من أهم عنصر لاستمرارها

(هاجر) : التضحية؟

- الاحترام .. الاحترام هو أساس الحب وأهم عنصر لاستمرار

أي علاقة من أي نوع .. فمن لا يحترم شخصاً لن يراعي مشاعره

أو يجبه بحق مها حاول

(هاجر) بتودد غير مسبوق : ولم لا تراعي مشاعري أنا؟  
- لأنك لا تعنين لي شيئاً وخسارتك لن تؤثر سلباً على حياتي

(هاجر) بعبوس : لم أنت وقح معي هكذا؟!  
- حديثي معك محايد الشعور .. لا سلبي أو إيجابي .. إحساسك  
هذا نابع منك أنتِ لأنك تتحدثين وتسمعين بعواطفك

(هاجر) : وما الضير في التحدث بعواطفنا؟  
- صاحب المنطق لن ينتصر أبداً في أي حوار مع المشحون عاطفياً  
لأنه سيحوله دائماً لجدال .. مثلما تفعلين الآن

(هاجر) : إذا فكل همك هو الانتصار عليّ؟

- افهمي أنك مجرد وعاء .. وعاء سأملؤه بالعلم فقط ولا شيء  
آخر .. وإن كان هناك وقح بيننا فهو أنتِ والشيء الوحيد الذي  
يمنعني من الرمي بك خارجاً هو أنني أرى مقوماتك وقدراتك  
لتحمل هذا العبء متجاهلاً تقلباتك المزاجية الحمقاء ..  
وتذكري أن من تهزه الأقاويل ستدمره الأفعال .. فلا تكوني  
هشة وتحلي ببعض الجلد فنحن لسنا في نزهة

(هاجر) بخليط من التهكم والتحدي : فهمت .. تريدني أن أكون مثل  
(ماجد) .. مجرد عبد مطيع

- لا أرى قيوداً تقيدك أو أغلالاً تربطك .. باب الخروج أمامك

(هاجر): هل ستتخلي عني؟

أغمضت عيني وفركت جبيني بكفي .. لا لصداع أصابني بل لغثيان  
هيمن على جوفي من ذلك الحمق الذي يتدفق من تلك الفتاة .. بالرغم  
من يقيني من ذكائها وفطنتها إلا أن عقلها من وقت لآخر يصبح كالماء  
في بساطته والعهن في هشاشته لذا كنت أؤثر الصمت وعدم الرد لأنني  
لو رددت على كل تعليق يصدر منها سأنجرف معها في حمقها وسأنطق  
بأمور أعرف مسبقاً أنني سأندم عليها لاحقاً.

عندما رأته (هاجر) بلوغي أقصى درجات صبري وتحملي معها وأنا  
كنت على وشك إنهاء ما بيننا توقفت فجأة وتراجعت عن نقاشها  
العقيم وتعليقاتها السخيفة ووافقت على الذهاب لأمي بكل بساطة  
وهدوء.

هنا كنت في الحقيقة متعجباً .. لم كل هذا الجدل من البداية؟ .. لو  
كان مبدأً لما كُسر ولو كان قناعة لما تراجعت عنها بسهولة .. حينها  
بدأت أشعر بأنها تستمتع بإثارة غضبي وتستلذ بمناكفتي وإخراجي  
من سكينتي وهذا مؤشر كان يجب أن أنتبه إليه وقتها لكنني لم أفعل ولا  
أدري لماذا.

في النهاية .. تمكنت (هاجر) من إنجاز مهمتها .. بل تفوقت وفاقته  
توقعاتي وأدت ما كان مطلوباً منها بكل براعة وكسبت قلب أمي  
واستحوذت على عقلها لدرجة أن كل اتصال وردني منها بعد ذلك

كانت تستهله بالسؤال عنها قبل أن تسأل عني وعن أحوالي ومع أول زيارة لي بعد ذلك اللقاء كانت عبارة أمي الأولى هي: «أين (هاجر)؟» .. لم لم تحضرها معك؟»

لم أنقل لـ (هاجر) عظيم إنجازها فهي لم تكن بحاجة لمزيد من الزهو بالنفس لكنني شكرتها بلا شك وأثنت عليها وهي بدورها لم تبالغ في الغطرسة وكانت ممتنة لثقتي بها.

مضت الأيام وتحولت لأسابيع وشهور قضيتها في تلقين وتعليم (ماجد) و(هاجر) الكثير من العلوم والأسرار الروحانية. دروس وجلسات حوارية مكثفة في كل مجال يمكن أن يخطر أو لا يخطر على بالهما. غطينا الأعشاب والأدوية .. الأحجار والمعادن .. الهالة والأقران .. الجن والشياطين وقبائلها .. الأمراض والعلل .. الأحلام والكوابيس .. الأبراج والطوابع .. الظواهر والغيبات .. الكتب والمخطوطات .. العلم وما وراءه .. وأكثر ..

رمت هالاتها باستخدام ماء البحر والصيام عن الكلام وبعض الأطعمة واتباع حمية خاصة لذلك بالإضافة لتغيير عادات نومها ولبسها واستمررتنا على ذلك لعدة أسابيع حتى استعادها بالكامل ثم قمت بتفعيلها لهما بعد ما شرحت لهما السلبيات والإيجابيات من ذلك وكيف ستغير حياتهما بعد التفعيل وزودتها بخواتم ليتحكما في تأثيرها عليهما خاصة عندما يختلطان بالناس.

كنت أعدهما للمرحلة التالية وهي تطبيق ما تعلمناه لكنني كنت حريصاً  
إلا أنتقل إليها قبل أن أتيقن من أنها تشرباً ما فيه الكفاية كي لا يخطئنا  
في تشخيص أو علاج وبالرغم من أن (ماجد) سبق (هاجر) بما يقارب  
العام إلا أنها لحقت به وكادت أن تتفوق عليه بسبب نهمة وتعلمها  
السريع خاصة وأن أسلوبها العام تغير للأحسن وأصبحت منصاعة  
ومطبعة أكثر ومتقبلة لأي شيء مهما كان غريباً ومخالفاً لما تعتقد أو  
تؤمن به.

خلال تلك الفترة كان دور (عواد) محدوداً ولم يختلف كثيراً عما كان  
يقوم به في السابق من توفير ما نحتاج والقيام بالمهام الروتينية من قضاء  
حوائجنا وتسهيل أمور حياتنا المعيشية خاصة وأنا نحن الثلاثة كنا  
منكبين فيما يشبه المعسكر المغلق ولم يهون عليهما تلك العزلة الدراسية  
سوى المتعة التي وجدناها في كل علم جديد يكتسبانه.

حلت عزلتي الرمضانية الأولى مع (هاجر) والثانية مع (ماجد)  
وقبل دخولي فيها أوصيتها بقراءة مجموعة من الكتب زودتها بها من  
مجموعتي الخاصة التي احتفظت بها في القبو. كتب نادرة جداً تغوص  
في أعماق العلم الروحاني وعلم الطاقة المعالج وأخبرتها بأني سأقوم  
بإختبارهما في محتواها بعد خروجي ولو اجتازا ذلك الإختبار فسننتقل  
للمرحلة الثالثة .. مرحلة التطبيق العملي.

مضى الشهر الفضيل وخرجت من عزلتي ولم أجد أحداً بانتظاري عند  
مدخل القبو سوى (عواد) فسألته : أين البقية؟

تبسم (عواد) وقال : في «مجلس الدروس» مثل كل يوم .. يقرأون  
ويدرسون وكانها يستعدان لمناقشة مشروع تخرجهما .. أعتقد أنهما لم  
يشعرا بأن رمضان انقضى

- جيد .. أنا سأتوجه لغرفتي وأبلغهما بأن اختبارهما سيكون  
الليلة .. وكن أنت حاضراً معها كذلك

اجتمعنا في الموعد بحضور (عواد) الذي أحضر معه عشاءه وأخذ  
يتناوله وهو يراقبنا بصمت .. شطائر بيض كالعادة .. بدأت أرمي  
الأسئلة بين (ماجد) و(هاجر) دون توقف وكانا يجيبان بكل إتقان  
وبراعة ولا أنكر أنهما فاقا توقعاتي وبهراني قليلاً فلم يكن حفظهما  
للمعلومات خالياً من الفهم بل شعرت أنهما بالفعل تشربا العلم  
وربطاه بكل ما تعلماه سابقاً مني وشكلاً منهجاً خاصاً بهما في أذهانهما.  
وهذا ما كنت أريده.

أعجبني كذلك أن كلا منهما لم يكن نسخة مكررة من الآخر فـ(ماجد)  
كان له أسلوب مختلف في الإجابة عن (هاجر) وهي كذلك لم تتبع  
نمطه نفسه في تقديم الحلول. كانا وجهين للعملة نفسها .. مختلفين  
شكلاً متطابقين مضموناً.

حينما تيقنت من جاهزيتها قررت أن أوجه لهما سؤالاً لم يحظَ أي منهما  
بالعلم الذي يمكنه من الإجابة عليه لأرى كيف سيتعاملان معه وبعد  
ما سألته تسمرا الاثنان وشعرا بالعجز والخيبة خاصة بعد ما قدما بعض  
التخمينات الخاطئة فقالت (هاجر):

كنت أظن أننا وصلنا لمرحلة متقدمة من الفهم ..

- لا تجعل سقف توقعاتك عالياً كي لا يكون أثر سقوطه عليك  
مدمراً .. عجزكما عن الإجابة ليس مؤشراً على ضعف تحصيلكما  
لكن كان يمكن أن تقدما إجابات أفضل

(هاجر): لكن هذا الموضوع لم نتطرق له من قبل يا معلمي ..

- أعرف ..

(ماجد): لم تسألنا عنه إذًا؟

- لأنني لا أريدكما أن تكونا أوعية للحفظ فقط .. أريد أن تنميا  
قدرتكما على حل الأزمات الطارئة

(هاجر): وكيف نقوم بذلك؟

- بالارتجال المتقن .. بتوظيف ما تعلمان للحصول على ما لا تعلمان

(ماجد): لم أفهم

(هاجر): أنا فهمت .. ولدي إجابة للسؤال

- أنا منصت ..

قدمت (هاجر) إجابة صحيحة .. لكنها لم تكن مريحة .. فالإجابة كانت صائبة بشكل دقيق ولا يمكن الوصول إليها من مجرد التخمين أو الاستنباط خاصة وأني ملّم بالعلوم التي حصلنا عليها وما قدمته لي كان مجالاً من المفترض أنه غريب ومجهول عليها فقلت : «من أين حصلتِ على هذه الإجابة؟»

(هاجر) : استتجتها

- بناءً على ماذا؟ .. وكيف علمتِ بكل تلك المعلومات الإضافية؟

(هاجر) : هل ستصدقني لو أخبرتك بأني لا أعرف؟ .. شعرت فقط بأن ذلك هو الجواب والاستنتاج المنطقي

صمت ولم أعلق فجوابها قطعاً لم يكن استنتاجاً .. تلك الفتاة من النوادر .. فئة من البشر يسرون على خط رفيع بين بعدنا والبعد الآخر .. هناك من همس لها بالإجابة .. وهي لا تعي ذلك

(هاجر) : هل اقترفت خطأ يا معلمي؟

- لا .. لقد أبليتِ بلاءً حسناً .. كلاهما .. وحان الوقت

(ماجد) : وقت ماذا؟

- حالتكما العلاجية الأولى ...

وجهت نظري لـ (عواد) الجالس معنا منصتاً بصمت وقلت له : متى  
يمكنك توفير حالة؟

(عواد) : في الوقت الذي تشاء

- غداً .. أول العصر

(عواد) : اعتبر الأمر منجزاً .. ومجدداً .. أنت مدرك أننا في فترة عيد

- أعرف .. ولا يهم

(عواد) أخذاً قزمة من شطيرته : حسناً كما تشاء

أعدت نظري لـ (هاجر) و(ماجد) وقلت لهما : خذا قسطاً كافياً من  
الراحة اليوم فأمامكما اختبار مهم غداً

(هاجر) : كنت أنتظر هذا اليوم

(ماجد) : هل نحضر معنا شيئاً؟

- فقط عقولكما .. أراكما غداً

(هاجر) : معلمي .. اشتقنا للحديث معك .. هل يمكن أن تمنحنا

بضع دقائق من وقتك قبل أن ترحل؟

- لأي غرض؟

(ماجد) : لا يهم .. المهم أن نتحدث معك .. لقد غبت عنا شهراً

بأكمله ولم يكن لدينا سوى الصفحات والأسطر نتحدث معها

- ألم تتحدثا بعضكما مع بعض؟

(هاجر): بلى لكن الحديث معك مختلف

- أنا لا أجد الأحاديث الجانبية بلا هدف .. لذلك سأمنح كلاً منكما سؤالاً سأجيب عليه وبعدها سأرحل

تبادل الاثنان النظرات لثوانٍ معدودة ثم قالت (هاجر) لـ (ماجد):  
هيا اسأل!

(ماجد): أنت من كان يريد الحديث فاسألني أنت

(هاجر): لقد ارتبكت وأشعر أنه اختبار جديد

(عواد) ملوحاً بيده الممسكة بشطيرته نصف المنتهية: أنا لذي سؤال ..  
لم الذباب لا يريد تركي اليوم .. لم يحوم حولي دونكم؟

- تقول بعض الأساطير إن الذباب يحوم حول الشخص المصاب  
بعلة أو مرض أو أن الموت قريب منه

(عواد): هراء .. لا أصدق هذه الأشياء

- لاحظ أني قلت: «أساطير»

(ماجد): وماذا تظن السبب يا معلمي؟

- أن (عواد) ببساطة لم يستحم يوم العيد

ضحك الجميع عدا (عواد) الذي تجهم وأخذ قضمة أخرى من  
شطيرته وأخذ يلوكها بوجهه عابئاً ..

(هاجر) رافعة سبابتها بوجه متحمس : وجدت السؤال!

- أنا منصت ..

(هاجر) : ما هو أكثر شيء تكرهه ويزعجك في الناس؟

- سؤال غريب يا (هاجر) .. كنت أظنك ستسألين عن أمر يخص

ما تعلمناه

(هاجر) : أنا مهتمة لمعرفة جوابك يا معلمي ..

- سأجيب بعد ما تحيين أنت على سؤالك ..

(هاجر) بإحباط : نحن لم نتفق على ذلك!

- ستسمعين جوابي بعد ما أسمع منك ..

(هاجر) : أكره في الناس أنهم يتعاملون معي وكأن لا وجود لي أو قيمة ..

سراب أو طيف يعبرون من خلاله دون أن يلاحظوه .. شخص شفاف

لا يراه أو يسمعه أحد حتى وإن صرخ بأعلى صوته ..

- الناس لن يروك لسبيين .. إما أنك صغير جداً .. أو أكبر منهم

بكثير

(هاجر) : وأنت يا معلمي .. هل تراني؟

- لقد استهلكت حق السؤال ..

(هاجر) بشيء من التأثر : أجبني على هذا السؤال فقط ..

لم يعجبني السؤال .. ولا طريقة طرحه .. وكان لا بد أن أوصول لها رسالة واضحة وصریحة بأن العاطفة هي ألد عدو يمكنه أن يفسد كل ما تعلمته فصمت وحدث بنظري عنها ولم أجبها لكنها أصرت وعاودت الكرة بقول : لم تتجاهلني؟

وهنا كان لا بد أن أضع حدًا لذلك التجاوز فقلت : «أنا لا أتجاهلك لأنني لا أراك من الأساس ..»

وكما توقعت لم يعجب (هاجر) الجواب وبدا الضيق عليها وقالت بصوت مختنق بدموع مكبوتة : هل تأذن لي بالانصراف؟ ..

قلت ونظري للأمام : يمكنك الانصراف ..

نهضت وسارت بخطوات متسارعة نحو الباب وسمع الجميع انفجارها بالبكاء وهي تتوجه لغرفتها وتغلق الباب خلفها ..

(عواد) وهو يمضغ قضمة من شطيرته : أنا يجب أن أرحل كذلك .. لقد تأخرت

- رافقتك السلامة .. موعدنا غدًا

بعد رحيل (عواد) ساد الصمت والهدوء في المكان لعدة دقائق قضاها (ماجد) في محاولة استجماع شجاعته للتحدث فقلت : قل ما عندك حتى ننهي يومنا ..

(ماجد) : لا أريد إغضابك بحديثي

- أنا لا أغضب بسهولة يا (ماجد) .. لا أشعر .. لا أتأثر .. ولا  
أهتم .. فغضبي حينما يطرأ استشعر به .. ستشعرون به جميعاً ..  
لذا .. تحدث بحرية ..

(ماجد): أريد سماع إجابتك .. على سؤال (هاجر) .. ما هو أكثر شيء  
نكرهه ويزعجك في الناس؟

- الاستغلال .. الاستشراق .. النفاق .. الغباء .. قائمة طويلة ..  
وبالكاد ذكرت بعضها

(ماجد): لو طلبت منك تحديد أمر واحد فقط .. فماذا سيكون ..؟

- بلا شك الغباء .. فهو الصفة الجامعة والحاضنة لكل الصفات  
السيئة الأخرى .. فبدونه ستختفي معظم مشكلاتنا .. لكنه  
مستفحل في الكثير من العقول لدرجة أنه تطور وتحور لنوع  
فاخر من الحمق

(ماجد) وهو يهم بالنهوض : شكراً يا معلمي .. تصبح على خير  
- .. (ماجد) ..

(ماجد): نعم يا معلمي ؟ ..

- الوعي والإدراك أهم بكثير من الذكاء والفتنة .. هل تفهمني؟

هز (ماجد) رأسه بالتأييد قبل أن يسير خارجاً من المكان ..

حينها ظهر (دجن) وجلس بالقرب مني وقال وعيناه على باب  
المجلس : يا خي رحمتهم ..

- لماذا؟

(دجن) موجهاً نظره ناحيتي : مدري كيف متحملينك؟

- ولم لا تقول إني أنا من يتحملهم مثلما أتحملك؟

(دجن) باسماً : لا تنكر أنك مبسوط أني رجعت

- أنت مثل الذنب القديم الذي لا أستطيع نسيانه ولا يريد  
مفارقتي .. أنت لم تعد .. أنت مجرد خيال ..

(دجن) واضعاً ساقاً على ساق متحدثاً بخليط من السخرية والتهكم :  
مو أنت دايم تقول إن الخيال أجمل من الواقع ؟ .. يعني أنا الآن أجمل من  
قبل ..

- حسناً أيها الجميل .. انصرف كي أنام

(دجن) ناهضاً من مكانه : أنا أصلاً عندي شغلة أبي أخلصها وماشي  
بدون ما تقول لي

قلت متهكماً : خيال مشغول ؟ .. كيف؟

(دجن) : تعرف .. قاعد أعيشك الجواني حقيقي وكذا

تبسمت ولا أعرف لماذا لكنني قلت له : بالتوفيق يا ضاحك الثغر ..

اختفى (دجن) ...

وبعد رحيله بلحظات بدأت أسمع هطول المطر بغزارة في الخارج ..  
من جمال المطر أنه مهما ارتفع صوت هطوله فهو لا يعكس صفو أي  
هدوء ..

لذا بقيت تلك الليلة في «مجلس الدروس» ولم أصعد لغرفتي ..  
فالنوم ليس من الملذات التي أشتاق لها أو أمارسها بانتظام ..  
على عكس التفكير .. أفرط فيه كثيراً وأنغمس ..

وتلك الليلة لم تكن استثناء .. أعتقد أنني استهلكت قهوة تعادل ما  
أستهلكه في أسبوع حتى أشع نور الصباح من خلال نوافذ المكان ..

بعد أقل من ساعتين سمعت أصواتاً في المطبخ فخرجت بنية التوجه  
لغرفتي لأكمن قليلاً وأريح جسدي وعقلي لأصادف (هاجر) التي  
خرجت للتو بعد ما أعدت لنفسها وجبة خفيفة.

(هاجر): صباح الخير يا معلمي ..

- هل نمت جيداً؟

(هاجر): لا لم أنم طيلة الليل

ولم؟

(هاجر) : ربما للسبب نفسه الذي أبقاك مستيقظاً

- لا أظن ..

(هاجر) : هل تأمرني بشيء؟

- خصصي وقتاً للراحة قبل العصر .. أريدك بكامل قوتك

(هاجر) وهي تسير تجاه غرفتها بوجه متبلد : حاضر

وكما كان الاتفاق هاتفني (عواد) قبل الموعد بنصف ساعة ليفيدني بأنه تواصل مع حالة من الحالات الكثيرة التي يرصدها ويسجلها عنده في حال ما قررت النظر إليها فأنا لا أستطيع تليبيتها جميعاً بل أتركها مرهونة بوقتي ومزاجي فلو دخلت هذا العالم بكل تركيزي فسوف أضيع في دهاليزه ولن أتمكن من إنقاذ الجميع وسأخسر نفسي.

الحالة كانت لرجل قد فقد عقله فجأة بعد ما كان شخصاً ناجحاً وذا مكانة ومركز مرموق وظيفياً واجتماعياً وأسباب جنونه كانت مجهولة ولم يقدم الطب لأهله سوى التفسيرات المعتادة والعقاقير المخدرة المتعارف عليها لكن ما جعل (عواد) يشك أنه ليس مصاباً بعلة عقلية «طبيعية» هو مجال عمله الذي يتطلب منه السفر المستمر بالإضافة لثرائه الفاحش ولقناعته أنه قد يكون تعرض لـ «عمل» ما، قام بفحصه مبدئياً بناءً على طلب أسرته ليتحول شكه ليقين وفي العادة علم (عواد) المحدود يمكنه من صرف العلاج المناسب للمثل

هذه الحالات لكن ما فهمته منه أن الرجل مربوط بعمل معقد جداً وقد يكون متعباً وأكثر من عمل في الوقت ذاته خاصة وأن المصاب عدائي جداً ويعتدي جسدياً على كل من يقترب منه لذا وجدته بداية جيدة لتلميذي المبتدئين في مسيرتهما كمعالجين ..

استقللنا السيارة وقادنا (عواد) لمنزل الرجل حيث كان يقيم مع عائلته وبعد استقبالنا قادونا لغرفته المغلقة والتي لا تفتح إلا لإطعامه وتنظيفه فهو لا يستخدم المراض بشكل طبيعي ويستلزم الأمر معاونته من وقت لآخر.

وقفنا نحن الأربعة عند مدخل الغرفة المقفلة وبجانبنا أحد أبناءه ينتظر منا الإشارة ليفتح لنا الباب وقبل أن نعطيها له وجهت كلامي لـ (ماجد) و(هاجر) اللذين لم يخفيا ارتباكهما وقلت: «شخصاً الحالة .. حددا السبب .. وأخبراني بالعلاج ..»

وقتها سمعنا صراخاً قوياً قادماً من وسط الغرفة .. صرخة غضب وسخط تبعها صوت ما يشبه الضربات على سطح خشبي صلب.

(هاجر) بتوتر: كنت أظن أننا سنعالج مريضاً ..

(ماجد): هل ستدخلان معنا؟

(عواد): عملي ينتهي لهذا الحد

- لا تقلقا سأكون بالقرب منكما لكن تهيأاً لأي مفاجآت

أومات للشاب بفتح الغرفة بعد ما وجهته بالرحيل مباشرة حينما يقوم بذلك وما أن طَقَّ صوت القفل حتى فُتِحَ الباب وخرج منه رجل طويل القامة أصلع الرأس كثيف الشارب لا يلبس سوى ملابس داخلية ممزقة وملطخة ببقع صفراء واندفع نحونا مزججاً كالوحش ولم يتوقف حتى قبض على عنق (ماجد) وطرحه أرضاً وكاد أن ينهال عليه بالضرب لكن (هاجر) انطلقت ودفعته بجذع جسدها وأبعدته عن زميلها. نهض الرجل مباشرة وأمسكها من شعرها وأخذ يشده ويهز رأسها مطلقاً سيلاً من الشتائم النابية.

هرب الشاب من المكان كما وجهته وبقيت أنا و(عواد) نراقب ما يحدث بصمت وهدوء فهذه ليست المرة الأولى التي نشهد فيها حالة «مس» من هذا النوع. أشرت بسباتي لـ (ماجد) وقلت ببرود: «حررها من قبضته قبل أن يؤذيها..»

(ماجد) صارخاً: هذا مجنون وليس مريضاً!

- لا تضيع الوقت وخلص زميلتك

جری (ماجد) نحو الرجل الهائج وحينما أصبحت المسافة بينها بضعة أقدام وجه الرجل له لكمة قوية رفعته في الهواء وأسقطته مغمى عليها و(هاجر) ممسكة بكلتا يديها على قبضة الرجل الأخرى المتشبثة بقمها

رأسها وهي تصرخ بخليط من الألم والسخط. اقترب (عواد) مني  
وهمس في أذني قائلاً: «هل هناك حكمة غائبة عني لتعريضهما لمثل  
هذا الموقف؟»

- أريد أن أرى إن كان سيحمي صاحبه

(عواد): من تقصد؟ .. عمن تتحدث؟

وقبل أن أجيب على (عواد) تعرض الرجل الهائج لدفعة قوية رمت  
به لأقصى المكان ليرتطم بالجدار مسقطاً (هاجر) من يده لكنه تماسك  
وحافظ على توازنه وهز رأسه محاولاً استعادة تركيزه. وجه الرجل  
النائر نظره لـ (هاجر) والزبد يقطر من فمه وهم بالهجوم عليها مجدداً  
لكنه لم يلحق لأنه تعرض لهجوم آخر من قبل شيءٍ خفيٍّ لا يمكن  
رؤيته صارعه وصرعه ولم ينفك عنه حتى أفقده الوعي بضرباته  
المتتابعة.

(هاجر) وهي تتنفس بثقل: ما الذي يحدث؟!!

- ما هو تشخيصك للحالة؟

(هاجر) وشعرها منكوش وأنفاسها المتسارعة تدخل وتخرج من

خلال فمها: تشخيص ماذا؟!!

- الحالة ..

(هاجر) : أنا من يحتاج تشخيصاً وفحصاً وليس هو؟! ..

أشرت لـ (عواد) بمعاونة (ماجد) على النهوض بعد ما لمحت حركة منه ..

(هاجر) موجهة حديثها لي خلال مراقبتها (عواد) يعاون (ماجد) على النهوض : لم لم تساعدنا؟

- لن يكون اختباراً حقيقياً لو تدخلت وساعدتكما في التشخيص

(ماجد) بإرهاق وتعب وهو متكئ على كتف (عواد) : عن أي اختبار تتحدث؟ .. لقد كان نزالاً وليس تشخيصاً

- هل تظنان أن كل الحالات التي ستقابلانها ستكون مستقلة على سرير؟

(هاجر) ماسحة نزيفاً بسيطاً من أنفها بأناملها : من طرح الرجل وصرعه؟

- .. (دجام) ..

(هاجر) : تقصد قرين (ماجد)؟

- نعم .. كنت أريد رؤية إلى أي مدى سيكون تدخله لو تعرض

صاحبه لخطر يهدد حياته

(ماجد) : هذه أول مرة يتدخل لإنقاذي

- وما أدراك؟ .. أحياناً لن تعلم ولن تدرك ما يقوم به قرينك وخير مثال أنه لم يتدخل إلا بعد ما أغمي عليك والجيد أنه لم يقتل الرجل وهذا دليل أنه يتدخل للحماية فقط

(هاجر): وقريني أنا .. لم لم يتدخل لإنقاذي؟

(عواد) ضاحكاً ومتهكماً وهو سائر بـ (ماجد) عائداً للسيارة: ربما لا يجبك وكان مستمتعاً بتعنيف ذلك الرجل لك!

بعد خروجها من المكان وجهت (هاجر) نظرها نحوي وقالت بعبوس: هل كلامه صحيح؟!

- من المفترض أنك وصلتِ إلى مرحلة من العلم تعرفين من خلالها أن قرينك لم يتدخل لأنه ليس محرراً ..

(هاجر): حرره لي إذا!

تجاهلتها وسرت خروجاً من المكان ..

ركبت في المقعد الأمامي للسيارة وألقيت نظرة على (ماجد) المرهق في الخلف حينها حدثني (عواد) من مقعد السائق وقال: أين الآنسة؟

نظرت للأمام وقلت: ستأتي ..

(دجن) من الصف الثالث للمقاعد: شكلها ضيعت الباب من الهيد اللي جاها ..

وجهت حديثي لـ (ماجد) وقلت : هل تمكنت من تشخيص الحالة؟  
(ماجد) بصوت مرهق لكن واثق : حالته ناجمة عن عمل سحري مزدوج .. سحر مأكول وربط بأثر .. وهذا ما أوصله لتلك الحالة ..

(عواد) مشاركاً في الحوار : الفاعل كان يريد السيطرة عليه بشدة لذلك لجأت لتلك الطريقة لكنه أخطأ .. فالسحر المأكول إذا دمج بسحر الربط بالأثر يؤدي نتيجة عكسية .. في الغالب من قام بذلك زوجة ثانية أو شخص يريد الاستحواذ على أمواله

بعد عدة دقائق خرجت (هاجر) برفقة أحد أبناء الرجل وكان يودعها بحرارة ويسلم عليها بكلتا يديه ومن الواضح أنه يشكرها. سارت بعدها نحونا وركبت السيارة في المقعد الخلفي بجانب (ماجد) محذقة أمامها ولم تقل شيئاً.

خاطبتها دون أن ألتفت نحوها وقلت : ماذا وصفت له؟  
(هاجر) وهي عاقدة أذرعها وبوجه عابس ونظر موجه للمنزل من النافذة : أن يسقوه منقوع «الرمث» و«العاقول»

- والجرعة؟

(هاجر) : مرة واحدة كل مساء لثلاثة أيام فقط وألا تكون الأيام خلال مراحل اكتمال القمر

- وكيف نصحتهم بأن يسقوا رجلاً هائجاً هذا الشراب؟

(هاجر): بأن يضعوه في ماء شربه المعتاد فالتركيز ليس مهماً

رفعت كفي وأشرت لـ (عواد) بالتحرك والعودة بنا للمنزل ..

(دجن): ولا تنسين تشربين دلة عُصفر من الروعة ..

## المُعَمَّمُ الأعمى

تلميذاي أثبتالي في الأيام التي تلت ذلك اليوم أنهما مؤهلان لتولي مهام وحالات أخرى وهذا ما حدث بالفعل فقد وجهت (عواد) بنجلب المزيد من الحالات وكنا نخرج نحن الأربعة معاً مرة أو مرتين يومياً لزيارتها وتشخيصها وتقديم الحلول والعلاجات. تلك الزيارات زودتهما بالخبرة الميدانية التي ثبتت ورسخت العلم الذي اكتسباه مني نظرياً خلال الأشهر الماضية وكذلك قربتنا أكثر بعضنا من بعض على الصعيد الاجتماعي وقوت اللحمة بيننا وأصبحنا كعائلة واحدة نوعاً ما.

مع تزايد الحالات والمهام التي كنا ننجزها بدأت ألاحظ تبايناً بين قدرات (هاجر) و(ماجد) فكلاهما كان متمكناً ومتقناً فيما يقوم به لكن هي تفوقت عليه قليلاً في إجادة وصف العلاجات وتراكيب الخلطات وهو تميز بالتشخيص الدقيق وكشف أسباب العلل.

كنت أستمتع بالإنصات لهما حينما نعود كل يوم من رحلة علاجية وهما يناقشان ما حدث معي وبينهما بحماس وكانت تلك النقاشات مصدر تعليم إضافي لهما لأنها علمتهما على التعاون وتبادل الخبرات فيما

بينهما وفي الحقيقة نادراً ما كنت أساعدهما في شيء فتمكنهما وقدراتهما كانت عالية ونهمنهما للتعلم واستيعابهما السريع فاقا توقعاتي لذا قررت بعد مضي عدة أشهر أن أثق بهما وأتركهما يخرجان وحدهما دوني مع (عواد) وبالرغم من أنهما حاولا إقناعي بالاستمرار بمرافقتهم إلا أنني وضحت لهما أنهما وصلاً لمرحلة لا تستدعي وجودي وأنهما جاهزان لتولي الأمر بأنفسهما وألا يستعينا بي إلا في حالة تستعصي عليهما وهذا لم يحدث إلا مرة أو مرتين على الأكثر خلال ما يقارب العام.

بالرغم من ابتعادي المحدود إلا أنني كنت آخذ من (عواد) تقريراً يومياً عنهما وعن ممارساتهما وطريقة تعاملهما مع الحالات وكنت راضياً عما أسمع منه ومسوراً للمرحلة التي وصلنا إليها.

صباح أحد الأيام دخل عليّ (ماجد) في مطبخ الطابق السفلي وأنا أعد لنفسي وجبة فطور خفيفة وقال باسماً: ماذا تعد يا معلمي؟

- فطيرة زعتر بالليمون .. هل أعد لك واحدة معي؟

(ماجد) ملوحاً بكفه باسماً: لا، شكراً.. لا أظنني سأستسيغها

- هل جربتها من قبل؟

(ماجد): لا ولكنني واثق من أنني لن أحبها

- ومن أين حصلت على هذه الثقة إن كنت لم تجربها من قبل؟

(ماجد): مجرد شعور..

- الشعور وحده ليس سبباً كافياً للحسم ..

(ماجد) مازحاً : هل هذا درس آخر تريد إيصاله لي بطريقة غير مباشرة؟

- جرب وستعرف الجواب

صوت (هاجر) مقاطعاً لحوارنا من وسط بهو المنزل : لا تجرب يا (ماجد) .. أنا جربتتها قبلك ولم تعجبني فهي مقبلة!

أجبتها مازحاً بصوت مسموع لها : لم يسألك أحد!

(هاجر) ضاحكة : حسناً يا معلمي كنت أحاول المساعدة فقط! .. أنا خارجة .. (عواد) ينتظرنا في السيارة .. لا تتأخري يا (ماجد)!

(ماجد) مستأذناً للخروج : وأنا ذاهب كذلك يا معلمي .. هل تريد مني شيئاً؟

قلت وأنا ألفت الفطيرة في منديل ورقي : ما الحالة التي ستزورونها اليوم؟

(ماجد) : طفل رضيع يصاب بكدمات متعددة في جسمه دون سبب طبي واضح

مددت الفطيرة له وقلت : هل لديك فكرة عن السبب؟

(ماجد) وهو يأخذ الفطيرة بابتسامة مجاملة : ما يحدث له تمهيد لتبديل .. أعتقد أن أمه تتركه وحده كثيراً و«وقية» ما لاحظت ذلك وقررت خطفه واستبداله

- هل تعرف لم يسمون بالـ «وقية» ؟

(ماجد) : لأن أشهر جنية كانت تقوم بذلك قبل مئات السنين كان اسمها (الوقية) ومنذ ذلك الوقت سمي كل من يقوم بمثل أفعالها بالاسم ذاته

- صحيح .. (الوقية) كانت من أعتى خاطفي الأطفال في الجاهلية ولم تتوقف حتى قتلها ساحرة عربية

(ماجد) : كنت أظن السحرة لا يكثرثون لأمر الناس

- تلك الساحرة كانت في الأصل معالجة لكنها انخرطت في السحر لاحقاً

(ماجد) : حكايتها تبدو مشوقة .. هل هناك كتاب يحكي عنها؟

- نعم .. أملك كتاباً يتحدث عن حياتها بالتفصيل في أحد فصوله ..

حكاية «عانكة ابنة عتاب» أشهر معالجة قطنت الجزيرة العربية ..

عندما تعود نهاية اليوم قم بتذكيري وسأعيرك الكتاب لتقرأه

أخذ (ماجد) قضمه من الفطيرة لتسع عيناه عجباً ثم قال : طعمها

لذيذ جداً! .. لم أعرف عنها من قبل!

قلت بخليط من المزاح والتهكم : لأنك اتبعت شعورك وكذلك كدت أن تسمح لرأي غيرك أن يوجهك .. لا تفعل ذلك أبداً .. واحكم دوماً بنفسك .. جرب كل شيء ولو لمرة واحدة على الأقل .. فالخبرة ليست كالعلم ولا تكتسب إلا بالتجربة

(ماجد) وهو يأخذ قضمة أخرى : أنا حقاً نادم على عدم تجربتها من قبل!

تبسمت وقلت : سوف أعدها لك في كل مرة أقوم فيها بإعدادها لنفسي (ماجد) : أنا أطمع في تعلم الوصفة منك - حسناً لك ذلك ..

قو طع حوارنا حينما رن هاتف (ماجد) المحمول فقال وهو يهيم بالرحيل : لقد تأخرت عليهما .. يوماً سعيداً يا معلمي!

سار (ماجد) مهرولاً تجاه باب الخروج ليلتحق بالبقية .. عدت أنا لما كنت أعمل وبدأت بإعداد وجبة أخرى ..

ظهر (دجن) من خلفي وأطل من وراء كتفي ثم قال : وش قاعد

تسوي؟

- غدائي ..

(دجن): غدا الصبح؟

- هذا الطبق يحتاج وقتاً لينضج ويجب أن أحضره باكراً

(دجن): مو كأنها ذي الهريسة ما غيرها؟

- بلي ..

(دجن): مو كنت تقول ما لها طعم وأنك تكرهها

- أنا لا أكرهها ولا أحبها ..

(دجن): ليه قاعد تسويها أجل؟

فلت وأنا أقلب محتوى القدر قبل أن أغلقه وأتركه على نار هادئة :  
اكتشفت لاحقاً أنها مفيدة

(دجن) متراجعا للخلف بضع خطوات : مفيدة لإيش؟ .. تمشي  
البطن؟

نجاهلت تعليقه وسرت نحو باب الخروج قائلاً : أنا من سيمشي ..  
في المساء وبعد عودة الجميع من يومهم الطويل اجتمعنا نحن الأربعة

على مائدة أرضية حوت أصنافاً متعددة من الأطعمة والحلويات  
جلبوها معهم من الخارج وكان فيما يبدو أنهم يريدون الاحتفال  
بمناسبة ما. قلت وأنا أجلس عند طرف المائدة الممتدة: ما كل  
هذا؟

(هاجر) وهي تضع طبقاً آخر على المائدة: عشاء بسيط للاحتفال  
- الاحتفال بماذا؟

(عواد): هما من أصرا على ذلك بالرغم من أنني أخبرتهما بأنك لا تحب  
الاحتفالات  
- وما زلت ..

(دجن) من ورائي: لأنك نفسية ..

(ماجد): اليوم أكملنا أنا و(هاجر) علاج الحالة المائة ..

- وهل هذا أمر يستحق الاحتفال؟

(عواد): أخبرتكما بأنه لن يجب ذلك

- لا أبداً لا أمانع بالاحتفال لكنني توقعت سبباً مختلفاً .. ثم إنني لا

أكل كثيراً خاصة بالليل

(عواد): اترك موضوع الأكل لي ..

(هاجر) بخيبة: ألم يعجبك ما قمنا به؟

تبسمت وقلت : بلى .. أنا سعيد لأنكما وصلتما لهذه المرحلة وهذا أمر  
يستحق الاحتفال

ابتهجت (هاجر) ودعتنا للبدء بالأكل قبل أن يبرد ..

بعد العشاء الثقيل جلست مع (عواد) نتناول القهوة ونتجاذب أطراف  
الحديث بينما قام (ماجد) و(هاجر) برفع الأطباق وتنظيف المكان وبعد  
ما انتهيا انضما إلينا لكن (عواد) استأذن بالرحيل وقال : «موعدنا غداً  
أول العصر بإذن الله ..»

(هاجر) : هل سنزور حالة جديدة؟

(ماجد) : بالعادة لا نخرج يوم الجمعة

- لن نزور حالة للعلاج غداً .. ستكون زيارة مختلفة

(دجن) : مو يوم الجمعة تروح تزور أمك ؟ .. وين ناوي تزوح ؟

(هاجر) : هل ستخبرنا عنها؟

(عواد) ملوحاً بكفه قبل أن يهم بالرحيل : تصبحون على خير

بعد ما أغلق (عواد) الباب خلفه وجّه (ماجد) نظره لي وقال : هل  
سنخرج في نزهة غداً؟

تبسمت وقلت : لا .. ستكون أشبه بالجولة الميدانية

(هاجر) : لأي غرض؟

- لرؤية نموذج لما لا أريدكما أن تكونا أو تصبحا عليه

(هاجر): لم أفهم

- أريد منكما أن تجيباني على هذا السؤال .. سبب العلل والعلاجات التي تصفانها للناس وطرق التشخيص التي تتبعانها .. لو سألكما أحد المستفيدين منها عن محتواها ومضمونها أو مصدر علمكما بها .. فهل ستخبرانه؟

(ماجد): أعتقد أنهم يستحقون مثل هذا التفسير .. لا أحد يتناول دواء دون معرفة محتواه والمريض له الحق في معرفة سبب علته ومصدرها - وأنت يا (هاجر) .. ما رأيك؟

(هاجر): لا دخل لهم فيما أصفه لهم ولماذا .. المهم أن يستفيدوا فقط وهذا هو حدود حاجتهم .. ومعرفتهم قد تقودهم وتدفعهم لاتهمامي بالسكر والشعوذة فقط لأنهم لا يفقهون معنى علاج روحياني

- هل سمعت يا (ماجد)؟ .. (هاجر) محقة .. العقول مستويات من حيث استيعابها وإدراكها للأفكار المطروحة بحيث تجد أن بعض الناس يتعامل مع الفكرة العميقة على أنها بسيطة وسطحية فقط لكونه حكم على ظاهرها ولم يتمكن من هضمها بالكامل وهذا ليس نقصاً في الفكرة أو انتقاصاً لمن لم يتمكن من فهمها ..

فقط تفاوت مقدر في القدرات .. لذا لا تقدا أي تبرير أو تفسير  
لأي حالة تعالجانها ولا تظن لوهلة أن مساعدتك لهم ستشفع  
لك عندهم كي لا يلحقوا بك الضرر

(ماجد): ضرر مثل ماذا؟

- سأعطيك مثلاً حدث عندما كنت أنا و(عواد) في أيامنا الأولى  
نقدم العلاجات .. عالجانا حالة «مس» متقدمة تعرضت لها امرأة  
عجوز تسكن في البادية بدأت تأكل اللحوم النيئة فقط مما دفع  
أبناءها للبحث عن حل لها بعد تيقنهم من أنها ليست مصابة  
بمرض نفسي عابر أو خرف

(ماجد): أكل اللحم النيء من علامات مس جن «القطون» .. أعتقد  
أنها تغطت ليلاً في الخلاء دون بسملة أو استعاذة  
- بالضبط

(هاجر): علاج هذا النوع من المس شاق ومرهق للممسوس والمعالج  
على السواء

- وهذا ما قمنا به أنا و(عواد) على مدى خمسة أيام متواصلة ..  
وبعد ما انتهينا وتماثلت للشفاء سأل أحد أبنائها (عواد) عن  
محتوى الخليط الذي كنا نسقيها إياه كل يوم

(هاجر) واضعة كفيها على فمها : وهل أخبره؟

- نعم .. وهذا ما دفعهم لإبلاغ الشرطة وتحرير بلاغ ضدنا أننا ساحران متجاهلين حقيقة شفاء أمهم من علتها

(ماجد) : وماذا حدث؟

- لم يحدث شيء .. أنا لا أتقاضى أموالاً مقابل ما أقدمه للناس لذا بعضهم يحفظ المعروف والكثير منهم يملكون سلطة ومكانة اجتماعية ولم يستلزم الأمر مني سوى إجراء مكالمة مع أحدهم ليتتهي الموضوع .. لكن المهم في القصة هو أنني أريد أن تفهموا أن الناس ليسوا دائماً مصدرراً للثقة حتى وإن كنت قد قدمت لهم خدمة أو معروفاً ولا تثقوا أبداً بأنهم سيفهمون أو يتفهمون الطرق التي نستخدمها

(هاجر) : كلامك هذا يا معلمي ذكرني بسؤال يراودني دائماً في كل مرة نخرج فيها لعلاج حالة ما

- ما هو؟

(هاجر) : لم لا نتقاضى أموالاً مقابل خدماتنا؟ .. لو فعلنا لأصبحنا من الأثرياء

- لأن هذا ليس هدفنا .. نحن حاملون لعلم ولسنا متاجرين به .. اليوم الذي تأخذان فيه مقابلاً لخدمة الناس هو اليوم الذي يحق فيه تسميتكما بالمرتزقة

(ماجد) لـ (هاجر) : هناك قيمة أعظم من المال في تقديم ومد يد العون للناس

(هاجر) : المعلم لن يصرف علينا للأبد .. ماذا سنفعل حينما نستقل عنه؟ .. كيف سندير شؤون حياتنا؟

- ابخني عن مصدر رزق آخر ولا تجعلني من «علم الأولين»  
مصدراً للتكسب

(هاجر) : لقد انسحبت من الجامعة لأتفرغ لتعليمي هنا  
- وستعودين لها قريباً .. تعليمكما شارف على الانتهاء

(ماجد) : كم بقي لنا؟

- العام الدراسي الجديد سيبدأ بعد شهر .. وقتها يمكن لأي منكما  
الرحيل .. أنتما مستعدان الآن للاستقلال بأنفسكما .. ومن يريد  
البقاء فهو مرحب به .. وبالنسبة لك يا (هاجر) سوف أستمِر  
بصرف راتبك حتى تقفي على قدميك

(هاجر) : ماذا لو أحببت إكمال دراستي وأنا هنا؟ .. أهلي لا يزالون  
يعتقدون أنني أدرس في جامعة أخرى خارج المدينة  
- كلاهما مرحب به إلى أجلٍ غير مسمى

(هاجر) : شكراً يا معلمي

(ماجد) : نحن بحق ممتنان لك

- الآن .. لنعد لموضوعنا الأصلي .. زيارتنا غداً .. كي تكوننا  
معالجين كفؤين يجب أن تلقينا نظرة على معالج محتمل وتربا كيف  
يمارس عمله .. فمثلما يوجد معالجون حقيقيون هناك العشرات  
في المقابل ممن هم جهلة مندسّون بهدف الارتزاق على أوجاع  
الناس .. فئة فاسدة تستغل ضعف هؤلاء المساكين وحاجتهم  
للعلاج لتستغلهم مادياً وجسدياً .. هؤلاء هم القطعة الفاسدة  
في مجتمعنا الروحاني وللأسف هم السواد الأعظم

(هاجر): وهذا الذي سنزوره غداً .. لم وقع عليه الاختيار بالذات  
دون غيره؟

- لأنه من أسوأهم .. يدعي أنه «شيخ» وهو «تمشيخ» حقير

(ماجد): ما الفرق بين «الشيخ» و«التمشيخ»؟

(هاجر): «الشيخ» هو شيخ الدين على ما أظن

- لا يوجد شيء اسمه «شيخ» دين .. نحن مبتلون بـ «تمشيخين»  
فقط

(هاجر): لا أفهم .. كيف لا يوجد شيء اسمه شيخ دين؟

- أنصتالي جيداً لأن ما سأقوله مهم جداً في مسيرتكما كمعالجين ..

لا يوجد شيء في الإسلام اسمه «شيخ دين» أو «عالم دين» وهذه

المصطلحات ظهرت لاحقاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

وخلفائه الراشدين من بعده ولم يلقب أحدهم نفسه بهذه الألقاب  
وكذلك الصحابة الذين عاصروهم والتابعون الذين تبعوهم ..  
لكن لتجاوز هذه النقطة الآن كي لا نغرق في بحرها الواسع  
ونكتفي بتعريف المصطلحين :

«الشيخ» لغة واصطلاحاً هو من تقدم في العمر وأدركته الشيخوخة  
وأصبح شيخاً وهي في الغالب تبدأ بعد الخمسين إلى الستين وما  
زاد على ذلك يسمى «كهنلاً» وهذا المصطلح يُطلق أيضاً على من  
يَتَقَدُّد منصباً إدارياً في بعض القرى ويسمى بـ «شيخ البلدة» بمعنى  
المسؤول عنها وفي الإسلام نُسب لمن يتفقه في الدين ويطلب علمه  
ويصل لمرحلة من الزهد والتصوف تجعله (من وجهة نظر البعض)  
حالة استثنائية من التقوى والورع ما يستلزم تصنيفه فوق البقية لذا  
استخدم مصطلح «شيخ» للمسلمين مثلما استخدم لقب «شيخ»  
البلدة و«شيخ» الصيادين و«شيخ» التجار و«شيخ» القبيلة و .. و ..  
كناية عن كبيرهم الذي علمهم العلم فلقب «شيخ» ليس أمراً خاصاً  
بالدين إنما هو تصنيف إداري بحت يضع صاحبه في مرتبة أعلى من  
غيره من الذين يمتنون مهنته نفسها أو ينتهجون منهجه نفسه أو حتى  
تابعين له .

فلمات الآن للمصطلح الآخر .. «التمشيخ» .. وهو بكل بساطة من  
يظاھر خارجياً بأنه «شيخ دين» ومن داخله خواء ولا يملك أيّاً من

المقومات التي تجعله مستحقاً لذلك اللقب وللتوضيح أكثر لو أن شخصاً لبس لباس الصيادين واشترى أدواتهم وبدأ يخاطب فيهم ويتحدث معهم ويأمر وينهى بينهم فهذا لا يجعل منه «شيخاً» عليهم إذا لم يكن بالفعل خبيراً بأمورهم ومعترفاً به منهم.

وهكذا الحال مع كل من يدعي المشيخة فيما عدا مشيخة الدين للأسف فتقصر تفاصيل الشكل الخارجي لما يعرف بـ «شيخ الدين» سهل جداً وتنطلي بسهولة على المغييين ولن أخوض فيها لأن أغلبنا يعرف ماهي (هاجر): لم يصدقهم الناس إذا ويسرون خلفهم؟

- المصيبة الحقيقية هي أن بعض «التمشيخين» ظاهرياً لم يدعوا يوماً أنهم أصحاب حل وعقد لكن الناس يزكونهم قولاً وعملاً ويقدمونهم على غيرهم ويبجلونهم ويدفعونهم دفعاً كي يبدووا بالتكلف والتظاهر بالوقار وهم في الأصل ربما لم ينووا ذلك لكن مغريات الاحترام والتبجيل تكون أقوى منهم فيضطرون للانخراط في تلك التمثيلية التي تدر عليهم مكاسب مادية واجتماعية لا تحصى مما يقود هذا النوع من «التمشيخين» لسيان نفسه أحياناً أو بالمعنى الدارج «يصدقها» ويبدأ بالدخول في نقاشات محمومة ويسترسل بالتنظير في التحليل والتحرير ويصل لمرحلة من تصديق الذات يظن فيها نفسه نبياً.

(ماجد) : لم يفضلون «التمشيخ»؟ .. لم لا يحتالون على الناس بطرق أخرى؟

- قناع التقوى هو المفضل للشر دوماً .. فهو أكثر الأقنعة سهولة في الارتداء وبنياً للطمأنينة والطعم الأنسب لكل فريسة حذرة

(ماجد) : ومن سنزوره غداً من هذا النوع؟

- بل أسوأ .. هذا المجرم حكى لي عنه (عواد) قبل فترة وشدتني طرقة المقيتة في التشخيص أو بالأحرى في التحرش بمن يلجؤون إليه إن صح التعبير فبدل أن يبصق بركته على المعتل كالمعتاد والشائع اتخذ وسيلة أخرى لإيصالها

(هاجر) : وماهي تلك الطريقة؟

- باللحس ..

(هاجر) بتعرف : اللحس؟

- نعم .. هذا التمشيخ الوضع يلحس ضحاياه وأماكن العلة فيهم مدعياً أن تلك الطريقة لها تأثير أقوى لإيصال بركته من مجرد البصاق .. يلحس الأيدي والأعين والرؤوس وأي شيء يريد به بحجة العلاج .. والمؤسف أن الناس لا يبدون أي مقاومة لأن أنفسهم مكسورة بسبب المرض ومستعدون للتضحية بأي شيء في سبيل التخلص من ألمهم

(ماجد) : ماذا لو كانت العلة في قدمي؟

- سؤال وجيه ..

(هاجر) : وهل يمارس هذه الطريقة المتفرقة مع الجميع؟

- ماذا تقصدين؟

(هاجر) : أقصد الجميع ..

- في الحقيقة القصص التي رواها لي (عواد) مقززة .. حتى الأطفال لم ينجوا منه والمحزن أن ذلك يحدث تحت مرأى ومسمع أهلهم ورضاهم .. أبشع مثال ذكره لي (عواد) كان لفتاة فقدت النطق ادعى أن لحس لسانها سيعيد القدرة لها على الكلام

(دجن) من الخلف : هذا قطو مو شيخ ..

(ماجد) : ما الهدف من زيارتنا يا معلمي؟ .. ما سمعته فقط أثار غضبي ولا أريد أن أراه أمامي كي لا أنهال عليه بالضرب

- ولأننا سمعنا فقط لن نحكم قبل أن نرى بأعيننا فحتى ما نقله لي

(عواد) جميعها قصص وروايات ويجب أن نتحقق بأنفسنا

(ماجد) : وكيف ستتحقق؟

- لدي خطة ..

(دجن) متهكماً : شناوي عليه؟

(هاجر) : خطة ماذا؟

- سيأخذنا (عواد) غداً لمنزله وهو نفسه المقر الذي يزاول فيه عمله المشبوه وسندعي أن (هاجر) ابنتي وسنحاول الدخول عليه لرؤية حقيقة ما يروى عنه

(هاجر) باسمه بتغنج : ومن ماذا سأشكو يا أبي؟

(دجن) : هذي شفيها مبسوطه؟

- لا يهم .. عندما ندخل عنده ونقف أمامه وقتها سأفكر بشيء ..  
اخلدا للنوم الآن وكونا جاهزين غداً ..

ضحكت (هاجر) وتبسم (ماجد) ..

استغربت مما قاما به وسألت : ما بكمما تضحكان؟

(ماجد) واضعاً يده على فمه مخفياً ابتسامته : المعذرة يا معلمي لكن في كل مرة تطلب منا النوم لا نستطيع حجب ضحكاتنا

(هاجر) دون أن تقيد ضحكتها : نحن لا ننام إلا قبيل الفجر كل يوم  
ولساعة واحدة على أكثر تقدير!

(ماجد) : منذ أن فعلت لنا هالاتنا ونحن على هذه الحالة

- ماذا عن الخواتم؟ .. ألم أخبركما بأن تستخدماهما للتخفيف من  
أثرهاتكما المفعلة؟

(هاجر) : في الحقيقة تلك الخواتم تضعف الكثير من قدراتنا التي اكتسبناها بعد التفعيل ولا نحب ذلك

- الراحة مهمة ويجب أن تتعلما الموازنة بين قدراتكما الروحية وحاجاتكما الجسدية

(ماجد) : حاضر يا معلمي

(هاجر) وهي مستمرة بالضحك : ربما سأطلب من شيخ «اللحس» أن يلحس عيني كي أحصل على بعض النوم!

ضحك (ماجد) وتبسمت أنا قبل أن أنهض وأتركهما يضحكان ويتسامران بقية الليل في مجلس الدروس ..

صعدت لغرفتي ولبست خاتمين واستلقيت على فراشي مغمضاً عيني باسماً ..

حينها حدثني (دجن) دون أن يظهر شكله وقال : برد قلبك؟ .. نقلت علمك ..

أجبتة دون أن أفتح عيني وقلت : نقلت المفيد منه فقط ..

(دجن) : أتمنى أنك ما تندم زي كل مرة

- فات الأوان على الندم .. أنا الآن أحاول التكفير عن أخطاء  
الماضي فقط ..

(دجن): ومتى ناوي تكفر عن أكبر غلطة فيهم؟  
مددت يدي في جيبى فقال (دجن): ما يحتاج .. أنا ماشي ..

## الدوائر الخمس

في اليوم التالي وكما هو الاتفاق كان (عواد) بانتظارنا أول العصر خارج المنزل وخلال وقت قصير ركبنا جميعاً معه وتوجه بنا لوجهتنا المنشودة .. منزل المتمشيخ ..

خلال الطريق دار بيننا حديث قصير في حضور خامس الخمسة (دجن) الذي لم يبخل علي بتعليقاته المستفزة من وقت لآخر ..

(هاجر) من المقعد الخلفي وقد وضعت بعض الزينة على غير عاداتها : متى سنصل؟

(ماجد) الجالس بجانبها ممعناً النظر إليها : ما هذه المساحيق التي تضعينها على وجهك؟

(هاجر) بتهكم : ألم تعجبك؟

(عواد) ناظراً لها من خلال المرآة العلوية : تبدين كساحرة حقيقية

(هاجر) تمد لسانها له ساخرة : لا تنظر إذا وقد بصمت!

(دجن) من الصف الثالث للمقاعد : البنت عايشة الدور بزيادة ..

(هاجر) : وأنت يا معلمي .. ألا تجدني مثيرة؟

وجهت نظرة خاطفة نحوها ثم قلت وأنا أحرق أمامي : بلي ..

(هاجر) بابتهاج : حقاً؟!

- نعم .. مثيرة للشفقة ..

ضحك البقية عليها لكنها لم تكثرث وقالت : لا يهمني رأيكم!

- لم وضعت هذه المساحيق؟

(هاجر) مدعية الغباء والبراءة : أليس من المفترض أن أغرر بالشيخ  
كي نكشفه؟

(دجن) : أنا قایل لكم إن الوضع عاجبها وما صدقتوني

- نحن فقط ذاهبون لرؤية محتمل وهو يمارس عمله وللتحقق من  
الادعاءات التي تحوم حوله .. ولا نحتاج للتغريب أو الإيقاع به

(ماجد) : ألن نوقفه؟

- هذا ليس عملنا ..

(عواد) : يمكننا إبلاغ الشرطة عنه بعد ما نتحقق

- بلاغ مثل هذا لن يؤخذ على محمل الجد دون كشف هويتنا

ونحن لا نحتاج لهذا النوع من لفت الانتباه خاصة وأنا نوعاً ما

نعمل في المجال نفسه مع اختلاف الأساليب والنوايا .. لذلك

لن نفعل

(هاجر): لم لا نصوت؟

- عندما يكون القرار بيد الجميع سننتهي بفوضى .. أنا صاحب القرار النهائي وهو أننا سنذهب للتحقق والمشاهدة فقط

(هاجر) بخليط من الغضب والإحباط: كيف نتركه وشأنه؟! .. يجب أن يعاقب!

(دجن): شفيها سحيلة عصبت؟

- كي نُنظف شيئاً يجب أن يتسخ شيء آخر .. إن كنتِ تنوين القيام بشيء متهور فلن آخذك معي وسأخذ (ماجد) عوضاً عنك (دجن): خل الولد بحاله ..

صمتت (هاجر) عاقدة أذرعها بوجه متجهم ..

وجهت حديثي لـ (عواد) وقلت: كم بقي حتى نصل؟

(عواد) مشيراً بسبابته أمامه: منزله يقع بعد ذلك المنعطف .. ستعرف أننا وصلنا حين ترى الازدحام والتجمهر خارجه

- لم يتغير شيء ..

وصلنا للموقع وكما قال (عواد) كان التزاحم عند مدخل منزل «التمشيخ» مشيراً للدهشة والحزن في الوقت ذاته .. تذكرت منزل «الشيخ العماني» وكل الشيوخ الذين أجبرت على زيارتهم وسرحت في ذلك القطيع الأعمى الذي يجاهد للدخول على حامل السكين.

(هاجر) : متى سندخل؟

انقطع سرحاني وقلت وأنا أفتح الباب وأترجل من السيارة : الآن ..  
هيا اتبعيني

(دجن) : موفقين .. خذوا مناديل معكم

سرت و(هاجر) من خلفي ووقفنا أمام الجمع الغفير نراقبه حينها  
قالت : هل تسمح لي بسؤال يا معلمي؟

- قولي ما تشائين ..

(هاجر) : هل تكره الجمال؟ .. هل لأني جميلة وفاتنة تعاملني بقسوة؟  
- مشكلتي ليست مع الجميل أو القبيح بل الجميل جداً والقبيح  
جداً ..

(هاجر) بأسمة : هذا إطراء مبالغ فيه أنا لست بذلك الجمال أو ربما لا  
أعي ذلك

- أنا لم أقل بأنك جميلة جداً ..

(هاجر) تتجههم ولم تقل شيئاً ..

- هل لديك سؤال آخر؟

(هاجر) بعبوس : لا .. كيف سندخل الآن؟

- سنستخدم طريقة أُمي ..

(هاجر) بتساؤل : طريقة ماذا ..؟

أخرجت محفظتي من جيبي وسحبت مبلغاً كبيراً منها وبدأت أظهار  
بعده ولم يمضِ وقت حتى اقترب منا رجل يلبس ثوباً أبيض قصيراً  
ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وقال وهو يفرك كفيه بعضها  
ببعض : «هل يمكن أن أخدمك يا سيدي ..؟»

أجبت دون أن أنظر لوجهه وقلت : أريد مقابلة الشيخ .. ابنتي مريضة  
ولا أملك الوقت للانتظار

أجاب قائلاً : الانتظار للرعاع أما أنت يا سيدي فيمكنك الدخول  
حالاً

مددت له مبلغاً من المال وقلت : قد الطريق إذا ..

حنى الرجل رأسه ومد كفه تجاه الباب وقال : من بعدك وبعد الأميرة  
الجميلة

سرت وتبعني (هاجر) التي أمسكت يدي وسارت بقفزاتٍ صغيرة  
وقالت : لقد قال عني أميرة!

- مقابل المال الذي أعطيته إياه سيقول كذباتٍ أكثر لو أتحت له  
الفرصة ..

خلال دقائق كنا أمام «الشيخ» المزعوم ..

أول فكرة طرأت ببالي عندما رأيت وجهه المقيت هو كيف أن أشياء كثيرة تتغير وتتطور حولنا مع تقدم الزمن عدا هذه الطريقة القديمة في الاحتيال .. كيف تمكن هؤلاء المحتالون من الاستمرار والازدهار بهذا الشكل؟ .. سرطان مهما ضمير يبقى كامناً لفترة ليعود وينمو مجدداً بمناعة أقوى وفتك أشد. كنت أريد التحدث بما كان يثور به جوفي لكنني منعت نفسي لأني أسير على مبدأ: «لا تثق بالأفكار التي تحثك على الكلام دائماً ..» والصمت غالباً في بعض المواقف منجاة.. كنت ومازلت مؤمناً بذلك ..

تحدث صاحب البركة وهو يتمعن في (هاجر) التي بالغت في تمثيلها دور الفتاة البريئة وأخذت تمضغ لبانة وتلعب بخصلة شعر تدلت من غرتها بسبابتها وبادلته نظراته حين قال بنبرة متكلفة : من منكما المعلول؟

أجبت وأنا أحاول منع نفسي من إظهار تقلب معدتي من تمثيله الفاشل وقلت : ابنتي .. تعاني من الكوابيس والكدمات ومغص مستمر (التمشيخ) : أحتاج أن أشخصها بنفسي قبل أن أقدم لها العلاج

- شخص .. من منعك؟

(التمشيخ) : هل ابنتك عزباء؟

- وما دخل هذا بتشخيصها؟

(التمشيخ): من المهم أن أعرف إن كانت قد تزوجت من قبل

(هاجر) بنبرة غبية: أنا مطلقة!

نظرت لها بتعجب لكنني لم أقل شيئاً ..

(التمشيخ): إذاً عزباء وليست عذراء

كنت أحاول كظم غيظي وتقرفي خلال ذلك الحوار المثير للغثيان

وإظهار نفسي كالأب المهتم والقلق على ابنته كي يطمئن ذلك الخبيث

بأني مسلم ومستسلم له ولما سيفعل ..

(التمشيخ): اتركني معها وحدنا .. سوف أفحصها ثم أقرأ عليها رقبة

خاصة

- أي قراءة تستوجب ترك فتاة في هذا العمر وحدها؟ حتى

الطبيب لا يفعلها! ..

(التمشيخ) وقد تجهم: اذهب للطبيب إذاً ليعالجها! .. لكن تذكر أنها

تعاني من علة كبيرة ولن تشفى إلا بعلاجي!

- وما هو علاجك؟

(التمشيخ): سأحدده بعد فحصها أكثر

- لا، شكراً .. سنخرج وسنعود لاحقاً

(هاجر) واضعة كفها على كتفي ماسحة برفق: اتركني معه يا أبي فأنا

لا أمانع

بالرغم من استيائي واستغرابي لما فعلته (هاجر) إلا أنني لم أعلق  
وخرجت من المكان وحدي وتوجهت مباشرة للسيارة ..

(عواد): أين (هاجر)؟

- بقيت بالداخل ..

(ماجد): لماذا؟ .. هل حدث شيء؟

أجبتُه وأنا سارحٌ أمامي : أسألها عندما تعود ..

(دجن): شكله لحس مخك وخلاك تنسب الي أنت جاي عشانه

لم تمضِ دقائق بعد عودتي حتى بدأنا نسمع أصوات صرخات جماعية  
آتية من وسط المنزل تبعها اندفاع وخروج أعداد كبيرة من الناس وعلى  
وجوههم ملامح الفاجعة والجزع وكأن حريقاً قد نشب بالمكان.

(ماجد) مطلاً برأسه من النافذة المفتوحة : ما الذي يحدث؟

شاركه (عواد) النظر وهو ممسك بكلتا قبضتيه على مقود السيارة :

أعتقد أن (هاجر) قررت إغلاق متجر الشيخ ..

بعد خروج جميع الناس جرياً خرجت بعدهم (هاجر) وسارت نحونا

بخطوات بطيئة حتى ركبت السيارة وعيناها تتفجران جنوناً ..

ماجد صارخاً فيها بعد ما شاهد فمها ويديها ملطخة بالدماء : ماذا

فعلت؟!!

(هاجر) بهدوء ماسحة كفيها ببعض المناديل التي سحبتها من أمامها :  
لا شيء يستحق الذكر ..

(عواد) : فصلي أكثر عن هذا الشيء الذي لا يستحق الذكر  
بالرغم من أني لم ألتفت ورائي وبقيت سارحاً أمامي متجاهلاً وجودها  
إلا أني شعرت أنها وهي تشرح ما فعلته كانت تنظر إليّ حينما قالت  
بنبرة باردة كالثلج :

«قضمت لسانه بأسناني وقطعته عندما حاول تقبيلي وفقأت عينيه  
بأصابعي وكسرت معصميه ..»

(دجن) : كفوا! .. مشمّوخة بس كفوا!

(عواد) : نحن لم نأت هنا لهذا الغرض يا (هاجر)

(هاجر) ملتفتة على (ماجد) وبنبرة ساخرة : وما رأيك أنت؟

صمت (ماجد) ولم يرد ..

أجبت عنه وأنا أغلق النافذة المفتوحة : لقد ارتكبت جريمة ..

ضاحكة بلا اكتراث وهي ترمي بالمناديل الملطخة بالدماء تحت أقدامها :

أعرف يا معلمي .. هل ستسلمني للشرطة؟

استدرت ووجهت نظري لعينيها المحدقتين بي وقلت : لا .. تحرك يا

(عواد) وعد بنا للمنزل

(هاجر) مبتسمة بفم ملوث بالدم الجاف : لم تنظر لي هكذا؟ .. أنا  
لست مجنونة

- لكنك تفكرين كواحدة منهم ..

(هاجر) : وهل المجنون يفكر؟

- الجنون ليس سوى فرط في التفكير .. وليس كل المجانين يهدون  
ويصرخون ..

(هاجر) : أعرف يا معلمي فأنا أتحدث مع أحدهم كل يوم ..

- ستحصدين ما زرعته يداك ..

(هاجر) : هل ستوبخني أو تعاقبني؟

أعدت نظري للأمام وقلت : أنت لست طفلة كي أوبخك .. هذا كان  
قرارك في النهاية .. والعاقبة أحياناً تكون أشد من العقاب ..

خلال طريق العودة لم يتحدث أحد لكنني كنت متيقناً أن الجميع كانوا  
يخوضون حواراً مع أنفسهم بمن فيهم أنا .. لن أنكر أنني أحببت ما  
قامت به (هاجر) لكنني لم أحب أنها تصرفت من نفسها دون الاستئذان  
أو الرجوع لي وهذا كان دليلاً كافياً لي على أنها وصلت إلى أقصى حد  
يمكنها الوصول إليه معي كتلميذة ولن ترقى أو ترتقي أكثر من ذلك ..  
فأول مؤشر للاكتفاء والشبع هو التمرد والثورة على أي نظام مقيد وكل  
تمرد سيتبعه تمرد أكبر لا محالة.

فمن يجد صعوبة ومشقة كبيرة خلال مجاهدة النفس بالقوة على الانضباط ومنعها من الانحراف فليعلم مسبقاً أنه في الغالب سينكسر في نهاية المطاف. لذا تجد أن أشد المنحرفين كانوا غالباً من عتاة الملتزمين. تلك الفتاة كانت عاقدة العزم على إخراج أسوأ ما فيَّ لذا اتخذت قراراً لا رجعة فيه كي لا أبقى مخادعاً لنفسي وإحساسي الذي لم يخذلني من قبل لكنني أخذته على الدوام بعدم الإنصات إليه. بعد وصولنا وترجلنا جميعاً من السيارة دخلنا نحن الأربعة بهو المنزل وقبل أن يتفرق الجميع قلت :

«اليوم كان بداية فصل جديد في مرحلة تعليمكما .. ونهاية أخرى ..»  
(هاجر) : وما هي المرحلة التالية؟

- أياً كانت فأنت لن تكوني جزءاً منها ..

(هاجر) وهي مصدومة : ماذا تقصد يا معلمي؟

شاركها (ماجد) الصدمة ذاتها لكن (عواد) لم يكن متفاجئاً ..

- سوف تجمعين حوائجك الآن وترحلين في الحال .. انتهى

تعليمك

(هاجر) بخليط من القهر والسخط : لماذا؟! .. ماذا فعلت؟! .. هل

هذا بسبب الشيخ المتحرش لقد كان يستحق...

قاطعتها بقول : السبب هو أنكِ تصرفتِ دون الرجوع إليَّ

(هاجر) محاولة تدارك الأمر بالتوسل : حسناً اعتذرا! .. ولن أكررها! ..  
لكن أرجوك لا ..

- أنا لن أسمح لك بتكرارها بآلا أعطيك الفرصة لذلك .. أنا  
لست هنا لتربيتكم بل لتعليمكم .. لديك حتى مغيب الشمس  
لتبختي لك عن مكان آخر لتقييمي فيه .. (عواد) سيساعدك لو  
احتجت لذلك

(هاجر) بصوت مشحون بالعبرات : ما هذا الظلم؟! .. أشعر أنني  
أحاسب على جريمة ارتكبت في .. هذا ليس عدلاً!!

- لم تكن الحياة عادلة قبلاً فلماذا تتوقعين أن تكون اليوم ..؟

(هاجر) صارخة بسخط وأعين دامعة : لا أريد منكم شيئاً!  
توجهت بعدها (هاجر) ودخلت غرفتها وأغلقت الباب خلفها بقوة ..  
وجهت حديثي لـ (عواد) وقلت بهدوء : لا ترحل إلا وهي معك .. أنا  
سأخرج لزيارة أمي فقد تأخرت عنها اليوم ..  
هز (عواد) رأسه بالموافقة ..

(ماجد) : وماذا عني؟

- ماذا عنك؟

(ماجد) : هل أرحل؟

- هل تريد الرحيل؟

(ماجد) : بالطبع لا

- إذا لا تسأل ..

استدرت وتوجهت للسلام المؤدية للطابق العلوي وصعدت لغرفتي للاستحمام وتبديل ملابسني قبل خروجي لزيارة أمي وقبل أن أفعل سمعت بابي يُطرق ..

في العادة لا أسمح لأحد بزيارتي في الغرفة وأي أمر طارئ يحدث أقوم أنا بالنزول بعد ما يتم التواصل معي هاتفياً وهذا الأمر لم يكن عرفاً بل توجيهاً مني منذ أن انتقلت لهذا المنزل والتزم الجميع به حتى (عواد). فتحت الباب لأجد (هاجر) تقف وزاءه بأعين حمراء ووجه مرهق من البكاء وحينما وقعت عيناها عليها أنزلت رأسها وقالت بنبرة نادمة : «أتيت للاعتذار .. أرجو أن تقبل اعتذاري ..»

- قدومك إلى هنا لن يغير شيئاً ..

(هاجر) : دعني أعتذر منك بطريقتي

هممت بإغلاق الباب لكنها بسطت كفها على سطحه ومنعتني قائلة بنبرة متوسلة : أرجوك .. أنا لم أكتف من العلم

- يبدو أنني نقلت علمي للوعاء الخاطئ .. هذا أقصى ما يمكنك استيعابه ..

(هاجر) وقد بدأت نبرتها تتغير للسخط : أنت السبب! .. أنت من لا

يريد تعليمي! .. تريد الاحتفاظ بعلمك لنفسك وتخشى أن أتفوق عليك! .. لأن نجاحي يربك!

- النجاح يبحث عن «شمعة» لتتير مساره نحو إكمال طريق النجاح والفاشل يبحث عن «شعاع» ليعلق عليها فشله ..

(هاجر): أنت مخطئ! .. أنا قادرة على الوصول بدونك لمراحل أبعد بكثير! .. أعلى حتى منك! .. وسترى!

أجبتها ببرود قبل أن أغلق الباب في وجهها عنوة : بالتوفيق في مسعاك ..

خلعت ملابسني ودخلت دورة المياه وأخذت حماماً ساخناً طويلاً خرجت بعده ومنشفة بيضاء تلفني كإزار وأخرى حول عنقي وقبل أن ألبس ملابسني لمحت اتصالاً فائتاً من أخي فجلست على طرف فراشي الأرضي وعاودت الاتصال به ووجدته يستفسر عن عدم حضوري اليوم لزيارة أمي وأبي على الغداء كما هو معتاد كل جمعة فأخبرته بأني انشغلت قليلاً وأنا الآن في الطريق لكنه قال لي بأنه مر بهما مع زوجته وخرجوا معاً فطلبت منه أن يبلغهما سلامي على وعد مني بأن أزورهما أول صباح اليوم التالي لتناول الإفطار عندهما.

بعد ما أنهيت المكالمة وجهت نظري أمامي وبقيت أتأمل بصمت ..

(دجن) من إحدى زوايا الغرفة : شفيك ما لبست؟

أجبتة وأنا سارح : وما شأنك أنت؟

(دجن) بتهكم : كك زعلان

- هل يمكن أن أحظى ببعض الهدوء؟

(دجن) : لهذي الدرجة راح توحشك المشموخة؟

نهضت من مكاني وبدأت أتجول في الغرفة دون أن أرد عليه وهو

مستمر بالحديث معي ..

(دجن) : هذي نهاية نقل علمك .. ضيقت شهور على الفاضي .. وفي

لحظة هدمت كل شيء

- ولم أنت مهتم هكذا؟

(دجن) : لأنك بتتحسف وبتقعد تهوجس وأنا اللي بتحمل غثاك  
وقتها ..

- أنا لا أحمل تجاهها أي مشاعر .. لا ضغينة أو معزة .. لذلك  
اطمئن

(دجن) بسخرية : أنا عن نفسي مصدق والدليل أنك قاعد تحوم  
بالغرفة كك فار محبوس

- ماذا كنت تريدني أن أفعل؟

(دجن) بتأنيب : ما تقربها منك من الأساس .. من شفقتها قلت لك

إنها خطر عليك لكنك ما تسمع إلا لنفسك .. أزعجتنا بسالفه لا أحد  
يسمع لقلبه ولازم يسمع لعقله وأنت أول واحد يخالف هالكلام!

- أنت تحاول افتعال مشكلة من لا شيء .. لم يحدث ما يستدعي  
الندم .. ولم أخسر ما يستحق الحسرة عليه ..

(دجن) وهو يسير نحو فراشي ويقف بجانبه ويرمقني بنظرة تحدُّ :  
متأكد ..؟

في تلك اللحظة شعرت بصدمة تصعقني .. حينما وقعت عيني على  
الرف فوق فراشي الأرضي .. الرف الذي حوى على كتب (عمار)  
الخمسة المهترئة .. كانت أربعة فقط ..

(دجن) بنبرة متشمتة : تعيش وتاكل غيرها يا بوقلب حينئذ ..

لم أجب عليه وبقيت أهدق بالفراغ بين الكتب ..

(دجن) : عمرك ما راح تتعلم .. من أول يوم كان واضح أنها مو مهمة  
تتعلم منك خرابيط الأولين وعلاجاتك المخيسة .. كانت نيتها تتعلم  
السحر وتمسكنت لحد ما تمكنت ولعبت عليك وخذت اللي تبيه منك  
في النهاية وهجت

- وما المشكلة؟

(دجن) : أيواااا .. بدينا بالاستعباط

- لا أبداً .. لقد خلصتني وحررتني أخيراً من هم أحد تلك  
الكتب .. فلم أكن أستطيع منحه لأحد دون أن أشعر بتأنيب  
الضمير .. بسرقتها للكتاب أسقطت قطعة من حمل ثقيل أثقل  
كاهلي لسنوات طويلة دون أن أحمل ذنب نقل لعنته لغيري  
وأصبحت مشكلتها الآن .. دوامة جديدة ستبدأ معها .. بعيداً  
عني ..

(دجن): أنت من جدك تتكلم؟

- فهتمت الآن شعور الراحة الذي أحس به قريبي الذي قدم لي  
أول كتاب أدخلني لهذا العالم .. لدي رغبة غير مسبوقه للنوم ..  
النوم لمدة طويلة ..

مددت يدي تحت الوسادة لألبس الخاتم الذي يساعدني على النوم  
لكنني لم أجد أيّاً من خواتمي ..

ضحك (دجن) وقال قبل أن يختفي : شيك قبل ما تنام إذا ما سرقت  
ثيابك بعد!

لم أخبر أحداً بما فعلته (هاجر) وأمرت (عواد) بالتوقف عن جلب  
الحالات العلاجية للتركيز على ما كنت أنوي القيام به وهو تهيئة  
(ماجد) ليكون أفضل ما يمكن أن يكون عليه وقررت مضاعفة عدد

الساعات التي نقضيها معاً للتعليم وقد لاحظ ذلك مما دفعه للتساؤل  
في أحد الأيام: هل هناك أمر استجد يا معلمي؟

- ماذا تقصد؟

(ماجد): ألاحظ أننا نسير بوتيرة أسرع من السابق وكأننا في سباق مع  
الزمن

- نحن بالفعل كذلك لأنني أريد الانتهاء

(ماجد): الانتهاء من ماذا؟

- مما بدأت .. تقديم كل ما أستطيع لتلميذي الأول .. والوحيد ..

(ماجد): ماذا عن (هاجر)؟ .. أعرف أنها رحلت عنا لكنها كانت  
أحد تلاميذك

- بداية فشلك وهزيمتك هي عندما تقتنع بأنك نجحت

وانتصرت .. و(هاجر) خسرت الكثير برحيلها ولم تحصل على

ذرة مما يمكنني منحه لها .. خلاصة علمي الحقيقية احتفظت بها

بنية تقديمها لكما في نهاية مرحلة تعليمكما وكل ما سبق لا يعادل

ما سأمنحه لك وحدك .. لقد فشلت (هاجر) في أهم اختبار ..

اختبار الثقة .. وخسرت جوهر علمي وخلاصة خبرتي فأنا لم

أكن أبحث عن شخص ذكي أو فطن فقط لينقل علمي .. كنت

أريد شخصاً جديراً بالثقة كذلك

(ماجد) : هل حقاً تثق بي يا معلمي؟

تبسمت له واضعاً كفي على كتفه قائلاً : ستعرف حينما تسمع وترى ما سأعلمه لك الأيام القادمة من «علوم الأولين» ..

بعد مضي ما يقارب الشهر من التعليم المكثف أصبح (ماجد) متمكناً وملمّاً بمعظم جوانب «علم الأولين» التي نهلتها من مكتبة (عمار) بالإضافة للكثير من العلوم الأخرى الخاصة بالجن والشياطين وعندما وصل للمرحلة التي أردته أن يصل إليها كان لا بد أن أعلمه بأمرٍ أخفيته عليه منذ أول يوم التقيته فيه.

قررنا أنا و(ماجد) الاجتماع كما اعتدنا كل يوم في «مجلس الدروس» أول الصباح لكن هذه المرة تفاجأ برؤية (عواد) حينما دخل للمجلس والذي لم يكن يوجد إلا عند الظهيرة جالِباً معه الغداء وحينما جلس معنا تبسم وقال :

«هل سيحضر (عواد) الدرس معنا اليوم؟»

- لم يتبقَّ شيء لأعلمك إياه يا (ماجد) .. لقد حان وقت الخطوة الأخيرة

(ماجد) بخليط من التوتر والتوجس : خطوة ماذا؟

- يجب أن ترحل وتقطع كل صلتك بي ..

(ماجد) وهو مصدوم : م .. لماذا؟ .. لقد قلت لي في السابق إن بإمكانني المكوث هنا بالقدر الذي أشاء .. هل اقترفت شيئاً ما أغضبك أو أزعجك؟

- على العكس تماماً .. لقد كنت الشخص المثالي الذي طال بحثي عنه لسنوات .. الوعاء الملائم لحمل وتحمل كل ما سكبته فيه وقد حان وقت تقديمك

(ماجد) : تقديمي؟

- تقديمك للعالم .. لن تستفيد من هذا العلم وتفيد غيرك إذا بقيت بجانبني يجب أن تطير من العش وألا تعود أبداً

(ماجد) : أشعر بأنني لست مستعداً .. أريد أن أكمل تعليمي معك

- الشيء الوحيد الذي يجب عليك إكماله الآن هو حياتك ..

(ماجد) : لا أستطيع أن أرحل بهذه البساطة .. ألا تخشى أن أتخلى عن

كل شيء وأتوقف ولا أكمل مسيرتك وأخرج من هذا العالم برمته؟

- لا يوجد سوى باب واحد لهذا العالم .. وهو للدخول فقط ..

وأنت قد ولجت فيه وانتهى الأمر ..

(ماجد) : وأين سأذهب؟ .. وماذا سأفعل؟

- مخصصاتك المالية الشهرية سأستمر بصرفها لك لمدة عام وهذا

سيكون كافياً لك لتنهض على قدميك .. وبعدها ستقطع هي

\* الأخرى ..

(ماجد) : حسناً .. فهمت قصدك .. سأرحل .. لكن هذا لا يعني أننا لن نتواصل

- بل يجب أن تنساني وتنسى أي علاقة شخصية ربطتنا معاً في الماضي .. انس كل شيء عدا ما لقتك إياه .. ما كان بيننا لم يكن علاقة اجتماعية .. أنت كنت بالنسبة لي إرثاً وأثراً أردت تركه ويوماً ما يجب أن تقوم أنت بالمثل وتورث علمك لغيرك .. «علم الأولين» يجب ألا يندثر .. هذه وصيتي الأخيرة لك

صمت (ماجد) ولم يقل شيئاً لكن ملامح وجهه حكى الكثير ..

- سوف أذهب لأخذ قسطاً من الراحة وعندما أعود لا أريد أن أراك هنا ..

نهضت من مكاني ونهض هو الآخر مع (عواد) الذي تقدم نحو باب المجلس وهو يقول : سأكون بانتظارك في الخارج يا (ماجد) كي أقلك حيث تشاء .. خذ وقتك في جمع حوائجك

أنزل (ماجد) رأسه حزناً ولم يقوَ على الرحيل فقلت له قبل أن أرحل أنا كذلك : «أجبني على هذا السؤال الأخير ..»

رفع (ماجد) رأسه وكان من الواضح أنه يصارع نفسه على عدم البكاء وقال : تفضل يا معلمي ..

- كيف تقيم أهمية أحد؟

(ماجد): لا أعرف ..

- بقدر عدد من سيفقدونه إذا اختفى فجأة ..

(ماجد): إذا فأنا أقل الناس أهمية على هذه الأرض فلن يفتقدني أحد لو اختفيت فجأة

- إذا قم بتغيير ذلك .. كن مهماً ومفيداً لأكثر عدد من الناس  
تستطيع كي يفتقدوك حينما ترحل عن هذه الدنيا

(ماجد): ماذا عنك يا معلمي .. هل ستفتقدني؟

تبسمت وتقدمت خطوة نحوه وعانقته ثم سرت بعدها خروجاً من  
المكان ومن حياته للأبد ..

بعد ما انتهى (ماجد) من جمع ونقل متعلقاته قام (عواد) بإيصاله  
لفندق وسط المدينة ليبقى فيه مؤقتاً حتى يجد له سكناً دائماً. ترجل  
الاثنان من السيارة وخلال نقل الحقائب والصناديق لوسط الفندق  
وقفا يتحدثان بينما أشعل (ماجد) سيجارة دخنها بأنفاس ثقيلة ووجه  
مكتئب.

(عواد) باسمًا محاولاً التخفيف عنه : ما بك؟ .. الأمر ليس بهذا  
السوء؟ .. ألم تمل من البقاء معنا؟

(ماجد): يعز عليّ فراقكما .. فراق المعلم بالذات

(عواد): صدقني أن هذا مقدر منذ البداية .. هو بالكاد يتحمل

وجودي حوله .. ليس كرهاً في .. لكنني أعتقد أنه يخشى على من يحبهم  
من الوجود حوله بشكل دائم لذا يختار إبعادهم ..

(ماجد) : هل يمكن أن نبقى نحن على تواصل على الأقل؟

(عواد) : أنا وأنت نعلم أن التواصل معي هو تواصل غير مباشر معه  
وهذا ينافي رغبته ..

(ماجد) : أنا ما زلت لا أفهم سبب ما يقوم به .. بدأت أشك بأنه  
لم يكثر لي منذ البداية ولم يكن لي أي مشاعر ود وأنه استخدمني  
واستغلني فقط

(عواد) : هل عانقك من قبل؟

(ماجد) : ماذا؟

(عواد) : هل .. عانقك؟

(ماجد) : آه .. نعم .. اليوم .. قبل أن يرحل لغرفته

(عواد) : إذا فهو يكثر لك .. وكثيراً ..

(ماجد) : ممازحاً بحزن : وكيف أعرف أنه ليس «مندساً»؟

(عواد) ضاحكاً : صدقني كنت ستعرف فهم لا يجيدون التعبير عن  
مشاعرهم

(ماجد) : مثل المعلم ..

(عواد) : صدقني هو مستاء أكثر منك على هذا الفراق

(ماجد): لم يقوم بذلك إذا؟ .. ليس من الضروري أن أقيم معه .. لكن  
نقطع التواصل بهذا الشكل أمر لم أفهمه ولن أفهمه!

(عواد): ستفهم يوماً ما ..

(ماجد): وأنت يا شيخ (عواد)؟

(عواد): أنا ماذا؟

(ماجد): هل ستفتقدني؟

(عواد): لا أعرف .. لكن ما أنا متيقن منه هو أنني لن أنساك ..

رمى (ماجد) بعقب السيارة أسفل قدمه ثم قال وهو ينفخ آخر  
سحابة من الدخان من أنفه: «وداعاً إذاً ..»

(عواد) فاتحاً ذراعيه باسماً: وأنا كذلك أريد عناقاً ..

افترق الاثنان بعد عناق طويل مشحون بالعواطف وبعض الدموع  
ومنذ ذلك اليوم لم نسمع من (ماجد) أو عنه إلا مصادفة بعد عدة  
سنوات عندما عمل كمذيع لأحد البرامج الإذاعية التي تستقبل  
مشاركات الناس من بعد منتصف الليل للحديث عن مواقفهم الغربية  
مع العالم الآخر .. برنامج أطلق عليه اسم «هذا ما حدث معي» .. اسم  
يحمل في طياته الكثير .. لقد أصبح مشهوراً .. وكل الناس يفتقدونه  
حينما يغيب.

## هَآوِيَة الْوَاقِعِ

برحيل (ماجد) عاد الهدوء لحياتي واستعدت روتيني اليومي المعتاد بين زيارات (عواد) الصباحية التي يجلب فيها ولائمه المتنوعة من البيض وليالي العزلة والخلوة بين قراءة وكتابة. في تلك الفترة عدت لإكمال مذكراتي وتدوين ما استجد من فصول حياتي .. لا لغرض محدد لكنني وجدت حاجة لترك إرث من نوع آخر .. إرث مخطوط على الورق. ربما السكينة التي كنت أعيشها تلك الفترة حفزتني على العودة للتدوين الذي هجرته منذ سنوات عديدة بسبب ريشة (عمار) الثقيلة. علاقتي بالعالم الآخر في تلك الفترة حُصرت بالجن فقط وبشكل محدود جداً. سخرتهم لأغراض بسيطة مثل جلب الأحجار اللازمة لصنع خواتم جديدة أو تدريب المزيد من «المندسين» بمراقبتي طيلة اليوم حتى يكونوا أكثر إقناعاً وواقعية في تشكيلهم ليتمكنوا مثلاً من زيارة أمي وكذلك نشر عدد منهم حول أركان المنزل الخارجية كمستطلعين فأنا كنت وما زلت هدفاً مغرياً للكثير من السحرة والدجالين خاصة الجدد منهم والذين يريدون إثبات أنفسهم في مهنتهم الجديدة بالتعرض «للمعالج الأكبر» كما أطلق عليّ وقتها من باب التندر.

أمر آخر كان يحدث وبشكل متكرر على مدى شهر منذ رحيل (ماجد) وهو أنني تلقيت عدة اتصالات من (هاجر) على أوقات متفرقة خلال اليوم. تجاهلتها جميعاً بالرغم من أنها تلحقها بعدد من الرسائل النصية والصوتية التي لم أفتح أيّاً منها. كان بإمكانني أن أقوم بحظر رقمها والتخلص من إزعاجها المتكرر .. لكنني لم أفعل .. وفي الحقيقة لم أعرف السبب لعدم قيامي بذلك.

نزلت صباح أحد الأيام للطابق السفلي متوجهاً لـ «مجلس الدروس» لأجد (عواد) قد سبقني إليه باستخدام مفتاحه الخاص الذي أعطيته إياه بعد خلو المنزل من قاطنيه لاستخدامه في حالات الطوارئ. دخلت عليه لأجده قد افترش الأرض ومنتجماً في ترتيب مائدة إفطار صغيرة فقلت له : ما الأمر يا (عواد)؟ .. هل هناك شيء؟

(عواد) وهو مستمر في توزيع الأطباق على السفرة البلاستيكية : لا أبداً أتيت لتناول الإفطار معاً

- ولم لم تتصل بي كالعادة لأفتح لك الباب وتعلمني بقدمك؟

(عواد) : ارتأيت أن هذه الطريقة أفضل خاصة وأنت تتأخر عليّ أحياناً

ويبرد الأكل

قلت متهكماً وأنا أجلس على السفرة : «ارتأيت»؟

(عواد): نعم «ارتأيت» .. ما بها؟

- لا شيء على الإطلاق لكنك عندما تستخدم مثل هذه  
المصطلحات أشعر أنك ستجلب لي مصيبة

(عواد) رافعاً رغيماً مشيراً لي للبدء بالأكل : هذا تخصصك وليس  
تخصصي

ضحكت وقبل أن أهم بمشاركته الطعام قلت : بيض أيضاً؟

(عواد): أحضرت بعض الزعتر كي لا تقول بأني لا أنواع في الأصناف  
- ماذا عن الليمون؟

(عواد) ضاحكاً: «ارتأيت» ألا أجلبه!

شاركته الضحك وقبل أن نبدأ بتناول وجبتنا الصباحية رن هاتفي  
النقال فأصمته وبدأت بالأكل .. تكرر الاتصال عدة مرات وتكرر  
معه إصماتي له حتى اضطررت لإصماته بشكل دائم مما دفع (عواد)  
للسؤال : من يتصل بك في هذا الوقت بهذا الشكل؟

- لا عليك ..

(عواد): ألن تجيب؟ .. يبدو اتصالاً مهماً

- يجب أن يكون الشخص مهماً كي أرد

(عواد): هل يحق لي أن أعرف من المتصل؟

بجاءت سؤاله وغيرت مجرى الحديث بتوجيه سؤال آخر له وقلت : لم  
أتأت البارحة كما قلت؟

(عواد) : كنت أساعد ابنتي في مذاكرة دروسها فمستواها العلمي  
منخفض مؤخراً وتجد صعوبة في الحفظ وهذه الفترة هي فترة اختبارات  
ويجب أن تحصل على معدل مرتفع

قلت بمزاحاً : هل هي صعبة الاستيعاب مثل أبيها؟

(عواد) : لم تكن كذلك في السابق لكن فيما يبدو أن عقلها مشغول  
ببعض التوافه مؤخراً

- مضغ علكة بنكهة معينة وقت الاستذكار ثم مضغ علكة  
أخرى بالنكهة نفسها خلال الاختبار يساعد المخ على استرجاع  
المعلومات بصورة أسهل وأسرع

(عواد) باستغراب : علكة؟

- نعم .. هذه الطريقة فعالة لتحفيز المخ على التذكر بكفاءة عالية ..

حيلة استخدمها الحُفَاف قديماً

(عواد) : مضغ العلكة للفتيات أمر منبوذ وعادة مقبولة  
تبسمت وقلت : استمر على الطريقة التقليدية إذا واسهر الليالي طلباً  
للعلا

بعد مضي دقائق خلال تناولنا الطعام سألت (عواد) وقلت : هل لا  
تزال تقوم بتحويل مخصصات (ماجد) المالية كل شهر بانتظام؟

(عواد) : نعم بالطبع؟

- و(هاجر) ..؟

(عواد) : هي الأخرى يصلها راتبها بانتظام

- جيد ..

(عواد) : هذه أول مرة تسأل عن هذا الموضوع .. هل استجد شيء؟

قلت وأنا أخرج هاتفي من جيبتي وألقي نظرة على الشاشة التي أشارت  
لعشرة اتصالات فائتة : لا .. لم يستجد شيء ..

لاحظ (عواد) تغير ملامح وجهي حينما نظرت للهاتف فقال : ما بك؟

أجبت برفع الشاشة عند وجهه وحينما رأى اسم (هاجر) قال : منذ متى  
وهي تتصل بك؟

قلت وأنا أعيد الهاتف لجيبتي : منذ عدة أسابيع؟

(عواد) : ولم لا تجيب عليها؟

- لأنني لا أريد .. ولا يوجد شيء يربطني بها كي أردد

(عواد) : ربما تحتاجك

- حتى وإن كان .. لا علاقة لي بها الآن

(عواد) : أعتقد أن الموضوع ليس طارئاً ..

- وكيف تحققت؟

(عواد): لو كان كذلك لاتصلت بي أيضاً لكن كونها لاتتصل إلا بك  
فعلى الأرجح أنه موضوع خاص بكما

- لا يوجد بيني وبينها موضوعات خاصة

ساد الصمت بعدها حتى انتهينا من الطعام ورفع (عواد) السفرية وأعد  
كوبين من الشاي وجلسنا معاً نحتسيه في هدوء ..

(عواد): متى ستخبرني؟

- أخبرك بماذا؟

(عواد): بما حدث؟

- لاتتحدث بالأغاز

(عواد): أنا أعرفك منذ سنوات وأستطيع معرفة ما إذا كان هناك  
شيء يشغل بالك أو لا واتصالات (هاجر) بهذا الشكل ليس من دافع  
اشتياقها لك .. فهل يمكن أن توضح لي حقيقة ما يحدث كي لا أكون  
طرفاً ثالثاً مغيباً

زفرت وبدأت أحكي لـ (عواد) كل ما حدث في آخر يوم قبل رحيل  
(هاجر) وكانت ردة فعله في البداية غاضبة منها لكنها تحولت تدريجياً  
للقلق حيث قال : هل تعتقد أنها أوقعت نفسها في مشكلة ما بسبب  
ذلك الكتاب؟

- ربما .. لا أعرف

(عواد): وإلى متى ستتجاهلها؟

- إلى أن تتوقف ..

لم نناقش الموضوع أكثر واستمرت محاولات (هاجر) للتواصل معي واستمر معها تجاهلي لها حتى حل يوم الجمعة وموعد زيارتي المعتادة لأمي وحينها وصلت لمنزل أهلي وبعد قضاء فترة الظهر وما بعدها معهم في تناول الغداء والحديث مع أبي وأخي لعدة ساعات حل المغرب وحن وقت رحيلي واخترت أن أمضي آخر الوقت في احتساء الشاي والقهوة مع أمي وحدنا.

(أمي) مازحة: بدأت أنسى شكلك من قلة زياراتك

أجبتها باسمًا: لا تبالغي يا أمي فأنا لم أفوت يوم الجمعة منذ أن انتقلت

(أمي): تفوته في رمضان

- سوف أعالج هذه المشكلة قريباً أعدك بذلك

(أمي): حتى وإن عاجلتها .. هل تظن أن يوماً في الأسبوع كافٍ لي؟

- أعترف بأني مقصر في حقك لكن انشغالاتي تمنعني وتقيدني

(أمي): أخوك لديه انشغالات كذلك ولديه أطفال وزوجة يعولها

ومع ذلك يزورني ثلاث مرات بالأسبوع

- حاضر سأحاول تخصيص يوم إضافي بجانب الجمعة

(أمي) : بالحديث عن الزواج والأطفال .. كيف حال خطيبتك  
(هاجر)؟

هنا ارتبكت قليلاً فمئذ أن أرسلت (هاجر) لأمي قبل أكثر من عام لم  
تسألني عنها إلا عدة مرات في البداية وخف سؤالها عنها تدريجياً حينما  
أخبرتها بأنها سافرت لإكمال دراستها الجامعية في مدينة أخرى.

(أمي) : ما بك؟ .. لم سكت؟

- لا أبداً .. لم تسألين عنها الآن؟

(أمي) : لأنها زارتني بالأمس ..

صمت من هول الصدمة .. حاولت جاهداً أن أخفي وأكظم غضبي  
وغليان دمي من جرأتها لتجاوز حدودها بهذا الشكل وكان كل همي  
وقتها أن أنهي الحديث مع أمي كي أخرج وأتعامل مع هذا الموضوع  
بأسرع وقت لكن أمي استرسلت بالحديث قائلة: «تقول بأنكما على  
خلاف وتمران بأزمة ..»

- هل تعرضت لك بشيء؟

(أمي) باستغراب : تعرضت لي؟

- نعم

(أمي) : في الحقيقة ظننت العكس

- العكس؟

(أمي) : الفتاة علاوة على انكسار قلبها ونفسها كانت مليئة بالكدمات والجروح وذراعها مجبرة ورفضت أن تخبرني عن السبب ..

- وتظنين يا أمي أني أنا من قام بإيذائها؟

(أمي) : لا أعرف يا بني فأنت لا تريد إخباري بالحقيقة

- الحقيقة هي أنني انفصلت عنها منذ أشهر ولا أعرف عنها شيئاً  
من وقتها

(أمي) : ولم لم تخبرني؟

- لم تطراً مناسبة لذلك

(أمي) : وماذا كان سبب انفصالكما؟ .. ماذا فعلت لها؟

- ولم افترضت أني أنا السبب؟ .. أنا من تركها وليس العكس؟

(أمي) : لأنني لم أرَ منها إلا كل خير .. حتى بالأمس وهي في حالتها الصعبة كانت ودودة معي وتصبر على خدمتي بالرغم من أنها هي ضيفتي

- وهل رأيت مني أنا شراً يا أمي؟

(أمي) : لا لم أقصد يا بني لكن ..

- انتهى الموضوع يا أمي وهذه الفتاة لم تعد تربطني بها أي علاقة  
وأنت كذلك يجب ألا تستقبلها عندك بعد اليوم  
(أمي): حسناً.. لكن حالتها محزنة وأتمنى أن تتجاوز ما تمر به

هاتفني يرن.. أخرجته من جيبي..  
ينير اسم (هاجر) على الشاشة..  
أصمت المكالمة وأعيدته لجيبي..

(أمي): من المتصل؟

- (عواد): يجب أن أرحل

(أمي): ومتى سأراك مجدداً كما وعدت؟

قبلت رأسها وأنا أقول: أعدك بأنني سأزورك قريباً

خرجت من منزل أهلي وأنا مستاء جداً واتصلت بـ (عواد) وطلبت  
منه الحضور فوراً لمنزلي..

وصلت قبله وأعددت قدهاً كبيراً من القهوة وجلست في «مجلس  
الدروس» أحثني كمية كبيرة منها أفكر بصمت في انتظار (عواد)

وخلال انتظاري ظهر (دجن) وقال بخليط من العبوس والتهكم :  
«فهمت قصدي الآن؟»

- هذا ليس وقتك

(دجن) : وعمر ما راح يكون عندك وقت تسمع كلمة الحق!

- ماذا تريد مني أن أفعل؟! .. لقد قطعت كل صلتني بها وهي لا

تزال تريد التواصل معي!

(دجن) : أنا مو أمك أو (عواد) عشان تستهبل علي!

- ماذا تقصد؟

(دجن) : ليش للحين تصرف لها راتب؟

- وما علاقة ذلك بها يحدث؟

(دجن) : لا يا شيخ .. وتقول إنك ما تستهبل .. كيف تبيها تنسك  
وأنت تصرف عليها؟

- هذا جزء من مسؤوليتي تجاه تلاميذي ولا علاقة له بها ..

(ماجد) ينال المعاملة نفسها ولم يحاول التواصل معي منذ رحيله

كما أمرته

(دجن) : بس (هاجر) تفكيرها غير وأنت أكثر واحد يعرف ذا الشيء

- وهل تظن أني لو قطعت عنها ذلك الراتب ستتوقف؟

(دجن): لا .. لكن على الأقل ما يكون لها حجة وتبرير في منحها أنك  
مازلت تفكر فيها

- الموضوع أكبر من ذلك ..

(دجن): أنت مبسوط أنها محتاجة لك وقاعد تتلذذ باللي يصير .. أنا  
أقول تزوجها وتهاوشوا في البيت أبرك وأوفر

- سوف أضع حداً لجنونها اليوم ..

(دجن): مدري من المجنون فيكم

صوت إغلاق (عواد) للباب الرئيس للمنزل ..

- اصمت الآن كي أتحدث مع (عواد) بتركيز

(دجن) وهو يضمحل في الهواء : ومن متى أنت تركز في شيء تسويه  
أصلاً ..؟

دخل (عواد) وأول شيء قاله بأنه جائع بالرغم من أني شرحت له أنني  
أريده في موضوع جاد ومهم إلا أن بطنه كان ما يشغل باله فوعده أن  
نخرج للعشاء حالما تنتهي من الموضوع الذي استدعيته لأجله.

اجتمعنا وناقشنا الموضوع لعدة ساعات وكنا على خلاف في طريقة  
التعامل معها فهو من ناحيته أصر علي لتلقي المكالمة وحسم الموضوع

وأنا كنت أرفض وبشدة الخضوع لضغطها وابتزازها خاصة بعد زيارتها  
لأمي الأمر الذي اعتبرته رسالة غير مباشرة بأنها لن تتوقف عن محاولة  
الوصول إليّ. تحول مجرى الحديث بعدها لمنحى لم أحبه لأن (عواد)  
ادعى أنني أكن مشاعر لـ (هاجر) وأن ما يحدث بيننا أشبه بخلافات  
المراهقين أو المتزوجين حديثاً وبدأ يستظرف بالحديث بشكل مزعج في  
محاولة لاستفزائي بالرد عليها.

قو طع حديثنا بهاتفني النقال وهو يرن مجدداً ..

لكن الرقم هذه المرة مجهول ..

ترددت في الإجابة لكن في النهاية قررت عدم الرد وتجاهلت المكالمة  
بتحويله للوضعية الصامتة لأنني كنت متيقناً من أنها (هاجر) ..

شاهد (عواد) ما قمت به فقال : لم لا ترد عليها؟

- لا يوجد شيء بيننا كي أرد ..

(عواد) : ربما تكون واقعة في مشكلة ما وأنت الوحيد القادر على حلها

- أخبرتك سابقاً .. مشكلاتها ليست مسؤوليتي ..

(عواد) : لا أستطيع إجبارك على شيء لكن أعرف أنك لن ترتاح حتى

تعرف ماذا تريد منك

- لا تقلق على راحتى واهتم بشؤونك

يرن هاتف (عواد) ويرى أنه رقم مجهول آخر فيقول مبتسماً: هل تظن أنها هي؟

- لا ترد..

(عواد) مبتسماً: سأرد وأنها لعبة القط والفأر هذه

فتح (عواد) الخط وبعد حوار بسيط لم يقل فيه الكثير واكتفى بهز رأسه وقول كلمات مثل: «نعم.. نعم».. «أفهم قلقك».. «سأخبره بما أخبرتني»..

أغلق (عواد) هاتفه وبقي صامتاً وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة..

- لم تبسّم هكذا؟

(عواد) بنبرة خبيثة وابتسامة أخبث: أنتظر سؤالك عن فحوى المكالمة..

- أخبرتك بأنى لست مهتماً

(عواد): نعم أعرف.. لست مهتماً.. لكن..

- لكن ماذا؟

(عواد) : تلميذتك السابقة عبثت بالمجهول مرة أخرى وهي الآن تواجه خطراً كبيراً وتريد مساعدتك ..

- ليس لدي وقت أضيعه معها.. لقد حذرتها مما كانت تمارسه ..  
فلتواجه مصيرها وحدها

(عواد) مبتسماً : حسناً.. كما تشاء

صمتنا لدقائق لكن التوتر والقلق كانا باديين على وجهي و(عواد) يراقبني باسماً ..

- أي نوع من المشكلات أوقعت نفسها فيها تلك الحمقاء هذه المرة؟

(عواد) بتهكم : هل أنت مهتم الآن؟

- كف عن المراوغة وأخبرني في الحال!

(عواد) : لقد قامت باستدعاء مستخدمة الكتاب الذي سرقتة ولا تستطيع صرف من استدعته

تجهمت وقلت بحنق : تلك الحمقاء!

(عواد) : هل سنذهب لمساعدتها أم نذهب للعشاء كما خططنا؟

نهضت من مكاني وقلت : «أنا من صنعتها وأنا من يجب أن أحمّل  
تبعات ما صنعت ..»

(عواد) وهو يقف بجانبني : سنذهب إليها إذا؟

- لا خيار لدي يا (عواد) .. لا خيار آخر ..

## محراب المستحوذ

ركبنا السيارة وكانت الساعة وقتها تشير لمنتصف الليل وبعد ما أدار  
(عواد) محركها قال : أنا لا أعرف أين تقيم ..

قلت وأنا أخرج هاتفي من جيبى : انتظر .. أعتقد أنها أرسلت موقعها  
في إحدى الرسائل التي كانت ترسلها لي

وبالفعل وبعد أن فتحت رسائلها المتراكمة وجدت الموقع وقمت  
بإرساله لهاتف (عواد) الذي انطلق مسرعاً باتجاهه. خلال الطريق  
لم نتحدث لأنني كنت مندجماً بقراءة الكم الهائل من الرسائل النصية  
المرسلة لي على مدى أسابيع. بدأت الرسائل ببعض الاعتذارات  
والتبريرات التي سمعتها من قبل لكن تدريجياً مع تقدمها تحولت  
لطلبات مساعدة واستفسارات عن أمور غريبة تحدث لها وانتهت  
بتوسلات مستميتة لمساعدتها وخوفها على حياتها مما كان يحدث لها.

وجدت بعض الصور ضمن الرسائل وجميعها كانت لأجزاء متفرقة  
من جسدها أظهرت إصابات متفرقة وكدمات توزعت بين بسيطة  
وشديدة لكن الصور الأخيرة كانت مفزعة خاصة التي أخذتها  
لوجهها .. بالكاد تعرفت على ملامحها .. الرضوض والتورمات  
غطت معظمه وأعتقد أنها فقدت خصلات كثيرة من شعرها.

حينما انتهيت من قراءة جميع الرسائل النصية انتقلت للصوتية منها واستمعت لها تباعاً حسب ترتيبها الزمني وكانت خمساً تدرجت في محتواها من سيئ إلى أسوأ. سمعتها مع (عواد) في الوقت ذاته.

الرسالة الأولى : «كيف حالك يا معلمي؟ .. أعرف أنك لا تزال غاضباً مني وأفترض أنك الآن علمت بما فعلته لكن يجب أن تتفهم وتدرك أنني أملك طموحاً وقدرة لا تراها أنت .. سوف تكون فخوراً بي يوماً ما .. أعدك بذلك»

الرسالة الثانية : «لم لا ترد علي اتصالاتي؟! .. أنا أحتاجك! .. لقد اقتربت شيئاً ما ولا أستطيع التراجع عنه! .. أرجوك اتصل بي في أقرب فرصة! ..»

الرسالة الثالثة (بصوت متعب ومرهق) : «أعتقد أنني مصابة بمرض ما .. كوابيسي مؤلمة .. أشعر بالبرد .. الخواتم لا تفيد .. أتوسل إليك .. تحدث معي ..»

الرسالة الرابعة : ...

(عواد) لم أسمع شيئاً

- الرسالة فارغة .. وكأنها سجلتها ولم تتحدث .. بقيت رسالة صوتية واحدة .. أرسلتها بالأمس ..

الرسالة الخامسة (بهذوء وبرود) : «لقد فقدت الكثير اليوم .. وأعتقد  
أن حياتي هي التالي ..»

قلت محدثاً نفسي بصوت مسموع لـ (عواد) : الوضع أسوأ مما ظننت  
وقد يكون الأوان قد فات

(عواد) ملتفتاً نحوي لثوانٍ محاولاً النظر لشاشة هاتفي معيداً نظره  
أمامه للتركيز على الطريق : ماذا تقصد؟

- أخشى أني لن أستطيع مساعدتها ..

(دجن) من المقعد الخلفي : اللي سوى كذا شيطان علوي .. ومو أي  
شيطان ..

- من النسل الأول ..

(عواد) وتركيته على الطريق أمامه والذي كان معتماً لأنه خرج عن  
حدود المدينة : ماذا؟ .. ماذا تقول؟

قلت بعد ما انتبهت أننا خرجنا لطريق زراعي وأشجار النخيل تحيط  
بنا من جميع الجوانب : إلى أين أنت ذاهب؟

(عواد) : هذا هو الطريق المؤدي للموقع الذي زودتني به ..

فتحت هاتفي لأتحقق من الموقع ووجدت أنه يقع في أقصى البلد نهاية

المخطط الزراعي وعند بداية حدود الصحراء : أعتقد أنه سيقودنا  
لمزرعة ما ..

(عواد): مزرعة؟ .. ولم تقيم في مزرعة؟

قلت بنبرة متوجسة : لقد اختارت ذلك المكان لتمارس طقوس  
التحضير دون إزعاج .. تحضير شيطان علوي من النسل الأول يستلزم  
الكثير من القرابين والأعمال الشنيعة بالحيوانات وبنفسها كذلك ولم  
تكن تستطيع القيام بها في شقة أو سكن خاص له جيران

(عواد): تذكرت المزرعة التي زرناها في الماضي حينما كنا نبحت عن  
مصدر ذلك الفراء المشؤوم

(دجن): قل حق (عواد) يرجع .. ما راح تقدر تساعدها بدون  
طلاسم .. وحتى لو استخدمتها ما في ضمان أنك بتربطه أو تفكها  
منه .. البنت ضاعت خلاص

بدأت أفكر بصمت في كلام (دجن) .. فقد كان محقاً .. هذا النوع  
من الشياطين الاستحواذية يملك قوة خارقة وغير طبيعية حتى على  
مستوى الشياطين أنفسهم واستدعاء أمثاله أمرٌ يتجنبه أعتى السحرة  
لأنه لا يقوض ولا يربط بسهولة ومجرد ما أن يتم استدعاؤه يقوم  
بالفتك بمن حوله مبتدئاً بمن حضروه وأنا متعجب أن (هاجر) بقيت  
على قيد الحياة حتى الآن.

(دجن): لا تفكر وقل له يرجع .. لا تصير أبله .. خلاص ما عاد في  
فايدة

رفعت كفي وقلت : اصمت دعني أفكر!

(عواد): أنا لم أقل شيئاً

- ليس أنت!

نظر لي (عواد) بنظرة المستنكر المتعجب لكنه لم يعلق وأكمل طريقه  
حتى توقف بنا أمام مدخل مزرعة امتد سورها المصنوع من بخوص  
النخيل لعشرات الأمتار يميناً وشمالاً ولم يكن هناك مصدر للأنوار  
سوى الصادر من مصابيح السيارة.

(عواد): وصلنا

أمعنت النظر بمدخل المزرعة لثوانٍ ثم قلت قبل أن أترجل من  
السيارة: لا تطفئ المصابيح.

تبعني (عواد) ووقفنا أمام البوابة الحديدية الصدئة المتهاكّة ولم ندخل  
مباشرة ..

(عواد): ماذا الآن؟

- هل تملك كشافاً يدوياً في سيارتك؟

(عواد): ألم لا تستخدم كشاف هاتفك؟

- تركته في السيارة ثم إن نور الهاتف لن يكون كافياً

(عواد): حسناً أعتقد أن هناك واحداً في صندوق السيارة .. سأذهب

للتحقق

سار (عواد) مبتعداً عني وبدأ يبحث في السيارة وبينما كنت واقفاً

أشعر الطاقة السلبية الهائلة القادمة من وسط المزرعة دنا مني

(دجن) ووقف حيث كان يقف (عواد) وشاركني النظر قائلاً: مو كل

مشكلة لازم تحلها .. هالمعركة مو معركتك .. حاول تعترف وتواجه

حقيقة أنك فشلت هالمرة

قلت وأنا أتأمل التصدعات في البوابة المعدنية: لا تخلط بين الفشل

والهزيمة .. فشلت في أمور كثيرة وسأفشل مستقبلاً لكنني لم أهزم

بعد .. ولو تراجع اليوم وتحليت عنها فسيكون ذلك إقراراً مني

بالهزيمة

(دجن): أنت مستوعب أنك بتهلك أول ما تدخل .. ترى اللي ناوي

تسويه غلط .. الوقت ما فات .. يمديك تراجع وتترك عنك هياطك

اللي بيوديك كالعادة في داهية

وجهت نظري تجاه (دجن) وقلت بثقة: كنت وما زلت من الباحثين

دوماً عن الصواب ولو عن طريق الخطأ .. أنا لست شجاعاً أو  
فارساً مغواراً لكنني صاحب مبدأ ولو تراجعته الآن وعدت لفراشي  
فسأعيش جحيماً لن ينتهي إلا بموتي .. لذا ..

(دجن) : يا ذا البلشة .. واضح أنك شغلت نظام الهياط على حده  
الأعلى وما راح تسمع مني شي

- هذا شيء لن تفهمه ..

(دجن) وهو يضمحل : كل اللي أعرفه هو أنك مهايطي من يومك ..

عاد (عواد) حاملاً في يده كشافاً صغيراً وهو يقول : وجدت هذا لكن  
لا أعرف إن كانت بطاريته ستبقى لمدة طويلة

أخذت الكشاف من يده وقلت : يمكنك أن تبقى في السيارة  
وتتظرنى .. المكان لن يكون آمناً يا (عواد)

(عواد) : تعرف أي لن أفعل

قلت وأنا أتقدم نحو البوابة : أحبيت أن أعطيك الخيار فقط

تبعني (عواد) لوسط المزرعة وما أن دخلنا حتى استقبلتنا رائحة نفائة

مميزة .. خليط مما يشبه الروث واللحم النيء . وجهت ضوء الكشاف

يميناً وشمالاً في محاولة للتعرف على تضاريس المكان ومبانيه ولم

أجد سوى مجموعة من جذوع النخيل الخاوية بين المنحنية المحتضرة  
والجرداء الميتة مع قليل من الأعشاب الخضراء التي نمت في أماكن  
متفرقة. لم يكن هناك سوى مبنىٍ وحيد استقر وسط المزرعة يبعد عنا  
مابقارب الخمسين متراً ظهرت معالمه حينما وجهت الكشاف نحوه.

الهدوء كان مهيمناً على المكان ولا يُسمع سوى صرير بعض الجنادب  
ونباح مجموعة من الكلاب خارج أسوار المزرعة. قبل أن نصل لذلك  
المبنى لمحنا مبنىً أصغر منه على يسارنا فتوجهنا إليه ودخلناه لنرى  
منظراً مقززاً.

مجموعة من جثث الحيوانات الصغيرة المسلوخة دون قطع رؤوسها ..

أرانب .. قطط .. طيور ..

بصمات كفوف دائمة طبعت على الجدران ..

رسومات هندسية مرسومة حولها وفوقها بأحجام مختلفة ..

رأس كلب مفصول منصوب في إحدى الزوايا لكن جسده غير

موجود ..

فضلات بدت أنها بشرية موزعة على أغلب الأسطح ..

رائحة البول الجاف فاحت من المكان خالطها روائح مقبته أخرى ..

(عواد) واضعاً كفه على وجهه مغطياً أنفه وفمه : أعوذ بالله من  
الشیطان الرجیم ..

- لنخرج من هنا ونتوجه للمبنى الآخر

مع تقدمنا أكثر بين جذوع النخيل وأصوات الجنادب القرية والكلاب  
البعيدة واقترابنا من المبنى الكبير بدأنا نسمع صوتاً آخر .. صوتاً يشبه  
الأنين ..

(عواد) : هل تعتقد أنها هي ؟

- سنرى .. تقدم بحذر وانتبه لخطواتك ..

سرنا حتى وصلنا لمدخل المبنى وقبل أن نتقدم أكثر قلت لـ (عواد) وأنا  
أمد له الكشاف : ابق هنا حتى أعود ..

(عواد) : ماذا؟! .. هل ستركني هنا؟!!

لو كان تخميني صحيحاً و(هاجر) استدعت من أظن فليس من  
الحكمة الدخول عليه دون خطة للتخلص منه لأننا حتى وإن تمكنا  
من أخذها معنا فلن نستطيع الرحيل قبل التخلص منه لأنه سيلاحقها

وسبلأحقنأ وسنهلك عآجلأ أم آجلأ .. هذآ الشئء ء يجب ألا ىخرج من

أءوء المزرعة

(عواء) : وكيف تنوي القيام بذلك؟ .. هل ستعود لآسءءءام

الطلاس؟

لا.. هذآ عهد أنوي الأفظاء عليه .. آءى وإن كلفني آيآتي

(عواء) : علم الأولين لن ىكون كافياً

أعرف .. لذلك سأطلب آءمة من صءيق قءيم

(عواء) : عمن آآءء؟

قلت وأنا أهم بالآرآع بآطواء للوراء لءءل المزرعة : فقط أبق  
مكانك ولا آقم بأى عمل بطولي آءى أعود

أسءءرآ وسرآ بآطأ آآسارعة آءولآ لهرولة ولم أآوقف آءى  
آرآء عن المنطقة الزراعية وءءلآ الصآراء القرية. وبعء ما  
أصبآء على مسافة كافية آءوآ على ركبى وبعءآ أرسم بسبآبى  
على الرمال رسمة معينة. عءما آآهآ بقىآ أنآظر أآمل النآوم  
لآوان آءى ظهر أمامى رآل أسمر ضآم بلآية بىضآ كآلآلآ آلس  
آرآبأ بأعين مغمضة ىلبس آلبابأ رماءياً وعمامة آضراء.

كان ذلك شيخاً من شيوخ الجن المسلمين الذين تعاملت معهم  
للحصول على مندسين ..

- أريد عوناً ومعاونة ..

(شيخ الجن) دون أن يفتح عينيه : في وجه من؟

- شيطان .. علوي ..

(شيخ الجن) : من أي نسل ..؟

ترددت بالإجابة لكنني قلتها : «مركز» .. من النسل الأول ..

فتح شيخ الجن عينيه حينما سمع ذلك وقال : فك أو تخليص؟

- محق ..

(شيخ الجن) : سيكلفنا ويكلفك ذلك الكثير ..

- أعرف .. الدية في رقبتني .. والعوض والسداد في ذمتني

أعاد الشيخ إغماض عينيه أتبعه بصمت وجيز ثم قال : مُنحت الحق ..

هم عند تصرفك الآن ..

رفعت نظري ووجهته خلفه لأرى أفواجاً من الجن يقفون بأكتاف

مزاحمة ينظرون إليّ بأعين صفراء متوهجة فقلت : هل سيكون ذلك  
كافياً؟

(شيخ الجن) : هذه قمة الملء وأقصى العنان ..

نهضت من مكاني وقلت : لو نجوت فدينك سيسدد

أوماً شيخ الجن برأسه بالموافقة قبل أن يختفي تاركاً جيش الجن تحت  
نصرتي ..

استدرت وعدت جرياً تجاه المزرعة وحينما وصلت لمدخل المبنى  
حيث تركت (عواد) لم أجده .. التفت حولي ولم أر له أي أثر فتقدمت  
ودخلت وسط المبنى بخطواتٍ حذرة. بالرغم من أنني لم أكن أملك  
مصدراً للضوء إلا أن السماء وفرت لي ما يكفي لرؤية محدودة حينما بدد  
نور النجوم المتوهجة والقمر شبه المكتمل ظلام المبنى المفتوح الخالي  
من النوافذ المغلقة.

المكان لم يكن معقداً .. غرفة صغيرة عند المدخل قادت لباحة مفتوحة  
السقف تقود لغرفة أخرى مع بعض المرافق المهمة. وفي تلك الباحة  
وجدت (عواد) .. منزوياً في إحدى الزوايا محتضناً لنفسه بأعين متسعة  
ووجه شاحب ومرعوب فاقتربت منه وقلت : لم دخلت؟

(عواد) بوجه متشنج سارح أمامه : سمعتها تصرخ ..

- وهل وجدتها؟

هز (عواد) رأسه بالإيجاب دون أن يتحدث ..

- أين؟

رفع (عواد) سبابته الراجفة ووجهها تجاه مدخل الغرفة الأخرى  
فهممت بالسير نحوها لكنه شدني من لباسي وقال بصوت مشبع  
بالرعب والجزع: لا تذهب! .. هناك شيء مريع بالداخل!

حررت قبضته من عليّ برفق وقلت: ابق هنا حتى أعود ..

دخلت للغرفة ..

وجدت (هاجر) مستلقية أرضاً على بطنها ..

لباسها ممزق ..

جسدها يوحي بأنها تعرضت لكثير من الانتهاك ..

يقف فوقها كائن ضخيم مشوه الخلقه ..

لا يمكن وصف المخلوق الذي رأيته بدقة لكنه كان طويل القامة

بشرة همراء داكنة لزجة وأعين مسحوبة سوداء خالية من الحياة.  
جسده أملس وأنامله طويلة مخلبة بمخالب صفراء وبالرغم من طوله  
الإل أنه بدا محنياً بعض الشيء وحادبة ظهره منتفخة. علمت بأن ذلك  
الشيء انتبه لوجودي حينما وجه نظره ووجهه البشع ناحيتي وبدأ يفح  
كالأنفى .. أعتقد أنه شاهد الجن المحيطين بي والذين بلا شك دخلوا  
معي وأدرك أنني أنوي التخلص منه فقال بصوت غليظ مذبذب وفم  
يقطر بما يشبه الدسم : «زيرف ..»

فهمت معنى الكلمة لأنها من اللغات القديمة التي ألفتها من قراءاتي  
السابقة في مكتبة (عمار) وهي تهديد مباشر وصريح بالتراجع. كنت  
أنتظر اللحظة التي يحدث فيها الاشتباك مع جيش الجن كي أتمكن من  
إخراج (هاجر) من تحته ومن المكان لكن ذلك الصدام تأخر وبقينا  
متقابلين نتبادل النظرات والأنفاس الثقيلة.

حدث شيء لم يكن في الحسبان وهو أن (هاجر) زفعت رأسها  
وشاهدتني وحاولت النهوض مما دفع ذلك الشيء لينزل بقدمه على  
رأسها ويثبتها مكانها. كنت مستغرباً من عدم تقدم جيش الجن نحوه  
وبقائهم خلفي ساكنين حتى أدركت وفهمت السبب.

هم معنيون بحمايتي فقط وليس حمايتها لذلك لن يتدخلوا إلا إذا  
تعرضت أنا للخطر المباشر لذا قررت التقدم نحو الشيطان العلوي

لاستفزازه لمهاجمتي وبالفعل ومع كل خطوة أخذتها تجاهه أخذ هو  
بالزجرة حتى وقفت أمامه مباشرة ولم يفصلني عنه سوى جسد  
(هاجر) الملقى بيننا.

رفعت رأسي ووجهت نظري ناحيته وقلت : «زيف ..»

لطمني ذلك الشيء بقوة رمت بي جانباً لأقصى المكان ولم يردني سوى  
ارتطامي بالجدار لأسقط على وجهي وصاعقة ألم تمر بجسدي كادت  
أن تفقدني الوعي. بدأت حينها أسمع صراخات تتعالى لمجموعة كبيرة  
من الأصوات تخللها أصوات أخرى تشبه زئير الحيوانات المفترسة  
تزامن معها وميض ضوء قوي توهج بالمكان ونار اشتعلت على  
جدرانه. نهضت بسرعة متحاملاً ومتحملاً الألم النابض في عظامي  
وجريت تجاه (هاجر) وعندما وصلت إليها حاولت إنهاضها لكنها لم  
تستجب لي ولم أكن أملك القوة الكافية لحملها خارج المكان فقبضت  
على كاحليها وسحبته كالشوال ولم أتوقف حتى خرجت من المبنى  
برمته.

وقفت أراقب الأنوار المتوهجة وسط المبنى التي استمرت وتزايدت  
وخرجت من سقفه المفتوح ونوافذه وأصوات الصراخ لم تنقطع  
وانتابني شعور أن شيئاً سيئاً سيحدث لنا لو لم نبتعد أكثر ونخرج من  
المزرعة.

ف كيف لكنني انتفضت واستجمعت نفسي وحملت (هاجر) على  
وهرولت بها حتى اصطدمت ببوابة المزرعة المعدنية وفتحتها على  
عيها وسقطت على الأرض معها أمام مصابيح السيارة المضاء  
ت الوعي مباشرة.

# الضوء آخر الجحر

يد تهز كتفي برفق .. تحاول إيقاظي ..

أفتح عيني لأرى شابة منتقبة ..

تخبرني أن لدي زائراً ..

أجول بنظري من حولي ..

غرفة بيضاء ..

مستشفى المدينة ..

بعد ما رأيت المريضة أني استيقظت سارت خارجة من الغرفة ليدخل بعدها (عواد) وعلى وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول : حمداً لله على سلامتك .. لقد نجوت

- ماذا عن (هاجر)؟

(عواد) : هي الأخرى بخير بشكل عام بالرغم من حالتها المزرية لذلك ستبقى هنا بضعة أيام أخرى

- أريد الخروج ..

(عواد): الطيب أخبرني بأنه سيمنحك تصريحاً بذلك نهاية اليوم بعد  
المرور عليك

- هل أبلغت أحداً من أهلي عما حدث؟

(عواد): لا تقلق .. أعرف أنك لا تحب ذلك

- حسناً .. أريدك أن تذهب للسوق وتشتري بعض الحاجيات

(عواد): يمكننا تأجيل ذلك لوقت لاحق

- لا .. اليوم والآن .. لدي دين يجب أن أسدده

(عواد) بتعجب: دين؟ .. هل تقصد أنك تريد إخراج صدقة أو زكاة  
شكراً لله على سلامتك؟

- نفذ دون جدال يا (عواد)

(عواد): حاضر .. ماذا تريد؟

زودت (عواد) بتفاصيل الأشياء التي أحتاجها وبالرغم من استغرابه  
في بادئ الأمر من فحوى الطلبات التي طلبتها إلا أنه لم يناقش وخرج  
مباشرة متوجهاً للسوق على وعد منه بأنه سيعود وقت خروجي  
ليقلني للمنزل. بعد خروجه مباشرة تشكل أمامي (دجن) لكنه لم  
يتحدث معي وبقي عاقداً ذراعيه مسنداً ظهره للجدار أمام سريري  
يحدق بي بوجه مشمئز.

- ماذا؟ .. لم تحدق بي هكذا؟

(دجن) : أتأمل حسنك ..

- وهل اكتفيت؟

(دجن) : أنت عارف أن الشيطان مات؟

قلت وأنا أنهض بتناقل وأسند ظهري للوسادة البيضاء خلفي : هذه كانت الفكرة ..

(دجن) : وهذا ثأر جديد انربط برقبتك .. وقبيلته ما راح تسكت

- القائمة طويلة ..

(دجن) : أنت مبسوط أن اسمك الآن معمم عليه في كل خرابة ومقبرة؟

تأملت بشدة حينما ضحكت وبدأت بالسعال وأنا أقول : اصمت أرجوك لا أريد الضحك

(دجن) : اضحك اضحك .. كلها كم يوم وبتبكي دم لما «المراكيز» يجونك ويعلقونك من ..

قاطعته قائلاً : لدي اعتراف ..

(دجن) بتهكم : ناوي تقول وصيتك؟

- لا .. أريد أن أقول .. بالرغم من أنك مجرد وهم من صنع خيالي

إلا أنني حقيقة افتقدتك .. ولم أتجاوز رحيلك ..

اضمحل خيال (دجن) دون أن يرد بشيء ..

نهاية اليوم عاد (عواد) لأخذي من المستشفى بعد ما اشترى كل ما أمرته به وحينما عدنا للمنزل طلبت منه وضع الحاجيات عند مدخل القبو وقبل رحيله قال : هل ستخبرني لم طلبت هذه الأشياء ..؟

أجبتهُ وأنا أتفحصها للتحقق من أن جميع ما طلبته موجود : لا ..

(عواد) : حسناً .. أراك غداً بإذن الله

- أمهلني أسبوعاً قبل أن تزورني

(عواد) : لماذا؟

- أحتاج عزلة ..

(عواد) : كما تشاء .. اتصل بي لو احتجت شيئاً آخر

- سأفعل ..

انقضى الأسبوع ..

وعادت حياتي إلى حد ما لطبيعتها السابقة ..

(عواد) يحضر بيضه صباحاً ..

زيارة أمي كل جمعة .. بالإضافة ليوم الاثنين الآن ..

قراءة .. تدوين .. تأمل ..

استمر هذا الروتين لما يقارب الشهرين دون أي تغيير يذكر .. لا في الأعمال أو الأشخاص .. حتى (دجن) لم يعد يظهر لي كالسابق .. أعتقد أن ذكراه في عقلي هدأت وسكنت بعد اعتذاري له ..

تلقيت اتصالاً من (عواد) عصر أحد الأيام .. كنت في غرفتي وقتها .. أجبته : «اتصال في وقت غير مألوف ..»

(عواد) : أنا في الطابق الأسفل

- حسناً سأنزّل لك بعد قليل

(عواد) : معي زائر ..

قلت بتعجب : زائر؟

(عواد) : نعم .. وأعرف أنك لا تحب الزيارات المفاجئة لكن هذه الحالة تحتاج إلى علاج عاجل

أجبته بشيء من السخط : ومنذ متى أستقبل الحالات في منزلي؟! .. هل فقدت عقلك؟!!

(عواد) ببرود غريب : هذه حالة خاصة .. سنكون بانتظارك

قلت قبل أن أغلق الخط : قدم الضيافة لزائرك وارحلا .. أنا لن أستقبل أحداً!!

وضعت هاتفني فوق خزانة ملابسي وبدأت أفكر بوجه عابس لتصرف  
(عواد) غير المسؤول وخلال ذلك سمعت باب غرفتي يُطرق.

ففتح الباب لأجد (هاجر) تقف وراءه مرتدية معطفًا جلدًا أسودَ  
غريباً بياقة عالية وشفتها وأظافرها طليت باللون الأسود وعيناها  
اكتحلنا كذلك باللون ذاته وباستثناء الندبة الكبيرة التي بدأت من  
جبينها مروراً بعينها اليسرى منتهية عند منتصف خدها إلا أنها كانت  
تبدو بحالة جيدة.

(هاجر) باسمه وهي تشد على حقيبة حملتها على كتفها: «كيف حالك  
يا معلمي...؟»

لم أجب عليها ووجهت نظري المتجهم لـ (عواد) الواقف خلفها  
وقلت: تعرف أنك ستدفع ثمن ما فعلته ..

(عواد): نعم نعم .. أعرف ..

(هاجر) ونظراتها الحادة منصبة عليّ: شكراً يا (عواد) .. هل يمكنك  
تركنا وحدنا؟

(عواد): بكل سرور .. لكن قبلها لدي سؤال

(هاجر) تحيد بنظرها عني موجهة أذننا تجاه (عواد) الواقف خلفها:

تفضل ..

(عواد) مشيراً لياقتها العالية وشعرها المربوط كذيل الفرس : ما هذا

اللبس والمنظر الغريب؟

(هاجر) : هل أعجبك؟

(عواد) : لا أعرف .. تبدين كأحد مصاصي الدماء

(هاجر) باسمه : سأعتبر ذلك إطراء ..

- هل انتهينا؟

(عواد) : حسناً .. حسناً .. أنا راحل

سار (عواد) مبتعداً ونزل للطابق السفلي ..

وجهت كلامي بعدها لـ (هاجر) وقلت : لا يمكنكِ البقاء

(هاجر) : أريد الحديث معك فقط .. ألا أستحق فرصة لحديثٍ أخير؟

قلت وأنا أدخل الغرفة : ماذا تريدان؟

(هاجر) تسير خلفي لوسط الغرفة : هل ما زلتِ غاضباً مني؟

أجبتها دون أن ألتفت نحوها : حاولي أن تفهمي .. كي أغضب منك

يجب أن أكنُّ لكِ مشاعر من الأساس وهذا لم يحدث ولن يحدث ..

أنتِ كنتِ مجرد تلميذة .. لا أكثر ولا أقل

(هاجر) : وما زلت .. وسأبقى .. حتى وإن لم تعترف بي

- هل هذا هو الموضوع الذي أتيت من أجله؟

تقدمت (هاجر) ووقفت أمامي وأخرجت من حقيبتها الكتاب الذي سرقتَه ومدته لي قائلة : أتيت لأشكرك على إنقاذ حياتي ولأعيد لك هذا ..

- ضعيه مكانه حيث كان ..

نفذت (هاجر) ما طلبته ثم أخرجت شيئاً آخر من حقيبتها .. لفافة فهاشية ومدتها لي قائلة : أتمنى أن تقبل مني هذه الهدية البسيطة

- ما هذه؟

(هاجر) : افتحها وستعرف

أخذت اللفافة وفتحتها لأجد فطيرة ..

(هاجر) باسمه : فطيرتك المفضلة .. زعتر بالليمون ..

- هل هذه مزحة؟

(هاجر) : لا أبداً يا معلمي .. أنا هنا لأودعك .. لن تراني مجدداً بعد

اليوم لأنني سأرحل

- ترحلين إلى أين؟

(هاجر) : سؤالك دليل اهتمام

- رافقتك السلامة إذا .. ولا تنسي أن تغلقي الباب خلفك

(هاجر) : ليس قبل أن نتشارك لقمة أخيرة

- هل تظنين أني سأتناول شيئاً من صنع يدك؟

(هاجر) بخليط من الحزن والإحباط : أنا لست بهذا السوء الذي تظن .. هل تعتقد حقاً أني وضعت شيئاً بداخلها قد يلحق بك الضرر؟

- نعم ..

(هاجر) : ألهذا الحد تظنني جاحدة؟ .. لقد أنقذت حياتي وأنا هنا أحاول أن أعبر عن امتناني لك وكل ما تفعله هو التجريح بي! .. اعتقدت أننا سنحظى بحوار مثمر لكن يبدو أني كنت مخطئة

ما زلت لا تعرفين الفرق بين الحوار والجدال .. وعلى أي حال أنا أمنح الثقة مرة واحدة فقط ولن أثق بك مجدداً بعد ما حدث .. لقد أثبتت لي شيئاً اليوم .. أن النحاس لن يصبح ذهباً مهما صُقل ..

(هاجر) رافعة الفطيرة بيدها : سوف أقضم منها قبلك إذا كان ذلك سيريح بالك

- لا داعي .. اتركيها هنا وارحلي

(هاجر) باسمه وهي تقربها من فمي : ليس قبل أن تعطيني رأيك بها

ولأول مرة في حياتي ..

يتفق قلبي مع عقلي ..

ولا أجد ذرة شك أو حيرة ..

إن قرار أخذ قضمة من تلك الفطيرة ..

سيكون خطأ فادحاً .. ومخاطرة لا تستحق ..

ومع ذلك .. فعلت ..

أخذت قضمة منها بينما كانت (هاجر) تراقب بوجه باسم وأنا أمضغها  
وأبتلعها ..

(هاجر) : كيف وجدتها؟

- لا بأس بها .. هل ارتحت الآن؟

(هاجر) : ليس بعد ..

- ماذا تقصدين؟

حينها تصلب جسدي وجف ريقِي وأحسست بطعنات تشق

أمعائي ..

اختل توازني .. ترنحت وسقطت على وجهي ..

أعراض تقليدية لسحرٍ مأكول ..

(هاجر) وهي تسير تجاه رف الكتب فوق فراشي وتبدأ بالتقاطها واحداً  
تلو الآخر وتضعها في حقيبتها :

«لا تسئ فهمي أو تستأ يا معلمي لكن وقتك قد انتهى منذ زمن طويل  
وحان الوقت أن يتولى المهمة من هو أقدر وأشجع منك .. لقد قدمت  
لك خدمة بتخليص نفسك من نفسك .. أنت روح مرهقة وتحتاج  
للراحة ..»

كنت وقتها أتقلب على الأرض من شدة الألم ولم أقوَ حتى على الصراخ  
والاستنجاد بـ (عواد) ولم يُمكنني جسدي سوى من الزحف لبضع  
خطوات خلف (هاجر) التي سارت نحو باب الخروج وفتحته قائلة :  
«لا تلم (عواد) فقد كان تحت تأثير طلاسمي ..»

رفعت يدي محاولاً مسك طرف ثوبها لكنني لم أستطع ..

(هاجر) وهي تتأملني أصارع الألم : المخرج الوحيد لك هو أن  
تستخدم الطلاسم ..

كانت محقة فيما تقوله لكن ذلك لن يحدث حتى وإن فقدت حياتي وربما  
هذه هي النهاية الطبيعية والعادلة للحياة التي قدها وعشتها ..

حينما تيقنت (هاجر) من أني لن أنقذ نفسي بالطلاسم قالت قبل  
خروجها وإغلاق الباب خلفها : «أعرف أنك الآن أصبحت فخوراً  
بي كما وعدتك سابقاً .. وداعاً يا معلمي ..»

خرجت وتركتني أحتضر .. فالعمل الذي دسته لي كان قوياً جداً  
ومفعوله سريع ولن يستغرق سوى دقائق أخرى قبل أن يفتك بي  
وأهلك وخلال تقلبي بين ندمي وأوجاعي ظهر لي (دجن) وقال  
بخليط من التوتر والتأنيب وبصوت مرتفع :

«هذا اللي تبيه! .. هذا اللي تبيه!»

لم أستطع الإجابة عليه ... وحتى لو استطعت فما الجدوى أو الفائدة  
المرجوة؟ .. بقيت أنظر إليه بأعين زائغة أنتظر خروج روعي لأجده  
فجأة يجثو عند رأسي ويحدثني قائلاً : وش علاجك؟!  
قلت بصوت بالكاد يسمع : نبتة ..

(دجن) : طيب كلم (عواد) يجيبها لك!!

- لن يلحق .. هذه النبتة .. نادرة .. ولا تنمو إلا في مكان معين  
بالصحراء الحمراء عند جحور الزواحف

(دجن) : وين يعني؟!

قلت متهكماً من وراء ألمي : هل ستجلبها لي؟

(دجن) صارخاً فيّ : قل وين ولا تكثر كلام!!

أخبرته عن الموقع وفي لمح البصر وجدت نفسي هناك مستلقياً على بطني  
وعشبة كبيرة من تلك النبتة نابثة أمامي و(دجن) من خلفي يقول بنبرة  
متوترة وصوت مرتفع : هذي اللي تقصد؟! ..

أجبتُه وأنا أمد يدي الراجفة قاطفاً بعض أوراقها : نعم ..  
حشرت قبضة من تلك الأوراق بين أسناني وبدأت أمضغ العشبة  
وأبتلع عصارته ثم قلت : «ادفن جسدي العاري هنا ..»  
(دجن) بجزع شديد : أدفنيك ليه؟! .. العلف اللي كلته ما نفع؟!  
قلت قبل أن أفقد الوعي : «جسدي دون رأسي يا أحمق ..»  
سقط رأسي بعدها ولم أشعر بنفسي ..

# ضاحك الشجر

فتحت عيني .. ليلاً ..  
جسدي مطمور تحت الأرض ..  
خلف رأسي تلة رملية صغيرة ..  
توزع عليها مجموعة من الجحور والأعشاب ..  
عضلاتي تتن ورأسي ينبض ألماً ..  
نظري مشوش .. وحلقي جاف ..  
أعتقد أنني أمضيت عدة ساعات غائباً عن الوعي ..  
أو أياماً .. لا أعرف ..  
أجول بنظري من حولي برقبة متشنجة ..  
تقع عيني على (دجن) الجالس بقربي على الرمال ..  
يلحظ استيقاظي .. يحدثني بنبرة مهمة ..

(دجن) : كيفك الحين؟

- أنت لم تكن وهماً إذا ..

(دجن) : خلك من هذا الآن .. محتاج شيء ثاني والا خلاص طبت؟

- تلك النبتة لم تعالجني تماماً .. فلم يكن هذا الغرض منها فهي  
لم تكن سوى ترياق مؤقت لإيقاف تطور السحر وتفاقمه لكن  
الأثر لم يبرح ويستلزم علاجاً آخر

(دجن): وشو .. قل لي

- ماء .. أحتاج ماء ..

وفي لمح البصر وجدت (دجن) يمد إناء ماء ويقربه من فمي ..  
شربت كفايتي ثم قلت : سوف أغفو من وقت لآخر وأدخل في  
غفوات طويلة .. لا تجزع .. هذه مرحلة يجب أن يمر بها جسدي قبل  
أن يتخلص تماماً من الأثر

(دجن) بقلق : طيب وش تحتاج بعد؟

- أن تسقيني الماء في كل فرصة تجدني فيها مستيقظاً ولا تطعمني  
شيئاً حتى أخبرك

(دجن): بس؟

- أحتاج أخذ خليط مرة واحدة فقط وفي أقرب فرصة

(دجن): خليط إيش؟

زودت (دجن) بمقادير الخليط وخلال ثوانٍ وجدت يمدده لي في الإناء  
ذاته ..

بعد ما أخذت عدة رشفات منه سقط رأسي وغطت في نوم عميق ..  
فضيت الأيام التي تلت ذلك في دوامة من الغفوات واليقظات المشبعة  
بالكوابيس والهلوسات وفي كل مرة أكون مستيقظاً لفترة وجيزة  
بحرص (دجن) على سقيي ما يستطيع من الماء. استيقظت في إحدى  
المرات في وقت الظهر ورأيت أن (دجن) قد صنع فوق رأسي ما يشبه  
الغطاء لحماتي من الشمس المحرقة وبعد أن أسقاني الماء قال : إلى متى  
بنتهي كذا؟

قلت وأنا أشعر بغثيان شديد ينتابني : أنا أتعافى .. أمهلني فقط وقتاً  
أكثر

(دجن) : خذ كل الوقت اللي تحتاج .. أنا هنا وما راح أتركك  
- قد يطول الأمر ..

(دجن) : انتظرتك ثلاث سنين برا بيت (عمار) وأنا أكرهك .. فما بالك  
وأنا أحبك؟

قلت وأنا أشعر بالخدر لاقتراب غفوة أخرى : تحبني؟ .. لا تثر غثياني  
أكثر مما أنا عليه

(دجن) : «غثيانك»؟ .. ما حد غثيث غيرك ..  
تبسمت بأعين مغمضة قبل أن يسقط رأسي وأدخل في غفوة أخرى ..  
كان من المفترض أن أشهد بعض التحسن بعد مضي خمسة أيام لكن

ذلك لم يحدث مما دفع (دجن) لسؤالي في إحدى اليقظات عصراً وهو يسقيني الماء : مو الأحسن لك تاكل شيء؟

- لا .. الطعام سيعكر التصفية .. ماء فقط

(دجن) : بس جسمك ما راح يتحمل أكثر بدون أكل

- لا تتحدث في شيء لا تفقهه

(دجن) وهو يسكب محتوى الإناء فوق رأسي : صدق شين وقوي عين ..

تبسمت وأغمضت عيني لأدخل في غفوة أخرى ..

بدأت بوادر خروج السحر من بدني بعد اليوم السابع حينها طلبت من (دجن) إحضار بعض العنب الأخضر الحامض لي ووجهته بإطعامي ثلاث حبات فقط بين كل غفوة ويقظة وألا يتجاوز ذلك العدد حتى وإن طلبت منه ذلك. قبل بزوغ فجر اليوم التاسع استعدت معظم عافيتي وطلبت من (دجن) إخراحي لكنه لم يفعل وجلس بالقرب من رأسي متأملاً الأفق ..

- ما بك؟ .. لم لا تخرجني

(دجن) : لازم نتكلم أول

- وهل كلامي معك مرهون ببقائي تحت الأرض؟

(دجن) : ما عندك أسئلة لي؟

- لدي الكثير .. لكن ليس قبل أن أخرج

(دجن) : عطني واحد منها ..

- لم اختفيت كل تلك السنوات؟ .. أم أنك لست من أظن

(دجن) : شتقصد؟

- ليس من الصعب أن يتشكل شيطان آخر بهيئة (دجن) ويحاكي

تصرفاته .. لا يوجد دليل على أنك هو ولست مدسوساً عليّ

لخداعي واستدراجي

(دجن) : خف علينا يا آخر حبة ..

- إذا كان كلامي ليس منطقياً فأقنعني بالعكس وقدم لي الدليل

على أنك (دجن) الحقيقي ..

(دجن) بشيء من الحق : لا أبداً! .. كلامك منطقي مرة! .. فعلاً ممكن

أكون «مهندس» وما أكون صديقك الي غدرت فيه وسأحت الي قتلته

بس لأنها سبلت لك عيونها وأنت زي الخروف الأعور نسيت كل

شيء وسأحتها ولا كأن في خروف ثاني توه مذبوح ودمه ما برد!

ضحكت من كلام (دجن) وانفعاله وبدأت أسعل من شدة الضحك ..

(دجن) بسخط : وتضحك بعد؟!!

- اضحك لأنني تحققت ..

(دجن) : من إيش؟!!

- من أنك (دجن) الحقيقي .. صديقي الأحمق

(دجن) : وكيف تحققت؟

أجبتة باسماً : لأنه لا يوجد شيطان يحقد ولا ينسى مثلك ..

(دجن) باسماً : والله ما حد حقده حقد بعارين غيرك

لفت نظري أن (دجن) حلف بالله وهذا أمر لا تقوم به الشياطين ..

- لقد أسلمت بالفعل إذاً ..

(دجن) متهكماً : وحسن إسلامي .. بس مقصر بالصلاة شوي

- ما الذي حدث؟ .. وما قصة قتل (جُند) لك إذا؟ .. لم اختفيت

كل تلك الفترة؟ .. ولم ظهرت الآن بالذات ..؟ .. ولم لم تتجمد

حينما نطقت اسمك؟ .. ولم ..

(دجن) مقاطعاً : بس بس بس .. تحقيق هو؟!!

- بالطبع سأحقق معك كي أفهم

(دجن) : ما نقدر نتكلم الحين .. كل اللي أقدر أقوله لك أني صرت

مثلك يا (خوف) .. حاولت أطلع من عالمهم لكنهم سحبوني بالقوة

ورجعوني ..

- لم أفهم ...

نهض (دجن) من مكانه وقال : لو انكتب وشفتك مرة ثانية بفهمك ..

لازم أروح الحين

- إلى أين؟!!

(دجن) : مهمتي خلصت ..

- مهمة؟

(دجن) وهو يضمحل في الهواء : أتمنى تقدر هالمرة التضحية اللي  
قدمتها لك ..

- انتظر!

## العُنُقُ المربوط

تركني (دجن) وحيداً في تلك الصحراء ..

مدفوناً تحت رمالها الحمراء ..

مقيداً مشتت التفكير ..

تساءلت مع نفسي .. هل ما زلت أتوهم ..؟

هل مت؟ .. هل أنا في غيبوبة في أحد المستشفيات ..؟

أم تحت التراب أحاسب ..

أفكار وهواجس تلاعبت بي لما يقارب الساعة ..

حتى تهشم جدار الصمت بعبارة وجهت لي ..

صوت مألوف قادم من خلفي ..

الرجل الأنيق ..

خرج من وراء التلة الصغيرة التي دفنت عندها وسار وهو يشد ربطة  
عنقه الحمراء حتى استقر أمامي وتقرفص على ركبتيه وهدق بي لثوانٍ  
مبتسماً ثم قال :

«في المرة الأخيرة التي التقينا فيها رفضت سماع عرضي لأنك كنت

في موضع قوة وهذا خطئي أنا .. أما الآن فالوضع مختلف .. مختلف تماماً ..

- لم يتغير شيء .. عروضك كلها بلا استثناء كانت وما زالت مرفوضة ..

تحركت الرمال بيني وبينه وخرج منها عقرب أسود سار بأرجله النحيلة تجاه رأسي المستقر فوق سطح الأرض وتوقف عند وجهي محرماً ذيله مقرباً رأس إبرته السامة من وجهي مداعباً طرف أنفي برفق.

(الرجل الأنيق) : لم أعد بحاجة لك فقد قدمت لي البديل المناسب مشكوراً

- عمن تتحدث؟

(الرجل الأنيق) : أحد تلاميذك .. قدمنا له العرض ذاته ووافق بكل سرور

- (ماجد)؟

(الرجل الأنيق) : (هاجر) .. الفتاة متحمسة أكثر منك وستكون مفيدة لنا .. فهي تواقفة جداً لتصبح من خدمنا والدليل أنها لم تتردد لثانية حينما طلبنا منها سرقة كتبك وإطعامك سحراً مأكولاً ينهي حياتك .. بفضلك هي الآن في مرحلة تمكنها من استيعاب كل ما

نمليه عليها وحماسها وحده كافٍ لأن تصبح أكبر ساحرة في هذا  
العصر

- هنيئاً لكم بها

(الرجل الأنيق): لكن ..

- لكن ماذا؟

(الرجل الأنيق) مشيراً للعقرب الأسود بالتراجع قليلاً للوراء: بقدر  
حماسة تلميذتك إلا أني ما زلت أريد المعلم

- لن أكون خادماً لك مهما حاولت

(الرجل الأنيق) باسماً: ما رأيك بمسمى شريك؟

- هذا أسوأ ..

(الرجل الأنيق): لا بد أن أصل معك لمقايضة ما .. هل يعقل أنك لا  
تحتاج إلى شيء؟

- حتى وإن احتجت فلن أبحث عن حاجتي عندك

(الرجل الأنيق): هل تتحدث معي الآن بعقلك أم قلبك؟

- أتحدث معك بما أتحدث به مع غيرك

(الرجل الأنيق): وهو؟

- أقدم عقلي وأدخر قلبي .. فأني سلوك مدمر يأتي من هوى  
والهوى منبعه القلب

(الرجل الأنيق) : وهذا الهوى .. يحثك على البحث عن ماذا؟  
- بعض الأجوبة ..

(الرجل الأنيق) مبتهجاً : وأخيراً شيء يمكن أن أقدمه لك .. هات ما  
عندك أيها المدون

- أريد أن أعرف كل شيء يخص (دجن) .. وما علاقته بكم؟

جلس الرجل الأنيق متربعاً وقال : هل يهكم أمره؟

- يهمني أن أفهم ما يحدث

(الرجل الأنيق) : ماذا تريد أن تعرف؟

- هل حقاً كان في مهمة؟ .. هل يعمل لمصلحتكم؟

(الرجل الأنيق) : نعم .. لكن تدخله لإنقاذك لم يكن ضمن مهامه  
وكان خيانة عظمى لنا

لا أنكر أنني صدمت عندما سمعت ذلك الجواب لكنني لم أظهر تأثري  
واستمررت بطرح الأسئلة ..

- ألم تقتله (جند)؟

(الرجل الأنيق) : ابنة (سند) لم تقتل (دجن) .. لقد قتلت متشكلاً

آخر قمنا بإرساله لها حينما كانت تنتظره خارج ((مكة)) لنوهمها بذلك  
وتتوقف عن ملاحقته ..

- وكيف وافق هذا المتشكك على التضحية بنفسه؟

(الرجل الأنيق): لم أنت مستغرب من أن الكثير من أتباعنا مستعدون  
أن يفتدوا بحياتهم قضيتنا مثلما يفعل الكثير من البشر فداءً ودفاعاً عن  
قضية يؤمنون بها

- وما الهدف من كل هذا؟

(الرجل الأنيق): صاحبك كان الوحيد المقرب لك وقتها ولم نكن  
سنستغني عن ذلك الكرت الرابع بسهولة لذا قمنا بأسره والاحتفاظ  
به إلى حين

- حين ماذا؟

(الرجل الأنيق): حين حاجتنا له ..

- ألم يكن الوصول إليه صعباً عليكم وهو وسط ((مكة))؟

(الرجل الأنيق): لا شيء يصعب علينا .. من المفترض أنك تعرف  
ذلك الآن

- وما نوع الحاجة التي دفعتك لتحريره من أسره؟

(الرجل الأنيق): ردعك عما كنت تنوي القيام به .. كان الورقة

خبرة التي استخدمناها لإقناعك بالعدول عن نقل علمك ويبدو  
فشل هو الآخر

- ظننتكم لا تكترثون لو تحدثت أو نقلت علمي .. ما الذي  
تغير؟ .. لم أصبحتم تخشون ذلك؟

(الرجل الأنيق) : نحن لا نخشى شيئاً .. وبالذات بشرياً ضعيفاً  
مثلك ..

- وكيف لم يتجمد (دجن) حينما كنت أنطق اسمه؟

(الرجل الأنيق) : توبته حررته من كل الطلاسم المقيدة له ..

- كنت أظنه أسيراً عندكم ومجبوراً على التعاون معكم

(الرجل الأنيق) : في كل الأحوال تعاون ولم يرهقنا مثلك .. ونحن  
نكرم من يخدمونا

- وماذا سيحدث له الآن؟

(الرجل الأنيق) : بعد فشله وانكشاف حقيقته أمامك بعد ما ساعدك  
أصبح كرتاً محروقاً لنا .. مجازاً وقريباً حرفياً ..

- لولاه لما كنت أنا وأنت نتحدث الآن .. لقد قدم لكم خدمة

(الرجل الأنيق) : مسؤوليته كانت محصورة في ثنيك عن نقل العلم

وإقناعك بالوسوسة بالانضمام لنا وقد أخفق في المهمتين لذا لم يعد لنا  
به حاجة وستخلص منه

- وهل هذا ما ستفعله بي حينما تنتهي حاجتك مني؟

(الرجل الأنيق): لا بالطبع فأنت مختلف

- حديثك معي مختلف لكن نواياك واحدة

(الرجل الأنيق): هل تراني كعدو؟

صمت ولم أجب عليه ..

(الرجل الأنيق) باسماً: إذا فنحن صديقان

- كوني لست عدوك فهذا لا يجعلني صديقك .. وإن كنت تريد

معرفة الحقيقة فأنت ألد عدولي

(الرجل الأنيق): ماذا تريد؟ .. اصدقني القول .. ماذا تريد؟

- كل شيء ولا شيء ..

(الرجل الأنيق): ما رأيك ببعض الشيء؟ .. هذا حل معقول ..

- أنصاف الحلول مشكلات مكتملة .. لن أكون خادماً لكم

ولأهدافكم

الرجل الأنيق) : فلنؤجل هذا الأمر الحتمي في الوقت الحالي ولنكتفِ

بـ أقل .. سأقدم لك عرضاً مغرياً لو أنصت ..

- أنا منصت ..

الرجل الأنيق) : سنعيد لك كتبك وخواتمك المسروقة وسنحرم

هاجر) من التعامل مع الأسياد من الشياطين العلوية وستكون

مصورة على السفلية منها فقط وبهذا لن ترتقي ولن تتجاوز كونها

ساحرة متواضعة ومشعوذة وضيعة

- ولم لا تحرم عليها التعامل مع السحر والشياطين على الإطلاق؟

(الرجل الأنيق) : صدق أو لا تصدق .. هذا خارج حدود قدراتنا ..

نقدر على الحد ونعجز عن القطع .. فما رأيك؟

- وماذا أيضاً؟

(الرجل الأنيق) : طماع .. أحب ذلك .. سنترك لك صديقك (دجن)

ونعفو عنه كذلك وسأضيف عليه عفواً خاصاً بك يسقط عنك انتقام

قبيلة الشيطان الذي قتلت

- هذا لا يكفي

(الرجل الأنيق) : بل أكثر من كافٍ .. أنت لم تسمع المقابل الذي

سأطلبه منك .. هذه المرة طلبي سيكون بسيطاً ويسيراً لكنك ستلتزم  
به وبعدها أنت حر فيما تفعل

- لقد فقدت حرיתי منذ اليوم الأول الذي دخلت فيه عالمكم

(الرجل الأنيق): ماذا ستخسر إذا؟

- ماذا تريد؟

(الرجل الأنيق): كتبك ..

- كتبتي؟

(الرجل الأنيق) وهو يشير للعقرب الأسود بالتقدم والعودة لمكانه

السابق أمام وجهي: «تلك الكتب التي تكتبها خلصة ..»

- مذكرات .. وليست كتباً ..

(الرجل الأنيق): لا تتغاب .. أنا أتحدث عن الصفحات الأخرى

- هذه مجرد خربشات ..

(الرجل الأنيق): آه نعم خربشات .. هل تنوي نشرها؟

- لا ..

(الرجل الأنيق) والعقرب يقرب إبرته من طرف أنفي: لم تكتبها إذا؟

- لنفسي ..

الرجل الأنيق) بنبرة ساخرة : كل ذلك العدد الهائل من الصفحات  
في كتبها وتنوي كتابتها لنفسك فقط؟ .. من تظنني أيها المدون؟ ..  
إذا الحوار يجب أن يكون خالياً من التدليس كي نصل لاتفاق

- أنا لست مدلساً مثلك

الرجل الأنيق) : لكنك مراوغ .. مراوغ جيد ..

- لم تسألني عنها؟

الرجل الأنيق) : لأن المقابل هو ألا تنشر أيّاً منها ..  
لست متهكماً : هذا أمر مباشر .. لم أعتد ذلك منك .. هل في محتواها  
شيء يضايقك أو يسيء لك .. إنها مجرد قصص عابرة للتسلية .. ماذا  
حدث لـ «أخبر من تشاء فلن يصدقوك ..»

(الرجل الأنيق) : أنا وأنت نعلم ما تكتبه بين السطور في تلك  
القصص .. أنت تنتهج طريقة ملتوية لإيصال رسالتك وعلم  
الأولين للعامة ونحن لسنا غافلين عن ذلك  
- بعض ما عندكم .. سأنشر ما أشاء وأحتفظ بما أريد

(الرجل الأنيق) : ستشر كل شيء؟

- هذا الأمر يعود لي

(الرجل الأنيق): سأسمح لك بنشر عدد محدود من العلم ولو وافقت  
فسأعطيك ما وعدتك به .. هل يرضيك هذا العرض؟

- لا ..

(الرجل الأنيق): سأزيد لك كمية العلم التي يمكنك مشاركتها .. ما  
رأيك؟

- لا ..

أمضيت مع الرجل الأنيق في أخذٍ وجذب حتى وصلنا لاتفاق ..  
رقم محدد ..

عدد ما يمكنني نشره من السطور في مقابل ما عرضه علي ..

(الرجل الأنيق): هل نحن متفقان؟

- العدد الذي وصلنا إليه مناسب

(الرجل الأنيق) والعقرب الأسود يداعب طرف أنفي برأس إبرته :  
ولو تجاوزته ..؟

- يحق لك أن تفعل بي ما تشاء

(الرجل الأنيق) ناهضاً متأملاً الأفق خلفي : الشمس ستشرق بعد  
قليل ..

- هذا ما يحدث كل يوم في الوقت نفسه .. ماذا تريد أن تقول؟

(الرجل الأنيق) منزلاً نظره ناحيتي : تذكر أنك قد قطعت عهداً  
وستلتزم به شئت أم أبيت ..

- أعرف .. حان دورك الآن لتنفيذ جانبك من الاتفاق

حرك الرجل الأنيق سبابته باسماً وقال : «اعتبر الموضوع أنجز أيها  
المدون ..»

لدغني العقرب الأسود على طرف أنفي وفقدت الوعي ..

# الحَرَامُ المَعِيبُ وَالْعَيْبُ الحَرَامُ

حينما أفقت كان الصباح في أوله .. الأفق شاحب والسماء غائمة ..  
الرجل الأنيق رحل .. وأنا ما زلت مدفوناً مكاني ..  
لكن الأرض متشقة حول عنقي وأكتافي ..  
تمكنت من إخراج إحدى أذرعني بعد عناء ..  
لكنني عجزت عن تحرير الأخرى ..  
صوت خطوات تقترب من خلفي ..  
أنتظر القادم بخليط من الرهبة والتوجس ..  
يقف أمامي (دجن) .. يمد ذراعه لي ..  
يشدني من عمق الأرض ..  
أخرج بجسدي العاري ..  
وكأني أولد من جديد ..

بدأت أمسح الرمال بكفي من على جسدي وأنا أقول : شكراً يا  
(دجن) .. أنا ممتن لك  
(دجن) رافعاً كفه عند وجهه حاجباً نظره : اشكرني بأنك تلبس  
هدومك

- وأين هي؟

(ن) وكفه لا تزال مرفوعةً أمام وجهه : وراء الجحور

طلت ملابسي ولبستها وأنا أقول : أحتاج للاستحمام ..

(جن) : وش صار معك ..؟

أأدخل ذراعي في أحد الأكمام : لم يحدث شيء أعدني للمنزل

(جن) : كيف ما صار شيء .. ساحموك؟

- اسألهم .. أأست خادمهم وهم أسيادك؟

(دجن) : أنا سويت كذا عشان أحملك .. مثل كل مرة

- شكراً أعدني لمنزلي الآن

(دجن) : أنا ما أشتغل عندك

- صحيح .. أنت تعمل لمصلحة الرجل الأنيق

(دجن) : ما يهمني لا هو ولا غيره

- تتحدث عنه بطريقة جريئة .. ألا تخشى سخطه؟

(دجن) : شكله ما قال لك حقيقة الاتفاق اللي كان بيني وبينهم ولعب

بمخك كالعادة

- كل ما أعرف هو أنني حررتك من اتفاقك معهم وأنقذت حياتك

(دجن) بتهكم : ولأنك حررتني لازم أكون عبد عندك؟

- أنا لم أقل ذلك

## خِلالِ الخَلْوَةِ

وجدت نفسي في غرفتي .. مستلقياً على سريري ..  
لم أرَ (دجن) .. لكنها لم تكن المرة الأخيرة التي سأراه فيها ..  
هاتفني النقال فوق دولابي حيث تركته ..  
نهضت وأخذته .. وجدته مطفأً لنفاد بطاريته ..  
وضعته في الشاحن أنتظر عودته للحياة ..

أوفى الرجل الأنيق بعهدده ..  
وجدت الكتب الخمسة مكانها على الرف فوق فراشي ..  
وكذلك جميع خواتمي ..  
وخصلة شعر سوداء مستقرة فوقها ..  
.. كانت لـ (هاجر) ..

تبسمت وأنا أفرك الشعيرات بين سبابتي وإبهامي ..  
صوت طنين هاتفي الذي عاد للعمل ..  
عشرات الاتصالات الفائتة والرسائل المستلمة ..

تجولت بينها حتى أضاءت الشاشة ..

(عواد) يتصل بابي ..

وخلال أقل من ساعة كنت معه في «مجلس الدروس» ..

(عواد) : هل هذا كل ما حدث؟

- تقريباً .. من غيرك علم بغيابي؟

(عواد) : إخفاء الأمر على أهلك لم يكن صعباً فهم معتادون على غيابك المفاجئ لكن ..

فهموا ..

- لكن ماذا؟

(عواد) : عندما لم أجدك في غرفتك والكتب مختفية معك بعد زيارة (هاجر) فكرت بالأسوأ واضطرت للتواصل مع (ماجد) وحكيت له كل شيء كي يساعدني في البحث عنك وهو من اكتشف السحر المأكول في الفطيرة.

- لا بأس لكن لا تتصل به مجدداً

(عواد) : لكنه قلق عليك ويجب أن أطمئنه

- لا تفعل .. اتركه يعتقد أني مت .. هل تفهم؟

(عواد) : لا لم أفهم .. لم تريد أن تبقى في توتر؟

- هذا شأني وليس شأنك ..

صمت (عواد) بوجه خالطه الحزن والعبوس ..

- لم لحيتك طويلة؟

(عواد) : ماذا؟

أشرت بسبابتي لذقنه وقلت : ذقنك .. لم هي هكذا؟

(عواد) ماسحاً فكه بكفه : لم أجد الوقت خلال غيابك لأقوم بأي

شيء .. كنت مشغولاً بالبحث عنك

- هذا ليس عذراً .. احلقها

(عواد) بنبرة متهكمة ومتذمرة : مرحباً بعودتك ..

تبسمت له وقلت : لن تصدقني لو قلت لك إنني مشتاق للبيض الذي

تحضره

ابتهج (عواد) وقال : لقد وجدت مطعماً جديداً يعدها بطريقة مميزة

- لم أنا لست مستغرباً ..؟

(عواد) : الصباح لا يزال في أوله .. ما رأيك؟

- سأكون بانتظارك ..

نهض (عواد) وخرج على عجلة ليحضر لنا وجبة صباحية من

البيض ..

بقيت وحدي أدخن ..

أجمع رماد السجائر في منفضة زجاجية

حتى حصلت على ما يعادل قبضة يد ..

بدأت أرسم بسبابتي على الرماد ..

وضعت منفضة بعدها أرضاً بين أقدامي ..

تشكل منها رجل ضخمة ببشرة زرقاء ..

جن أزرق .. أندر أنواع الجن ..

حدثني وقال : بمَ يأمر المستدعي ..؟

- أريدك أن تجد لي شخصاً ..

(الجنّي الأزرق) : هل تملك منه أثراً؟

مددت يدي في جيبِي وأخرجت خصلة شعر (هاجر) وقلت : نعم ..

أخذ الجنّي الأزرق الخصلة وقال : «سأجدها قبل أن يرتد طرفك ..»

- أريد منك شيئاً آخر: بعد أن تجدها

الجنني حانياً رأسه : منصت ومطيع ..  
- أريدك أن تراقبها .. تكون لصيقاً لها دون أن تشعر بك ..

(الجنني الأزرق) : يسير ..

- وأن تبلغني في كل مرة يلجأ إليها أحدٌ لطلب العلاج أو العون

(الجنني الأزرق) : ثم ماذا ..؟

- فقط هذا .. لا أريد منك شيئاً آخر

(الجنني الأزرق) : أمرك مجاب ..

قناة : كتب منصف

# النَّهَآيَةُ الْمَفْتُوحَةُ

التجاهل يختلف عن الجهل .. الجهل ببساطة عدم معرفتنا بحقيقة ما  
لكن التجاهل هو اختيار عدم البحث عن شيء نعي أنه حقيقة. لكن  
ذلك يهون أمام الغباء .. المكتسب منه والمتوارث .. فالحقيقة المؤلمة التي  
توصلت إليها بعد سنواتٍ من معايشة الناس هي أن كل وباءٍ عابر  
ومنتهٍ إلا الغباء باقٍ ومستفحل. العقل هو طوق النجاة الوحيد في بحر  
الجهل المتلاطم .. وسيغرق ويهلك الكثير في أعماقه بسبب حماقتهم  
وهذه سنة الانتخاب.

عندما يستاء شخص من هجومي على الأغبياء أليس ذلك تأكيداً منه  
بأنه أحدهم ..؟

أعتقد أن أساس أي حماقة هو عدم الاستقلال .. بالرأي والتفكير  
خصوصاً .. مما يجبرنا على اللجوء للغير لسد ذلك الفراغ عوضاً عنا ..  
ليفكروا بدلاً منا ونتبنى نحن بدورنا أفكارهم المعلقة فقط لأننا تكاسلنا  
عن القيام بذلك بأنفسنا .. لذلك تكون صدماتنا بهم حينما ينقلبون  
على أفكارهم أقوى وأكثر حدة .. فمن يعلق إيمانه بأشخاص سوف  
يكون إيمانه مرهوناً بهم وبتصرفاتهم.

القطيع يسير خلف صوت المزمارة الشجي حتى وإن كان العازف

أعمى فالشعارات والخطابات العاطفية مسكنات رخيصة يتشي بها  
الأحمق وتجلب الغثيان للعاقل.

مراكز الكون أصبحت كثيرة مؤخراً لأن كل شخص يرى نفسه وآراءه  
قبلة للحق وبوصلة للباحثين عنه والنتيجة هي أن الجميع تاهوا وفقدنا  
أي توجه واتجاه يقودنا إليه. كل أرض نقف عليها يمكن أن تكون  
نقطة بداية نحو أي وجهة لذا فأنت مركز كونك وليس كوننا.

أنا مؤمن أن القناعات لم توجد لتثبت أو تناقش لأن هذا يتعارض مع  
مفهوم يقينك بها فهي باقية بغض النظر عن وجهة نظر الطرف الآخر  
بها حتى وإن بدلت أنت قناعتك الخاصة.

من المفارقات العجيبة لما يمكن أن تتقبله العقول المؤدلجة هي أن شهادة  
الشهود التي يعتد بها قانونياً كحقيقة لا جدال فيها ترفض علمياً ولا  
تعتبر عنصراً حاسماً ينظر إليه بجدية لإثبات أو نفي نظرية .. فشهادتي  
مع مجموعة من الناس أن رجلاً ما سارق تدينه وتثبت عليه تلك  
الجريمة وعلى أساسها يصدر به حكم قضائي وعقوبة لكن شهادتي مع  
المجموعة نفسها بأننا رأينا شيئاً خارقاً للطبيعة تفسر على أنها هلوسة  
جماعية لا تستحق الأخذ بجدية. ومن هذا المثال البسيط يتضح لنا  
الفرق في آلية التصديق وكيف نستسقي الثوابت من مصادر مختلفة  
بالطريقة ذاتها لكن مع نتائج متباينة حسب أهوائنا.

نفضل يفضل شرب الحساء من كوب أو كأس وليس آنية مجوفة ..  
غير ذلك من طعم الحساء؟ .. هل هم مخطئون فيما فعلوا؟ .. هل  
يقدم لك الحساء بهذا الشكل يهينك بطريقة ما؟ .. بالطبع لا ..  
كن هذا ليس بالأمر المألوف والمتعارف عليه. طرق الآفاق الجديدة  
مر لا يمارسه إلا فئة قليلة من الناس .. صفوة منبوذة ونخبة مستنكرة.  
وهذا يقودني لسؤال يستحق التفكير .. من حدد المألوف والمتعارف  
عليه؟ .. ولم نحن مجبرون أن نسير عليه ولا نجرب غيره؟  
ربما لأننا أسرى .. مأسورون ومقيدون لمنظومة فكرية معدة مسبقاً  
ومقدمة لنا تحت مسمى «التطور» .. نفضل شرب الحساء بملعقة  
وطبق .. نتناول ثلاث وجبات باليوم .. نحمي أنفسنا من المطر ..  
ننام على أسرة ووسائد بدل الأرض .. ولا نعرف السبب .. لكننا  
مستمرون في ذلك وندافع عنه أيضاً ومنتقد من ينتهج طريقة مختلفة  
أو مغايرة .. مع أن الموضوع مجرد .. شرب حساء أو نوم على الأرض.  
أنت حر في اختياراتك وفي قرارك بأن تكون أسيراً .. مثلما أنا أسير  
لرغبتي في التحرر .. التفكير والتفكير لم يعودا رفاهية في هذا الزمن  
بل واجب حتمي لكل من يريد النجاة. فالمجتمع يرى سابق عصره  
بخطوة عبقرياً، وسابقه بخطوات مجنوناً.  
التفكير بطريقة مختلفة ينقي العقل من الشوائب العالقة به والمعيقة  
لحركة الأفكار بين جنباته ويجعله مهياً لاستيعاب مفهوم «الغيبات»

التي يظن الكثير أنها مجرد فرضيات لا يمكن إثباتها علمياً. وهذا خطأ  
جملة وتفصيلاً لأنها من الأساس ليست فرضية .. بل نظرية.

قد تتساءل عن الفرق .. النظرية هي فرضية نجحت في تقديم تفسير  
منطقي لأمر ما أما الفرضية فهي مجرد محاولة لتفسير الظاهرة لكنها  
لم تصل لدرجة عالية من الإقناع. والنظرية تتحول لحقيقة علمية بعد  
سلسلة من التجارب التي تحسمها.

إذاً كيف نصنف فكرة وجود العالم الآخر بجنه وشياطينه؟

بالنسبة للمؤمن فهي حقيقة لا جدال فيها بالرغم من غياب عنصر  
التجارب الحاسمة وتعتبر نظرية لكثير من المهتمين بعلم الما ورائيات  
والخوارق ومجرد فرضية لمن هم متقبلون لطرح الأفكار الجديدة وتعد  
خرافة لا أساس لها من الصحة لأصحاب المنطق والعلم الفيزيائي  
المطلق .. لكن .. أيُّ منهم على حق؟

في الحقيقة لا يهم .. لأن المهم هو الحقيقة ..

وليس ما نظنه عنها ..

والحق لا يحتاج من يدافع عنه والحقيقة لا تنتظر نوراً يُسلط عليها

فمن يريد إيجاد أحدهما سيجده بسهولة ..

من أسباب تأخرنا هو قناعة البعض بأنهم أوصياء على غيرهم

لكلّون بتغييرهم دون أنفسهم .. هذه الفئة الفارغة والمتفرغة من  
تتمتع تعاني من مشكلة مزمنة ومستعصية .. وهي أنهم لا يملكون  
كلمات حقيقية في حياتهم لذا تجدهم يتدخلون في شؤون غيرهم  
لفظاً من باب سد الفراغ في حياتهم الجوفاء ..  
سبيل المثال الكثير يتحدثون عن وجوب «الأحتشام» ولا أرى إلا  
ندر منهم يتحدث عن أهمية «غض البصر» .. لماذا؟ .. لأن الأولى  
وجهة للغير والأخرى موجهة لهم .. لذلك تجدنا اليوم نعيش في زمن  
نوقاحة المغلفة بمصطلح «الصرّاحة» .. زمن أصبحت فيه الأخلاق  
لأسف مصدراً للدهشة .. وهذه نتيجة طبيعية حينما يزدهر التافهون  
ويذبل حضور العقلاء .. الأخلاق ليست إنجازاً نستعرضه بل منهج  
نمارسه .. فالهمجية ليست رجولة وبذاءة اللسان نقص في المروءة ..  
والتباكي أمام الناس على الأوجاع بحثاً عن التعاطف ضعفٌ مقيت .  
أتفهم الحزن وأسبابه لكنني لم أفهم يوماً الحاجة والغرض من عرضه  
واستعراضه خصوصاً أمام الغرباء .. فمشاهدة مُتصنع الحزن أمر  
مرهق .. نعم متصنع .. فالحزين الحقيقي لا يملك وقتاً أو مزاجاً  
لإخبار من حوله عن حزنه .. الحزن الحقيقي شعور خاص ..  
مكبوت .. يأكلنا من الداخل ولا يظهر للخارج إلا بعد ما يلتهمنا  
بالكامل ولا يُبقي منا سوى الخواء .

لو كان لي وصية أخيرة أقدمها فهي بلا شك ألا تحرم نفسك من متع الحياة بترك اختياراتك مرهونة لآراء الآخرين. لذلك لا تبرر لأحد شيئاً قمت به عن قناعة وخذ حذرك من الحمقى الذين يحاولون تسطيح رأيك أو ذوقك والاستخفاف به فهم لا يملكون في حياتهم شيئاً يستحق الفخر لذا يلجؤون لتحقير خيارات غيرهم. هذه حقيقة ثقيلة وصعبة الفهم على ضيقي الأفق وهي أن هناك من هم ليسوا مثلهم ولن يكونوا كذلك أبداً، ويفكرون بطريقة مختلفة عنهم ولهم حياة خاصة هم منسجمون ومتصالحون معها.

همسات هواجسنا هي وقود أقلامنا ..

استهلكت جزءاً ليس باليسير من السطور ..

التي مُنحت لي من قبل الرجل الأنيق ..

وبعد إتمام ما تبقى منها ..

سأقيد عن نشر المزيد وللأبد ..

كان هذا هو الاتفاق ..

وسألتزم به ..

عندما تسمع أحداً يقول لك بأنك «سابق لعصرك» فلا تفرح كثيراً ..  
فسابق عصره يعاني أكثر من المتأخر عنه ..

أحياناً مشوار الألف ميل قد يبدأ بعثرة ..

وأنا تعثرت كثيراً خلال مسيرة حياتي ..

لكن عزيمتي لن تنطفئ وقلبي لن يُرهق لأني أكتب بيساري بضميرٍ  
مطمئن لأن ذنوبي وإن كثرت كانت وما زالت .. باختياري ..

.. خوف ..

قناة: كتب مني

مشكلتنا لم تكن يوماً الالتزام أو التفريط..  
مشكلتنا كانت وما زالت "التطرف" في أحد الاتجاهين..  
البقاء في الوسط مفهوم لم نتقن التعامل معه حتى الآن..  
تطرفنا في الكرم وحولناه لتبذير وإسراف..  
تطرفنا في النصح وجعلناه ترهيباً وتخويفاً..  
تطرفنا في الحب فأصبح تملكاً واستحواذاً..

وتطرفنا في الخوف..  
وسلمناه زمام حياتنا..  
فأصبحنا عبيداً له..

